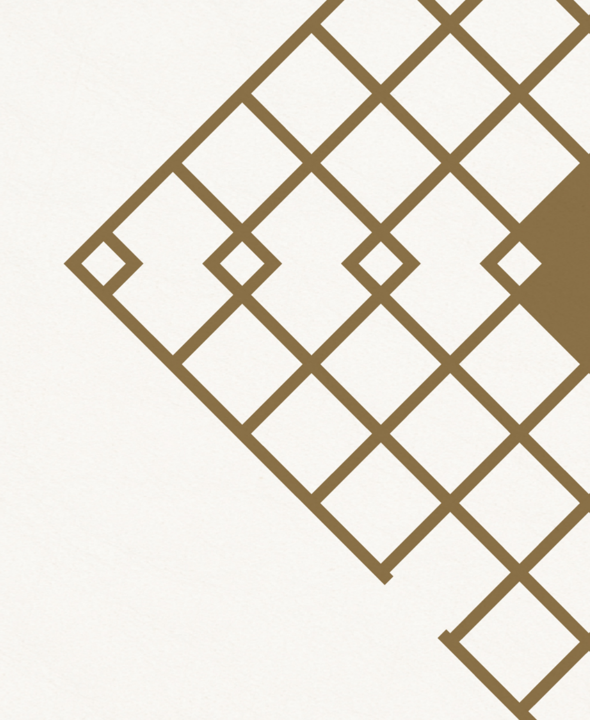
مختصر





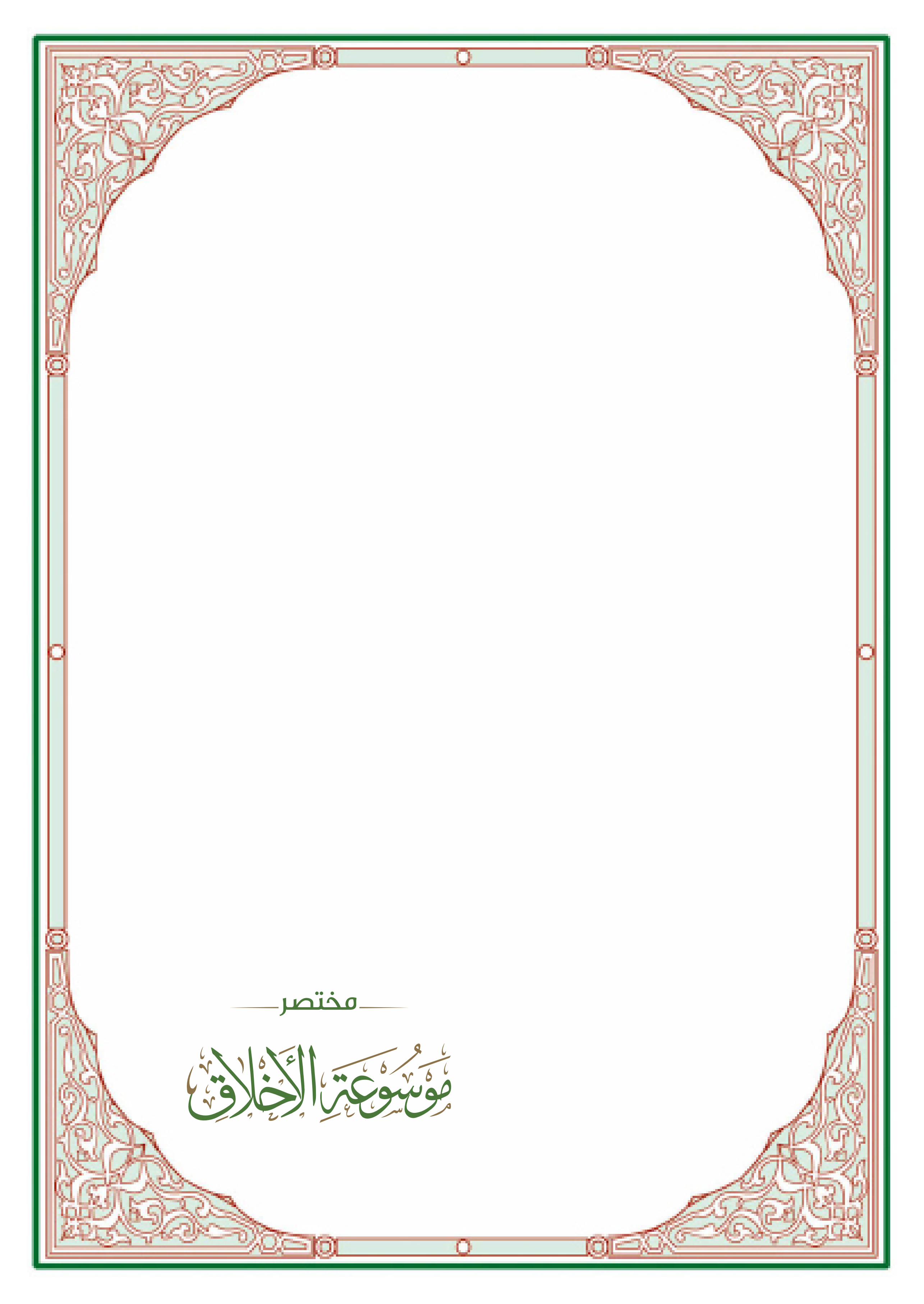
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف

الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف





مختصر
موسوعة الأخلاق



ح مؤسسة الدرر السنية للنشر ـ ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مؤسسة الدرر السنية - القسم العلمي

مختصر موسوعة الأخلاق/ القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية - الظهران،

١٤٣٨هـ

٥٧٦ ص، ١٧ سم × ٢٤ سم

ردمك: ٧-٦٨-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الفضائل الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٢,٢ ١٤٣٩/١٠١٦٤

رقم الإيداع: ١٤٣٩/١٠١٦٤

ردمك: ٧-٦٨-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

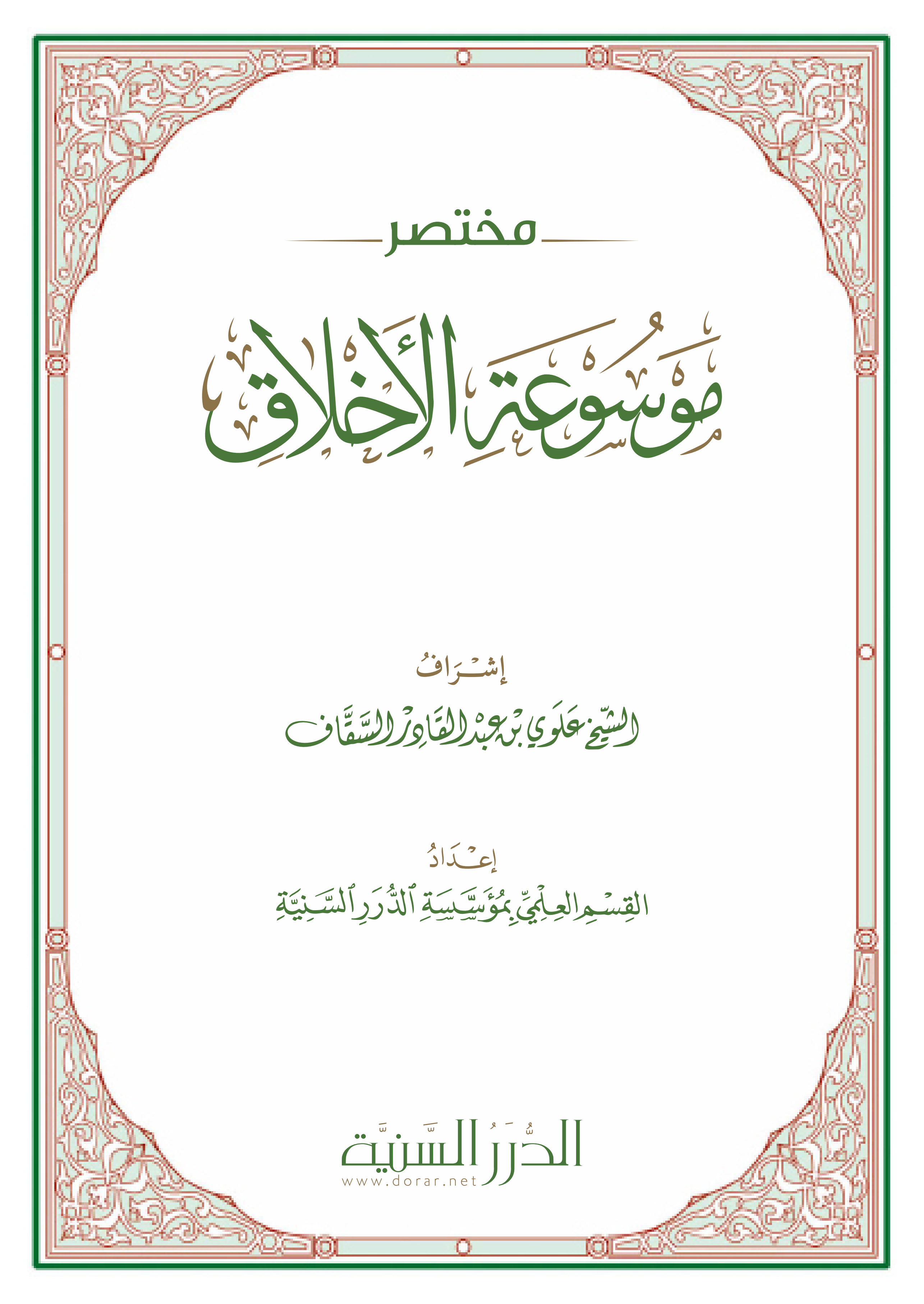
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

الدرر السنية
www.dorar.net

مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية

ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠

ت:٠١٣٨٦٨٠١٢٣/فاكس:٠١٣٨٦٨٢٨٤٨-بريدإلكتروني nashr@dorar.net



مختصر

موسوعة الأخلاق

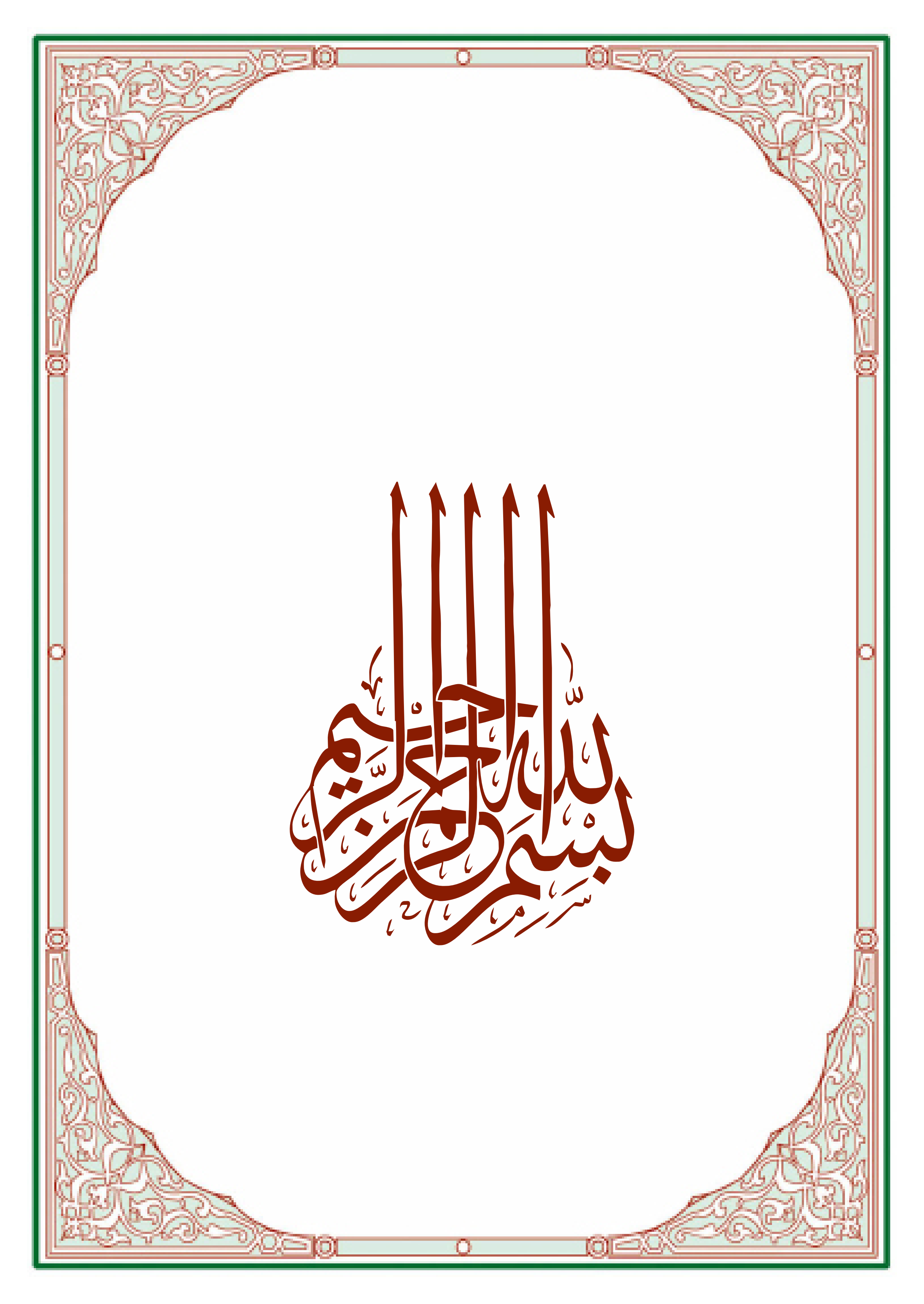
إشراف

الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف

إعداد

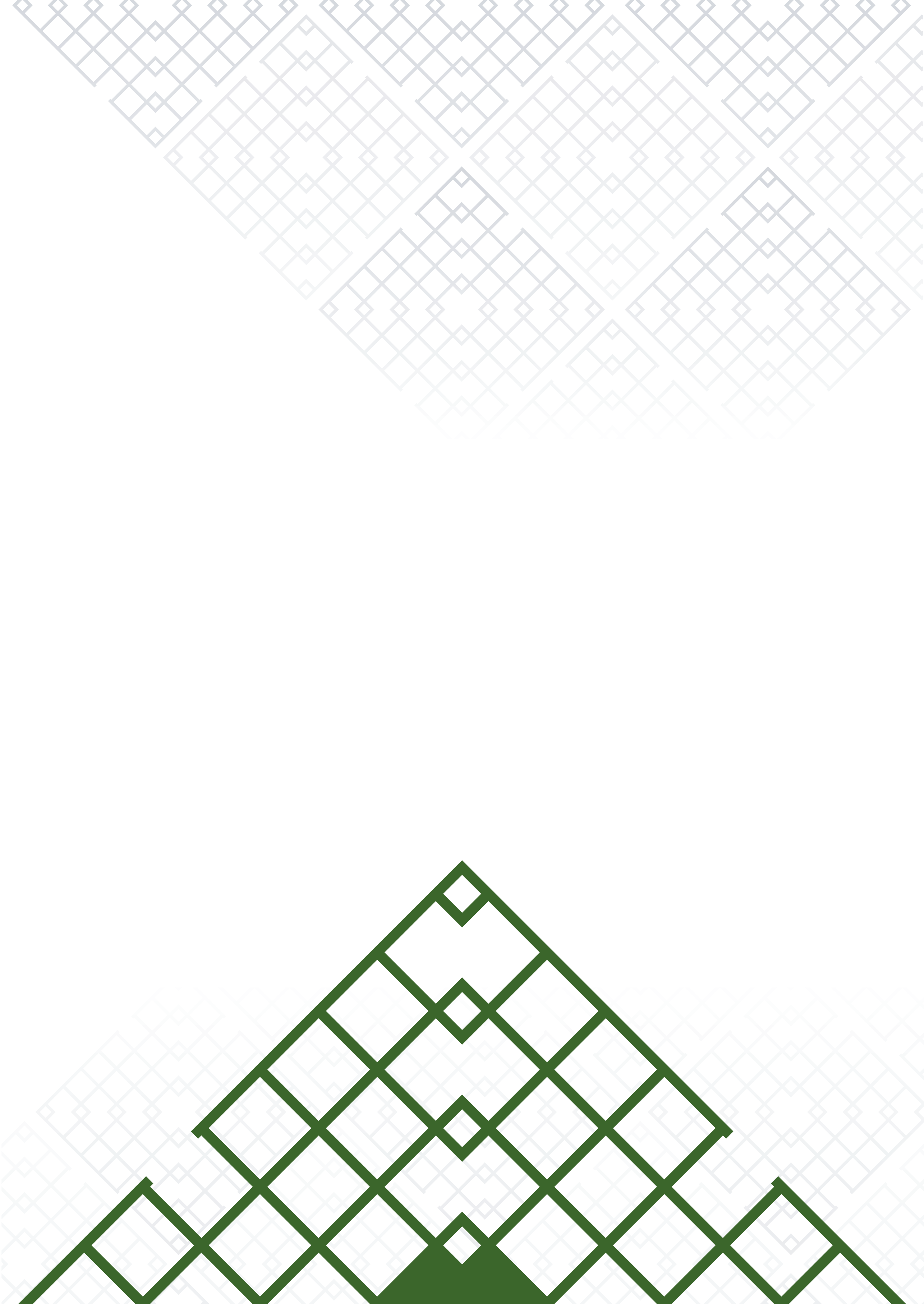
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

الدرر السنية
www.dorar.net


بسم الله الرحمن الرحيم



مختصر
موسوعة الأخلاق



مقدِّمة

الحمدُ للهِ العَليمِ الخَلَّاق، فضَّل بعضَ الناسِ على بَعضٍ في الأرزاق، وهدَى مَن شاءَ بفَضلِه إلى محاسِن الأخلاقِ، وهو أعلمُ بمَحالِّ الاستِحقاق.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ الصادقِ الأمينِ الوفيِّ بالميثاق، المُرسَل بَشيرًا ونذيرًا إلى الناسِ كافةً في جَميعِ الآفاق، مُتمِّمًا لصالحِ الأخلاق، وداعيةَ وفاقٍ لا افتِراق، وعلى آلِه وأصحابه وأتْباعِه ذَوي الأفئدةِ الرِّقاق، الشاهدةِ لفاطِرِها بالإلهيَّةِ الحَقَّةِ بالعشيِّ والإشراق، الدَّاعين إلى ربِّهم بأخلاقِهم المُخضِعَةِ لقُلوبِ الخلائقِ بالاسترقاق، الفاتحينَ لأبوابِ الخَيرِ المُغلقين لأبوابِ الشرِّ أيَّما إغلاق.

أمَّا بعدُ:

فقد سَلَف لنا أنْ نَشَرْنا «موسوعة الأخلاق» في سِتَّة مُجلَّدات، ونفَع اللهُ -جلَّ ثناؤه- بها خَلقًا كثيرًا، وبدَا لنا أنْ نَختصِرَها اختِصارًا لطيفًا يُناسِبُ القُرَّاءَ كافَّةً؛ طَلبةَ العِلمِ والمُتخصِّصين منهم والعامَّة. وطُويَ المختصرُ كأَصلِه على قِسمَينِ: قِسم للأخلاق المحمودةِ التي يَنبغي أن يُتحلَّى بها، وآخَر في الأخلاقِ المذمومةِ التي يَنبغي التخلِّي عنها والاحترازُ منها. وفي كُلِّ قِسم يُبدأ بذِكرِ معنَى الخُلقِ في اللُّغةِ والاصطلاحِ، ثم إيرادِ حَدِّه وما به يَتميَّزُ عن غيرِه، ثم كَشْف الغِطاءِ عن الفارقِ بَينَه وبينَ غيرِه، ثم التَّرغيبِ فيه إنْ كان مِن الأخلاقِ المحمودةِ، أو الترهيبِ منه إنْ كان مِن أضدادِها، ويُقدَّم في ذلك الاستشهادُ بآيِ الذِّكر الحَكيمِ، يَتْبَعُه شيءٌ ممَّا ورَدَ في الباب مِن أحاديثِ سيِّدِ المرسَلِين،

يَليه طائفةٌ مِن أحاسِنِ أقوالِ السَّلفِ الصَّالِحين والعلماءِ الرَّاسخين، ثم بيان آثارِ الخُلق وفوائِده، أو مَضارِّه، ثم تَبيينِ صُوَرِه، ثُمَّ إيرادِ عُيونٍ مِن الحِكَم، وغُرَرٍ مِن الأمثالِ، وملَح مِن الأشعارِ. مع ذِكرِ نماذجَ عَمليَّة، وجاء كلُّ ذلك مَعزُوًّا إلى المصادرِ المأخوذةِ منه، ومَن أرادَ البَسْطَ فلينشدْ ضالَّتَه في الموسوعةِ الأصلِ.

وقد أَدَرْنا مِنهاجَه على النحوِ الآتي:

١- رَتَّبْنا كُلَّ قِسمٍ مِن الأخلاقِ المحمودةِ والأخلاقِ المذمومةِ على حِدَةٍ تَرتيبًا ألفبائيًّا.

٢- أَبقَيْنا على غالبِ العَناوينِ الفرعيَّةِ المُدرَجةِ تَحتَ كُلِّ خُلُقٍ كما في الموسوعةِ؛ لكنَّها اختُصِرتْ وضُمَّ النَّظيرُ مع نَظيرِه، ودُمِجَ بين بعضِها في عنوانٍ واحِدٍ.

٣- اختَصَرْنا التَّعريفاتِ اللُّغويَّةَ والاصطلاحيَّةَ، مع الاكتِفاءِ بالمعاني المباشِرَةِ.

٤- اقتَصَرْنا على الاستِشهاداتِ المباشِرَةِ مِن القرآنِ والسُّنَّةِ وأقوالِ السَّلفِ والشِّعرِ، وقد نكتفي أحيانًا بشاهِدٍ واحِدٍ واضِحٍ ومباشِرٍ مِن كلِّ صِنفٍ.

٥- حذَفْنَا التعليقاتِ على الشواهِدِ بأنواعِها المختلفةِ، إذا كان الشاهدُ واضحًا ومعبِّرًا، وأَبْقَيْنا على ما يحتاجُ منها إلى إيضاحٍ، مع اختصاره كذلك إنْ أمْكَنَ.

٦- أبقينا على نموذجٍ واحِدٍ مِن كلِّ نوعٍ مِن النماذجِ المذكورةِ تحت كلِّ خُلقٍ، وقد يُذكر أكثرُ مِن نموذجٍ إذا مسَّتِ الحاجةُ إلى ذلك.

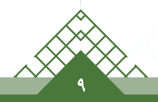
٧- انتقَيْنَا من الأشعارِ أجودَها، وأقْرَبَها للخُلُق.

٨- ذكرنا آثار الصفة باختصار، وانتقينا من ذلك الأهمَّ والأبين.

٩- أبْقَيْنا على توثيقِ النُّقولاتِ في الهوامِش كما هو، مع جمْعِ الهوامشِ المتقاربةِ في هامِشٍ واحدٍ ما أمْكَنَ.

سائِلينَ المولى جلَّ وعلَا النَّفعَ به والقَبولَ





مقدِّماتٌ في الأخلاقِ الإسلاميَّةِ

معنَى الأخلاقِ:

الأخلاقُ لُغةً: جمْعُ خُلُقٍ، والخُلقُ: اسمٌ لسَجيَّةِ الإنسانِ وطبيعتِه الَّتي خُلِق عليها[١].

الأخلاقُ اصطلاحًا: هَيْئةٌ للنَّفْسِ راسِخةٌ، تَصدُرُ عنها الأفعالُ بسهولةٍ ويُسرٍ، مِن غيرِ حاجةٍ إلى فِكْرٍ ورَويَّةٍ، وقد يَكونُ في بعضِ النَّاسِ غَريزةً وطَبعًا، وفي بعضِهم لا يَكونُ إلَّا بالرِّياضةِ والاجتِهادِ. ومنها الخُلُقُ الحَسَنُ، والخُلُقُ السَّيِّئُ[٢].

تعريفُ عِلمِ الأخلاقِ وموضوعُه:

هو عِلمٌ يوضِّحُ معنَى الخيرِ والشَّرِّ، ويُبيِّنُ ما يَنبغي أنْ تكونَ عليه معاملةُ النَّاسِ بعضِهم بعضًا، ويَشرَحُ الغايةَ الَّتي يَنبغي أن يَقصِدَ إليها النَّاسُ في أعمالِهم، ويُنيرُ السَّبيلَ لِما يَنبغي[٣].

موضوعُ الأخلاقِ:

هو كُلُّ ما يَتَّصِلُ بعملِ المسْلمِ ونَشاطِه، وما يَتعلَّقُ بعَلاقتِه برَبِّه، وعَلاقتِه مع نفْسِه، وعَلاقتِه مع غيرِه مِن بَني جِنسِه، وما يُحيطُ به مِن حَيوانٍ وجمادٍ[٤].

أهميَّةُ الأخلاقِ[٥]:

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/ ٨٦).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ١٢)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٠١).

(٣) ((كتاب الأخلاق)) لأحمد أمين (ص: ٨).

(٤) ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص: ٢٢).

(٥) ((التربية الأخلاقية)) لأبادير حكيم (ص: ١١٨)، ((الإسلام عقيدة وشريعة)) لمحمود شلتوت (٤/ ٤٣)، ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن المرسي (ص: ٢٤) بتصرف.

أوَّلًا: عَلاقةُ الأخلاقِ ببناءِ الشَّخصيَّةِ الإنسانيَّةِ؛ وذلك أنَّ قِوامَ شخصيَّةِ الإنسانِ إنَّما تكونُ بأخلاقِه وأعمالِه المُعبِّرةِ عن هذه الأخلاقِ.

ثانيًا: ارتباطُ الأخلاقِ بالأُسُسِ العَقَديَّةِ والتَّشريعيَّةِ للدِّينِ الإسلاميِّ، وهذا الارتباطُ يُشكِّلُ ضَمانةً لثباتِ الأخلاقِ واستِقرارِها، وعدَمِ العبَثِ بها، كما يُعتبَرُ في الوقتِ نفْسِه شجرةً مُثمِرةً طَيِّبةً لهذه العقيدةِ.

ثالثًا: آثارُها في سُلوكِ الفردِ والمُجتمَعِ؛ بما تَزرَعُه في نفْسِ صاحبِها مِنَ الرَّحمةِ، والصِّدقِ، وغيرِ ذلك مِنَ القِيَمِ والأخلاقِ السَّاميةِ، وبكونِها الأساسَ لبناءِ المُجتمَعاتِ الإنسانيَّةِ، إسلاميَّةً كانت أو غيرَ إسلاميَّةٍ.

الثَّمراتُ المُستفادَةُ من دِراسةِ الأخلاقِ[1]:

١- الدَّعوةُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فالاستقامةُ على الأخلاقِ لها أثرٌ كبيرٌ، ونفعٌ بليغٌ في انتشارِ هذا الدِّينِ في بعضِ المناطقِ الَّتي لم يَصِلْها الفتحُ.

٢- تمرينُ النَّفْسِ على فعلِ الخيرِ وتركِ الشَّرِّ، حتَّى تُصبِحَ سَجيَّةً في النَّفْسِ نحوَ الفضيلةِ؛ حتَّى تَتحقَّقَ السَّعادةُ.

الغايةُ من الالتِزامِ بالأخلاقِ[2]:

١- إرضاءُ اللهِ سُبحانَه وتعالى، ولا يَنبغي أن يَكونَ هدَفُه مَدْحَ النَّاسِ له؛ لأنَّ ذلك يُعَدُّ مِنَ الرِّياءِ.

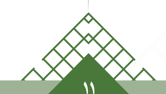
٢- بِناءُ مُجتمَعٍ يَقومُ على التَّراحُمِ، والتَّعاوُنِ، والإيثارِ، وحُبِّ الخيرِ للنَّاسِ.

٣- تحقيقُ أقساطٍ مِنَ السَّعادةِ الممكنِ تحقيقُها في ظروفِ الحياةِ الدُّنيا، والنَّجاةِ مِن أقساطٍ مِنَ الشَّقاوةِ الَّتي تَجلِبُها الجرائمُ والجِناياتُ.

---

(١) ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص: ٣٨) بتصرف.

(٢) ((المصدر السابق)) (ص: ٣٣).



مَصادرُ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ:

أوَّلًا: القرآنُ الكريمُ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سُبحانَه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

ثانيًا: السُّنَّةُ النَّبويَّةُ؛ حيث قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صالحَ الأَخلاقِ))[١].

تقسيم الأخلاقِ باعتِبار عَلاقاتِها:

تَنقسِمُ الأخلاقُ باعتبارِ عَلاقاتِها إلى أربعةِ أقسامٍ:

القِسمُ الأوَّلُ: ما يَتعلَّقُ بوُجوهِ الصِّلةِ القائمةِ بيْن الإنسانِ وخالِقِه.

القِسمُ الثَّاني: ما يَتعلَّقُ بوُجوهِ الصِّلةِ بيْن الإنسانِ والنَّاسِ الآخَرينَ.

القِسمُ الثَّالثُ: ما يَتعلَّقُ بوُجوهِ الصِّلةِ بيْن الإنسانِ ونفْسِه.

القِسمُ الرَّابعُ: ما يَتعلَّقُ بوُجوهِ الصِّلةِ بيْن الإنسانِ والعَجماواتِ.

فَضائلُ مَكارمِ الأخلاقِ[٢]:

١- أنَّها مِن أعمالِ الجَنَّةِ.

٢- أنَّها سَببٌ في مَحبَّةِ اللهِ جلَّ جلالُه لعبدِه.

٣- أنَّها أَثقَلُ شيءٍ في الميزانِ يَومَ القيامةِ.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٨١) (٨٩٣٩)، والحاكم (٢/ ٦٧٠)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٧٣). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ١٩١): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٧/ ٦٩): صحيح على شرط مسلم.

(٢) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ٢٩).

٤- أنَّها مِن خيرِ أعمالِ العِبادِ.

٥- أنَّها تَزيدُ في الأعمارِ.

٦- أنَّها تُعمِّرُ الدِّيارَ.

٧- أنَّها ضَرورةٌ اجتماعيَّةٌ لا يَستغني عنها مُجتمَعٌ مِنَ المُجتمَعاتِ.

أَصالةُ الأخلاقِ عِندَ المسْلِمينَ:

أثَّرَ الفِكرُ الأخلاقيُّ عِندَ المسْلِمينَ في الفِكرِ الأخلاقيِّ على المستوَى العالَميِّ بوجْهٍ عامٍّ، والفِكرِ الغربيِّ بوجْهٍ خاصٍّ، ولا يَزالُ هذا الفِكرُ مُسيطِرًا على سُلوكِ المسْلِمينَ في الحاضِرِ، ويَعمَلُ على صِياغةِ حياتِهم في المُستقبَلِ؛ لكَونِ هذا الفِكرِ الإسلاميِّ فِكرًا كَوْنيًّا يُعالِجُ قَضايا الحياةِ الإنسانيَّةِ مِن مَنظورٍ يَسْمو على النَّواحي القَوْميَّةِ والعِرْقيَّةِ والإقليميَّةِ[١].

اكتِساب الأخلاق الإسلاميَّة:

الأخلاقُ إمَّا فِطْريَّةٌ وإمَّا مُكتسَبةٌ؛ فبعضُ أخلاقِ النَّاسِ فِطْريَّةٌ، تَظهَرُ فيهم منذُ أوَّلِ حياتِهم، وبعضُ أخلاقِ النَّاسِ مُكتسَبةٌ مِنَ البيئةِ الطَّبيعيَّةِ، أو مِنَ البيئةِ الاجتماعيَّةِ، أو مِن تَوالي الخِبراتِ والتَّجارِبِ ونحوِ ذلك. ولكنْ لا بدَّ مِن وُجودِ الاستِعدادِ الفِطريِّ لاكتِسابِها، شأْنُها كشأنِ جميعِ المَهاراتِ[٢].

وسائلُ اكتِسابِ الأخلاقِ الحَميدةِ[٣]:

١- تَصحيحُ العَقيدةِ؛ لحمايةِ الإنسانِ مِنَ الانزلاقِ.

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة باحثين (١/ ٦٧-٦٨).

(٢) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ١٦٧، ١٧٩).

(٣) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ١٩٦-٢٠٩) بتصرف، ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص: ٥٨-٩٣) بتصرف، ((موسوعة نضرة النعيم)) لمجموعة من المؤلفين (١/ ١٣٩-١٦٢) بتصرف.

٢- العِبادات؛ وهي الأسلوبُ العمَليُّ والوسيلةُ الأُولى في التَّربيةِ.

٣- قِراءةُ القرآنِ، وتَدبُّره، والعملُ بما فيه.

٤- التَّدريبُ العمَليُّ، والرِّياضةُ النَّفْسيَّةُ؛ قال النبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ومَن يَستَعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَستَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومَن يَتصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ))[١].

٥- التَّفكُّرُ في الآثارِ المُترتِّبةِ على حُسنِ الخُلقِ، وعَواقبِ سوءِ الخُلقِ[٢].

٦- الأمرُ بالمَعروفِ والنَّهيُ عنِ المُنكَرِ، والتَّواصي بالحقِّ.

٧- مُصاحَبةُ الأخيارِ، وأهلِ الأخلاقِ الفاضلةِ.

٨- إدامةُ النَّظرِ في السِّيرةِ النَّبويَّةِ، وسِيَرِ الصَّحابةِ الكِرامِ، وأهلِ الفَضلِ والحِلمِ.

٩- تفعيلُ سُلطانِ الحاكمِ ووَليِّ الأمرِ؛ فلِلسُّلطةِ المادِّيَّةِ الَّتي يُمارِسُها أثرٌ فَعَّالٌ في إلزامِ الأفرادِ والجماعاتِ بالمنهجِ الأَخلاقيِّ الَّذي رَسَمه الإسلامُ للنَّاسِ.

أسبابُ الانحرافِ عن الأخلاقِ الإسلاميَّةِ[٣]:

١- البُعدُ عنِ اللهِ تعالى، والافتِراءُ عليه.

٢- اتِّباعُ الهوَى، الذي يقودُ صاحبَه إلى ارتكابِ الفواحشِ ما ظَهَر منها وما بَطَن.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ١٢٦).

(٣) ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن الشرقاوي (ص: ٢٠، ٢٦)، ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن المرسي (ص: ٨٠).

حَثُّ الإسلامِ على الخلُقِ الحسَنِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((أَكمَلُ المؤْمِنينَ إيمانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا، وخِيارُكُم خِيارُكُم لنسائِهِم))[1].

- وعن أبي الدَّرْداءِ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((ما مِنْ شَيءٍ أَثقَلَ في مِيزانِ المؤْمِنِ يَومَ القِيامةِ مِن خُلُقٍ حَسَنٍ، وإنَّ اللهَ لَيُبغِضُ الفاحِشَ البَذيءَ))[2].

موقف أعداءِ المسْلمينَ من الأخلاقِ الإسلاميَّةِ[3]:

لقد كان غزْوُهم للأخلاقِ الإسلاميَّةِ مِن عِدَّةِ جِهاتٍ:

١- التَّصميم على كَسْرِ مَجارِي نبعِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِرِ، وسَدِّ عُيونِه، وقطْعِ شَرايينِه.

٢- المَكرُ بالعلومِ الإسلاميَّةِ، وبالدِّراساتِ المُتعلِّقةِ بها مكرًا بالغًا؛ وذلك ما بيْن حَجبٍ لها تارةً، وتلاعُبٍ بمَفاهيمِها أخرى، وتَشويهٍ لها أو جُحودٍ ومُضايقةٍ لرُوَّادِها ومُبَلِّغيها، كلُّ ذلك في حرْبٍ مُستمِرَّةٍ لا تَعرِفُ كَلَلًا ولا مَلَلًا.

٣- وَجَّهوا جُنودَهم لغَمسِ أبناءِ المسْلمينَ في بيئاتٍ مَشحونةٍ بالانحلالِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) مختصرًا، والترمذي (١١٦٢) واللفظ له، وأحمد (٧٤٠٢).
قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه على شرط مسلم الحاكم في ((المستدرك)) (١/ ٤٣)، وصحح إسناده البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٤/ ٦٥).

(٢) أخرجه من طرق أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧) مختصرًا، والترمذي (٢٠٠٢) واللفظ له. قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٠٠٢).

(٣) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ٩٨) بتصرف.

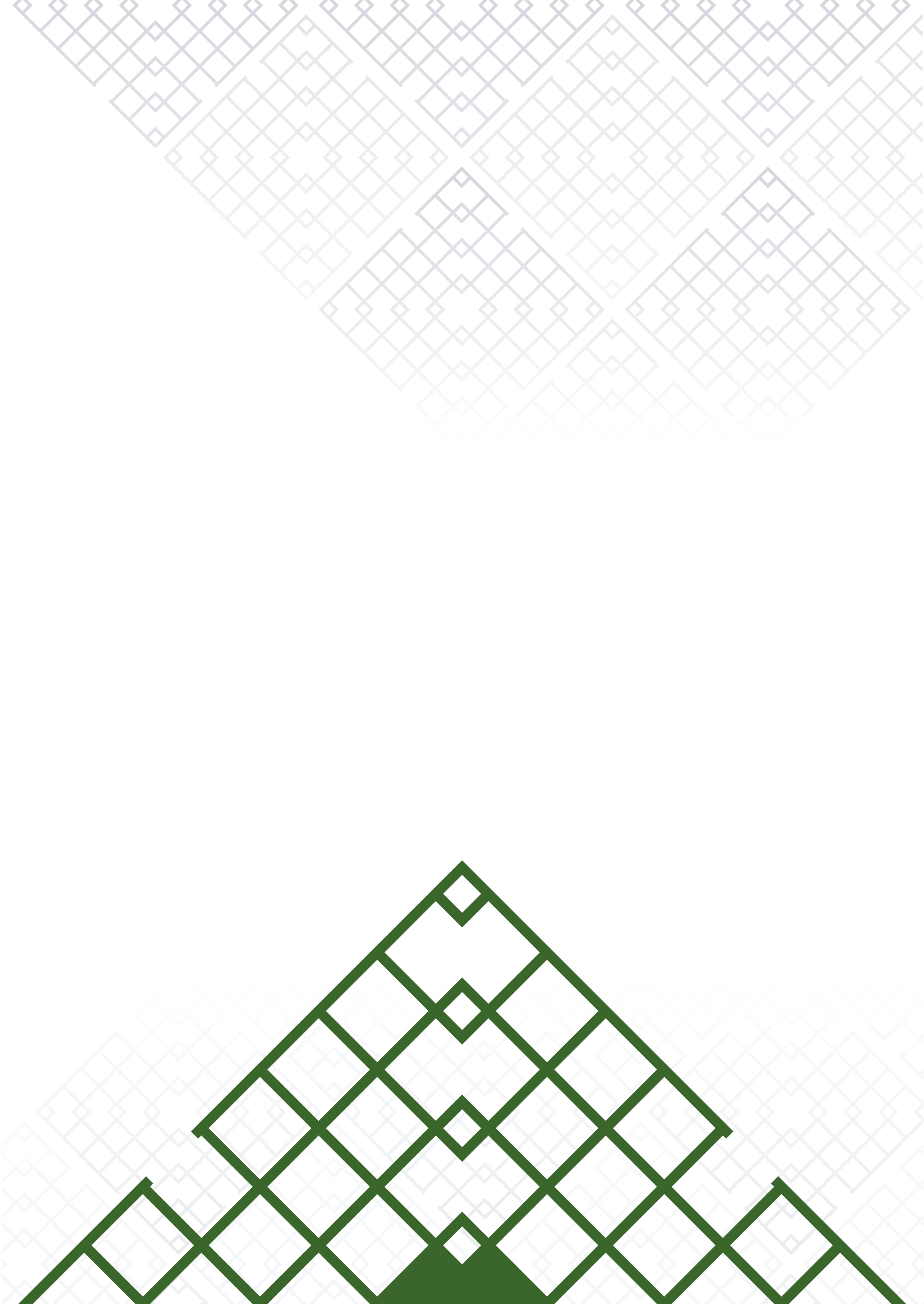
الخُلُقيِّ؛ بُغيةَ إصابتِهم بالرَّذائلِ الخُلُقيَّةِ عن طريقِ العَدْوى، وسِرايةِ الفسادِ بقوَّةِ تأثيرِ البيئةِ، واستِمراءِ الشَّهَواتِ المُرتبطةِ برَذائلِ الأخلاقِ.

٤- جَنَّدُوا جيوشَ المُضلِّلينَ الفِكريِّينَ، الَّذين يَحمِلونَ إلى أبناءِ المسْلِمينَ الأفكارَ والمفاهيمَ والفَلْسَفاتِ الباطلةَ، ضِمْنَ وارداتِ المَعارفِ المادِّيَّةِ الصَّحيحةِ، ذاتِ المُنجَزاتِ الحَضاريَّةِ المُدهِشةِ، وعن طريق هذا الغَزوِ الفِكريِّ الخطيرِ يُدخِلون السَّمَّ في الدَّسَمِ.





الأخلاقُ المحمودَة



الإحسان

معنى الإحسان:

الإحسانُ لُغةً: ضِدُّ الإساءةِ. والحَسنةُ ضِدُّ السَّيِّئةِ؛ يُقالُ: رجُلٌ مُحسِنٌ ومِحْسانٌ. ويُقالُ: أَحْسِنْ يا هذا؛ فإنَّك مِحْسانٌ، أي: لا تَزالُ مُحسِنًا[1].

الإحسانُ اصطلاحًا: الإحسانُ في عِبادةِ الخالقِ: بأنْ يَعبُدَ اللهَ كأنَّه يَراه، فإنْ لم يَكُنْ يَراهُ فإنَّ اللهَ يَراه، وهو الجِدُّ في القيامِ بحُقوقِ اللهِ على وجْهِ النُّصحِ، والتَّكميلِ لها. والإحسانُ إلى الخَلق: هو بَذْلُ جَميعِ المنافعِ لأيِّ مخلوقٍ يَكون، ولكنَّه يَتفاوَتُ بتفاوُتِ المُحسَنِ إليهم، وحقِّهم ومَقامِهم، وبحسَبِ الإحسان، وعِظَمِ مَوقعِه، وعظيمِ نَفعِه، وبحسَبِ إيمانِ المُحسِنِ وإخلاصِه، والسَّببِ الدَّاعي له إلى ذلك[2].

الفَرق بين الإحسانِ والإنعام[3]:

الإحسانُ يَكونُ لنفْسِ الإنسانِ ولغيرِه؛ تَقولُ: أَحسنْتُ إلى نفْسي. والإنعامُ لا يكونُ إلَّا لغيرِه.

الأمرُ بالإحسان والتَّرغيبُ فيه من القرآن والسُّنَّة:

قال سُبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

(١) ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٤/ ٤٢٢). بتصرف.

(٢) ((بهجة قلوب الأبرار)) للسعدي (ص: ٢٠٦).

(٣) ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ١١٤).

وقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وعن شَدَّادِ بن أَوسٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: ثِنْتانِ حَفِظْتُهما عن رسول اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ؛ قال: ((إنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسانَ على كُلِّ شَيْءٍ))(١)، أي: أمَرَكم بالإحسانِ إلى كُلِّ شيءٍ، أو في كلِّ شيءٍ، والمرادُ منه العُمومُ الشامِلُ للإنسان حيًّا وميِّتًا. وقيل: التَّقديرُ: كَتَبَ على النَّاسِ الإحسانَ لكلِّ شيءٍ(٢).

أقوال السَّلف والعُلماء في الإحسان:

- قَرأ الحسَنُ البَصْريُّ هذه الآيةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآيةَ، ثمَّ وقَفَ، فقال: (إنَّ اللهَ جمَع لكمُ الخيرَ كلَّه والشَّرَّ كلَّه في آيةٍ واحدة؛ فواللهِ ما ترَك العدلُ والإحسانُ شيئًا من طاعة الله عزَّ وجلَّ إلَّا جمَعَه، ولا ترَك الفحشاءُ والمنكَرُ والبَغيُ من معصية الله شيئًا إلَّا جمَعَه)(٣).

- وقال ابن القيِّم: (مِفتاحُ حُصولِ الرَّحمةِ: الإحسانُ في عِبادةِ الخالق، والسَّعيُ في نَفْعِ عَبيدِه)(٤).

آثارُ الإحسان وفوائدُه:

١- سببٌ في تماسُكِ بُنيانِ المجتمع وحِمايتِه من الخرابِ والهَلاكِ، ووقايتِه من الآفات الاجتماعيَّةِ النَّاجمةِ عنِ الخَلَلِ الاقتِصاديِّ.

٢- المِقياسُ الَّذي يُقاسُ به نَجاحُ الإنسانِ في عَلاقتِه بالحياة - وهي عَلاقةُ ابتلاءٍ.

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).
(٢) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٤/ ٦٦٤-٦٦٥).
(٣) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم (٢/ ١٥٨).
(٤) ((حادي الأرواح)) لابن القيِّم (ص: ٦٦).

٣- المحسِنُ يَكونُ في مَعِيَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومَن كان اللهُ معه فإنَّه لا يَخافُ بأسًا ولا رَهَقًا.

٤- للمحسِنينَ أجرٌ عظيمٌ في الآخرة؛ حيث يَكونونَ في مأمَنٍ من الخوف والحزن.

٥- وَسيلةٌ لحُصولِ البركةِ في العُمُرِ والمالِ والأهل.

مِن صُوَرِ الإحسان:

١- الإحسانُ في عِبادة الله.

٢- الإحسان إلى الوالدَينِ.

٣- الإحسان إلى الجارِ.

٤- الإحسان إلى اليتامَى والمَساكين.

٥- الإحسان إلى المُسيء إليك.

٦- الإحسان في الكلام.

٧- الإحسان في الجِدال.

٨- الإحسان إلى الحيوان.

الأمثال والشِّعر في الإحسان:

- إنَّما يَجزِي الفَتى، ليس الجَمَل. ومعناه: إنَّما يَجْزي على الإحسان بالإحسان مَن هو حُرٌّ وكريم، فأمَّا مَن هو بمنزلة الجَمَل في لُؤْمِه فإنَّه لا يُوصَلُ إلى النَّفعِ مِن جِهتِه إلَّا إذا اقتُسِر وقُهِر[1].

(١) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (ص: ٥٧).

- قال أبو الفتحِ البُسْتيُّ:

زيــادةُ المرءِ فــي دُنيــاهُ نُقصانُ ورِبْحُهُ غيرَ مَحضِ الخَيرِ خُســرانُ

أَحسِنْ إلى النَّاسِ تَسْــتَعبِدْ قُلوبَهمُ فطالَمَا اســتَعبَدَ الإنســانَ إحسانُ

مَن جــادَ بالمَالِ مالَ النَّــاسُ قاطِبةً إلَيــهِ والمَــالُ للإنســانِ فَتَّــانُ

أَحْسِــنْ إذا كان إمــكانٌ ومَقْدِرةٌ فلنْ يَدومَ على الإنســانِ إمكانُ[1]



(١) ((قصيدة عنوان الحكم)) لأبي الفتح البستي (ص: ٣٥).

الأُلْفة

معنى الأُلفة:

الأُلْفةُ لُغةً: الأنسُ والاجتماعُ مع الالتئامِ، يُقال: أَلِفْتُ الشَّيءَ وأَلِفْتُ فُلانًا؛ إذا أَنِسْتَ به[1].

الأُلفة اصطلاحًا: اتِّفاقُ الآراءِ في المعاونة على تَدبيرِ المَعاش[2].

التَّرغيب والحثُّ على الأُلْفة من القُرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهذا فيه: حَثٌّ على الأُلْفِة والاجتِماع، الَّذي هو نظامُ الإيمانِ واستِقامةِ أُمورِ العالَم[3].

- وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: ((إنَّ المؤمِنَ يألَفُ، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ))[4].

---

(١) ((المفردات)) للراغب (ص: ٨١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ١٠).

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٣٤).

(٣) ((تفسير الراغب الأصفهاني)) (٢/ ٧٦٥).

(٤) أخرجه أحمد (٩١٩٨)، والحاكم (٥٩).

صححه الحاكم على شرط الشيخين، وحسَّن إسناده الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٤٢٦).

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في الأُلْفة:

- عن مُجاهِدٍ قال: رأى ابنُ عبَّاسٍ رجُلًا فقال: (إنَّ هذا لَيُحِبُّني. قالوا: وما عِلْمُك؟ قال: إنِّي لَأُحِبُّه، والأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدةٌ؛ فما تَعارَفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ منها اختَلَفَ)(١).

- وقال السُّلَميُّ: (وأصلُ التَّآلُفِ هو بُغضُ الدُّنيا والإعراضُ عنها؛ فهي الَّتي توقِعُ المُخالَفةَ بيْنَ الإخوانِ)(٢).

- وقال الغَزاليُّ: (الأُلْفةُ ثَمرةُ حُسنِ الخُلُق، والتَّفرُّقُ ثَمرةُ سوءِ الخُلُق، فحُسنُ الخُلُقِ يوجِبُ التَّحبُّبَ والتَّآلُفَ والتَّوافُق، وسوءُ الخُلُقِ يُثمِرُ التَّباغُضَ والتَّحاسُدَ والتَّناكُر)(٣).

فوائدُ الألفة:

١- قِيامُ الأُلْفةِ بيْن المؤمنينَ مِن أسباب النَّصرِ والتَّمكين.

٢- أنَّ الأُلْفةَ تَجمَعُ شَملَ الأمَّةِ، وتَمنَعُ ذُلَّهم.

٣- الأُلْفةُ سببٌ للاعتِصامِ بالله وبحبْله.

٤- بسببِ الأُلْفةِ يَحصُلُ الإجماعُ بيْن المسلمين.

٥- تُحقِّقُ التَّماسُكَ الاجتِماعيَّ، وتُشيعُ رُوحَ المودَّةِ بيْن المسلمين(٤).

أسباب الأُلْفة:

مِن أسبابِ الأُلْفةِ والمَحبَّةِ وتَثبيتِها وتَقويَتِها في المُجتمَعِ المسْلمِ:

---

(١) أخرجه ابن حبان في ((روضة العقلاء)) (ص: ١٠٨).
(٢) ((آداب الصحبة)) للسلمي (ص: ٧٨).
(٣) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٥٧).
(٤) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٢/ ٥٠٦).

١- التَّعارُفُ ومُعاشَرةُ النَّاسِ.

٢- التَّواضع.

٣- إفشاء السَّلام.

٤- الكلام اللَّيِّن.

٥- التَّعفُّف عن سؤال النَّاس.

٦- السَّعيُ للإصلاح بين النَّاس.

٧- زيارة المسلم وعيادتُه إذا مرِض.

٨- التَّهادي.

٩- الاهتمامُ بأمور المُسلِمين والشُّعورُ بقضاياهم.

الأُلْفة في واحة الشِّعر:

قال أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ بَكرٍ الأَبْناويُّ:

إنَّ القُلــوبَ لَأَجْنــادٌ مُجَنَّــدةٌ   للهِ فــي الأرضِ بالأَهْــواءِ تَعْتَرِفُ

فما تَعــارَفَ منهــا فهــو مؤْتَلِفٌ   ومــا تَناكَــرَ مِنها فهــو مُختلِفُ[1]



(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ١٠٨).

الأمانة

معنى الأمانة:

الأمانة لُغةً: الأمنُ والأمانةُ والأمانُ في الأصل مَصادِرُ، ويُجعَلُ الأمانُ تارةً اسمًا للحالةِ الَّتي يَكونُ عليها الإنسانُ في الأمن، وتارةً اسمًا لِما يؤمَنُ علَيهِ الإنسانُ، نَحوَ قَولِه تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٧]، أي: ما ائْتُمِنتُم علَيهِ، وقَولِه: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢](١).

الأمانة اصطِلاحًا: هي كلُّ حقٍّ لَزِمَك أداؤه وحِفظُه(٢). وكلُّ ما افتُرِض على العِباد فهو أمانةٌ؛ كصَلاةٍ وزَكاةٍ وصيامٍ وأداءِ دَينٍ، وأَوْكَدُها الوَدائعُ، وأَوكَدُ الوَدائعِ كَتمُ الأَسرارِ(٣).

التَّرغيبُ في أَداءِ الأمانةِ مِن القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

- وقال تعالى في ذِكر صِفاتِ المُفلِحينَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

- وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((آيَةُ

(١) ((المفردات)) للراغب (١/ ١٣٣).
(٢) ((فيض القدير)) للمناوي (١/ ٢٨٨).
(٣) ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٦٩).

المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّث كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ))[1].

أقوال السَّلف والعلماءِ في الأمانة:

- عن عُمرَ رضي الله عنه قال: (لا تَغُرُّني صَلاةُ امرِئٍ ولا صَومُه، مَن شاءَ صامَ ومَن شاءَ صَلَّى، لا دِينَ لِمَن لا أمانةَ له)[2].

- وعن سُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ قال: (مَن لَمْ يَكُنْ له رأسُ مالٍ فلْيَتَّخِذِ الأمانةَ رأسَ مالِه)[3].

- وعن خالدٍ الرَّبَعيِّ قال: كان يُقالُ: (إنَّ مِن أَجْدَرِ الأَعمالِ أنْ لا تؤخَّرَ عُقوبتُه -أو يُعجَّلَ عُقوبتُه-: الأمانةَ تُخانُ، والرَّحِمَ تُقطَعُ، والإحسانَ يُكْفَرُ)[4].

فوائد الأمانة[5]:

١- الأمانةُ مِن كَمالِ الإيمانِ، وحُسنِ الإسلامِ.

٢- يَقومُ علَيْها أمْرُ السَّمواتِ والأرضِ.

٣- بالأمانةِ يُحفَظُ الدِّينُ، والأَعراضُ، والأموالُ، والأَجسامُ، والأَرواحُ، والمَعارِفُ والعُلومُ، والوَلايةُ والوِصايةُ والشَّهادةُ والقَضاءُ والكِتابةُ.

٤- الأَمينُ يُحِبُّه اللهُ، ويُحِبُّه النَّاسُ.

٥- مُجتمَعٌ تَفْشو فيه الأَمانةُ مُجتمَعُ خَيرٍ وبركةٍ.

مِن صُوَرِ الأمانة[6]:

١- الأمانة فيما افترَضَه اللهُ على عِبادِه مِنَ العِباداتِ الَّتي كَلَّفَهم بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه الخلال في ((السنة)) (١٤٩١)، والخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (١٦٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥٢٨٤).

(٤) أخرجه الخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (١٦٨).

(٥) ((نضرة النعيم)) لمجموعة من المؤلفين (٣/ ٥٢٤).

(٦) ((بستان العارفين)) للنووي (ص: ١٥)، ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٢/ ٤٦٢)، ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/ ٥٩٥).

٢- الأمانة في الأموال: وتَكونُ بالعِفَّةِ عمَّا ليس للإنسانِ به حَقٌّ مِنَ المال، وتَأديةِ ما علَيهِ مِن حَقٍّ لِذَويهِ، وتَأديةِ ما تحتَ يَدِه مِنهُ لأَصحابِ الحَقِّ فيه.

٣- الأمانة في الأَعراض: وتكونُ بالْعِفَّةِ عمَّا ليس للإنسانِ به حَقٌّ منها، وكَفِّ النَّفْسِ واللِّسانِ عن نَيلِ شَيءٍ منها بسُوء؛ كالقَذْفِ والغِيبةِ.

٤- الأمانة في الأجسام والأرواح: وتكون بكَفِّ النَّفْسِ واليَدِ عنِ التَّعرُّضِ لها بسُوءٍ؛ مِن قَتلٍ أو جَرحٍ أو ضُرٍّ أو أذًى.

٥- الأمانة في المَعارِف والعُلوم: مِن النصيحةِ أنْ تُضافَ الفائدةُ التي تُستغرَبُ إلى قائلِها؛ فمَن فعَل ذلك بُورِكَ له في عِلمه وحالِه، ومَن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخُذُه من كلام غيرِه أنَّه له -فهو جديرٌ أنْ لا يُنتفعَ بعِلمه، ولا يُبارَكَ له في حال. ولم يَزَلْ أهلُ العِلمِ والفَضلِ على إضافةِ الفوائدِ إلى قائلها.

٦- الأمانة في الولاية: بتَأديةِ الحُقوقِ إلى أهْلِها، وإسنادِ الأعمالِ إلى مُستحِقِّيها الأَكْفياءِ لها، وحِفظِ أموالِ النَّاسِ وأَجسامِهم وأَرواحِهم وعُقولِهم، وحِفظِ الدِّين الَّذي ارتَضاهُ اللهُ لعِبادِه مِن أنْ يَنالَه أحدٌ بسُوءٍ، وحِفظِ أَسرارِ الدَّولةِ وكلِّ ما يَنبَغي كِتمانُه مِن أن يُسرَّبَ إلى الأعداء، إلى غَيرِ ذلك مِن أمور.

٧- الأمانة في الشَّهادة: بتحَمُّلِها بحسَبِ ما هيَ علَيهِ في الواقع، وبأدائِها دُونَ تحريفٍ أو تَغييرٍ أو زيادةٍ أو نُقصانٍ.

٨- الأمانة في القَضاء: بإصدارِ الأحكامِ وَفْقَ أحكامِ العدلِ الَّتي استُؤمِنَ القاضي عليها، وفُوِّضَ الأمرُ فيها إليه.

٩- الأمانة في الكِتابة: بأن تَكونَ على وَفقِ ما يُمْليه مُمْليها، وعلى وَفقِ الأصلِ الَّذي تُنسَخُ عنه؛ من غير تَغييرٍ ولا تَبديلٍ ولا زِيادةٍ ولا نَقصٍ، وإذا كانت

مِن إنشاءِ كاتِبِها فالأمانةُ فيها أن تَكونَ مَضامينُها خاليةً مِنَ الكذب والتَّلاعُبِ بالحقائق إلى غَيرِ ذلك.

١٠- الأمانة في الأسرارِ التي يُستأمَنُ الإنسانُ على حِفظها وعدمِ إفشائِها.

نماذجُ في الأمانةِ من حَياةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والأمم الماضية:

- أَشهَرُ مَنِ اتَّصف بالأمانة هو نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في أمورِ حياتِه كلِّها، قَبْلَ البَعثةِ وبَعدَها؛ فقد عُرِف بيْن قَومِه قبلَ بَعثتِه بالأمينِ، ولُقِّب به، ولقد كان السَّببُ في زَواجِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بخَديجةَ رَضيَ اللهُ عنها هو الأمانةَ؛ فقد تاجَرَ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في مالِ خَديجةَ قبلَ البَعثةِ، وقد اتَّصف في تِجارتِه بصِدقِ الحديث، وعَظيمِ الأمانةِ، يَقولُ ابنُ الأثيرِ في هذا الصَّدد: (فلمَّا بَلَغَها -أي: خديجةَ- عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ صِدقُ الحديثِ، وعَظيمُ الأمانةِ، وكَرَمُ الأخلاقِ، أَرسلَتْ إلَيهِ ليَخرُجَ في مالِها إلى الشَّامِ تاجرًا، وتُعطيَه أَفضَلَ ما كانت تُعطي غيرَه مع غُلامِها مَيْسَرةَ، فأَجابَها، وخَرَج معه مَيْسَرةُ)[١]، ولَمَّا عاد إلى مكَّةَ، وقَصَّ علَيها مَيْسَرةُ أَخبارَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قرَّرَتِ الزَّواجَ به. وبعدَ البَعثةِ: أدَّى الرَّسولُ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ الأمانةَ الكُبْرى الَّتي تَكفَّلَ بها -وهي الرِّسالةُ- أَعظَمَ ما يَكونُ الأَداءُ، وتَحمَّلَ في سبيلِها أَعظَمَ أَنواعِ المَشقَّةِ.

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا له، فوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذي اشْتَرَى العَقَارَ في عَقارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقال لهُ الَّذي اشْتَرَى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي؛ إنَّما اشْتَرَيْتُ مِنكَ الأَرضَ ولَمْ أَبْتَعْ مِنكَ الذَّهَبَ. فقال الَّذي شَرَى الأَرضَ: إنَّما بِعْتُكَ الأَرضَ

(١) ((السيرة النبوية)) لابن هشام (١/ ١٣٩)، ((الكامل)) لابن الأثير (٢/ ٢٦).

وما فيها -قال:- فتحاكَمَا إلى رَجُلٍ، فقال الَّذي تحاكَمَا إليه: أَلَكُما وَلَدٌ؟ فقال: أحدَهُما: لي غُلامٌ، وقال الآخَرُ: لي جارِيةٌ. قال: أَنكِحُوا الغُلامَ الجارِيةَ، وأَنفِقُوا على أَنفُسِكُما مِنهُ، وتَصَدَّقَا))[1].

الأمانة في واحة الشِّعر:

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه:

أَدِّ الأَمانَــــةَ والخِيانَــــةَ فاجْتَنِبْ		واعْدِلْ ولا تَظلِمْ، يَطِبْ لكَ مَكْسَبُ[2]



(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.
(٢) ((ديوان علي بن أبي طالب)) (ص: ٥٨).

الإيثار

معنى الإيثار:

الإيثار لُغةً: مَصدَرٌ مِن: آثَرَ يؤْثِرُ إيثارًا، بمعنَى التَّقديمِ والاختيارِ والاختِصاص، ومِنهُ الأَثَرةُ بمعنَى التَّقدُّمِ والاختِصاص[1].

الإيثارُ اصطلاحًا: تقديمُ الغَيرِ على النَّفْسِ، في النَّفعِ له، والدَّفعِ عنه. وهو النِّهايةُ في الأُخوَّة[2].

الفَرْق بين الإيثار والسَّخاءِ والجُود[3]:

الإيثارُ مَنزِلُ الجُودِ والسَّخاءِ والإحسان، وسُمِّيَ بمَنزِلِ الإيثار؛ لأنَّه أعلى مَراتِبِه، فإنَّ المراتبَ ثلاثةٌ:

إحداها: أنْ لا يَنقُصَه البَذْلُ ولا يَصعُبَ عليه، فهو مَنزِلةُ السَّخاءِ.

الثَّانية: أن يُعطيَ الأكثرَ ويُبقيَ له شَيئًا أو يُبقيَ مِثلَ ما أعطَى، فهو الجُودُ.

الثَّالثة: أن يؤْثِرَ غَيرَه بالشَّيءِ مع حاجتِه إلَيهِ، وهي مَرتبةُ الإيثارِ.

التَّرغيب والحثُّ على الإيثار من القرآن والسُّنَّة:

- قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، أي:

---

(١) يُنظر: ((الكليات)) للكفوي (١/ ٣٨).

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (١/ ٥٩).

(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٢/ ٢٩٢).

ويُعطُونَ المُهاجِرينَ أَموالَهُم؛ إيثارًا لهُم بها على أنفُسِهِم، ولو كان بهِم حاجَةٌ وفَاقةٌ إلى ما آثَرُوا به مِن أَموالِهم على أَنفُسِهم[١].

- وقال اللهُ تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

- وعن أبي موسى الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ الأَشعَرِيِّينَ إذا أَرمَلُوا[٢] في الغَزوِ أو قَلَّ طَعامُ عِيالِهِم بالمَدينةِ جَمَعُوا ما كان عِندَهُم في ثَوبٍ واحِدٍ، ثمَّ اقتَسَمُوهُ بيْنَهُم في إناءٍ واحِدٍ بالسَّويَّةِ، فهُمْ مِنِّي، وأنا مِنهُم))[٣].

- وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما، حَدَّثَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أنَّه أَرادَ أنْ يَغْزُوَ، فقال: ((يا مَعْشَرَ المُهاجِرينَ والأَنْصارِ، إنَّ مِن إِخْوانِكُم قَوْمًا ليس لَهُمْ مالٌ ولا عَشِيرةٌ، فلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إلَيهِ الرَّجُلَينِ أوِ الثَّلاثةَ. فما لِأَحَدِنا مِن ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ -يعني:- أحدِهم. فضَمَمْتُ إليَّ اثْنَيْنِ أو ثَلاثةً، قال: ما لي إلَّا عُقْبَةٌ كعُقْبةِ أَحَدِهِم مِن جَمَلي))[٤].

أقسام الإيثار:

أولًا: أقسامُ الإيثار من حيث تعلُّقه بالغير

يَنقسِمُ الإيثارُ من حيث تعلُّقه بالغير إلى قِسمَينِ:

القِسم الأوَّل: إيثارٌ يتعلَّقُ بالخالق، وهو أفضلُ أنواعِ الإيثار، وأَعْلاها مَنزِلةً،

(١) ((تفسير الطبري)) (٢٢/ ٥٢٧).

(٢) أرملوا: أي: فنيَ طعامهم. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٨٦) واللفظ له، ومسلم (٢٥٠٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٣٤)، وأحمد (١٤٨٦٣).
صححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢٠٤٣).

وأَرفعُها قدْرًا: ومن علاماته: أنْ يَفعَلَ المَرءُ كلَّ ما يُحِبُّه اللهُ تعالى ويَأمُرُ به، وإنْ كان ما يُحِبُّه اللهُ مَكروهًا إلى نفس العبدِ، ثقيلًا عليه. وأنْ يَترُكَ ما يَكرَهُه اللهُ تعالى ويَنهَى عنه، وإنْ كان مُحبَّبًا إلى المَرءِ، تَشتَهيهِ نفْسُه، وتَرغَبُ فيه.

القِسم الثَّاني: إيثارٌ يَتعلَّقُ بالخَلْق

ويَنقسِمُ ثلاثةَ أقسامٍ:

الأوَّلُ -وهو الممنوعُ-: وهو أنْ تؤْثِرَ غَيرَك بما يَجِبُ عليك شَرعًا، فإنَّه لا يَجوزُ أن تُقدِّمَ غَيرَك فيما يَجِبُ عليك شرعًا؛ فالإيثارُ في الواجبات الشَّرعيَّةِ حرامٌ، ولا يَحِلُّ؛ لأنَّه يَستلزِمُ إسقاطَ الواجبِ عليك.

الثَّاني -وهو المَكروهُ أو المُباحُ-: فهو الإيثارُ في الأُمورِ المُستحبَّةِ، وقد كَرِهَه بعضُ أهلِ العِلمِ، وأَباحَه بعضُهم، لكنَّ ترْكَه أَوْلى لا شكَّ إلَّا لمَصلحةٍ.

الثَّالثُ -وهو المباح-: وهذا المُباح قد يَكونُ مُستحبًّا، وذلك أنْ تؤْثِرَ غَيرَك وتُقدِّمَه على نفْسِك في أمرٍ غَيرِ تَعبُّديٍّ[1].

شروطُ هذا النَّوعِ من الإيثار:

١- ألَّا يُضيِّعَ على المؤْثِرِ وقْتَه.

٢- ألَّا يَتسبَّبَ في إفسادِ حالِه.

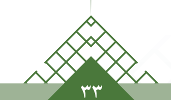
٣- ألَّا يَهضِمَ له دِينَه.

٤- ألَّا يَكونُ سببًا في سَدِّ طريقِ خَيرٍ على المؤْثِر.

٥- ألَّا يمنَعَ للمؤْثِرِ واردًا.

ثانيًا: أقسامُ الإيثار من حيثُ باعثُه والداعي إليه

(١) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/ ٤١٦-٤١٧).



القسم الأوَّل: ما كانَ الباعثُ إليه الفِطرةَ والغَريزةَ؛ كالذي يكون عندَ الآباءِ والأُمَّهات وأصحابِ العِشقِ.

القِسم الثاني: ما كان الدافعُ إليه هو الإيمانَ وحُبَّ الخيرِ للغيرِ على حِسابِ النفسِ ومَلذَّاتها ومشتهياتها، وهو إيثار يعتمد على مُحاكمةٍ مَنطقيَّةٍ سليمةٍ، ويَعتمد على عاطفةٍ إيمانيَّةٍ عاقلةٍ(١).

فوائد الإيثار:

١- دُخولُ المُؤثِرين فيمَن أَثنَى اللهُ علَيهِم مِن أهلِ الإيثار وجَعَلَهُم مِنَ المُفلِحين.

٢- الإيثارُ طريقٌ إلى مَحبَّةِ اللهِ -تبارَك وتعالى-، والتَّعرُّضِ لمَحبَّتِه.

٣- تحقيقُ الكمالِ الإيمانيِّ.

٤- الإيثارُ يَقودُ المَرءَ إلى غَيرِه مِنَ الأَخلاقِ الحسَنةِ والخِلالِ الحَميدةِ، وترْكِ جملةٍ مِنَ الأخلاق السَّيِّئة.

٥- الإيثارُ جالِبٌ للبرَكةِ في الطَّعام والمالِ والمُمتلَكات.

٦- وجودُ الإيثارِ في المجتمَع دليلٌ على وجودِ حِسِّ التَّعاوُنِ والتَّكافُلِ والمَودَّة، وفَقْدُه مِنَ المجتمَع دليلٌ على خُلُوِّه مِن هذه الرَّكائزِ المُهِمَّةِ في بِناءِ مُجتمَعاتٍ مؤْمنةٍ قويَّةٍ ومتكاتِفة.

موانع اكتسابِ صفة الإيثار:

• موانع اكتسابِ الإيثارِ المتعلِّقِ بالخالق:

١- أن تَكونَ النَّفْسُ جامِدةً غَيرَ سريعةِ الإدراكِ، بل بَطيئةً، ولا تَكادُ ترى حقيقةَ الشَّيءِ إلَّا بَعْدَ عُسْرٍ، وإنْ رَأَتْها اقتَرَنَتْ به الأَوهامُ والشُّكوكُ والشُّبُهاتُ

(١) انظر ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٤٣٥).

والاحتِمالات، فلا يَتخلَّصُ له رؤْيتُها وعِيانُها.

٢- أن تكونَ القَريحةُ وَقَّادةً دَرَّاكةً، لكنِ النَّفسُ ضعيفةٌ مَهينة، إذا أَبصَرَتِ الحقَّ والرُّشدَ ضعُفَتْ عن إيثارِه، فصاحِبُها يَسوقُها سَوقَ العَليلِ المريضِ؛ كلَّما ساقَه خُطْوةً وَقَف خُطوةً[1].

• **موانع اكتسابِ الإيثار المتعلِّقِ بالخَلْق:**

١- ضعفُ الإيمانِ واليقين، فكما أنَّ الإيمانَ القَويَّ يَدفَعُ صاحبَه للبَذْلِ والعَطاءِ والإيثارِ، فإنَّ ضَعفَه يَكونُ سببًا في الأَثَرةِ والشُّحِّ.

٢- الشُّحُّ المُطاع؛ لِذا ذَكَر اللهُ عزَّ وجلَّ في الآية الَّتي مَدَح فيها أهلَ الإيثارِ أنَّ مَن يوفَّقُ في الوِقايةِ مِن شُحِّ نفْسِه فقد أَفلَحَ.

٣- حُبُّ النَّفْسِ، وتَمَلُّكُ الأَثَرةِ على القلب.

٤- قَسوةُ القلبِ وجُمودُه، فمَن رَقَّ قلْبُه ولانتْ طِباعُه سَهُلَ علَيهِ أمرُ الإيثار.

٥- ضَعفُ الهِمَّةِ، والزُّهدُ في الذِّكرِ الحسَن.

الوسائلُ المُعِينةُ على اكتِساب الإيثار[2]:

• **الوسائل المُعِينةُ على اكتساب الإيثارِ المتعلِّقِ بالخالق:**

أحدُها: أن تَكونَ طبيعتُه لَيِّنةً مُنقادةً سَلِسةً، ليست بجافيةٍ ولا قاسيةٍ، بل تَنقادُ معه بسُهولةٍ.

الثَّاني: أن يكونَ إيمانُه راسِخًا، ويَقينُه قويًّا؛ فإنَّ هذا ثمرةُ الإيمانِ ونتيجتُه.

الثَّالث: قوَّةُ صَبرِه وثَباتِه.

(١) ((طريق الهجرتين)) لابن القيِّم (١/ ٤٥٠).
(٢) ((المصدر السابق)) (١/ ٤٤٨-٤٥٠).

• الوسائل المُعِينة على اكتِساب الإيثارِ المتعلِّق بالخَلْق:

أحدُها: رَغبةُ العبدِ في مَكارمِ الأخلاقِ ومَعالِيها.

الثَّاني: النَّفرةُ مِن أخلاقِ اللِّئام، ومَقْتُ الشُّحِّ، وكراهَتُه له.

الثَّالثُ: تَعظيمُ الحقوقِ الَّتي جعَلَها اللهُ -سبحانه وتعالى- للمُسلمينَ بعضِهم على بعض، فهو يَرْعاها حَقَّ رِعايتِها، ويَخافُ مِن تَضييعِها.

نماذجُ للإيثار من حياةِ النبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلفِ والعُلماءِ:

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، ((أنَّ رجُلًا أتَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فبَعَث إلى نِسائِه، فقُلْنَ: ما معنا إلَّا الماءُ. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: مَن يَضُمُّ -أو يُضَيِّفُ- هذا؟ فقال رجُلٌ مِنَ الأنصارِ: أنا. فانطَلَقَ به إلى امرأتِه، فقال: أكْرِمي ضَيفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالتْ: ما عِندَنا إلَّا قُوتُ صِبْياني. فقال: هَيِّئي طَعامَكِ، وأَصْبِحي سِراجَكِ، ونَوِّمي صِبْيانَكِ إذا أرادُوا عَشاءً. فهَيَّأَتْ طَعامَها، وأَصبَحَتْ سِراجَها، ونَوَّمَتْ صِبْيانها، ثمَّ قامتْ كأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فأَطْفَأَتْهُ، فجَعَلَا يُرِيَانِه أنَّهما يَأكُلان، فباتَا طَاوِيَيْنِ، فلمَّا أَصبحَ غَدَا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقال: ضَحِكَ اللهُ اللَّيلةَ -أو: عَجِبَ مِن فِعالِكُما-، فأنزَلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]))[1].

- عن أبي الحسَنِ الأَنْطاكيِّ: أنَّه اجتمَع عِندَه نَيِّفٌ وثلاثون رجُلًا بقريةٍ مِن قُرَى الرَّيِّ، ومعهم أَرغِفةٌ مَعدودةٌ لا تُشبِعُ جميعَهم، فكَسَروا الرُّغْفانَ، وأَطفَؤُوا السِّراجَ، وجلَسوا للطَّعام، فلمَّا رُفِع فإذا الطَّعامُ بحالِه، لم يأكُلْ منه أحدٌ شَيئًا؛

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨) واللفظ له، ومسلم (٢٠٥٤).

إيثارًا لصاحبِه على نفْسِه.

- ورُويَ أنَّ مَسروقًا أدانَ دَيْنًا ثقيلًا، وكان على أَخيهِ خَيْثَمةُ دَيْنٌ، قال: فذَهَب مَسروقٌ فقَضى دَينَ خَيْثَمةَ وهو لا يَعلَمُ، وذَهَب خَيْثَمةُ فقَضى دَينَ مَسْروقٍ وهو لا يَعلَمُ[1].

- يقول محمَّد بن موسى وهو يَتحدَّثُ عن الشيخِ ابنِ بازٍ -رحِمه الله-: (والذي بيدِه ليس له، ولو سُئِلَ ما سُئِل؛ فربَّما سُئِل مالًا فأعطاه، وربما أتتْه الهديةُ في المجلسِ فسألَه أحدُ الحاضرين إيَّاها فأعطاها إيَّاه، بل كثيرًا ما يبتدرُ مَن بجانبِه بالهديةِ التي تُقدَّمُ لسماحتِه، بل ربما سُئِلَ عَباءتَه التي يَلْبَسُها فأعطاها مَن سألَه إياها)[2].

أقوال وحِكمٌ وشِعر في الإيثار:

- قال أحدُهم: (لا تُواكِلَنَّ جائِعًا إلَّا بالإيثار، ولا تُواكِلَنَّ غَنيًّا إلَّا بالأدب، ولا تُواكِلَنَّ ضَيْفًا إلَّا بالنَّهْمةِ والانبساط)[3].

- وقال أبو سُلَيْمانَ الدَّارنيُّ: (لو أنَّ الدُّنيا كلَّها لي فجَعَلْتُها في فَمِ أخٍ مِن إخواني لاستَقْلَلْتُها له)[4].

- وقال حاتمٌ الطَّائيُّ:

أَكُفُّ يَدي مِن أنْ تَنالَ أَكُفَّهُم ... إذا ما مَدَدْناها وحاجاتُنا معا

وإنِّي لَأَستَحيي رَفيقي أن يَرى ... مَكانَ يَدي مِن جانبِ الزَّادِ أَقْرَعا[5]

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٧٤).

(٢) ((جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله)) لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص: ١٨٢).

(٣) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٣/ ٥٥٧).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٧٤).

(٥) ((الإمتاع والمؤانسة)) لأبي حيان التوحيدي (١/ ٣٩١).

البِرُّ

معنى البِرِّ:

البِرُّ -بالكسر- لُغةً: الخَيرُ والفَضلُ. وبَرَّ يَبَرُّ بِرًّا كعَلِمَ، فهو بَرٌّ وبارٌّ، أي: صادقٌ أو تَقيٌّ، وهو خِلافُ الفاجرِ. ومِنهُ قَولُه للمؤذِّنِ: صدَقْتَ وبَرِرْتَ[1].

البِرُّ اصطلاحًا: التَّوسُّعُ في فِعلِ الخيرِ والفِعلِ المَرْضيِّ الَّذي هو في تَزكيةِ النَّفْسِ[2]. وقيل: هو الصِّلةُ وإسداءُ المعروفِ والمُبالَغةُ في الإحسانِ[3].

الفرق بين البِرِّ والخير[4]:

البِرُّ مُضَمَّنٌ بجُعلٍ عاجلٍ قد قُصِدَ وجْهُ النَّفعِ به، فأمَّا الخيرُ فمُطلَقٌ، حتَّى لو وَقَع عن سَهوٍ لم يَخرُجْ عنِ استِحقاقِ الصِّفةِ به، ونَقيضُ الخيرِ الشَّرُّ، ونَقيضُ البِرِّ العُقوقُ.

التَّرغيبُ والحثُّ على البِرِّ في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) ((المصباح المنير)) للفيومي (١/ ٤٣).

(٢) ((التوقيف)) للمناوي (ص: ١٢٢).

(٣) ((صيد الأفكار)) للقاضي المهدي (٢/ ٣٠٢).

(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٩٥) و(ص: ٤٢٥).

- وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

- وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: سألْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ عن البرِّ والإثمِ، فقال: ((البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حاكَ في صَدرِك وكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ علَيهِ النَّاسُ))[1].

- وعن ثَوْبانَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لا يَزيدُ في العُمُرِ إلَّا البِرُّ، ولا يَرُدُّ القَدَرَ إلَّا الدُّعاءُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بخَطيئةٍ يَعمَلُها))[2].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في البِرِّ:

- قال أبو الدَّرْداءِ: (اعبُدوا اللهَ كأنَّكُم تَرَوْنَه، وعُدُّوا أَنفسَكُم في المَوتى، واعلَموا أنَّ قليلًا يُغْنيكُم خيرٌ مِن كثيرٍ يُلهيكُم، واعلَموا أنَّ البِرَّ لا يَبْلى، وأنَّ الإثمَ لا يُنسَى)[3].

- قال داودُ الطَّائيُّ: (البِرُّ هِمَّتُه التَّقوى، فلو تَعلَّقَتْ جميعُ جَوارِحِه بالدُّنيا لَرَدَّتْهُ نيَّتُه يومًا إلى نيَّةٍ صالحة، وكذلك الجاهلُ بعكسِ ذلك)[4].

- وقال ابنُ القيِّم: (إنَّ أعمالَ البرِّ تَنهَضُ بالعبدِ، وتَقومُ به، وتَصعَدُ إلى الله

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠) واللفظ له، وأحمد (٢٢٣٨٦).

حسَّنه العراقي كما في ((زوائد ابن ماجه)) للبوصيري (١/ ١٣)، والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٩٠) دون قوله: ((وإن الرجل...))، وصحح إسناده ابن باز في ((حاشية بلوغ المرام)) (٧٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٥٧٢٢)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٠٦٦٤).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٤/ ٣٦٤).

به، فبحسَبِ قوَّةِ تَعلُّقِه بها يَكونُ صُعودُه مع صُعودِها)[(١)].

فَضل البِرِّ وفوائدُه وآثارُه:

١- البِرُّ طريقٌ موصلٌ إلى الجَنَّةِ.

٢- البِرُّ سبيلٌ للزِّيادةِ والبرَكةِ في العُمُر.

٣- البِرُّ من أسبابِ سعادةِ المرءِ في الدَّارينِ.

٤- البِرُّ طريقٌ لراحةِ البالِ، واستقرارِ النَّفْسِ واطمئنانِها.

٥- البِرُّ يُؤدِّي إلى نيْل محبَّةِ الناسِ وإلى الأُلفةِ وشُيوعِ رُوحِ المحبَّة في المجتمَع.

٦- البِرُّ يَحرُسُ النِّعمَ ويُحصِّنُها.

أقسام البر:

البِرُّ نَوْعان: صِلَةٌ، ومعروفٌ؛ فأمَّا الصِّلةُ: فهي التَّبرُّعُ ببَذْلِ المالِ في الجِهات المحدودةِ لغيرِ عِوَضٍ مطلوب، وهذا يَبعَثُ علَيهِ سماحةُ النَّفْسِ وسَخاؤُها، ويَمنَعُ مِنهُ شُحُّها وإباؤُها؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. وأمَّا المعروفُ، فيَتنوَّعُ أيضًا نوعَينِ: قولًا وعملًا؛ فأمَّا القولُ: فهو طِيبُ الكلامِ، وحُسنُ البِشرِ، والتَّودُّدُ بجميلِ القَولِ. وأمَّا العملُ: فهو بَذْلُ الجاهِ، والمساعدةُ بالنَّفْسِ، والمَعونةُ في النَّائبة، وهذا يَبعَثُ علَيهِ حُبُّ الخيرِ للنَّاس، وإيثارُ الصَّلاحِ لهم[(٢)].

مِن صُوَر البِرِّ:

مِن أبرَزِ صوَرِ البِرِّ والإحسانِ صورتَانِ:

الأُولى: إنفاقُ المالِ في وُجوهِ البِرِّ، وهو يُطيلُ العُمُرَ، ويَكسِبُ المَودَّةَ،

---

(١) ((طريق الهجرتين)) لابن القيِّم (ص: ٢٧٤).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ١٨٣، ٢٠١).

ويُحصِّنُ المالَ مِنَ الجَوائح، ويُسعِدُ الخَلْقَ، ويُرضي الخالقَ[1].

الثَّانيةُ: البِرُّ بالوالدَينِ، وفي حديثِ ابنِ عُمرَ رضِيَ اللهُ عنهما مرفوعًا: ((إنَّ مِن أبَرِّ البِرِّ صِلةَ الرَّجُلِ أهلَ وُدِّ أبيه، بعد أن يُولِّيَ))[2]؛ فصلةُ أقاربِ الميِّتِ وأصدقائِه بعدَ مَوتِه هو مِن تَمامِ بِرِّه.

موانعُ فِعلِ البِرِّ:

١- البُعدُ عنِ الله سبحانه وتعالى، وكثرةُ الذُّنوبِ تُحيلُ بيْن المرءِ وعملِ المعروفِ والبِرِّ.

٢- البُخلُ والشُّحُّ، وحُبُّ المالِ والتَّشبُّثُ به.

٣- الحِقدُ، والتَّحاسُدُ، والكراهيةُ تَمنَعُ الشَّخصَ من الإحسان إلى النَّاس.

٤- الجهلُ بما يَترتَّبُ على عملِ البِرِّ مِن أجرٍ عظيمٍ.

الوسائل المُعِينة على فِعل البِرِّ:

١- السَّعيُ إلى مَرضاةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

٢- التَّعوُّدُ على عملِ الصَّالحاتِ، حتَّى وإنْ دَعَتْهُ نفْسُه إلى تَرْكِها؛ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ الصِّدقَ يَهْدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدي إلى الجَنَّةِ))[3].

٣- حُبُّ النَّاسِ، والسَّعيُ للتَّودُّدِ منهم، والتَّقرُّبِ إليهم مَدْعاةٌ للبِرِّ والإحسانِ لهم حتَّى يَصِلَ إلى مَقصودِه.

٤- مُعالَجةُ النَّفسِ مِن مرضِ البُخلِ والشُّحِّ، ومُحاوَلةُ تَعويدِها الإنفاقَ في

(١) ((صيد الأفكار)) للقاضي المهدي (١/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وُجوهِ الخيرِ، وفي مُختلفِ القُرَبِ.

٥- نَزْعُ الحِقدِ والغِلِّ والحسدِ وغَيرِها مِنَ الصِّفاتِ القَبيحةِ، الَّتي تَقِفُ حائلًا أمامَ الإحسانِ إلى النَّاسِ وبِرِّهِم.

الحِكَم والأمثال والشِّعر في البِرِّ[1]:

- بِرُّ الكريمِ طَبعٌ، وبِرُّ البَخيلِ دَفعٌ.

- يُقالُ: ثلاثٌ مِن كُنوزِ البِرِّ: كِتمانُ الصَّدقةِ، وكِتمانُ الوجَعِ، وكِتمانُ المُصيبةِ.

- قال الشَّاعرُ:

واللـــهُ أَنجَـــحُ مـــا طَلَبْـــتَ بـــهِ والبِـــرُّ خَيـــرُ حَقيبـــةِ الرَّحـــلِ[2]

- وقال سابقٌ البَربَريُّ:

إنَّ التُّقـــى خَيـــرُ زادٍ أنـــتَ حامِلُه والبِـــرَّ أَفضَلُ شَـــيءٍ نالَهُ بَشَـــرُ[3]



(١) ((تنبيه الغافلين)) للسمرقندي (ص: ٢٥٣)، ((زهر الأكم)) لليوسي (١/ ١٨٠).
(٢) ((صيد الأفكار)) للقاضي المهدي (٢/ ٣٠٤).
(٣) ((المصدر السابق)).

البَشاشةُ

معنى البشاشة:

البَشاشةُ لُغةً: طَلاقةُ الوَجهِ، وقد بَشِشْتُ به، أَبَشُّ، بَشاشةً، ورجُلٌ هَشٌّ بَشٌّ، أي: طَلْقُ الوجهِ طيِّبٌ[1].

البَشاشةُ اصطلاحًا: طلاقةُ الوَجهِ مع الفَرحِ والتَّبسُّمِ وحُسنِ الإقبالِ واللُّطفِ في المسألة[2].

الفرق بين البَشاشة والهَشاشَة والبِشر[3]:

البَشاشةُ: إظهارُ السُّرورِ بمَن تَلْقاه، وسواءٌ كان أوَّلًا أو أخيرًا. وأمَّا **البِشرُ:** فهو أوَّلُ ما يَظهَرُ مِنَ السُّرورِ بلُقيِّ مَن يَلْقاك. و**الهشاشةُ:** هي الخِفَّةُ للمعروفِ، مِن قول: شيءٌ هشٌّ، إذا كان سَهلَ التناوُلِ، فإذا كان الرجلُ سهلَ العطاءِ قيل: هو هَشٌّ بيِّنٌ الهَشاشةَ.

مَدحُ البَشاشة وطَلاقة الوجه في القُرآن والسُّنَّة:

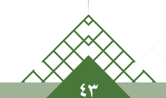
- قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].
- وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩].
- وعن أبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال لِيَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لا

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ٤٤).

(٢) ((التَّرغيب والترهيب)) للمنذري (١/ ٧٣).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٠١).



تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيْئًا، ولو أَنْ تَلْقَى أخاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))[1].

- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضِيَ اللهُ عنه، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ))[2].

أقوال السَّلف والعُلماءِ عن البَشاشةِ وطَلاقةِ الوجهِ:

- قال مُعاذُ بنُ جبلٍ رَضيَ اللهُ عنه: (إذا التقى المُسلِمانِ فضَحِكَ كُلُّ واحدٍ منهما في وجهِ صاحِبِه، ثم أخَذَ بيدِه؛ تحاتَّتْ ذُنوبُهما كما يتحاتُّ ورَقُ الشَّجَرِ)[3].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ المباركِ أنَّه وَصَفَ حُسنَ الخُلُقِ فقال: (هو بَسطُ الوَجهِ، وبَذلُ المعروفِ، وكفُّ الأذى)[4].

- قيل للأَوْزاعيِّ -رحِمه اللهُ-: ما كرامةُ الضَّيفِ؟ قال: (طَلاقةُ الوَجهِ، وطِيبُ الحديثِ)[5].

فوائد البَشاشةِ وطلاقةِ الوجه:

١- طَلاقةُ الوَجهِ تُبشِّرُ بالخير، ويُقبِلُ على صاحبِها النَّاسُ، والوَجهُ العَبوسُ سببٌ لنَفرةِ النَّاسِ.

٢- طلاقةُ الوَجهِ مِن مَكارمِ الأخلاقِ في مُعاملةِ النَّاسِ.

٣- طَلاقةُ الوَجهِ عُنوانُ ما في النَّفْسِ، فقَلَّ أن تَجِدَ شخصًا هَشوشًا بَشوشًا إلَّا وهو يَحمِلُ نفْسًا طَيِّبةً، ورُوحًا نَقيَّةً[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) واللفظ له، وابن حبان (٥٢٩).
قال الترمذي: حسن غريب. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (١٩٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الإخوان)) (١١٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٠٥).

(٥) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٨).

(٦) ((المصدر السابق)) (٤/ ١٠٥).

٤- مَحبَّةُ اللهِ عزَّ وجلَّ.

موانعُ اكتِسابِ البَشاشة:

١- خُبْثُ النَّفْسِ، وتَغلْغُلُ الصِّفاتِ القبيحةِ فيها مِنَ الحسدِ والغِلِّ والحِقدِ.

٢- عدَمُ اتِّباعِ هدْيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ الحَاثِّ على هذه الصِّفةِ بخُلُقِه وقَولِه.

٣- بُغضُ النَّاسِ، وكَراهيةُ الخيرِ لهم.

٤- عدَمُ استِشعارِ الأجرِ المُترتِّبِ على التَّحلِّي بهذه الصِّفةِ.

الوَسائل المُعينةُ على اكتساب البَشاشة:

١- استِشعارُ الأجرِ الَّذي رَتَّبَه الشَّرعُ على البَشاشةِ وحُسنِ مُلاقاةِ المسْلِمين.

٢- اتِّباعُ هدْيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، الَّذي كانتِ البَشاشةُ خُلُقَه، وعلَّمَها لأُمَّتِه بقَولِه وفِعلِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

٣- حُبُّ النَّاسِ يَجعلُكَ تَبَشُّ في وُجوهِهم.

٤- التَّخلُّصُ مِنَ الصِّفاتِ الذَّميمةِ كالحسدِ والحِقدِ الَّتي تَجعَلُ المرءَ يَمقُتُ مَن حَوْلَه ويَكرَه لهمُ الخيرَ، ويُلاقِيهم بجَهامةٍ ووَجهٍ عَبوسٍ.

٥- التَّعوُّدُ على رسمِ الابتِسامةِ على الوجْه، ومُحاولةُ أن تَكونَ سِمَةً دائمةً للشَّخص.

نماذجُ مِن البَشاشة من حياةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والسَّلف:

- من ذلِك بَشاشتُه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ لأختِ خَديجةَ رَضيَ اللهُ عنها؛ وفاءً لها، كما ورد عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالت: ((استأذَنَتْ هالةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ أختُ خَديجةَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فعَرَفَ استِئذانَ خَديجةَ،

فارتاحَ لذلك، فقال: اللَّهُمَّ هالَةَ!...))[1].

- وفي ترجمةِ شِهابِ الدِّينِ يحيى بنِ إسماعيلَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ القَيْسرانيِّ: أنَّه كان يَتوَدَّدُ للصَّالِحينَ، ويُكثِرُ الصَّومَ والعِبادةَ، ويَصبِرُ على الأذى، ولا يُعامِلُ صديقَه وعدُوَّه إلَّا بالخيرِ وطَلاقةِ الوَجهِ[2].

- وكان إسحاقُ بنُ يحيى بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ: طَيِّبَ الأخلاقِ يَنطبِعُ، ويَتطلَّبُ البَشاشةَ ويَتَّبِعُ، سَهْلَ القيادِ، واريَ الزِّنادِ، مُتَّسِمًا بالعَدالةِ، مُحتشِمًا عنِ الإزالة[3].

أقوالٌ وأمثالٌ وشِعر عن البَشاشة وطلاقة الوجه:

- قال ابنُ حبَّانَ: (البَشاشةُ إدامُ العُلماءِ، وسَجِيَّةُ الحُكماءِ؛ لأنَّ البِشرَ يُطفِئُ نارَ المُعانَدة، ويَحرِقُ هَيَجانَ المُباغَضة، وفيه تَحصينٌ مِنَ الباغي، ومَنْجاةٌ مِنَ السَّاعي، ومَن بَشَّ للنَّاسِ وجْهًا، لمْ يَكُنْ عِندَهُم بِدُونِ الباذِلِ لهم ما يَملِكُ)[4].

- قال الأَحنَفُ: (رأسُ المُروءةِ طَلاقةُ الوَجهِ، والتَّودُّدُ إلى النَّاسِ)[5].

- قال ابنُ أبي الدُّنيا: حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ خلَفٍ التَّيْميُّ، قال: كان سعيدُ بنُ عُبَيدٍ الطَّائيُّ يَتمثَّلُ:

اتَّقِ بالبِشرِ مَن لَقِيتَ مِنَ النَّا ... سِ جميعًا ولاقِهم بالطَّلاقَهْ
ودَعِ التِّيهَ والعُبوسَ عنِ النَّا ... سِ فإنَّ العُبوسَ رأسُ الحَماقَهْ
كُلَّما شِئتَ أنْ تُعادِ عادَيْـ ... ـتَ صَديقًا وقد تَعِزُّ الصَّداقَهْ[6]

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٣٨٢١)، وأخرجه موصولًا مسلم (٢٤٣٧).
(٢) ((شذرات الذهب)) لابن العماد (٦/ ١٧٥).
(٣) ((أعيان العصر وأعوان النصر)) للصفدي (١/ ١٣٧).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (١/ ٧٥).
(٥) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (١/ ٢٠٤).
(٦) ((الإشراف في منازل الأشراف)) لابن أبي الدنيا (١/ ٢٢٥).

التَّأنِّي أو (الأناة)

معنى التَّأنِّي:

التَّأنِّي لُغةً: الأَناةُ والأَنَى: الحِلمُ والوَقارُ، وأَنِيَ وتَأَنَّى واسْتأْنَى: تَثَبَّتَ، ورجُلٌ آنٍ، على فاعِلٍ، أي: كثيرُ الأَناةِ والحِلم[1].

التَّأني اصطلاحًا: التَّثبُّتُ وتَركُ العَجَلةِ[2]. وقيل: الأَناةُ: هي المُبالَغةُ في الرِّفقِ بالأُمورِ، والتَّسبُّبِ إليها[3].

الفَرْق بين الأناة وبعضِ الصِّفات[4]:

• الفَرق بيْن الأناة والتُّؤَدة:

الأَناةُ: هي المُبالَغةُ في الرِّفقِ بالأمور والتَّسبُّبِ إليها. والتُّؤَدة: مُفارقةُ الخِفَّةِ في الأمور.

• الفرق بين الأناةِ والحِلم:

قيل: هما بمعنًى واحدٍ. وقيل: الأَناةَ هي التمهُّلُ في تدبير الأمورِ، وتَرْكُ التَّعجُّلِ. والحِلمُ: هو الإمهالُ بتأخيرِ العقابِ المُستحَقِّ.

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٢٧٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٤٢).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (١/ ١٨٩).

(٣) ((المحكم)) لابن سيده (٣/ ٣٦٤)، ((مختار الصحاح)) للرازي (١/ ٢٤، ٨٠)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ١٤٦)، (١٤/ ٤٨)، ((اللباب في علوم الكتاب)) لابن عادل (٤/ ٩٦)، ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (١/ ١٠٩٦).

(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٠٤).

التَّرغيب والحثُّ على التَّأنِّي من القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٩٤].

والمراد مِن التثبُّت: الأناةُ وعدمُ العجلةِ، والتبصُّرُ في الأمرِ الواقع، والخبرِ الواردِ حتى يتَّضحَ ويظهرَ(١).

- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد: ٤]. ومن حِكم خَلْقِها في ستَّةِ أيَّامٍ: أنَّ اللهَ علَّمَ عِبادَه التُّؤَدةَ والتَّأنِّي، وأنَّ الأهمَّ إحكامُ الشَّيءِ لا الفراغُ مِنهُ؛ حتَّى يتأنَّى الإنسانُ فيما يَصنَعُه، فعَلَّم اللهُ سبحانه عِبادَه التَّأنِّيَ في الأمورِ الَّتي هُم قادِرونَ عليها(٢).

- وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ للأَشَجِّ أَشَجِّ عبدِ القَيسِ: ((إنَّ فيك خَصلَتَينِ يُحِبُّهُما اللهُ: الحِلمُ، والأَناةُ))(٣).

- وعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((التَّأنِّي مِنَ اللهِ، والعَجَلةُ مِنَ الشَّيطانِ))(٤).

أقوال السَّلفِ والعُلماءِ في التَّأنِّي:

(١) ((فتح القدير)) للشوكاني (٥/ ٧١).

(٢) ((تفسير الحجرات - الحديد)) لابن عثيمين (١/ ٣٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٧).

(٤) أخرجه أبو يعلى (٤٢٥٦)، والبيهقي (٢٠٢٧٠). قال المنذري في ((التَّرغيب والترهيب)) (٢/ ٣٥٩)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ٢٢): رجاله رجال الصحيح. وجود إسناده ابن القيم في ((أعلام الموقعين)) (٢/ ١٢٠).

- كَتَب عَمرُو بنُ العاصِ إلى مُعاويةَ يُعاتِبُه في التَّأنِّي، فكَتَب إلَيهِ مُعاويةُ: (أمَّا بَعدُ، فإنَّ التَّفهُّمَ في الخبرِ زِيادةٌ ورُشدٌ، وإنَّ الرَّاشدَ مَن رَشَدَ عنِ العَجَلة، وإنَّ الخائبَ مَن خابَ عنِ الأَناةِ، وإنَّ المُتثبِّتَ مُصيبٌ أو كاد أن يَكونَ مُصيبًا، وإنَّ العَجِلَ مُخطِئٌ أو كاد أن يَكونَ مُخطِئًا)(١).

- وقال مالكٌ: (كان يُقالُ: التَّأنِّي مِنَ الله، والعَجَلةُ مِنَ الشَّيطان، وما عَجِلَ امرُؤٌ فأَصابَ واتَّأدَ آخَرُ فأخطأَ إلَّا كان الَّذي اتَّأدَ أَصوَبَ رأيًا، ولا عَجِلَ امرُؤٌ فأَخطأَ واتَّأدَ آخَرُ فأخطأَ إلَّا كان الَّذي اتَّأدَ أَيسَرَ خَطَأً)(٢).

- وقال أبو عُثمانَ بنُ الحَدَّادِ: (مَن تَأنَّى وتَثبَّتَ تَهيَّأَ له مِنَ الصَّوابِ ما لا يَتهيَّأُ لصاحبِ البَديهةِ)(٣).

فوائد التَّأنِّي:

١- دَلالةٌ على رَجاحةِ العقلِ، ووُفورِ الرَّزانةِ، وطُمأنينةِ القلبِ.

٢- يَعصِمُ الإنسانَ مِنَ الضَّلال والخَطَأ.

٣- التَّأنِّي خَيرٌ كلُّه، ومَحمودُ العاقِبةِ في الدُّنيا والآخِرة.

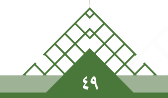
٤- سببٌ لنَيلِ مَحبَّةِ اللهِ ورِضاهُ سُبحانَه.

٥- صيانةُ الإنسان مِن كَيدِ الشَّيطانِ وتَسلُّطِه علَيهِ.

مِن صُوَر التأنِّي:

١- عِندَ الذَّهابِ إلى الصَّلاةِ؛ فقد قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إذا أَتَيْتُم

(١) أخرجه اللالكائي في ((شرح أصول الاعتقاد)) (٢٧٨٩).
(٢) أخرجه البيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (٨١٧).
(٣) ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (٢٢٢١).



الصَّلاةَ فعَلَيْكُم بالسَّكِينةِ، فما أَدرَكْتُم فَصَلُّوا، وما فاتَكُم فأَتِمُّوا))[1].

٢- عِندَ قِراءةِ القُرآنِ؛ فقدْ ((كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ إذا نَزَل علَيهِ الوَحيُ حَرَّكَ به لِسانَه؛ يُريدُ أنْ يَحفظَه، فأنزَلَ اللهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]))[2].

٣- التَّأنِّي في طَلب العِلم؛ فينبغي لطالبِ العِلم ولسامعِه أن يَصبِرَ على مُعلِّمِه حتى يَقضِيَ كلامَه[3].

٤- التَّأنِّي عِندَ مواجهة العدُوِّ في ساحة القتال؛ فقد كان رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ((إذا لَمْ يُقاتِلْ في أوَّلِ النَّهارِ، انتَظَر حتَّى تَهُبَّ الأَرواحُ، وتَحضُرَ الصَّلواتُ))[4].

٥- التَّأنِّي في الإنكارِ في الأمور المُحتمِلة؛ كما يُستفادُ مِن قِصَّة الخَضِرَ مع موسى عليه السلام؛ فيُستفادُ منها وجوبُ التأنِّي عن الإنكارِ في المحتمِلات[5].

أسبابُ الوُقوعِ في عدمِ التَّأنِّي:

١- الغضبُ والحزنُ الشَّديدُ.

٢- استِعجالُ نتائجِ الأُمورِ.

٣- التَّفريطُ، وذلك إذا فَرَّطَ المرءُ فيما يَنبَغي علَيهِ القيامُ به؛ فإنَّه يُضطَرُّ للقيامِ به على وجهِ السُّرعةِ والعَجلةِ حتَّى يَتدارَكَ الأمرَ؛ فيُسبِّبَ له نتائجَ سَلبيَّةً.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٧).

(٣) ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيِّم (١/ ١٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٦٠).

(٥) يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ٢٢٢).

٤- إجابةُ داعي الشَّهواتِ.

٥- ترْكُ استِشارةِ ذَوِي الخِبرةِ في أمورٍ يَجهَلُها.

الوسائلُ المُعِينةُ على اكتساب صفةِ التَّأنِّي[١]:

١- الدُّعاء.

٢- النَّظرُ في عواقبِ الاستِعجالِ.

٣- معرفةُ معاني أسماءِ اللهِ وصِفاتِه؛ فمِن أسمائِه سُبحانَه: الحليمُ والرَّفيقُ، ومِن مَعانيهما: التَّأنِّي في الأُمورِ والتَّدرُّجُ فيها، وترك التعجُّل في أخْذِ الظَّالِمينَ.

٤- قراءةُ سِيرةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ؛ فنَستفيدُ مِن سُنَّتِه التَّأنِّيَ والصَّبرَ على الإيذاء.

٥- استِشارةُ أهلِ الصَّلاحِ والخِبرةِ.

نماذجُ في التَّأنِّي من حَياةِ الأنبياء والصَّحابة:

- تأنَّى نبيُّ اللهِ يوسفُ علَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ الخروجِ مِنَ السَّجنِ؛ حتَّى يَتحقَّقَ الملِكُ ورَعيَّتُه بَراءةَ ساحَتِه، ونَزاهةَ عِرْضِه، وامتَنَع عن المُبادَرةِ إلى الخروجِ، ولم يَتعجَّلْ في ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

- وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما: ((لَمَّا بَلَغ أبا ذَرٍّ مَبعَثُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بمكَّةَ قال لأَخيهِ: اركَبْ إلى هذا الوادي، فاعلَمْ لي عِلْمَ هذا الرَّجُلِ

---

(١) ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ٥٥٧)، ((صفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسنة)) لعلوي السقاف (١/ ١٣٩، ١٨٠).

الَّذي يَزعُمُ أنَّه يَأتيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّماءِ، فاسمَعْ مِن قَولِه ثمَّ ائْتِني. فانطلَقَ الآخَرُ حتَّى قَدِمَ مكَّةَ، وسَمِعَ مِن قَولِه، ثمَّ رَجَع إلى أبي ذَرٍّ، فقال: رأيْتُه يَأمُرُ بمَكارمِ الأَخلاقِ، وكلامًا ما هو بالشِّعرِ. فقال: ما شَفَيْتَني فيما أَرَدْتُ. فتَزَوَّدَ وحَمَلَ شَنَّةً له فيها ماءٌ حتَّى قَدِمَ مكَّةَ، فأَتَى المَسجِدَ فالْتَمَسَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ ولا يَعرِفُه، وكَرِهَ أنْ يَسألَ عنه، حتَّى أدرَكَه -يعني: اللَّيلَ- فاضْطَجَعَ، فرآهُ عليٌّ فعَرَف أنَّه غريبٌ، فلمَّا رآهُ تَبِعَه، فلمْ يَسألْ واحدٌ منهُما صاحبَه عن شَيءٍ، حتَّى أَصبَحَ، ثمَّ احتَمَلَ قِربَتَه وزادَه إلى المسجد، فظَلَّ ذلك اليَومَ، ولا يَرَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، حتَّى أَمْسى، فعادَ إلى مَضجَعِه، فمَرَّ به عليٌّ، فقال: ما آنَ للرَّجُلِ أنْ يَعلَمَ مَنزِلَه؟ فأَقامَه، فذَهَب به معه، ولا يَسألُ واحدٌ منهُما صاحبَه عن شَيءٍ، حتَّى إذا كان يَومُ الثَّالثِ فَعَلَ مِثلَ ذلك، فأَقامَه عليٌّ معه، ثمَّ قال له: ألَا تُحَدِّثُني؟ ما الَّذي أَقدَمَك هذا البلَدَ؟ قال: إنْ أَعطَيْتَني عهدًا ومِيثاقًا لَتُرْشِدَنِّي، فعَلْتُ، ففَعَلَ، فأَخبَرَه، فقال: فإنَّه حقٌّ، وهو رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فإذا أَصبَحْتَ فاتَّبِعْني، فإنِّي إنْ رأيْتُ شَيئًا أَخافُ علَيكَ، قُمْتُ كأنِّي أُريقُ الماءَ، فإنْ مَضَيْتُ فاتَّبِعْني حتَّى تَدخُلَ مَدْخَلي، ففعَل، فانطَلَقَ يَقْفُوه، حتَّى دَخَل على النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ ودَخَل معه، فسَمِعَ مِن قَولِه، وأَسلَمَ مَكانَه))[1]؛ فتأنَّى ولم يُظهِرْ ما يُريدُه حتى يَتحصَّل على بُغيتِه، وتأنى في البحثِ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والسؤالِ عنه؛ حتى لا تعلمَ به قُريشٌ وتُثنيَه عن هدفِه الذي من أجْلِه تحمَّلَ المشاقَّ والمتاعبَ.

التأنِّي في واحةِ الشِّعر:

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤) واللفظ له.

- قال النَّابِغةُ:

الرِّفْـقُ يُمْـنٌ والأَنـاةُ سَـعادةٌ		فتَأنَّ فـي رِفـقٍ تُـلاقِ نَجاحَا[1]

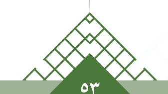
- وقال الشَّاعِرُ:

اسـتَأْنِ تَظفَرْ فـي أُمـورِكَ كلِّها		وإذا عَزَمْتَ على الهَـوى فتَوكَّلِ[2]



(١) ((كتاب العين)) للخليل (٨/ ٤٠١).

(٢) ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٥/ ٣٩٨).



التضحية

معنى التَّضحيَة:

التَّضحيةُ لُغةً: التَّضحيةُ مَصْدَر ضحَّى. يُقال: ضحَّى بنفسِه أو بعملِه أو بمالِه: بَذَلَهُ وتبرعَ به دونَ مُقابِل. وهي بهذا المعنى مُحْدَثة[1].

التَّضحيةُ اصطلاحًا: بَذْلُ النَّفسِ أو الوقتِ أو المالِ؛ لأجْلِ غايةٍ أَسْمى ولأجلِ هدفٍ أَرْجى، مع احتِساب الأجرِ والثَّوابِ على ذلك عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ. والمرادفُ لهذا المعنى: الفِداءُ، ومِن معانيها: البَذلُ والجِهادُ.

التَّرغيب والحثُّ على التضحية في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال القاسِميُّ: (أي: وليُكرِّمَ ناسًا مِنكُم بالشَّهادةِ؛ ليَكونوا مِثالًا لغَيرِهم في تضحيةِ النَّفسِ شهادةً للحقِّ، واستِماتةً دُونه، وإعلاءً لكَلِمتِه)[2].

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

فبَذْلُ النَّفْسِ، والشَّهادةُ في سبيلِ اللهِ هي ذِروةُ التَّضحيةِ.

- وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أنَّه قال: ((مِن خَيرِ مَعاشِ النَّاسِ لهُم، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سبيلِ

---

(١) ((المعجم الوسيط)) (١/ ٥٣٥)، ((المعجم الوجيز)) (ص ٣٧٧).

(٢) ((تفسير القاسمي)) (٢/ ٤١٩).

اللهِ، يَطيرُ على مَتْنِه، كُلَّما سَمِعَ هَيْعةً أوْ فَزْعةً طارَ عَلَيهِ؛ يَبتَغي القَتْلَ والمَوْتَ مَظَانَّهُ، أو رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رأسِ شَعَفةٍ مِن هَذهِ الشَّعَفِ، أو بَطنِ وادٍ مِن هَذهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤْتي الزَّكاةَ، ويَعبُدُ رَبَّهُ حتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ، ليسَ مِنَ النَّاسِ إلَّا في خَيرٍ))[1].

أقسام التَّضحية:

١- **التَّضحية المحمودة (المشروعة)، ومنها:** التَّضحيةُ بالنَّفْسِ في سبيل الله. والتَّضحيةُ بالمال في وُجوهِ الخيرِ المُرَغَّبِ فيها شرعًا.

٢- **التَّضحيةُ المَذمومة (غير المشروعة):** وهي التَّضحيةُ في سبيل الجاهليَّةِ وميتةِ العَصبيَّةِ، التي هي في غَيرِ سبيلِ الله.

فوائد التَّضحية:

١- نُصرةٌ للدِّين.

٢- تحقيقُ التَّكافُلِ بيْن طَبَقاتِ المُجتمَعِ؛ القَويِّ منها والضَّعيف.

٣- تقويةُ الأُمَّةِ، وتَحقيقُ تَماسُكِها؛ فيَهابُها أعداؤُها، وتُصبِحُ قويَّةَ البُنيانِ، عزيزةَ الجانبِ.

٤- تحقيقُ التَّراحُمِ بيْن نسيجِ المُجتمَعِ الإسلاميِّ كلِّه.

٥- تحقيقُ العِزَّةِ.

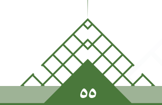
٦- تحقيقُ السَّعادةِ.

مِن صُوَرِ التَّضحية:

١- التَّضحيةُ بالنَّفسِ، وهي مِن أعلى مراتبِ التَّضحية.

٢- التَّضحيةُ بالمال.

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٩).



٣- التَّضحيةُ بالوَقتِ لبَذْلِ العِلمِ.

٤- التَّضحيةُ بنَفعِ البَدَنِ.

مِن مَوانعِ اكتِسابِ صِفةِ التَّضحيةِ:

١- عدمُ الإخلاصِ للهِ في العمل.

٢- حُبُّ النَّفْسِ، والأَثَرةُ.

٣- البُعدُ عنِ اللهِ، وضَعفُ التَّعبُّدِ والتَّقرُّبِ إليه.

٤- الانغِماسُ في اللَّهوِ والتَّرَفِ والدَّعَةِ.

٥- إساءةُ الظَّنِّ، وعدَمُ الثِّقةِ.

٦- ضَعفُ الإيمانِ والتَّفكيرُ في الرِّزق الَّذي يُقعِدُه عن الإنفاقِ والتَّضحيةِ بالمال، والخَوفُ مِنَ الموت الَّذي يُقعِدُه عنِ الجهادِ والتَّضحيةِ بالنَّفْسِ.

الوَسائل المُعِينة على اكتساب صِفةِ التَّضحيةِ:

١- عدَمُ الانكبابِ على الدُّنيا.

٢- التَّخلُّصُ من الرُّوح الانهزاميَّةِ.

٣- حُبُّ الآخَرينَ.

٤- التَّحلِّي بالشَّجاعةِ والإِقدام.

٥- التَّحلِّي بعُلُوِّ الهِمَّةِ.

٦- التَّحلِّي بالكرمِ وعدَمِ البُخلِ.

٧- مُصاحَبةُ أهلِ الخيرِ والرِّفعةِ المُضحِّين بأنفُسِهم وأموالِهم في سَبيل اللهِ.

٨- اليَقينُ الجازم بما أعدَّه اللهُ لعِبادِه المجاهدين في سَبيلِه.

٩- قِراءةُ أخبارِ السَّلَفِ الصالِحِ، وتَضحياتِهم بالنَّفْسِ والمالِ؛ لاستلهامِ العِبرةِ.

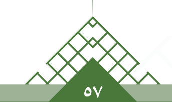
نماذِجُ للتَّضحيةِ من حياةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ:

- كان صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((أحسنَ الناسِ، وكان أجودَ الناسِ، وكان أشجعَ الناسِ، ولقدْ فزِعَ أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ، فانطلقَ ناسٌ قِبَلَ الصوتِ، فتلقَّاهم رسولُ الله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ راجعًا وقد سبَقَهم إلى الصَّوتِ، وهو على فَرسٍ لأبي طَلْحَةَ عُرْيٍ، في عُنقِه السَّيفُ، وهو يقولُ: لمْ تُراعُوا... لم تُراعُوا))[1]، أي: لا فَزَعَ ولا رَوْعَ عليكم؛ فاسْكُنوا.

- وعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه يَقولُ: ((كان أبو طَلْحةَ أَكثَرَ الأَنصارِ بالمَدينةِ مالًا مِن نَخلٍ، وكان أَحَبَّ أَموالِه إليه بَيْرُحاءُ، وكانت مُستقبِلةَ المَسجِدِ، وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يَدخُلُها ويَشرَبُ مِن ماءٍ فيها طَيِّبٍ. قال أَنَسٌ: فلمَّا أُنزِلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قامَ أبو طَلْحةَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ تبارَك وتعالى يَقولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإنَّ أَحَبَّ أَموالي إليَّ بَيْرُحاءُ، وإنَّها صَدَقةٌ للهِ أَرْجو بِرَّها وذُخْرَها عِندَ اللهِ، فضَعْها يا رسولَ اللهِ حيثُ أَراكَ اللهُ. قال: فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: بَخٍ، ذلكَ مالٌ رابِحٌ، ذلكَ مالٌ رابِحٌ [وفي روايةٍ: رايِحٌ]، وقد سمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أَرَى أنْ تجعَلَها في الأَقرَبينَ. فقال أبو طَلْحةَ: أَفعَلُ يا رسولَ اللهِ، فقَسَمَها أبو طَلْحةَ في أَقارِبه وبَني عَمِّه))[2].

حِكَمٌ وأقوالٌ وشِعرٌ في التَّضحيةِ:

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨).



- قال ابنُ المُقَفَّعِ: (ابْذُلْ لصديقِكَ دَمَكَ ومالَك، ولمعرفتِكَ رِفْدَكَ[1] ومَحضرَك، وللعامَّةِ بِشْرَكَ وتَحيَّتَك، ولعَدُوِّكَ عَدْلَك، وضَنَّ بِدِينِكَ وعِرْضِك عن كلِّ أحد)[2].

- قيل لعبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ: (إنَّك لَتَبذُلُ الكثيرَ إذا سُئِلْتَ، وتَضيقُ في القليلِ إذا توجِرْتَ؟ فقال: إنِّي أَبذُلُ مالي، وأَضَنُّ بعقلي)[3].

- قال مُسلِمُ بنُ الوَليدِ:

يَجودُ بالنَّفْسِ، إذْ ضَنَّ البَخيلُ بها   والجُودُ بالنَّفْسِ أَقصَى غايةِ الجُودِ[4]



(١) الرِّفْدُ، بالكسر: العطاء والصلة. يُنظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ١٨١).

(٢) ((الأدب الصغير والأدب الكبير)) لابن المقفع (ص: ٩٨)، ويُنظر: ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٣/ ٢٠).

(٣) ((الكامل في اللغة والأدب)) للمبرد (٢/ ١٢٤).

(٤) ((نشوار المحاضرة)) للتنوخي (٧/ ٢٠).

التعاون

معنى التَّعاوُنِ:

التَّعاوُنُ لُغةً: المُساعَدةُ والمُظاهرةُ على الأمرِ، واستَعانَ فُلانٌ فُلانًا وبهِ: طَلَب منه العَونَ. والمِعْوانُ: الحَسَنُ المَعونةِ للنَّاسِ، أو كثيرُها[1].

التَّعاوُن اصطلاحًا: المساعَدةُ على الحَقِّ؛ ابتِغاءَ الأجرِ مِنَ اللهِ سُبحانَه[2].

التَّرغيب والحثُّ على التعاوُن من القُرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

- وقال سُبحانَه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- وقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ: ((المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا))[3].

- وعن ابنِ عُمرَ رَضيَ اللهُ عنهُما، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أَخِيهِ، كان اللهُ في حاجَتِه، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنهُ كُرْبَةً مِن كُرُباتِ يَوم

(١) ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٢٢٢)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ٢٩٨)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٥/ ٤٣١)، ((المعجم الوسيط)) (٢/ ٦٣٨).

(٢) ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص: ٤٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

القِيامةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامةِ))[١].

أقوال العُلماءِ في التعاوُن:

- قال ابنُ تيميَّةَ: (حياةُ بَني آدَمَ وعَيْشُهم في الدُّنيا لا يَتِمُّ إلَّا بمُعاوَنةِ بعضِهم لبعضٍ في الأقوالِ؛ أَخبارِها وغَيرِ أخبارِها، وفي الأعمال أيضًا...)[٢].

- وقال أبو الحسَنِ العامِريُّ: (التَّعاوُنُ على البِرِّ داعيةٌ لاتِّفاقِ الآراءِ، واتِّفاقُ الآراءِ لإيجادِ مَجلَبةِ المُرادِ، مَكسَبةٌ للوِداد)[٣].

أقسام التعاوُن:

١- تعاوُنٌ على البِرِّ والتَّقوى، كالجِهادِ وإقامةِ الحدودِ، واستيفاءِ الحقوقِ، وإعطاءِ المستحِقِّين؛ فهذا ممَّا أمَرَ اللهُ به ورسولُه.

٢- تعاوُنٌ على الإثمِ والعُدْوان، كالإعانةِ على دَمٍ مَعصومٍ، أو أخْذِ مالٍ مَعصومٍ، أو ضَرْبِ مَن لا يستحِقُّ الضَّربَ، ونحوِ ذلك؛ فهذا الذي حرَّمَه اللهُ ورسولُه[٤].

من فوائد التَّعاوُن:

١- استِفادةُ كلِّ فردٍ مِن خبراتِ الآخَرينَ وتَجارِبِهم في شتَّى مَناحي الحياة.

٢- إظهار القوَّةِ والتَّماسُكِ.

٣- يَزيدُ في الإخلاصِ في العَملِ.

٤- تَنظيمُ الوقتِ، وتَوفيرُ الجُهدِ.

٥- ثمرةٌ مِن ثمراتِ الأُخُوَّةِ الإسلاميَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٦/ ٣٦٤).

(٣) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان التوحيدي (٩/ ١٤٨).

(٤) ((السياسة الشرعية)) لابن تيمية (ص: ٤٠).

٦- رفْع الظُّلمِ عمَّن وقَع عليه.

٧- سُهولةُ التَّصدِّي لأيِّ أخطارٍ تُواجِهُ الإنسانَ ممَّن حَوْلَه.

٨- سُهولةُ إنجازِ الأعمالِ الكبيرةِ الَّتي لا يُقدَرُ عليها فُرادَى.

مَضارُّ التَّعاوُنِ على الإثم والعُدوان:

١- تَقلِبُ نِظامَ المُجتمَعِ، وتُساعِدُ على فساد الذِّمَم.

٢- تَفتَحُ أبوابَ الشَّرِّ، وتَطمِسُ مَعالِمَ الحقِّ ليَرتَعَ الباطلُ.

٣- تُنْبِئُ عن خِسَّةِ صاحبِها ودناءةِ نفْسِه.

٤- دليلٌ كاملٌ على ضَعفِ الإيمانِ وقِلَّةِ المُروءة.

٥- يُبشِّرُ صاحبُها بعاقبةٍ وَخيمةٍ، وعذابٍ أليم.

٦- يُنبَذُ صاحبُها ويُهمَلُ شأْنُه إذا كان المجتمَعُ صالحًا.

٧- تُساعِدُ على طُغيانِ الحاكمِ وتُرخِّصُ له الظُّلْمَ.

٨- إذا تحقَّقَتْ في مجتمَعٍ كانت سببًا في خرابه.

٩- تَضِيعُ الحقوقُ، وتَصِلُ لغيرِ أهْلِها ومُستحِقِّيها[١].

مِن صُوَر التَّعاوُنِ:

- التَّعاوُنُ على تَجهيزِ الغازي.
- التَّعاوُنُ على دَفْعِ الظُّلْمِ.
- التَّعاوُنُ في الثَّبات على الحقِّ والتَّمسُّكِ به.
- التَّعاوُنُ في الدَّعوة إلى الله.
- التَّعاوُنُ في تحرير الرَّقيقِ مِن رِقِّهِم.

---

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة من الباحثين (٩/ ٤٢٠٩).

- التَّعاوُنُ في تزويجِ العُزَّابِ.
- التَّعاوُنُ في طلبِ العِلمِ والتَّفقُّهِ في الدِّين.
- التَّعاوُنُ لتفريجِ كُرُباتِ المهمومينَ، وسَدِّ حاجاتِ المُعْوِزينَ.

موانع اكتساب التَّعاوُنِ:

١- التَّعصُّبُ والحِزْبِيَّةُ.

٢- اتِّباعُ الأوهامِ والشُّكوكِ بأنَّ هذا التَّعاوُنَ سيَكونُ في صالحِ أفرادٍ دُونَ أفرادٍ.

٣- الأَنانيَّةُ، وعدَمُ حُبِّ الخَيرِ للآخَرينَ.

٤- تَعَذُّرُ الفردِ بانشغالِه وكَثرةِ أعمالِه.

٥- تَنافُسُ الأفرادِ.

٦- حُبُّ الذَّاتِ، والظُّهورِ والصَّدارةِ والزَّعامةِ وغَيرِها مِن حُظوظِ النَّفْسِ.

٧- الحسدُ للآخَرينَ.

٨- سوءُ الظَّنِّ بالآخَرين.

الأسباب المُعِينة على اكتساب التَّعاوُن[1]:

١- التَّعارُفُ.

٢- معرفةُ المسْلمِ لحُقوقِ المسْلمِ عليه.

٣- احتِسابُ الأجرِ.

٤- تَنميةُ الرُّوحِ الجماعيَّةِ.

٥- فِقهُ الواقعِ.

(١) ((الرائد دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (١/ ٢٢٣-٢٢٥) بتصرف.

٦- تَطهيرُ القلبِ من الأمراض.

٧- الإخلاصُ.

٨- إحسانُ الاختِلاطِ بالنَّاسِ.

نماذجُ للتَّعاوُنِ مِن حَياةِ الأنبياء والمرسلين صلَّى اللهُ علَيهم وسلَّمَ، والصَّحابة:

- لَمَّا أمَر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السَّلامُ ببناءِ الكَعبةِ، قامَ إبراهيمُ استجابةً لأمرِ الله، وقال لابنِه: ((يا إسماعيلُ؛ إنَّ الله أمَرَني بأمرٍ، قال: فاصنعْ ما أمَرَكَ ربُّك، قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك، قال: فإنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أَبنيَ هاهنا بَيتًا، وأشارَ إلى أَكَمةٍ مُرتفعةٍ على ما حولَها، قال: فعند ذلك رفعَا القواعدَ مِن البيتِ، فجَعَلَ إسماعيلُ يأتي بالحِجارةِ وإبراهيمُ يَبني، حتَّى إذا ارتَفَع البناءُ، جاءَ بهذا الحَجرِ فوَضَعه له فقامَ عليه، وهو يَبني وإسماعيلُ يُناولُه الحِجارةَ، وهُما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. قال: فجَعَلَا يَبنيانِ حتى يَدورَا حولَ البيتِ وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧]))[1].

- وعنِ البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضيَ اللهُ عنهُما، قال: ((كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يَنقُلُ التُّرابَ يَومَ الخَندَقِ حتَّى أَغمَرَ بَطْنَه، أوِ اغبَرَّ بَطْنُه، يَقولُ:

واللهِ لـــولا اللهُ مـــا اهتَدَيْنا	ولا تَصَدَّقْنـــا ولا صَلَّيْنـــا
فأَنْزِلَـــنْ سَـــكينةً عَلَيْنـــا	وثَبِّـــتِ الأَقـــدامَ إنْ لاقَيْنـــا
إنَّ الأُلَـــى قـــدْ بَغَـــوْا عَلَيْنـــا	إذا أَرادُوا فِتْنـــةً أَبَيْنـــا

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

ويَرفَعُ بها صَوتَه: أَبَيْنا أَبَيْنا))[1].

- ويَنقُلُ أنسُ بنُ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه صُورةً مِن تَعاوُنِ الصَّحابةِ وتَكاتُفِهم في حَفرِ الخَندقِ، فيَقولُ: ((جَعَلَ المُهاجِرونَ والأنصارُ يَحفِرونَ الخَندقَ حَوْلَ المدينةِ، ويَنقُلونَ التُّرابَ على مُتُونِهم، ويَقولُون:

نَحْنُ الَّذينَ بايَعُوا مُحمَّدَا على الإسلامِ ما بَقِينا أبَدَا

والنَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يُجيبُهم ويَقولُ:

اللَّهمَّ إنَّه لا خَيرَ إلَّا خَيرُ الآخِرَهْ فبارِكْ في الأنصارِ والمُهاجِرهْ))[2]

- ومنها: تعاوُنُ الصَّحابةِ رِضوانُ اللهِ عليهم في بناء مسجدِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ[3].

وصايا في الحَثِّ على التَّعاوُن:

- رُوِيَ أنَّ أَكثَمَ بنَ صَيْفيٍّ دعَا أولادَه عِندَ مَوتِه، فاستَدْعى بضِمامةٍ مِنَ السِّهام، وتقدَّم إلى كلِّ واحدٍ أنْ يَكسِرَها، فلمْ يَقدِرْ أحدٌ على كَسرِها، ثمَّ بَدَّدَها وتَقدَّمَ إليهم أنْ يَكسِروها، فاستَهَلُّوا كَسرَها، فقال: كُونوا مُجتمِعينَ؛ ليَعجِزَ مَن ناوَأَكُم عن كَسرِكُم كعَجزِكُم[4].

حِكَمٌ وأمثالٌ وشِعرٌ في التعاوُن[5]:

- في الجَريرة، تَشترِكُ العَشيرة: يُضرَبُ في الحثِّ على المواساة والتَّعاوُن.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٤) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

(٤) ((صيد الأفكار)) لحسين المهدي (٢/ ١٣٥).

(٥) ((مجمع الأمثال)) للنيسابوري (١/ ٩٥) و(٢/ ٤٠٤)، ((الكشكول)) للهمذاني (٢/ ٢٨٩)، ((المعجم الوسيط)) (ص: ١١٦)، ((صيد الأفكار)) لحسين المهدي (ص: ٣٠٣).

- هل يَنهَضُ البازي بغيرِ جَناحٍ؟!: يُضرَبُ في الحثِّ على التَّعاوُن والوِفاق.

- بالسَّاعِدَينِ تَبطِشُ الكَفَّانِ: يُضرَبُ في تعاوُنِ الرَّجُلَينِ وتَساعُدِهِما وتَعاضُدِهما في الأمر.

- فَضيلةُ الفَلَّاحينَ التَّعاوُنُ بالأعمال، وفضيلةُ التُّجَّارِ التَّعاوُنُ بالأموالِ، وفضيلةُ الملوكِ التَّعاوُنُ بالآراء والسِّياسة، وفضيلةُ العلماءِ التَّعاوُنُ بالحِكم.

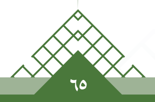
- قال الشَّاعرُ:

لولا التَّعاوُنُ بيْن النَّاسِ ما شَـــرُفَتْ   نفْسٌ ولا ازدَهَـــرَتْ أرضٌ بعُمرانِ

- وقال شَوْقي:

إنَّ التَّعـــاوُنَ قـــوَّةٌ عُلْويَّــــةٌ   تَبْنـــي الرِّجـــالَ وتُبْدِعُ الأَشْـــياءَ





التَّواضُع

معنى التَّواضُع:

التَّواضُع لُغةً: التَّذلُّل والتَّخاشُع، يُقالُ: وَضَع نفْسَه، أي: أَذَلَّها. وتَواضَعَ الرَّجُلُ: إذا تَذَلَّلَ، أو ذَلَّ وتَخاشَعَ[1].

التَّواضُعُ اصطلاحًا: ترْكُ التَّرؤُّسِ، وإظهارُ الخُمولِ، وكراهيةُ التَّعظيمِ، والزِّيادةُ في الإكرام، وأنْ يَتجنَّبَ الإنسانُ المُباهاةَ بما فيه مِن الفضائل، والمُفاخَرةَ بالجاهِ والمال، وأنْ يَتحرَّزَ مِنَ الإعجاب والكِبْرِ[2].

الفَرق بيْن التَّواضُعِ وبعض الصِّفات[3]:

• الفَرق بيْن التَّواضُع والتَّذلُّل:

أنَّ **التَّذلُّلَ**: إظهارُ العَجزِ عن مُقاومةِ مَن يَتذلَّلُ له. و**التَّواضُعَ**: إظهارُ قُدرةِ مَن يُتواضَع له، سواءٌ كان ذا قُدرةٍ على التَّواضِع أو لا، ألا ترى أنَّه يُقالُ: الملِكُ مُتواضِعٌ لخَدَمِه، أي: يُعامِلُهم مُعامَلةَ مَن لهم عليه قُدرةٌ، ولا يُقالُ: يَتذلَّلُ لهم؛ لأنَّ التَّذلُّلَ إظهارُ العَجزِ عن مُقاوَمةِ المُتذلَّلِ له وأنَّه قاهِرٌ، وليست هذه صِفةَ الملِكِ مع خدَمِه.

• الفرق بين التَّواضُع والخُشوع:

التَّواضُعُ: يُعتبَرُ بالأخلاق والأفعالِ الظَّاهرةِ والباطنة. و**الخُشوعُ**: يُقالُ باعتِبارِ

(١) ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (ص: ٧٧١، ٧٧٢).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٥).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٢٢، ٢١٦).

الجَوارحِ؛ ولذلك قيل: إذا تواضَعَ القلبُ خشَعَتِ الجَوارحُ.

التَّرغيب والحثُّ على التَّواضُعِ من القرآن والسُّنَّة:

- قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي: مُتواضِعينَ، غيرَ أَشِرينَ ولا مَرِحينَ ولا مُتكبِّرين[١].

- وقال سُبحانَه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥]، أي: ألِنْ جانبَك لِمَن آمَن بِك، وتَواضَعْ لهم[٢].

- وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ما نَقصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ اللهُ))[٣].

- وقال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ أَوْحى إليَّ أنْ تَواضَعُوا، حتَّى لا يَفخَرَ أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يَبْغيَ أحَدٌ على أحَدٍ))[٤].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في التَّواضُع:

- عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: (إنَّكم لَتُغفِلونَ أفضَلَ العِبادةِ: التَّواضُعَ)[٥].

- وقال مُعاذُ بنُ جبَلٍ رَضيَ اللهُ عنه: (لا يَبلُغُ عبْدٌ ذُرَى الإيمانِ حتَّى يَكونَ التَّواضُعُ أَحَبَّ إلَيهِ مِنَ الشَّرفِ...)[٦].

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٣/ ١٠٨).
(٢) ((تفسير القرطبي)) (١٠/ ٥٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه.
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رَضيَ اللهُ عنه.
(٥) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٨٥٢) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٨١٤٨)، من حديث الأسود بن يزيد رحمه الله. قال أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٧/ ٢٨٢): تفرد برفعه ابن المبارك عن مسعر. وقال ابن حجر العسقلاني في ((الأمالي المطلقة)) (٩٦): حسن غريب، اختلف فيه على ابن المبارك، والمشهور عنه أنه موقوف.
(٦) أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (٢/ ٥٢).

- وقال إبراهيمُ بنُ شَيْبانَ: (الشَّرفُ في التَّواضُع، والعِزُّ في التَّقوى، والحُرِّيَّةُ في القناعة)[1].

أقسام التَّواضُع[2]:

التَّواضُعُ تَواضُعانِ: أحدُهما محمودٌ، والآخَرُ مَذمومٌ. والتَّواضُعُ المحمودُ: تواضُع العبدِ عند أمرِ اللهِ امتثالًا، وعند نهيه اجتنابًا، وتواضعُه لعظمةِ الربِّ وجلالِه، وخُضوعُه لعِزَّتِه وكِبريائِه. وتَرْكُ التَّطاوُلِ على عِبادِ اللهِ، والإزراءِ بهم. والتَّواضُعُ المذمومُ هو: تَواضُعُ المرءِ لِذي الدُّنيا رَغْبَةً في دُنياهُ، والمهانة والدَّناءةُ والخِسَّة، وبذلُ النَّفْسِ وابتذالُها في نَيْل حُظوظِها وشَهواتِها، وتواضُع طالِبِ كُلِّ حَظٍّ لمن يرجو نيْلَ حَظِّه منه؛ فهذا كلُّه ضَعةٌ لا تواضُع؛ فالعاقلُ يَلزَمُ مُفارَقةَ التَّواضُعِ المذمومِ على الأحوال كلِّها، ولا يُفارِقُ التَّواضُعَ المحمودَ على الجهاتِ كلِّها.

من آثار خُلُقِ التَّواضُع[3]:

١- يَرفَعُ المرءَ قَدْرًا، ويُعظِمُ له خطَرًا، ويَزيدُه نُبْلًا.

٢- يؤدِّي إلى الخُضوع للحَقِّ، والانقيادِ له.

٣- التَّواضُعُ هو عينُ العِزِّ؛ لأنَّه طاعةٌ لله، ورجوعٌ إلى الصَّواب.

٤- يكْفي المُتواضِعَ مَحبَّةُ عِبادِ اللهِ له، ورفْعُ اللهِ إيَّاه.

٥- فيه مَصلحةُ الدِّينِ والدُّنيا، ويُزيلُ الشَّحْناءَ، ويُريحُ مِن تَعَبِ المُباهاةِ والمُفاخَرةِ.

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٣٣٠).

(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٥٩)، ((الروح)) لابن القيِّم (ص: ٢٣٤).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٦١)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١١/ ٣٤١) بتصرف، ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن المرسي (ص: ٢٠٩)، بتصرف.

مِن صُوَر التَّواضُع:

١- تَواضُعُ الإنسانِ في نفْسِه: بألَّا يَظُنَّ أنَّه أَعلَمُ مِن غيرِه، أو أتْقى مِن غيرِه، أو أَكثَرُ ورَعًا مِن غَيرِه، أو أَكثَرُ خَشْيةً لله مِن غيرِه، أو يَظُنَّ أنَّ هناك مَن هو شَرٌّ منه، ولا يَظُنَّ أنَّه قد أَخَذ صَكًّا بالغُفران!.

٢- التَّواضُع في التَّعلُّم: فمَن طلَبَ العِلمِ بذِلَّةِ النَّفْسِ، وخِدمةِ العِلمِ، وتَواضُعِ النَّفْسِ؛ أَفلَحَ.

٣- التَّواضُعُ مع النَّاس: فالنَّاسُ لا يَقْبَلون قولَ مَن يُعظِّمُ نفْسَه ويَحقِرُهم، ويَرفَعُ نفْسَه ويَضَعُهم، وإنْ كان ما يَقولُه حقًّا.

٤- التَّواضُع مع الأقران: فكثيرًا ما تَثُورُ بيْن الأَقرانِ رُوحُ التَّحاسُدِ؛ بسَببِ الغَيرةِ.

٥- تواضُعُ الإنسانِ مع مَن هو دُونَه.

٦- تواضُعُ صاحبِ المال؛ فإنَّه أَحوَجُ الخَلْقِ للتَّواضُعِ؛ لأنَّ هذه النِّعَمَ مَدْعاةٌ إلى الكِبْرِ والفَخرِ. وكذلك يَنبغِي التَّواضُعُ على صاحب كلِّ نِعمةٍ.

٧- تواضُعُ القائدِ مع الأفراد، وكلَّما تَواضَعَ لهم كان أَقرَبَ إلى نُفوسِهم، وكان أمْرُه لهم مُحبَّبًا إليهم؛ فأطاعوه عن حُبٍّ وإخلاص.

الأسباب الَّتي تُعينُ على التَّواضُع[1]:

١- تَقوى اللهِ؛ فالكِبرُ كبيرةٌ من الكبائر، ولا يَتَّصِفُ بها أهلُ التَّقوى، والتَّواضُعُ مِن مَحاسنِ الأخلاقِ، وحتمًا ولا بُدَّ أنَّه يكونُ في أهلِ التَّقوى.

---

(١) ((التواضع في ضوء القرآن والسُّنَّة الصحيحة)) (ص: ٣١، ٣٢) سليم الهلالي، ((دروس إيمانية في الأخلاق الإسلامية)) (ص: ٥٧) لخميس السعيد - بتصرف.

٢- عامِلِ النَّاسَ بما تُحِبُّ أن يُعامِلوك به.

٣- التَّفكُّرُ في أصل الإنسان؛ فإذا عرَف الإنسانُ نفْسَه، عَلِمَ أنَّه أذَلُّ مِن كلِّ ذليلٍ.

٤- معرفةُ الإنسانِ قَدْرَه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

٥- تَذَكُّرُ الأمراضِ والأوجاعِ والمصائبِ.

٦- تطهيرُ القلب؛ فالقلبُ إذا صَلَحَ صَلَحَ العملُ كلُّه بإذنِ اللهِ تعالى.

نماذجُ مِن تَواضُعِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليَهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلَفِ:

- عن أبي ذَرٍّ وأبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنهُما، قالَا: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يَجلِسُ بيْن ظَهْرَيْ أصحابِه، فيَجيءُ الغريبُ فلا يَدْري أيُّهُم هو حتَّى يَسألَ، فطَلَبْنا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أن نَجعَلَ له مَجلِسًا يَعرِفُه الغريبُ إذا أَتاهُ...))(١).

- ومِن تَواضُعِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أنَّه كان إذا مرَّ على الصِّبيانِ سَلَّم عليهم؛ فعن أنسٍ رَضيَ اللهُ عنه ((أنَّه مرَّ على صِبيانٍ فسَلَّمَ عليهم، وقال: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يَفْعَلُه))(٢).

- وعن طارقِ بنِ شِهابٍ، قال: (خَرَج عُمَرُ بنُ الخطَّابِ إلى الشَّامِ ومعنا أبو عُبَيدةَ بنُ الجَرَّاحِ، فأَتَوْا على مَخاضةٍ، وعُمرُ على ناقةٍ له، فنَزَل عنها وخَلَعَ خُفَّيهِ فوَضَعَهُما على عاتِقه، وأَخَذَ بزِمامِ ناقَتِه فخاضَ بها المَخاضةَ، فقال أبو عُبَيدةَ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٨) واللفظ له، والنسائي (٤٩٩١).
صححه الألباني في ((صحيح أبي داود)) (٤٦٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٨) من حديث أنس رَضيَ اللهُ عنه.

يا أميرَ المؤْمِنينَ، أنتَ تَفعَلُ هذا؛ تَخلَعُ خُفَّيْكَ وتَضَعُهما على عاتِقِك، وتَأخُذُ بزِمامِ ناقتِك، وتَخوضُ بها المَخاضةَ؟! ما يَسُرُّني أنَّ أهلَ البلدِ استَشرَفوك. فقال عُمرُ: أوَّهْ! لو يَقُلْ ذا غيرُكَ أبا عُبيدةَ جَعَلْتُه نَكالًا لأُمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ! إنَّا كُنَّا أذَلَّ قومٍ فأعَزَّنا اللهُ بالإسلام، فمَهْمَا نَطلُبِ العِزَّةَ بغيرِ ما أعَزَّنا اللهُ به أذَلَّنا اللهُ)[1].

- وقال الحسنُ: (رأيتُ عُثمانَ بنَ عَفَّانَ يَقيلُ في المسجدِ وهو يومئذٍ خليفةٌ، ويقومُ وأثرُ الحصَى بجَنبِه فنقول: هذا أميرُ المؤمنين، هذا أمير المؤمنين!)[2].

- و(رُئِي على عليِّ بنِ أبي طالبٍ إزارٌ مرقوعٌ، فقيل له: تَلبَس المرقوعَ؟! فقال: يَقتدي به المؤمنُ، ويَخشَعُ به القلبُ)[3].

- و(كان عِندَ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قَومٌ ذاتَ لَيلةٍ في بعض ما يَحتاجُ إليه، فغَشيَ سِراجُه، فقام إلَيهِ فأصلَحه، فقيل له: يا أميرَ المؤْمِنينَ، ألَا نَكفيك؟ قال: وما ضَرَّني؟ قُمْتُ وأنا عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ورجَعْتُ وأنا عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ)[4].

التَّواضُع في واحة الشِّعر:

ولا تَمشِ فَوْقَ الأرضِ إلَّا تَواضُعًا ... فكَمْ تحتَها قَومٌ هُم مِنكَ أَرفَعُ

فإنْ كنتَ في عِزٍّ وخَيرٍ ومَنْعةٍ ... فكَمْ ماتَ مِن قَومٍ هُمُ مِنكَ أَمنَعُ[5]

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٧).
صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١/ ١١٧).

(٢) ((التبصرة)) لابن الجوزي (ص: ٤٣٧).

(٣) أخرجه هناد في ((الزهد)) (٢/ ٣٦٨) واللفظ له، وابن أبي الدنيا في ((إصلاح المال)) (٣٩٤).

(٤) ((سيرة عمر بن عبد العزيز)) لابن عبد الحكم (ص: ٤٦).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٦١).

التَّودُّد

معنى التَّودُّدِ:

التَّودُّدُ لُغةً: مِنَ الوُدِّ، وهو الحُبُّ يَكونُ في جميع مَداخِلِ الخَيرِ[1].

التَّودُّدُ اصطلاحًا: طلَبُ مَودَّةِ الأَكْفاءِ بما يوجِبُ ذلك[2]. وقيل: التَّوادُدُ: التَّواصُلُ الجالِبُ للمَحبَّة[3].

الفرق بيْن التَّوادِّ، والتَّعاطُفِ والتَّراحُم، والحُبِّ[4]:

التَّراحُمُ: أنْ يَرحَمَ بعضُهم بعضًا بأُخُوَّةِ الإيمانِ لا بسبب شَيءٍ آخَرَ. والتَّوادُدُ: التَّواصُلُ الجالِبُ للمَحبَّةِ، كالتَّزاوُرِ والتَّهادي. وأمَّا التَّعاطُفُ: فهو إعانةُ بعضِهم بعضًا كما يَعطِفُ الثَّوبَ عليهِ ليُقوِّيَه. والحُبُّ يَكونُ في ما يوجِبُه مَيلُ الطِّباعِ والحِكمةِ جميعًا، والوُدُّ مَيلُ الطِّباعِ فقطْ.

التَّرغيب والحثُّ على التَّودُّدِ من القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

- وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، أي:

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ٤٥٣).
(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٧١)، ((معجم مقاليد العلوم)) للسيوطي (ص: ٢٠٨).
(٣) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).
(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٢٢)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).

جعَل بينكم بالمصاهرةِ والختونةِ مَودَّةً تتوادُّون بها، وتتواصَلُون مِن أجلِها[1].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]، أي: يُحبُّهم ويُحبِّبُهم إلى المؤمنين[2].

- وعنِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رَضيَ اللهُ عنهُما قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((مَثَلُ المؤْمِنينَ في تَوادِّهِم وتَراحُمِهِم وتَعاطُفِهِم، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إذا اشتَكَى مِنهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لهُ سائِرُ الجَسدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى))[3].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه ((أنَّ رجُلًا قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي قَرابةً أَصِلُهُم ويَقْطَعُوني، وأُحسِنُ إليهِم ويُسِيئُون إلَيَّ، وأَحْلُمُ عنهُم ويَجهَلون علَيَّ، فقال: لَئِنْ كنتَ كما قُلْتَ، فكأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يَزالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهيرٌ علَيهِم ما دُمْتَ على ذلكَ))[4].

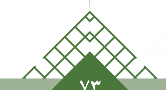
أقوال العلماءِ والسَّلَفِ في مدْحِ التَّودُّدِ:

- قال الحسَنُ: (التَّقديرُ نِصفُ الكَسبِ، والتَّودُّدُ نِصفُ العقلِ، وحُسنُ طلَبِ الحاجةِ نِصفُ العِلمِ)[5].

- وعن مَيْمونِ بنِ مِهْرانَ، قال: (المُروءةُ: طَلاقةُ الوَجهِ، والتَّوَدُّدُ إلى النَّاسِ، وقَضاءُ الحَوائِجِ)[6].

أنواع التَّودُّدِ إلى النَّاس:

(١) ((تفسير الطبري)) (٢٠/ ٨٦).
(٢) ((تفسير مجاهد)) (ص: ٤٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).
(٥) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٢/ ٦٥).
(٦) ((المروءة)) لابن الرزبان (ص: ٧٠).



التَّودُّدُ نوعانِ:

١- **تَوَدُّدٌ محمودٌ**: وهو ما كان مِن مَحبَّةٍ مُعتدِلةٍ لأهلِ الفضلِ والنُّبلِ، وذَوي الوَقارِ والأُبَّهةِ، والمُتميِّزينَ مِنَ النَّاسِ.

٢- **تودُّدٌ مَذمومٌ**: وهو التَّودُّدُ إلى أَراذلِ النَّاسِ وأصاغِرِهم، والأحداثِ والنِّساءِ، وأهلِ الخَلاعةِ[1].

فوائد التَّودُّدِ إلى النَّاس:

١- التَّودُّدُ طَريقٌ موصِلٌ للحُبِّ والأُلْفةِ؛ ممَّا يُقوِّي رَوابِطَ التَّقارُبِ بيْن الأفراد.

٢- التَّودُّدُ وتقويةُ العَلاقاتِ بيْن النَّاسِ أساسٌ لبناءِ مُجتمَعٍ قويٍّ مَبْنيٍّ على الوَلاء والتَّناصُرِ والتَّعاضُدِ والتَّعاوُن.

٣- التَّودُّدُ يَعكِسُ الجَمالَ الرُّوحيَّ والجانبَ الأخلاقيَّ الفاضلَ الَّذي جاء الإسلامُ لتَكميلِه وتَعزيزِه.

٤- التَّودُّدُ للنَّاسِ وكَسْبُ مَحبَّتِهم وثِقَتِهم مَدْعاةٌ لتَقبُّلِ ما عِندَك، وأنْ يَأخُذوا أفكارَك أو ما تَدْعوا إليه بجُهدٍ أقلَّ وبسُهولةٍ ويُسرٍ.

٥- التَّودُّدُ سبيلٌ إلى زَوالِ الخُصوماتِ والأحقاد، ويؤدِّي إلى تَصفيةِ القُلوب.

مِن أساليبِ التَّودُّدِ إلى النَّاس:

١- حُسنُ الخُلُقِ مع البِشرِ هو مِفتاحُ قُلوبِهم، والباعثُ على مَودَّةِ صاحبِه، ومُمَهِّدٌ له في قُلوبِ النَّاسِ مكانًا.

٢- التَّغافُلُ عنِ الزَّلَّاتِ، وعدَمُ التَّوقُّفِ عِندَ كلِّ خطأٍ أو كَبْوةٍ يَقَعُ فيها الرَّفيقُ.

---

(١) انظر ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٣).

٣- الرِّفقُ ولِينُ الجانبِ، والأَخذُ باليُسرِ والسُّهولةِ في مُعامَلةِ النَّاسِ أحَدُ أهَمِّ الأساليبِ للتَّودُّدِ لهم.

٤- تَفريجُ كَرْبِ الإخوانِ، والوُقوفُ إلى جانبِهم في المُلِمَّات والأحزان، ومواساتُهم والإحسانُ لهم، جالِبٌ للوُدِّ في قلوبِهم.

٥- الزِّيارةُ والتواصُل، والسؤالُ عن الإخوان، وتجنُّبُ الجفاءِ بين المتودِّد وبين مَن يَطلُب ودَّه.

٦- أن يوقِّرَ المَشايخَ، ويَرحَمَ الصِّبْيانَ.

موانِعُ اكتِسابِ التَّودُّدِ إلى النَّاس:

١- الكِبْرُ والخُيَلاءُ.

٢- العُبُوسُ في وُجوهِ النَّاسِ.

٣- الغِلظةُ في الكلام، وفَظاظةُ العِباراتِ، وفُحْشُ الألفاظِ.

٤- الشُّحُّ والبُخلُ.

٥- غِلظةُ الطَّبعِ، والشِّدَّةُ في التَّعامُل.

٦- الخُصوماتُ والنِّزاعات، وكَثرةُ الخِلافِ مِنَ الوَسائلِ الَّتي تَحُولُ دُونَ الوُصولِ إلى التَّوادِّ والتَّآلُفِ.

نماذجُ على التودُّدِ من حَياةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ، والسَّلف الصالحِ والعُلماء:

- مِن ذلك تَودُّده صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِمَن حَوْلَه بتَبَسُّمِه في وُجوهِ أصحابِه ودُعائِه لهم، فعَن جَريرٍ رَضيَ اللهُ عنه، قال: ((ما حَجَبَني النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه

وسلَّمَ مُنذُ أَسلَمْتُ، ولا رآني إلَّا تَبَسَّمَ في وَجْهي، ولقد شَكَوْتُ إلَيهِ أنِّي لا أَثْبُتُ على الخَيلِ، فضَرَب بيدِه في صَدْري، وقال: اللَّهمَّ ثَبِّتْهُ، واجْعَلْهُ هاديًا مَهْديًّا))[1].

- وأيضًا كان الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عنهم حَريصينَ على أن يَتَّصِفوا بهذه الصِّفةِ -أنْ يُحِبَّهمُ النَّاسُ- فهذا أبو هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه يأتي النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ لِيَدْعُوَ له أن يُحَبِّبَه هو وأُمَّه إلى المؤْمِنينَ ويُحبِّبَ المؤْمِنينَ إليهم، فعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قُلْتُ: ((يا رسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أن يُحَبِّبَني أنا وأُمِّي إلى عِبادِه المؤْمِنينَ، ويُحَبِّبَهم إلينا، قال: فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: اللَّهمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا -يعني: أبا هُرَيرةَ- وأُمَّه إلى عِبادِكَ المؤْمِنينَ، وحَبِّبْ إليهِمُ المؤْمِنينَ. فما خُلِقَ مؤْمِنٌ يَسمَعُ بي ولا يَراني إلَّا أَحَبَّني))[2].

- وقال ابنُ كثيرٍ في ترجمة ابنِ قَيِّمِ الجَوْزيَّةِ -رحمه الله-: (وكان حسَنَ القِراءةِ والخُلُقِ، كثيرَ التَّودُّدِ، لا يَحسُدُ أحدًا ولا يؤْذِيه، ولا يَستَعيبه، ولا يَحقِدُ على أحد)[3].

- وفي ترجمةِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ السلميِّ المُناويِّ، ثمَّ القاهِريِّ: أنَّه (كان كثيرَ التَّودُّدِ إلى النَّاسِ، مُعَظَّمًا عِندَ الخاصِّ والعامِّ، ومُحبَّبًا إليهم)[4].

أقوالٌ في التَّودُّد:

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٥، ٣٠٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩١).
(٣) ((البداية والنهاية)) لابن كثير (١٤/ ٢٧٠).
(٤) ((إنباء الغمر بأبناء العمر)) لابن حجر (٢/ ١٨١).

١ - قيل لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ: (ما أَفَدْتَ في مُلكِكَ هذا؟ قال: مَودَّةُ الرِّجالِ)[١].

٢ - ورُويَ عن لُقمانَ أنَّه قال لابنِه: (يا بُنيَّ، تَوَدَّدْ إلى النَّاسِ؛ فإنَّ التَّودُّدَ إليهم أَمْنٌ، ومُعاداتَهُم خَوْفٌ)[٢].

التودُّد في واحة الشِّعر:

أنشد محمدُ بنُ إبراهيمَ اليَعمُريُّ:

حافِظْ على الخُلُقِ الجميلِ ومِزْ به ... مَا بالجميلِ وبالقبيحِ خَفاءُ

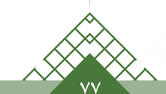
إنْ ضاق مالُكَ عَن صديقِك فالْقَه ... بالبِشرِ مِنكَ إذا يَحينُ لِقاءُ[٣]



(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ١٨١).

(٢) ((نثر الدر في المحاضرات)) للآبي (٧/ ١١).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ٦٤).



الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذْل

معنى الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذْل:

الجُودُ لُغةً: الجَوْدُ: المطرُ الغزير، وجادَ الرَّجُلُ، فهو جَوادٌ، وهو الَّذي يُعْطي بلا مَسألةٍ؛ صِيانةً للآخِذِ مِن ذُلِّ السُّؤالِ[1].

الجُودُ اصطِلاحًا: صِفَةٌ تَحمِلُ صاحبَها على بَذْلِ ما يَنبَغي مِنَ الخيرِ لغيرِ عِوَضٍ[2].

الكَرَمُ لُغةً: ضِدُّ اللُّؤْمِ، وكرُمَ الرَّجُلُ يَكرُمُ كرَمًا، فهو كريمٌ[3].

الكرَمُ اصطِلاحًا: هو الإعطاءُ بسُهولةٍ[4]. وقيل: الإنفاقُ بطِيبِ نفْسٍ فيما يَعظُمُ خطَرُه ونفْعُه[5].

السَّخاءُ لُغةً: السَّخاوَةُ والسَّخاءُ: الجُودُ. والسَّخيُّ: الجَوادُ، والجمعُ: أَسْخياءُ وسُخَواءُ. وفُلانٌ يَتسَخَّى على أصحابِه، أي: يَتكلَّفُ السَّخاءَ، وإنَّه لَسَخيُّ النَّفْسِ عنه[6].

السَّخاءُ اصطِلاحًا: السَّخاءُ: الجُودُ، أو: إعطاءُ ما يَنبَغي لِمَن يَنبَغي، أو: بَذْلُ المُؤمَّل قَبلَ إلحافِ السَّائلِ. وقيل: السَّخاءُ: هَيْئةٌ للإنسانِ داعيةٌ إلى بَذْلِ المُقتنَياتِ،

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٤٦١)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٧/ ٥٢٧).

(٢) ((المعجم الوسيط)) (ص: ١٤٦).

(٣) ((إصلاح المنطق)) لابن السكيت (ص: ٥١)، ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (٢/ ٧٩٨).

(٤) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٨٤).

(٥) ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) للقاضي عياض (١/ ٢٣٠).

(٦) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/ ٣٧٣).

حصَلَ معه البَذلُ أو لم يَحصُلْ، وذلك خُلُقٌ[(١)].

البَذلُ لُغةً: بَذَلَ الشَّيءَ: أَعطاهُ وجادَ به. والبَذلُ نَقيضُ المنعِ، وكلُّ مَن طابَتْ نفْسُه لشَيءٍ فهو باذِلٌ. ورجُلٌ بَذَّالٌ، وبَذُولٌ؛ إذا كثُر بَذْلُه للمال[(٢)].

البَذلُ اصطِلاحًا: الإعطاءُ عن طِيبِ نفْسٍ[(٣)].

الفرق بيْن الجُودِ والإفضالِ والإنعام[(٤)]:

الإفضالُ أعَمُّ مِنَ الإنعامِ والجُود. وقيل: هو أَخَصُّ منهما؛ لأنَّ الإفضالَ إعطاءٌ بعِوَضٍ، وهُما عِبارةٌ عن مُطلَقِ الإعطاءِ. والكرَمُ: إنْ كان بمالٍ فهو جُودٌ، وإنْ كان بكَفِّ ضَرَرٍ مع القُدرة فهو عَفْوٌ، وإنْ كان ببَذْلِ النَّفْسِ فهو شجاعةٌ.

الحثُّ على الجُودِ والكرَمِ والسَّخاءِ من القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٦]، أي: أكرَمَهم إبراهيمُ عليه السَّلام فخدَمَهم بنفسِه، وعجَّلَ لهم الضيافةَ[(٥)].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

- وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ جوادٌ يُحِبُّ الجُودَ، ويحِبُّ

---

(١) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٨٦)، ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ١٩٢).

(٢) ((كتاب العين)) للخليل (٨/ ١٨٧)، ((معجم ديوان الأدب)) للفارابي (٢/ ١٣٨)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٤/ ٣١٢)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٣١).

(٣) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٧٣).

(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٥٣)، ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٩٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٣).

(٥) ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٣٠٨).

معاليَ الأخلاقِ، ويَكرَهُ سَفسافَها))[1].

أقوال السَّلفِ والعلماء في الكرَم والجُودِ والسَّخاء:

- قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ اللهُ عنه: (الجُودُ حارسُ الأَعراض)[2].

- وقال عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه: (السَّخاءُ ما كان ابتِداءً، فأمَّا ما كان عن مسألةٍ فحَياءٌ وتَذَمُّمٌ)[3].

- وقال بعضُ الحُكماءِ: (أصلُ المَحاسنِ كلِّها الكرَمُ، وأصلُ الكرَمِ نَزاهةُ النَّفْسِ عنِ الحرامِ، وسَخاؤُها بما تَملِكُ على الخاصِّ والعامِّ، وجميعُ خِصالِ الخَيرِ مِن فُروعِه)[4].

أقسام الجُود:

الجُودُ خمسةُ أَضرُبٍ:

(جُودُ الإلهِ تعالى: وهو البَذلُ لكلِّ أحدٍ على قَدْرِ استِحقاقِه.

وَجُودُ المُلوكِ: وهو بَسْطُ المالِ على العُفاةِ؛ غَنيِّهم وفَقيرِهم.

وجُودُ السُّوقةِ، الَّذين هُم دُون الملوكِ: وهو بَذْلُ المالِ للسُّؤَّالِ.

وجُودُ الصَّعاليكِ: وهو البَذلُ للنَّدامى والمعاشِرينَ والشَّرْبِ.

وجُودُ عَوامِّ النَّاسِ: وهو الإحسانُ إلى الأقاربِ)[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٢٧١٤٩)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٠٨٤٠) من حديث طلحة بن عبيدالله بن كريز رَضيَ اللهُ عنه.
صححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٧٤٤).

(٢) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٥٧).

(٣) ((المصدر السابق)) (٤/ ٣٨٠).

(٤) ((المستطرف في كل فن مستظرف)) للأبشيهي (ص: ١٦٨).

(٥) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٨٨).

فوائد الكرَمِ والجُودِ والسَّخاء:

١- أنَّ الكرمَ والجُودَ والعطاءَ مِن كمالِ الإيمان، وحُسنِ الإسلام.

٢- دليلُ حُسنِ الظَّنِّ بالله تعالى.

٣- الكرامةُ في الدُّنيا، ورفْعُ الذِّكرِ في الآخِرة.

٤- الكريمُ مَحبوبٌ مِنَ الخالقِ الكريم، وقريبٌ مِنَ الخَلْقِ أجمَعين.

٥- يَبعَثُ على التَّكافُلِ الاجتِماعيِّ، والتَّوادِّ بيْن النَّاسِ.

٦- الكرَمُ يَزيدُ البَركةَ في الرِّزق والعُمُر.

٧- يُزَكِّي الأَنفُسَ ويُطهِّرُها مِن رَذائلِ الأنانيةِ المَقيتة، والأَثَرةِ القبيحة، والشُّحِّ الذَّميم.

٨- حلُّ مشكلةِ حاجاتِ ذَوِي الحاجاتِ مِن أفراد المجتمَعِ الواحد.

مِن صوَر الكرمِ والجُودِ والسَّخاء[1]:

١- العطاءُ مِنَ المالِ مِن كلِّ ما يَمتلِكُ الإنسانُ مِن أشياءَ يُنتفَعُ بها.

٢- العطاءُ مِنَ العِلمِ والمعرفة.

٣- عطاءُ النَّصيحةِ؛ فالإنسانُ الجَوَادُ كريمُ النَّفْسِ؛ لا يَبخَلُ على أخيه بأيِّ نصيحةٍ تَنفَعُه في دِينه أو دُنياهُ.

٤- العطاءُ مِنَ النَّفْسِ؛ فالجَوَادُ يُعطي مِن جاهِه، ويُعطي مِن عطْفِه وحَنانِه.

٥- ومنها العطاءُ مِن طاقات الجسدِ وقُواهُ، فالجَوادُ يُعطي مِن خدَماتِه، ويُعطي مِن جُهْدِه.

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبدالرحمن الميداني (٢/ ٣٦١-٣٦٣) بتصرف واختصار.

٦- ويَرتَقي العطاءُ حتَّى يَصِلَ إلى مستوى التَّضحيةِ بالحياة كلِّها؛ كالمجاهِدِ المُقاتِلِ في سبيلِ اللهِ يَجودُ بحياته لإعلاءِ كَلِمةِ اللهِ ونُصرةِ دِينِه؛ ابتِغاءَ مَرْضاةِ ربِّه.

الأسباب المُعِينة على الكرم والجُودِ والسَّخاء:

١- نفْسُه الطَّيِّبةُ.

٢- حُبُّ عمَلِ الخَيرِ.

٣- توفيقُ اللهِ له بالبَذلِ والنَّفقةِ.

٤- حَثُّ أهلِ الخيرِ له على النَّفقةِ والعطاءِ والكرم.

٥- مُقتضَياتُ المُجتمَعِ الإسلاميِّ وحاجاتُه المُلِحَّةُ إلى التَّعاوُن والتَّكامُلِ؛ لبناءِ الاقتِصادِ الإسلاميِّ بِناءً قويًّا وعزيزًا.

نماذجُ في الكرمِ والجودِ والسخاءِ مِن حياةِ الأنبياءِ والصحابةِ والسَّلفِ الصالحِ:

- ((ما سُئِل رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ على الإسلامِ شَيئًا إلَّا أعْطاهُ، قال: فجاءَهُ رجُلٌ فأَعْطاهُ غَنَمًا بيْن جَبَلَينِ، فرَجَع إلى قَومِه، فقال: يا قَومِ أَسلِموا؛ فإنَّ محمَّدًا يُعْطي عَطاءً لا يَخْشَى الفاقةَ))[١].

- وقال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: ((أَمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أنْ نَتصدَّقَ، فوافَقَ ذلك عِندي مالًا، فقُلْتُ: اليَومَ أَسبِقُ أبا بكرٍ إنْ سبَقْتُه يَومًا، قال: فجِئتُ بنِصفِ مالي، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ما أَبقَيْتَ لأهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَه، وأَتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عِندَه، فقال: يا أبا بكرٍ، ما أَبقَيْتَ لأهْلِكَ؟ قال: أَبقَيْتُ لهُمُ اللهَ ورَسولَه، قُلْتُ: لا أَسبِقُه إلى شَيءٍ أبدًا))[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) واللفظ له. قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه =

- وقال محمَّدُ بنُ صبيحٍ: (لَمَّا قَدِمَ أبو الزِّنادِ الكوفةَ على الصَّدَقاتِ، كَلَّمَ رجُلٌ حَمَّادَ بنَ أبي سُلَيمانَ في رجُلٍ يُكلِّمُ له أبا الزِّنادِ؛ يَستَعينُ في بعضِ أعمالِه، فقال حَمَّادٌ: كَمْ يؤَمِّلُ صاحِبُك مِن أبي الزِّنادِ أنْ يُصيبَ معه؟ قال: أَلْفَ دِرهمٍ، قال: فقد أَمَرْتُ له بخمسةِ آلافِ دِرهمٍ، ولا يَبذُلُ وَجْهي إليه، قال: جزاك اللهُ خيرًا، فهذا أَكثَرُ ممَّا أَمَّلَ ورَجَا. قال عُثمانُ: وقال ابنُ السَّمَّاكِ: فكَلَّمَه آخَرُ في ابنِه أنْ يُحوِّلَه مِن كُتَّابٍ إلى كُتَّابٍ، فقال للَّذي يُكلِّمُه: إنَّما نُعْطي المُعلِّمَ ثلاثين كلَّ شَهرٍ، وقد أَجرَيْناها لصاحِبِك مائةً، دَعِ الغُلامَ مَكانَه)[1].

نماذجُ مِن كرمِ العربِ وجُودِهم في الجاهليَّة:

كان حاتمٌ الطائيُّ من أشهرِ مَن عُرِف عند العربِ بالجودِ والكرمِ، حتى صار مضربَ المثل في ذلك، وكان من صِفاتِه: أنَّه يفكُّ العاني -الأسير-، ويُشبع الجائعَ، ويُطعمُ الطعامَ، ويُفشي السلامَ، ولم يَردَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ[2].

حِكَمٌ وأمثالٌ وشِعرٌ في الكرمِ والجُود:

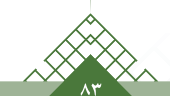
- أَقْرَى مِن زادِ الرَّكبِ: وهو مِن أمثالِ قُرَيشٍ؛ ضَرَبوه لثلاثةٍ مِن أَجوَدِهم: مسافرِ بنِ أبي عَمرِو بنِ أُمَيَّةَ، وأبي أُمَيَّةَ بنِ المُغيرةِ، والأَسْوَدِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى، سُمُّوا زادَ الرَّكبِ؛ لأنَّهم كانوا إذا سافَروا مع قَومٍ لم يَتَزَوَّدوا معهم.

- أَكرَمُ من الأسَدِ: لأنَّه إذا شَبِع تَجافى عمَّا يَمُرُّ به، ولم يَتعرَّضْ له.

= الحاكم في ((المستدرك)) (١/ ٥٧٤) وقال: على شرط مسلم. والنووي في ((المجموع)) (٦/ ٢٣٦).

(١) ((الكرم والجود وسخاء النفوس)) للبرجلاني (ص: ٥٧).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ٣٥٩).



- وقال المُنتصِرُ بنُ بلالٍ الأنصاريُّ:

الجُودُ مَكرَمــةٌ والبُخــلُ مَبغَضةٌ ... لا يَســتوي البُخلُ عِندَ اللهِ والجُودُ

والفَقــرُ فيهِ شُـــخوصٌ والغِنى دَعَةٌ ... والنَّاسُ في المالِ مَرزوقٌ ومَحدودُ[1]



(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ٢٣٥).

حُسنُ الظَّنِّ

معنى حُسنِ الظنِّ:

الحُسنُ لُغةً: الحُسنُ نَقيضُ القُبحِ، يُقالُ: رجُلٌ حَسَنٌ، وامرأةٌ حسَنَةٌ[١].

الظَّنُّ لُغةً: الظَّنُّ شَكٌّ ويقينٌ، إلَّا أنَّه ليس بيقينِ عِيانٍ، إنَّما هو يَقينُ تَدَبُّرٍ، فأمَّا يقينُ العِيَانِ فلا يُقالُ فيه إلَّا عِلمٌ، وهو يَكونُ اسمًا ومَصدَرًا، وجمعُ الظَّنِّ الَّذي هو الاسمُ: ظُنُونٌ[٢].

الظَّنُّ اصطلاحًا: الظَّنُّ هو الاعتِقادُ الرَّاجِح مع احتِمالِ النَّقيضِ. ويُستعمَلُ في اليقينِ والشَّكِّ. وقيل: الظَّنُّ أحَدُ طرَفَيِ الشَّكِّ بصِفةِ الرُّجْحان[٣]. وقال ابن فارسٍ: الظَّاءُ والنُّونُ أُصَيْلٌ صحيحٌ، يدُلُّ على مَعنَيَينِ مُختلِفَينِ: يَقينٍ، وشكٍّ[٤].

حُسنُ الظَّنِّ اصطلاحًا: تَرجيحُ جانبِ الخيرِ على جانب الشَّرِّ[٥].

الفَرق بيْن الشَّكِّ والظَّنِّ والوَهم[٦]:

الشَّكُّ: خِلافُ اليَقينِ، والتَّردُّدُ بيْن الطَّرَفَينِ إنْ كان على السَّواءِ فهو الشَّكُّ، وإلَّا فالرَّاجِحُ ظَنٌّ، والمَرجوحُ وَهمٌ.

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٥/ ٢٠٩٩).

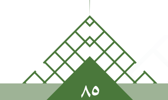
(٢) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ٢٧٢).

(٣) ((التعريفات)) للجرجاني (١/ ١٨٧).

(٤) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤٦٣).

(٥) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٥/ ١٧٩٧).

(٦) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٠٤، ٣٤٢ - ٣٤٣).



التَّرغيب والحثُّ على حُسنِ الظَّنِّ من القرآن والسُّنَّة:

- قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

- وعنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، قال: ((إيَّاكم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ، ولا تحسَّسوا، ولا تجَسَّسوا، ولا تناجَشوا، ولا تحاسَدوا، ولا تباغَضوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا))[١].

أقوالُ السَّلف والعلماءِ في حُسنِ الظَّنِّ:

- قال عُمرُ بنُ الخطَّاب رَضيَ اللهُ عنه: (لا يَحِلُّ لامرئٍ مُسْلمٍ يَسمَعُ مِن أخيه كَلِمةً يَظُنُّ بها سُوءًا وهو يَجِدُ لها في شَيءٍ مِنَ الخَيرِ مَخرَجًا. وقال أيضًا: لا يَنتَفِعُ بنفْسِه مَن لا يَنتَفِعُ بظَنِّه)[٢].

- وعن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ قال: (كَتَبَ إليَّ بعضُ إخواني مِن أصحاب رسولِ اللهِ: أنْ ضَعْ أمْرَ أخيك على أحسَنِه، ما لَمْ يَأتِكَ ما يَغلِبُك، ولا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خرَجَتْ مِن امرِئٍ مسْلمٍ شرًّا، وأنتَ تَجِدُ لها في الخَيرِ مَحمَلًا)[٣].

أقسام الظَّنِّ:

يَنقَسِمُ الظَّنُّ مِن حيث الحمدُ والذَّمُّ إلى قِسمَينِ:

١- **ظَنٍّ محمودٍ:** وهو ما سَلِمَ معه دِينُ الظَّانِّ والمَظنونِ به عِندَ بُلوغِه[٤].

٢- **ظَنٍّ مذمومٍ:** وهو ضِدُّ الأوَّلِ المحمودِ، وهو ما يُتخيَّلُ وقوعُه من الغيرِ مِن

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦) واللفظ له، ومسلم (٢٥٦٣).
(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/ ٤٧).
(٣) ((الاستذكار)) لابن عبد البر (٨/ ٢٩١).
(٤) ((تفسير القرطبي)) (١٦/ ٣٣٢).

غيرِ مُستندٍ يقينيٍّ عليه، وقد صمَّم عليه القلبُ أو تكلَّمَ به اللسانُ من غيرِ مُسوِّغٍ شرعيٍّ، وهو سُوءُ الظَّنِّ المَنهيُّ عنه شرْعًا(١).

فوائد حُسنِ الظَّنِّ:

١- حُسنُ الظنِّ علامةٌ على كمال الإيمانِ في قلبِ المُتحلِّي به.

٢- فيه إغلاقُ بابِ الفِتنةِ والشَّرِّ على الشَّيطانِ الرَّجيمِ.

٣- طريقٌ مِن طُرُقِ زِيادةِ الأُلْفةِ والمَحبَّةِ بيْن أفرادِ المجتمَعِ المسْلمِ.

٤- فيه حمايةٌ لأعراضِ المُسْلمينَ مِن أنْ تُلاكَ بالباطل، أو يُفترَى عليها بغيرِ حقٍّ.

٥- حِصنٌ مَنيعٌ يَحمي المجتمَعَ مِن إشاعة الفاحشة، وانتِشارِ الرَّذيلة، وبه يَسلَمُ المجتمَعُ مِنِ انتِهاكِ حُقوقِ النَّاسِ وأعراضِهم وخُصوصيَّاتِهم.

٦- دليلٌ على سلامة القلبِ، وطهارةِ النَّفْسِ، وزَكاءِ الرُّوحِ.

مِن صُوَر حُسنِ الظَّنِّ:

١- حُسنُ الظَّنِّ بالله؛ فقد قال النبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قبلَ مَوتِه بثلاثةِ أيَّامٍ: ((لا يَموتَنَّ أَحَدُكُم إلَّا وهوَ يُحسِنُ الظَّنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ))(٢).

٢- حُسنُ الظَّنِّ بوُلاةِ الأمورِ مِنَ العُلماءِ والأمراءِ: فلا يَنتظِمُ أمْرُ هذه الأمَّةِ إلَّا بالعَلاقةِ الحسنةِ بيْن أفرادِها؛ رُؤساءَ ومَرْؤُوسينَ، وأُمراءَ ورَعيَّةٍ، وعُلماءَ وعامَّةٍ.

٣- حُسنُ الظَّنِّ بالإخوانِ والأصدقاءِ.

٤- حُسنُ الظَّنِّ بيْن الزَّوجَينِ؛ فإحسانُ الظَّنِّ بيْن الزَّوجَينِ مِن أهَمِّ الدَّعائمِ

---

(١) ((روضة العقلاء)) لأبي حاتم البستي (ص: ١٢٧)، ((الزواجر)) للهيتمي (٢/ ٩).

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

الَّتي يُبنى عليها البيتُ الدَّائمُ والمستقِرُّ والمُطمئِنُّ.

موانعُ اكتِسابِ حُسنِ الظَّنِّ:

١- العَيشُ في مُجتمَعٍ يَغلِبُ عليه سُوءُ الظَّنِّ، وانتِشارُ الشُّكوكِ في أفرادِه.

٢- التَّربيةُ مُنذُ الصِّغَرِ على سُوءِ الظَّنِّ، وتَغليبِ جانبِ التُّهمةِ على السَّلامة.

٣- الجَهلُ بأحكامِ الدِّينِ الحَنيفِ، والابتعادُ عن تعاليمِه الدَّاعيةِ إلى حُسنِ الظَّنِّ.

٤- الجهلُ بهذه الصِّفةِ الطَّيِّبةِ وآثارِها الجَميلةِ في المجتمَعِ.

٥- الحسدُ والغِلُّ والحقدُ، وهذه الصِّفاتُ تَدْعو إلى سُوءِ الظَّنِّ بالإخوانِ النَّاشئِ عن تَمنِّي الشَّرِّ لهم.

الوَسائلُ المُعِينةُ على اكتِسابِ حُسنِ الظَّنِّ:

١- دُعاءُ اللهِ تبارَك وتعالى، والابتِهالُ إليه حتَّى يَمُنَّ عليك بقلبٍ سليمٍ.

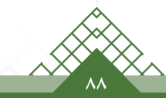
٢- الاقتِداءُ بالرَّسولِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وصَحابتِه الكِرام، وسلَفِ الأمَّةِ الصَّالحِ في حُسنِ ظَنِّهم ببعضِهم، وتَعامُلِهم مع الإشاعات والأكاذيب، ومُحافظتِهم على أواصِرِ الحُبِّ والمَودَّةِ بيْنهم.

٣- التَّربيةُ الحسَنةُ للأبناء مُنذُ نُعومةِ أَظفارِهم على حُسنِ الظَّنِّ.

٤- أنْ يُنزِلَ المرءُ نفْسَه مَنزِلةَ غَيرِه، وهو عِلاجٌ ربَّانيٌّ.

٥- مُحاولةُ زيادةِ الإيمانِ؛ بفعلِ الطَّاعات، وعلاجِ أمراضِ القلبِ كالحسد والغِلِّ.

٦- حمْلُ الكلامِ على أَحسَنِ مَحامِلِه ما استَطاع إلى ذلك سبيلًا.



نماذجُ لحُسنِ الظَّنِّ من حياة النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلف:

- عَلَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أصحابَه رِضوانُ اللهِ علَيهِم حُسنَ الظَّنِّ، وبيَّن لهم أنَّ الأصلَ في المؤمِنِ السَّلامةُ، وأنَّ الإنسانَ لا بدَّ له مِنَ التِماسِ الأعذارِ لِمَن حَوْلَه، وعليه أنْ يَطرُدَ الشُّكوكَ والرِّيبةَ التي قد تَدخُلُ في قلبِه فيَترتَّبُ عليها مِنَ الآثار ما لا يُحمَدُ عُقباه، فهذا رجُلٌ جاء إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وقد داخلَتْه الرِّيبةُ في امرأتِه، وأحاطَتْ به ظُنونُ السُّوءِ فيها؛ لأنَّها ولدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ على غيرِ لَونِه ولَونِها، فأزالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ ما في قلبِه مِن ظَنٍّ وريبةٍ؛ بسُؤالِه عن لَونِ إبلِه، فقال: ((حُمْرٌ. قال: هل فيها مِن أَوْرَقَ؟ قال: نعَمْ، قال: فأنَّى ذلك؟ قال: لعلَّه نَزَعَهُ عِرْقٌ، قال: فلَعَلَّ ابنَكَ هذا نَزَعَهُ عِرْقٌ))[1].

- وقد كان الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ علَيهِم مِثالًا يُحتذَى بهم في حُسنِ الظَّنِّ بالمؤمِنينَ، فهذا أبو أيُّوبَ، خالدُ بنُ زَيدٍ، قالتْ له امرأتُه أُمُّ أيُّوبَ: يا أبا أيُّوبَ، ألا تَسمَعُ ما يَقولُ النَّاسُ في عائشةَ؟ قال: بلى، وذلك الكَذِبُ. أكنتِ أنتِ يا أُمَّ أيُّوبَ فاعِلةً ذلك؟ قالت: لا واللهِ ما كنتُ لِأَفعَلَه، قال: فعائشةُ واللهِ خَيرٌ مِنكِ. قال: فلمَّا نَزَلَ القرآنُ ذَكَرَ اللهُ مَن قال في الفاحشةِ ما قال، ثمَّ قال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، أي: فقُولوا كما قال أبو أيُّوبَ وصاحبتُه[2].

- وحين مرِضَ الإمامُ الشَّافعيُّ رحِمه اللهُ وأتاهُ بَعضُ إخوانِه يَعُودُه، فقال للشَّافعيِّ: قَوَّى اللهُ ضَعفَكَ، قال الشَّافعيُّ: لو قوَّى ضَعفِي لقتَلَني، قال: واللهِ ما

(١) أخرجه البخاري(٥٣٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الطبري في ((التفسير)) (١٩/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم في ((التفسير)) (١٥٠١٣).

أَرَدْتُ إلَّا الخَيرَ، فقال الإمامُ: أَعلَمُ أنَّك لو سبَبْتَني ما أَرَدْتَ إلَّا الخَيرَ.

حُسنُ الظَّنِّ في واحةِ الأدبِ والأمثالِ والشِّعر:

- قيل لبعض العُلماءِ: (مَن أَسْوأُ النَّاسِ حالًا؟ قال: مَن لا يَثِقُ بأحدٍ لسُوءِ ظَنِّه، ولا يَثِقُ به أحَدٌ لسُوءِ فِعلِه).

- قال المُتَنبي:

إذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَتْ ظُنونُهُ وصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وعادَى مُحبِّيهِ بقَولِ عِداتِهِ فأَصْبَحَ في داجٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ[1]



(١) ((ديوان المتنبي)) (ص: ٤٥٩ - ٤٦٠).

الحِكمة

معنى الحِكمة:

الحِكمةُ لُغةً: أَحكَمَ الأمرَ: أَتقَنَه فاستَحكَمَ ومَنَعَه عنِ الفَسادِ. وتُطلق الحِكمةُ على العدلِ، والعِلمِ، والحِلمِ، والنُّبوَّةِ، وغير ذلك. والحَكيمُ: المُتقِنُ للأمورِ[1].

الحِكمةُ اصطلاحًا: اسْمٌ لإحكامِ وَضْعِ الشَّيءِ في مَوضِعِه. وفِعلُ ما يَنبَغي، على الوَجهِ الَّذي يَنبغي، في الوقتِ الَّذي يَنبَغي[2].

مِن معاني الحِكمة[3]:

تُطْلَقُ الحِكمةُ على مَعانٍ عِدَّةٍ؛ منها ما يلي:

١- الحِكمةُ بمعنَى السُّنَّةِ وبيانِ الشَّرائعِ؛ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

٢- الحِكمةُ بمعنَى النُّبوَّةِ؛ قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٣- الحِكمةُ بمعنَى الفَهمِ وحُجَّةِ العقلِ وَفقًا للشَّريعةِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٤١٩)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٦٢)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ١٤٠-١٤٣)، ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (ص: ١٤١٥)، ((المعجم الوسيط)) (١/ ١٩).

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٢/ ٤٤٩).

(٣) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٥/ ١٦٩٢).

ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

الحِكمة في القُرآن الكريم والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: بالمقالةِ المُحكَمةِ الصَّحيحةِ[١].

- قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

- وعنِ ابنِ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: سمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يَقولُ: ((لا حَسَدَ إلَّا في اثنَتَينِ: رجُلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فسَلَّطَهُ على هَلَكَتِه في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ حِكمةً فهُوَ يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها))[٢].

- وعن مالكِ بنِ صَعْصَعةَ رَضيَ اللهُ عنهُما قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((بَيْنا أنا عِندَ البَيتِ بيْن النَّائِمِ واليَقْظانِ- وذَكَر -يعني: رجُلًا بيْن الرَّجُلَينِ- فأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمةً وإِيمانًا، فشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إلى مَراقِّ البَطْنِ، ثمَّ غُسِلَ البَطْنُ بماءِ زَمْزَمَ، ثمَّ مُلِئَ حِكْمةً وإِيمانًا))[٣].

آثارُ السَّلف وأقوالُ العلماءِ في الحِكمة:

- كَتَب سَلْمانُ إلى أبي الدَّرْداءِ: (إنَّما العِلمُ كاليَنابيعِ فيَنفَعُ به اللهُ مَن شاءَ،

---

(١) ((تفسير القاسمي)) (٦/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (٨١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٤).

ومَثَلُ حِكمةٍ لا يُتكلَّمُ بها كجسَدٍ لا رُوحَ له)[1].

- وقال عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: (إذا رأيْتُمُ الرَّجُلَ يُطيلُ الصَّمتَ ويَهرُبُ مِنَ النَّاسِ فاقرُبوا منه؛ فإنَّه يُلَقَّى الحِكمةَ)[2].

- وقال القُرْطِبيُّ: (الحِكمةُ مَصْدرٌ مِنَ الإحكامِ، وهو الإتقانُ في قَولٍ أو فِعلٍ، فكلُّ ما ذُكِر فهو نَوعٌ مِنَ الحِكمةِ الَّتي هي الجِنسُ، فكِتابُ اللهِ حِكمةٌ، وسُنَّةُ نَبيِّه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ حِكمةٌ، وكلُّ ما ذُكِر مِنَ التَّفصيلِ فهو حِكمةٌ. وأصلُ الحِكمةُ ما يُمتنَعُ به مِنَ السَّفَهِ. فقيل للعِلمِ حِكمةٌ؛ لأنَّه يُمتنَعُ به مِنَ السَّفهِ، وبه يُعلَمُ الامتِناعُ مِنَ السَّفهِ الَّذي هو كلُّ فِعلٍ قَبيحٍ...)[3].

أنواع الحِكمة:

الحِكمةُ نَوعانِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: حِكمةٌ عِلميَّةٌ نَظَريَّةٌ، وهي الاطِّلاعُ على بَواطنِ الأشياءِ، ومعرفةُ ارتباطِ الأسبابِ بمُسبَّباتِها؛ خَلْقًا وأمْرًا، قَدَرًا وشرعًا.

النَّوعُ الثَّاني: حِكمةٌ عمَليَّةٌ، وهي وضْعُ الشَّيءِ في مَوضِعِه[4].

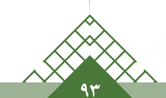
دَرَجات الحِكمة:

وهي على ثَلاثِ درَجاتٍ:

الدَّرجةُ الأُولى: أنْ تُعطيَ كلَّ شَيءٍ حقَّه، ولا تُعدِّيَه حدَّه، ولا تُعجِّلَه عن وَقتِه، ولا تؤَخِّرَه عنه. ولها ثلاثةُ أركانٍ: العِلمُ، والحِلمُ، والأَناةُ. وآفاتُها وأضْدادُها:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٥٨١١) واللفظ له، والدارمي (٥٥٧) بنحوه.
(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٨٩).
(٣) ((تفسير القرطبي)) (٣/ ٣٣٠).
(٤) ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٢/ ٤٧٨).



الجَهلُ، والطَّيشُ، والعَجَلةُ.

الدَّرجةُ الثَّانيةُ: أنْ تَشهَدَ نَظَرَ اللهِ في وعْدِه، وتَعرِفَ عَدْلَه في حُكمِه، وتَلحَظَ بِرَّهُ في مَنعِه، أي: تَعرِفَ الحِكمةَ في الوَعدِ والوَعيدِ.

وكذلك تَعرِفَ عَدْلَه في أحكامِه الشَّرعيَّةِ، والكَونيَّةِ الجاريةِ على الخَلائِقِ.

الدَّرجةُ الثَّالثةُ: أنْ تَبلُغَ في استِدلالِكَ البَصيرةَ، وفي إرشادِكَ الحقيقةَ، وفي إشارتِكَ الغايةَ[1].

فوائد الحكمة:

١- أنَّها طريقٌ إلى معرفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، موَصِّلةٌ إليه، مُقرِّبةٌ منه، وحينها يَنقطِعُ العبدُ عمَّن سِواه، ولا يَطمَعُ في غَيرِه.

٢- أنَّها سِمَةٌ مِن سِماتِ الأنبياءِ والصَّالِحينَ، وعَلامةٌ للعُلماءِ العامِلينَ، ومَزيَّةٌ للدُّعاةِ المُصلِحينَ.

٣- الإصابةُ في القَولِ، والسَّدادُ في العمل.

٤- أنَّها تَرفَعُ الإنسانَ درَجاتٍ وتُشرِّفُه، وتَزيدُ مِن مَكانتِه بيْن النَّاسِ[2].

٥- فيها دَلالةٌ على كمالِ عقلِ صاحبِها، وعُلُوِّ شأنِه، وهذا يَجعَلُه قريبًا مِنَ النَّاسِ، حبيبًا لقُلوبِهم.

٦- تَحفَظُ الإنسانَ مِنَ ارتِكابِ السُّوءِ والتَّلفُّظِ به، وارتكابِ المَحذوراتِ، والتَّجنِّي على الغَيرِ، وعمَلِ ما يَضطَرُّه للاعتِذارِ وطلَبِ العَفوِ، قال أبو القاسم الجُنَيدُ بنُ محمَّدٍ، وقد سُئِل عمَّا تَنهَى الحِكمةُ؟ فقال: (الحِكمةُ تَنهَى عن كلِّ

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٤٤٨ - ٤٥٢) بتصرف.

(٢) ((الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه)) لأبي هلال العسكري (ص: ٥٠).

ما يُحتاجُ أنْ يُعتذَرَ منه، وعن كلِّ ما إذا غاب عِلمُه عن غَيرِك، أَحشَمَكَ ذِكرُه في نفْسِك)[1].

وسائل اكتسابِ الحكمة:

الحِكمةُ مِن حيث الاكتِسابُ وعدَمُه تَنقسِمُ إلى قِسمَينِ:

- **حِكمةٍ فِطْرِيَّةٍ**: يؤْتيها اللهُ تبارَك وتعالى مَن يَشاءُ، ويَتفضَّلُ بها على مَن يُريدُ، وهذه لا يَدَ للعبدِ فيها[2].

- **حِكمةٍ مُكتسَبةٍ**: يُعالِجُها العبدُ حتَّى يَكتسِبَها؛ بفِعلِ أسبابِها، وترْكِ مَوانِعِها، فيَسهُلَ انقيادُها له، ويمكن إجمالُ طُرُقِ اكتِسابِها في النِّقاطِ التَّاليةِ:

١- التَّفقُّهُ في الدِّينِ، وهو مِنَ الخَيرِ الكثيرِ الَّذي أشارتْ إليه الآيةُ؛ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩][3].

٢- مُجالَسةُ أهلِ الصَّلاحِ، والاختِلاطُ بهم، والاستِفادةُ منهم.

٣- العِبادةُ الحَقَّةُ للهِ تبارَك وتعالى، والارتباطُ الوَثيقُ به، والبُعدُ عنِ المَعاصي.

٤- تَحرِّي الحَلالِ في مَأكَلِه ومَشرَبِه ومَلبَسِه وشأْنِه كلِّه سببٌ في نَيلِ الحِكمةِ والوُصولِ إلى مَصافِّ الحُكماءِ.

٥- كَثرةُ التَّجارِبِ، والاستِفادةُ مِن مَدرسةِ الحياةِ.

٦- ألَّا يَعتمِدَ المَرءُ على رأيِ نفْسِه دُون أنْ يَستَشيرَ ذَوي الخِبرةِ والتَّجرِبةِ مِن إخوانِه الصَّالِحينَ؛ لِيَزدادَ بَصيرةً بالعواقبِ[4].

---

(١) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم (١٣/ ٢٦١).
(٢) ((الإشراف في منازل الأشراف)) لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٢).
(٣) ((هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا)) لمحمود الخزندار (ص: ١٢٢).
(٤) ((الرائد دروس في التربية والدعوة)) مازن الفريح (٣/ ٤٤).

موانِع اكتِساب الحِكمة:

١- قال إبراهيمُ الخَوَّاصُ: (الحِكمةُ تَنزِلُ مِنَ السَّماءِ فلا تَسكُنُ قلْبًا فيه أربعةٌ: الرُّكونُ إلى الدُّنيا، وهَمُّ غَدٍ، وحُبُّ الفُضولِ، وحسَدُ أخٍ)[1].

٢- التَّعجُّلُ في الأُمورِ، وترْكُ التَّأنِّي في اتِّخاذِ القَرارِ.

٣- ضِيقُ الأُفُقِ، وعدَمُ التَّفكُّرِ في عَواقِبِ الأُمورِ.

٤- فقْدُ البَصيرةِ الدَّالَّةِ على حقائقِ الأُمورِ، فيَتَّخِذُ قَرارَه على ظَواهِرِها.

٥- عدَمُ استِعمالِ مَشورةِ الصَّالِحينَ وأهلِ الخِبرةِ في أُمورِه.

٦- عدَمُ الاستِفادةِ مِن خِبراتِ السَّابِقينَ والنَّظرِ في سياساتِهم مع النَّاسِ.

٧- قِلَّةُ الاطِّلاعِ والنَّظرِ في عُلومِ الدِّينِ؛ فالعِلمُ النَّافعُ هو الَّذي يُحصِّنُه ويُنجِّيه عِندَ الشَّدائِدِ.

نماذجُ دالَّةٌ على صِفةِ الحِكمةِ عندَ الأنبياءِ والصَّحابةِ والسَّلف:

- عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((بيْنَما امرَأتانِ معَهما ابناهُما، جاءَ الذِّئبُ، فذَهَب بابنِ إحداهُما، فقالَتْ هذه لصاحِبَتِها: إنَّما ذَهَب بابنِكِ أنتِ، وقالَتِ الأُخرَى: إنَّما ذَهَب بابنِكِ، فتَحاكَمَتا إلى داوُدَ، فقَضَى به للكُبْرى، فخَرَجتا على سُليمانَ بنِ داوُدَ عليهما السَّلامُ، فأخْبَرتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّينِ أشُقُّه بينكما، فقالَتِ الصُّغْرَى: لا، يرحَمُك اللَّهُ، هو ابنُها، فقَضَى به لِلصُّغْرَى))[2].

- وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، زَوجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، أنَّها قالتْ

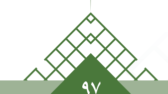
(١) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصفهاني (١٠/ ٣٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠) واللفظ له.

للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ((هل أَتَى عليكَ يَومٌ كان أَشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ قال: لقد لَقيتُ مِن قَومِكِ ما لَقِيتُ، وكان أَشَدُّ ما لَقِيتُ مِنهُم يَومَ العَقَبةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسي على ابنِ عَبدِ يَاليلَ بنِ عَبدِ كُلالٍ فلَمْ يُجِبْني إلى ما أَرَدْتُ، فانطَلَقْتُ وأنا مَهْمومٌ على وَجْهي، فلمْ أَستَفِقْ إلَّا وأنا بِقَرْنِ الثَّعالِبِ، فرَفَعْتُ رَأْسي فإذا أنا بسَحابةٍ قدْ أَظَلَّتْني، فنَظَرْتُ فإذا فيها جِبريلُ، فناداني، فقال: إنَّ اللهَ قدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لكَ وما رَدُّوا عَلَيكَ، وقد بَعَثَ إلَيكَ مَلَكَ الجِبالَ؛ لِتَأْمُرَهُ بما شِئتَ فيهِم. فناداني مَلَكُ الجِبالِ، فسَلَّمَ عليَّ، ثمَّ قال: يا مُحمَّدُ، فقال ذلكَ، فيما شِئتَ، إنْ شِئتَ أن أُطْبِقَ عليهِمُ الأَخشَبَينِ؟ فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: بلْ أَرْجو أنْ يُخرِجَ اللهُ مِن أَصْلابِهِم مَن يَعبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لا يُشرِكُ بهِ شَيئًا))[(١)].

- وقد أَثبَت أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ اللهُ عنهُ حِكمتَه العاليةَ في تَثبيتِ الصَّحابةِ لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، حيثُ تشهَّدَ وقال: ((أمَّا بَعدُ، فمَن كان مِنكُم يَعبُدُ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فإنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد ماتَ، ومَن كان يَعبُدُ اللهَ، فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَموتُ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، واللهِ لَكأنَّ النَّاسَ لم يَكونوا يَعلَمون أنَّ اللهَ أنزَلَها حتَّى تلاها أبو بكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، فتَلَقَّاها مِنهُ النَّاسُ، فما يُسمَعُ بَشَرٌ إلَّا يَتْلُوها))[(٢)].

- وحَجَّ سُلَيمانُ بنُ عبدِ الملِكِ ومعه عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، فأصابَهم بَرْقٌ ورَعْدٌ، حتَّى كادَتْ تَنخلِعُ قُلوبُهم، فنَظَر سُلَيمانُ إلى عُمرَ وهو يَضحَكُ، فقال سُلَيمانُ: يا أبا حَفصٍ، هل رأيْتَ مِثلَ هذهِ اللَّيلةِ قطُّ أو سمِعتَ بها؟ فقال: يا أميرَ المؤْمنينَ، هذا صَوتُ رحمةِ اللهِ، فكيف لو سمِعتَ صَوتَ عذابِ اللهِ؟

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٢).



فقال: هذهِ المائةُ أَلْفِ دِرهَمٍ، فتَصدَّقْ بها. فقال عُمرُ: أو خَيرٌ مِن ذلك يا أميرَ المؤْمنينَ؟ قال: وما هو؟ قال: قَومٌ صَحِبوك في مَظالمَ لهُم لم يَصِلوا إليكَ، فجَلَس سُلَيمانُ فرَدَّ المَظالمَ[1].

شِعرٌ عن الحِكمة:

قال الشاعر:

إذا ما أَردْتَ النُّطقَ فانطِقْ بحِكمةٍ ... وزِنْ قَبلَ نُطقٍ ما تَقولُ وقَوِّمِ

فمَن لم يَزِنْ ما قال لا عَقلَ عِندَهُ ... ونُطقٌ بوَزنٍ كالبِناءِ المُحَكَّمِ

فإنْ لم تَجِدْ طُرْقَ المَقالِ حَميدةً ... تَجَمَّلْ بحُسنِ الصَّمتِ تُحمَدْ وتَسلَمِ

فكمْ صامتٍ يَلقَى المَحامِدَ دائمًا ... وكم ناطِقٍ يَجْني ثِمارَ التَّندُّمِ[2]



(١) ((مناقب عمر)) لابن الجوزي (ص: ٥٢-٥٣)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٥/ ١٢١).
(٢) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) للسلمان (١/ ٣٤٠-٣٤١).

الحِلم

معنى الحِلم:

الحِلمُ لُغةً: الأَناةُ والعقلُ، وهو خلافُ الطَّيشِ، وجمْعُه: أَحْلامٌ، وحُلُومٌ[1].

الحِلمُ اصطلاحًا: ضَبطُ النَّفْسِ والطَّبعِ عن هَيَجانِ الغضبِ[2].

الفَرق بيْن الحِلمِ وبعضِ الصِّفات[3]:

• الفَرْق بيْن الحِلم والصَّبر:

الحِلمُ هو الإمهالُ بتأخيرِ العِقابِ المُستحَقِّ، والحِلمُ مِنَ اللهِ تعالى عنِ العُصاةِ في الدُّنيا فِعلٌ يُنافي تَعجيلَ العُقوبةِ مِنَ النِّعمةِ والعافيةِ. والصَّبرُ: حَبسُ النَّفْسِ لِمُصادفةِ المَكروهِ، وصَبرُ الرَّجُلِ: حَبْسُ نفْسِه عن إظهارِ الجَزَعِ، والجَزَعُ: إظهارُ ما يَلحَقُ المُصابَ مِنَ المَضضِ.

• الفرق بيْن الحِلم والأَناةِ والرِّفق:

الحِلمُ: أنْ يَملِكَ الإنسانُ نفْسَه عِندَ الغضبِ، إذا حصَلَ غضَبٌ وهو قادرٌ فإنَّه يَحلُمُ ولا يُعاقِبُ ولا يَعجَلُ بالعُقوبةِ. وأمَّا الأَناةُ: فهي عدَمُ العَجلةِ في الأمورِ، وألَّا يَأخُذَ الإنسانُ الأمورَ بظاهِرِها فيَتعجَّلَ ويَحكُمَ على الشَّيءِ قَبلَ أن يَتأنَّى فيه ويَنظُرَ. وأمَّا الرِّفقُ: فهو مُعامَلةُ النَّاسِ بالهَونِ حتَّى وإنِ استَحَقُّوا ما يَستحِقُّون

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٩٣)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ١٤٥).

(٢) ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٥٣).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٧٩، ١٩٩، ٥٧٥)، ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/ ٥٧٣).

مِنَ العقوبةِ والنَّكالِ فإنَّه يَرفُقُ بهم.

التَّرغيب في صِفة الحِلم من القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

- وقال عزَّ وجلَّ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضِيَ اللهُ عنه: ((قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: إنَّ فيكَ لخَصلتَينِ يُحِبُّهُما اللهُ: الحِلمُ، والأَناةُ))(١).

- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ليس الشَّديدُ بالصُّرَعةِ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يَملِكُ نفْسَهُ عِندَ الغضَبِ))(٢).

أقوال السَّلف والعلماء في الحِلم:

- قال عليُّ بنُ أبي طالب رَضيَ اللهُ عنه: (ليس الخيرُ أن يَكثُرَ مالُك وولَدُك، ولكِنَّ الخيرَ أن يَكثُرَ عِلمُك ويَعظُمَ حِلمُك، وأن تباهيَ النَّاسَ بعبادةِ رَبِّك؛ فإنْ أحسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وإنْ أسأتَ استغفَرْتَ اللهَ)(٣).

- وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: (العِلمُ خَليلُ المؤمِنِ، والحِلمُ وَزيرُه، والعقلُ دَليلُه، والعمَلُ قِيمتُه، والصَّبرُ أَميرُ جُنودِه، والرِّفقُ أَبوهُ، واللِّينُ أَخوهُ)(٤).

(١) أخرجه مسلم (١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) أخرجه الدارقطني في ((المؤتلف والمختلف)) (٢/ ١٠٦٢)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/ ٧٥) واللفظ له موقوفًا.

(٤) أخرجه ابن شاهين في ((التَّرغيب في فضائل الأعمال)) (٢٤٩) واللفظ له، وابن عساكر في ((تاريخ =

- وقال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ -رحِمَه اللهُ تعالى-: (ما أَوَى شَيءٌ إلى شَيءٍ أَزيَنُ مِن حِلمٍ إلى عِلمٍ)[1].

آثار خُلُقِ الحِلمِ وفوائِدُه:

١- الحليم يَفوزُ بِرِضا اللهِ وثَوابِه.

٢- الحليم عظيمُ الشَّأنِ، رَفيعُ المكانِ، مَحمودُ الأمرِ، مَرْضيُّ الفِعلِ[2].

٣- دليلُ كَمالِ العقلِ، وسَعةِ الصَّدرِ، وامتِلاكِ النَّفْسِ.

٤- يَعمَلُ على تآلُفِ القُلوبِ، ونَشرِ المَحبَّةِ بيْن النَّاسِ.

٥- يُزيلُ البَغضاءَ بيْن النَّاسِ، ويَمنَعُ الحسَدَ، ويُميلُ القُلوبَ.

٦- يَستحِقُّ صاحبُه الدَّرَجاتِ العُلَى، والجَزاءَ الأَوْفى[3].

الوسائل المُعِينة للتَّخلُّقِ بصِفة الحِلم:

الأُولى: تذَكُّرُ كَثرةِ حِلمِ اللهِ على العبدِ، فاللهُ سبحانَه وتعالى حليمٌ، يرَى مَعصيةَ العاصي ومُخالَفتَه لأمْرِه فيُمهِلُه؛ قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

الثَّانية: تذَكُّرُ الثَّوابِ مِنَ اللهِ للعافِينَ عنِ النَّاسِ؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

= دمشق)) (٦٣/ ٣٨٨).

(١) أخرجه الدارمي (٥٧٦) واللفظ له، والبيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (٥٠٧).

(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ٢٠٨).

(٣) ((نضرة النعيم)) لمجموعة من العلماء (٥/ ١٧٥٢) - بتصرف.

الثَّالثة: الرَّحمةُ بالجاهلِ.

الرَّابعة: القُدرةُ على الانتصارِ، وهذا ناتِجٌ عن سَعةِ الصَّدرِ، والثِّقةِ بالنَّفسِ، ومِن ذلك عَفْوُه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ عن حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعة رَضيَ اللهُ عنه.

الخامسة: التَّرفُّعُ عنِ المُعاملةِ السَّيِّئةِ بالمِثلِ، وهذا يدُلُّ على شرَفِ النَّفْسِ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ.

السَّادسة: التَّفضُّلُ على المُسيءِ.

نماذجُ مِن حلم النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلف الصَّالح:

- لقد بلَغ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ غايةَ الحِلمِ والعَفوِ، والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ حافِلةٌ بمَواقفِ الرَّسولِ الكريمِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في الحِلمِ، ومِن ذلك قِصَّةُ الأعرابيِّ الَّذي جَبَذَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بردائِه جَبْذةً شديدةً، فعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه قال: ((كنتُ أَمْشي مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وعلَيهِ بُرْدٌ نَجْرانيٌّ غَليظُ الحاشيةِ، فأَدرَكه أعرابيٌّ فجَبَذه بردائِه جَبْذةً شديدةً حتَّى نظَرْتُ إلى صَفحةِ عاتِقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قد أثَّرَتْ بها حاشيةُ البُرْدِ؛ مِن شِدَّةِ جَبْذَتِه، ثمَّ قال: يا محمَّدُ، مُرْ لي مِن مالِ اللهِ الَّذي عِندَك! فالْتَفَتَ إليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، ثمَّ ضَحِك، ثمَّ أمَر له بعَطاءٍ))[١].

- شَتَم رجُلٌ عُمَرَ بنَ ذَرٍّ، فقال: (يا هذا، لا تُفرِطْ في شَتْمِنا وأبقِ للصُّلحِ مَوضِعًا؛ فإنَّا لا نكافِئُ مَن عصى اللهَ فينا بأكثَرَ مِن أن نُطيعَ اللهَ فيه)[٢].

- وقال رجُلٌ لعَمرِو بنِ العاصِ: (واللهِ لأتفرَّغَنَّ لك، قال: هنالِك وقعْتَ

(١) أخرجه البخاري (٥٨٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٥/ ١١٣) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٨١٠٦).

في الشُّغلِ. قال: كأنَّك تُهدِّدُني، واللهِ لئِنْ قلْتَ لي كلِمةً لأَقولَنَّ لك عَشْرًا، قال: وأنتَ واللهِ لئِنْ قلْتَ لي عَشْرًا لم أقُلْ لك واحدةً)[1].

- شَتَم رجُلٌ الشَّعْبيَّ، فقال له: إنْ كنتَ صادقًا فغَفَر اللهُ لي، وإن كنتَ كاذبًا فغَفَر اللهُ لك[2].

الأمثال والشِّعر في الحِلم:

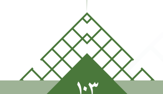
- إذا نَزَل بك الشَّرُّ فاقْعُدْ. أي: فاحلُمْ ولا تُسارِعْ إليه[3].

قال الشَّاعرُ:

ألا إنَّ حِلْـــمَ المَـــرْءِ أَكبَرُ نِسْـــبةٍ   يُســـامي بها عِنـــدَ الفَخـــارِ كَريمُ
فيا ربِّ هَبْ لي مِنـــكَ حِلمًا فإنَّني   أرى الحِلْمَ لم يَنـــدَمْ علَيهِ حَليمُ[4]



(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/ ٢٧٥).
(٢) ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٧٦).
(٣) ((المصدر السابق)) (٣/ ٤٠).
(٤) ((المصدر السابق)) (٢/ ١٠٤).



الحياء

معنى الحَياء:

الحياءُ لُغةً: الانقباضُ والانزواءُ؛ يُقالُ: استَحَى يَستَحِي بياءٍ واحدةٍ، واستَحْيا فُلانٌ يَستَحْيِي بياءَينِ[1].

الحَياءُ اصطلاحًا: خُلُقٌ يَبعَثُ صاحبَه على اجتِنابِ القَبيحِ، ويَمنعُ مِنَ التَّقصيرِ في حقِّ ذي الحقِّ[2]. وقيل: هو تَغيُّرٌ وانكسارٌ يَعتَري الإنسانَ مِن خَوفِ ما يُعابُ به ويُذَمُّ، ومحَلُّه الوَجهُ، ومَنبَعُه مِنَ القَلبِ[3].

الفَرق بيْن الحياء والخجَلِ[4]:

الخجَلُ: معنًى يَظهَرُ في الوَجهِ لغَمٍّ يَلحَقُ القلبَ عِندَ ذَهابِ حُجَّةٍ، أو ظُهورٍ على رِيبةٍ، وما أَشبَهَ ذلك؛ فهو شَيءٌ تَتغيَّرُ به الهَيبةُ. والحَياءُ: هو الارتِداعُ بقوَّةِ الحَياءِ؛ ولهذا يُقالُ: فُلانٌ يَستَحي في هذا الحالِ أن يَفعَلَ كذا، ولا يُقالُ: يَخجَلُ أن يَفعَلَه في هذه الحال؛ لأنَّ هَيئتَه لا تَتغيَّرُ منهُ قَبلَ أن يَفعَلَه، فالخجَلُ ممَّا كان، والحياءُ ممَّا يَكونُ. وقد يُستعمَلُ الحَياءُ مَوضعَ الخجَلِ تَوسُّعًا.

التَّرغيب والحَثُّ على الحَياءِ مِنَ القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/ ٢١٨)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/ ١٦٠).

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ٥٢).

(٣) ((التبيان تفسير غريب القرآن)) لابن الهائم (ص: ٦١).

(٤) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص: ٢٤٤).

ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]؛ فُسِّر لِباسُ التَّقوى بأنَّه الحَياءُ، كما رُوِيَ عن الحسَنِ[١]، ومَعبَدٍ الجُهَنيِّ[٢].

- وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

- عن أبي مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ ممَّا أدرَكَ النَّاسُ مِن كلامِ النُّبوَّةِ الأُولَى: إذا لَمْ تَستَحِ فاصنَعْ ما شِئتَ))[٣].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((الإيمانُ بِضْعٌ وسَبعونَ -أو: بِضْعٌ وسِتُّونَ- شُعْبةً، أعْلَاها: قَوْلُ: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ. وأَدْناها: إماطةُ الأَذَى عنِ الطَّريقِ. والحَياءُ شُعْبةٌ مِنَ الإيمانِ))[٤]؛ فالحَياءُ يَقطَعُ صاحبَه عنِ المَعاصي، ويَحجُزُه عنها؛ فصار بذلك مِنَ الإيمانِ[٥].

أقوال السَّلف والعلماء في الحياء:

- قال عُمرُ رَضيَ اللهُ عنه: (مَن قَلَّ حَياؤُه قَلَّ وَرَعُه، ومَن قَلَّ وَرَعُه مات قلْبُه)[٦].

(١) ((تفسير الآلوسي)) (٤/ ٣٤٤).
(٢) ((تفسير الثعالبي)) (٣/ ١٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٨٤).
(٤) أخرجه مسلم (٣٥).
(٥) ((معالم السنن)) للخطابي (٤/ ٣١٢).
(٦) أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٢٥٩)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٩٩٤) من حديث الأحنف بن قيس رَضيَ اللهُ عنه. قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به بن عائشة أحمد بن مجاهد القطان. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٣٠٥): فيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

- وقال السَّرِيُّ: (إنَّ الحَياءَ والأُنسَ يَطرُقانِ القلبَ، فإنْ وجَدَا فيه الزُّهدَ والورَعَ وإلَّا رَحَلَا)[١].

- قال ابنُ القَيِّم: (وعلى حسَبِ حياةِ القلبِ يَكونُ فيه قوَّةُ خُلُقِ الحَياءِ، وقلَّةُ الحَياءِ مِن مَوتِ القلبِ والرُّوحِ؛ فكلَّما كان القلبُ أَحيَى كان الحَياءُ أَتَمَّ)[٢].

أقسام الحَياء[٣]:

١- **حَياءٌ فِطريٌّ**: وهو الذي يُولَدُ مع الإنسانِ مُتزوِّدًا به، ومِن أمثلته: حَياءُ الطِّفلِ عندما تَنكشِفُ عَورتُه أمامَ النَّاسِ، وهذا النوعُ مِن الحَياءِ مِنحةٌ أعطاها اللهُ لعِبادِه.

٢- **حَياءٌ مُكتَسَب**: وهو الذي يَكتسِبُه المسلمُ مِن دِينِه، فيَمنعُه مِن فِعلِ ما يُذمُّ شرعًا؛ مخافةَ أنْ يَراه اللهُ حيثُ نهاه، أو يَفقِدَه حيثُ أمَره.

مِن فوائد الحياءِ وفضائلِه:

- الحَياءُ مِن خِصالِ الإيمانِ.
- هَجْرُ المَعصيةِ خجَلًا مِنَ اللهِ سبحانَه وتعالى.
- الإقبالُ على الطَّاعةِ بوازِعِ الحُبِّ للهِ عزَّ وجلَّ.
- يُبعِدُ عن فَضائِحِ الدُّنيا والآخرةِ.
- أصْلُ كلِّ شُعَبِ الإيمانِ.
- يَكْسو المَرءَ الوَقارَ، فلا يَفعَلُ ما يُخِلُّ بالمُروءةِ والتَّوقيرِ، ولا يؤْذي مَن يَستحِقُّ الإكرامَ[٤].

---

(١) أخرجه القشيري في ((رسالته)) (٢/ ٣٦٨) عن أبي العباس المؤدب رحمه الله.
(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٥٩).
(٣) ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن المرسي (ص: ١٤٦).
(٤) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٥/ ١٨١٤).

- مَنِ استَحى مِنَ اللهِ ستَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة.

- يُعَدُّ صاحِبُه مِنَ المَحبوبينَ عِندَ اللهِ وعِندَ النَّاسِ.

- يَدفَعُ المرءَ إلى التَّحلِّي بكلِّ جميلٍ مَحبوبٍ، والتَّخلِّي عن كلِّ قَبيحٍ مَكروهٍ[1].

مِن صُوَرِ الحَياءِ:

• مِن صوَرِ الحَياءِ المحمودِ:

- الحَياءُ مِنَ اللهِ: وذلك بالخَوفِ منه، ومُراقبتِه، وفِعلِ ما أَمَر، واجتِنابِ ما نَهَى عنه.

- الحَياءُ مِنَ المَلائكةِ: وذلك عِندَما يَستشعِرُ المؤْمنُ أنَّ الملائكةَ معه، يُرافِقونَه في كلِّ أوقاتِه، ولا يُفارِقونه إلَّا عِندَ الغائطِ وعِندَما يأتي أهْلَه.

- الحَياءُ مِنَ النَّاسِ: وهو دليلٌ على مُروءةِ الإنسانِ؛ فالمؤْمنُ يَستَحي أن يؤْذيَ الآخَرينَ، سواءٌ بلِسانِه أو بيدِه، وكذلك يَستَحي مِن أن تَنكشِفَ عَوْراتُه فيَطَّلِعَ عليها النَّاسُ.

- الحَياءُ مِنَ النَّفْسِ: وذلك عِندَما يَكونُ الإنسانُ مُنفرِدًا بعيدًا عن أنظارِ النَّاسِ، فيَستَحي عنِ اقترافِ الذُّنوبِ والآثامِ؛ حَياءً مِن نفْسِه الَّتي بيْن جَنبَيهِ، وهذا الحَياءُ يُثبِتُ حقيقةَ الحَياءِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

- الحَياءُ مِنَ الضَّيفِ، والمُبادرةُ بإكرامِه.

• مِن صُوَرِ الخَجَلِ المَذمومِ الذي يرفضُه الإسلامُ:

- الخَجل من طَلبِ العِلم: وخاصَّةً إذا تعلَّق بأمْرٍ دِيني؛ فيَنبغي مدافعةُ هذا الخَجلِ -الذي يُسمَّى حَياءً- المانعِ من التَّحصيل العِلمي أو الدَّعوةِ إلى اللهِ،

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٤٩١).

سواءٌ عند الرِّجالِ أو النِّساء[1].

- الخَجلُ مِن الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر: فالحياءُ لا يمنع المسلمَ مِن أن يقولَ الحقَّ، أو يأمرَ بالمعروفِ أو ينهَى عن المنكر؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

- الخجل المؤدِّي إلى فِعل أمرٍ نَهَى عنه الشرعُ؛ فمَن دفَعَه خجلُه وخورُه إلى فِعل أمرٍ نهَى عنه الشرعُ، أو إلى ترْك واجبٍ في الدِّين بزعم الحَياءِ، فليس حَيِيًّا شرعًا، وإنما هذا يُعَدُّ ضعفًا ومهانة؛ فليس من الحياءِ أن يترُكَ الصلاةَ الواجبةَ بسببِ ضُيوفٍ عِندَه حتى فاتتْه الصلاةُ، وهكذا...[2].

مِن مَظاهِرِ قلَّةِ الحَياءِ:

- المُجاهَرةُ بالذُّنوبِ والمعاصي، وعدَمُ الخَوفِ مِنَ اللهِ.

- لُبسُ النِّساءِ الكاسياتِ العارياتِ الملابسَ الَّتي تَصِفُ الأجسامَ، أو الضَّيِّقة أو المفتوحةِ مِنَ الأعلى والأسفلِ.

- التَّلفُّظُ بالألفاظِ البَذيئةِ والسَّيِّئةِ الَّتي تَجرَحُ الآخَرينَ.

- كَلامُ الرَّجُلِ مع غَيرِه بالأسرارِ الزَّوجيَّةِ والأمورِ الخاصَّةِ الَّتي تَحصُلُ بيْنه وبيْن زَوجتِه.

- عدَمُ سَترِ العَوْراتِ.

مِن مَوانعِ اكتِسابِ الحَياءِ:

- الغِناءُ؛ قال يَزيدُ بنُ الوَليدِ النَّاقصُ: (يا بَني أُمَيَّةَ، إيَّاكُم والغِناءَ؛ فإنَّه يَنقُصُ

(١) ((المرأة المسلمة المعاصرة.. إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة)) لأحمد أبا بطين (ص: ٣٨٨-٣٨٩).

(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن السعيد (ص: ١٥٥).

الحَياءَ، ويَزيدُ في الشَّهوةِ، ويَهدِمُ المُروءةَ)[(١)].

- ارتِكابُ المَعاصي؛ فإنَّ الذُّنوبَ والمعاصيَ تُذهِبُ الحَياءَ الَّذي هو مادَّةُ حَياةِ القَلبِ، وأصلُ كلِّ خَيرٍ[(٢)].

من الوسائلِ المُعِينةِ على اكتِسابِ الحياءِ:

- اتِّباعُ أوامرِ اللهِ سبحانَه، والخَوفُ منه، ومُراقبتُه في كلِّ حِينٍ، واستِشعارُ مَعِيَّتِه.
- اتِّباعُ سُنَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، والاقتِداءُ به.
- غَضُّ البصرِ عمَّا حرَّمَ اللهُ سبحانَه وتعالى، وعدَمُ تَتبُّعِ عَوْراتِ الآخَرينَ.
- الصَّبرُ عنِ المعصيةِ: لأنَّ الصَّبرَ على البُعدِ عنِ المعصيةِ يُعِينُ على مُلازمةِ الحَياءِ.
- تربيةُ الأولادِ على الحَياءِ.
- مُجالَسةُ مَن يَتَّصِفُ بصِفةِ الحَياءِ.

نماذجُ للحياءِ:

- قال الله تعالَى عن آدَمَ وحَوَّاءَ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ ...﴾ [الأعراف: ٢٢]، وهذا يدُلُّ على أنَّ الإنسانَ مَفطورٌ على الحَياءِ، وأمَّا قِلَّةُ الحَياءِ فهي مُنافيةٌ للفِطرةِ، بل هي مِنَ اتِّباعِ الشَّيطانِ.

- وكان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أشدَّ الناسِ حَياءً؛ فقدْ كان ((أشَدَّ حَياءً من العَذراءِ في خِدرِها))[(٣)].

---

(١) ((روح المعاني)) للألوسي (١١/ ٦٨).

(٢) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ٦٨).

(٣) أخرجه البُخاريُّ (٣٥٦٢)، ومسلمٌ (٢٣٢٠) من حديثِ أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رضِيَ اللهُ عنه.

- ومِن حَياءِ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها؛ قالت: (كنتُ أَدخُلُ بَيتي الَّذي دُفِن فيه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وأَبي، فأَضَعُ ثَوْبي، وأَقولُ: إنَّما هو زَوْجي وأَبي، فلمَّا دُفِن عُمَرُ معهُم فواللهِ ما دَخلْتُ إلَّا وأنا مَشْدودةٌ علَيَّ ثيابي؛ حَياءً مِن عُمرَ)[1].

الحَياء في واحة الشِّعر:

- قال الشَّاعرُ:

إذا لــم تَخْــشَ عاقِبَــةَ اللَّيالــي ... ولــم تَســتَحي فاصنَعْ ما تَشــاءُ
يَعيــشُ المَرءُ مــا اســتَحْيا بَخيرٍ ... ويَبقَــى العُودُ مــا بَقــيَ اللِّحاءُ
وما فــي أنْ يَعيــشَ المَــرءُ خَيرٌ ... إذا مــا الوَجــهُ فارَقَــهُ الحَيــاءُ

- وقال آخَرُ:

حَيــاءَك فاحفَظْــهُ علَيــكَ فإنَّما ... يَــدُلُّ على فَضــلِ الكَريــمِ حَياؤهُ
إذا قَلَّ مــاءُ الوَجــهِ قَــلَّ حَياؤُهُ ... ولا خَيــرَ في وَجْــهٍ إذا قَــلَّ ماؤُهُ



(١) أخرجه أحمد (٢٥٦٦٠) واللفظ له، والحاكم (٤٤٠٢). صححه الحاكم على شرط الشيخين، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ٢٩)، والألباني في ((تخريج المشكاة)) (١٧١٢): رجاله رجال الصحيح.

الرَّحمة

معنى الرَّحمة:

الرَّحمةُ لُغةً: الرِّقَّةُ والتَّعطُّفُ. وقد تُطلَقُ الرَّحمةُ ويُرادُ بها ما تَقَعُ به الرَّحمةُ، كإطلاقِ الرَّحمةِ على الرِّزقِ والغَيثِ[1].

الرَّحمةُ اصطلاحًا: رِقَّةٌ تَقتَضي الإحسانَ إلى المَرحومِ، وقد تُستعمَلُ تارةً في الرِّقَّةِ المُجرَّدةِ، وتارةً في الإحسانِ المُجرَّدِ عنِ الرِّقَّةِ[2]. وقيل: هي رِقَّةٌ في النَّفسِ تَبعَثُ على سَوقِ الخَيرِ لِمَن تَتعدَّى إليه[3].

مقتضى الرَّحمة:

قال ابنُ القَيِّمِ: (الرَّحمةُ صِفةٌ تَقتَضي إيصالَ المَنافِعِ والمَصالحِ إلى العبدِ وإنْ كرِهَتْها نفْسُه وشقَّتْ عليها، فهذه هي الرَّحمةُ الحقيقيَّةُ، فأَرحَمُ النَّاسِ بك مَن شَقَّ عليك في إيصالِ مَصالحِك ودفْعِ المَضارِّ عنك)[4].

التَّرغيب والحَثُّ على الرَّحمة في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال اللهُ تبارَك وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٢، ٣]، فقد سمَّى اللهُ نفْسَه بهذَينِ الاسمَينِ المُشتمِلَينِ على صِفةِ الرَّحمةِ، قال ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما: (الرحمنُ: وهو الرَّقيقُ، الرَّحيمُ: وهو

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٥/ ١٩٢٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٩٨)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٢٣٠).

(٢) ((المفردات)) للراغب (١/ ٣٤٧).

(٣) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (٢٦/ ٢١).

(٤) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيِّم (٢/ ١٧٤).

العاطِفُ على خَلقِه بالرِّزقِ، وهما اسمانِ رقيقانِ أحَدُهما أرَقُّ مِن الآخَرِ)[1].

- ومِن ذلك بيانُ أنَّ مِن كمالِ رحمتِه قَبولَ تَوبةِ التَّائِبينَ، والتَّجاوُزَ عنِ المُسيئينَ؛ قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

- وعنِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ -رَضيَ اللهُ عنهما- قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ترَى المُؤْمِنينَ في تَراحُمِهم وتَوادِّهِم وتَعاطُفِهم كمَثَلِ الجَسَدِ؛ إذا اشتكَى عُضْوٌ تَداعَى لهُ سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى))[2].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ -رَضيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((الرَّاحِمونَ يَرحَمُهُمُ الرَّحمنُ، ارْحَمُوا أهْلَ الأَرضِ، يَرحَمْكُمْ مَن في السَّماءِ))[3].

أقسام الرَّحمة:

• أقسامُها مِن حيث المدحُ والذَّمُّ:

إنَّ في خُلُقِ الرَّحمةِ ما هو محمودٌ -وهو الأصل-، وما هو مَذمومٌ.

أمَّا المحمودُ فهو ما ذَكَرْناه آنِفًا واستَدلَلْنا عليه مِن كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ المصطفى صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بما يُغني عن إعادةِ ذِكرِه هنا.

- وأمَّا المَذمومُ: فهو ما حصَلَ بسببِه تعطيلٌ لشرعِ اللهِ أو تَهاوُنٌ في تَطبيقِ

(١) أخرجه البيهقي في ((الأسماء والصفات)) (٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤١) واللفظ له، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٦٤٩٤). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه العراقي في ((الأربعون العشارية)) (١٢٥).

حُدودِه وأوامِره، كمَن يُشفِقُ على مَنِ ارتكَبَ جُرْمًا يَستحِقُّ به حدًّا، فيُحاوِلُ إقالَتَه والعَفوَ عنه، ويَحسَبُ أنَّ ذلك مِن رحمةِ الخَلْقِ، وليس هو مِنَ الرَّحمةِ في شَيءٍ؛ بلِ الرَّحمةُ هي إقامةُ الحدِّ على المُذنِبِ، والرَّأفةُ هي زَجْرُه عن غَيِّه، ورَدُّه عن بَغْيِه بتَطبيقِ حُكمِ اللهِ فيه.

- ومِنَ الرَّحمةِ المَذمومةِ ما يَكونُ سببًا في فسادِ المَرحومِ وهَلاكِه، كما يَفعَلُ كثيرٌ مِنَ الآباءِ مِن تَركِ تربيةِ الأبناءِ وتأديبِهم وعُقوبتِهم رحمةً بهم، وعَطفًا عليهم، فيَتسبَّبون في فسادِهم وهَلاكِهم وهُم لا يَشعُرون.

• **أقسامُها مِن حيث الغَريزةُ والاكتِسابُ:**

(والرَّحمةُ الَّتي يَتَّصِفُ بها العبدُ نَوْعانِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: رحمةٌ غَريزيَّةٌ، قد جَبَلَ اللهُ بعضَ العِبادِ عليها، وجَعَلَ في قُلوبِهمُ الرَّأفةَ والرَّحمةَ والحَنانَ على الخَلْقِ.

والنَّوعُ الثَّاني: رحمةٌ يَكتسِبُها العبدُ بسُلوكِه كلَّ طريقٍ ووسيلةٍ تَجعَلُ قلْبَه على هذا الوَصفِ)[١].

فوائدُ الرَّحمةِ وآثارُها:

١- أنَّها سببٌ للتَّعرُّضِ لرَحمةِ اللهِ ومَغفرتِه؛ فأهْلُها مَخصوصون برَحمتِه؛ جَزاءً لرَحمتِهم بخَلْقِه.

٢- أنَّ المُتحلِّيَ بها يَتحلَّى بخُلُقٍ تَحلَّى به رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

٣- أنَّ مِن ثِمارِها مَحبَّةَ اللهِ للعبدِ، ومِن ثَمَّ مَحبَّةَ النَّاسِ له.

٤- أنَّها رَكيزةٌ عظيمةٌ يَنبَني عليها المجتمعُ المُسلِمُ مُتماسِكًا متراحمًا.

---

(١) ((بهجة قلوب الأبرار)) للسعدي (ص: ٢٧٠).

٥- على قَدْرِ حَظِّ الإنسانِ مِنَ الرَّحمةِ تَكونُ درَجتُه عِندَ اللهِ تبارَك وتعالى.

٦- في الاتِّصافِ بها دليلٌ على أنَّ الإسلامَ دينُ رحمةٍ، لا كما يَقولُ أعداؤُه: إنَّه دِينٌ يَقومُ على العُنفِ وسَفكِ الدِّماءِ!

٧- خُلُقٌ مُتَعَدٍّ إلى جميعِ خَلْقِ اللهِ؛ مِن إنسانٍ أو حَيوانٍ، بعيدٍ أو قريبٍ، مُسلِمٍ أو غيرِ مُسلِمٍ.

مِن صُوَرِ الرَّحمةِ:

١- شفَقةُ الإمامِ برَعيَّتِه، وتَجنُّبُ ما مِن شأْنِه أنْ يَجلِبَ المَشقَّةَ لهم.

٢- الأمرُ بالتَّوسُّطِ في العِباداتِ، وعدَمِ الإشقاقِ على النَّفْسِ وإجهادِها.

٣- الحَثُّ على الاستيصاءِ بالمرأةِ خيرًا، والإحسانِ إليها.

٤- الشَّفقةُ على الأولادِ، والعَطفُ عليهم، والحُزنُ إذا أصابهم مَكروهٌ.

٥- الرَّحمةُ بمَن هُم تحتَ اليدِ مِنَ العَبيدِ والخدَمِ والعُمَّالِ وغَيرِهم.

الأسباب المُعِينةُ على التَّخلُّق بخُلُقِ الرَّحمةِ:

١- القراءةُ في سيرةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، والتَّدبُّرُ في مَعالِمِها، والتَّأسِّي به صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في مَواقِفِ رحمتِه.

٢- مُجالَسةُ الرُّحَماءِ ومُخالَطتُهُم، والابتِعادُ عن ذَوي الغِلظةِ والفَظاظةِ؛ فالمرءُ يَكتسِبُ مِن جُلَسائِه طِباعَهُم وأخلاقَهُم.

٣- تربيةُ الأبناءِ على هذا الخُلُقِ العَظيمِ، ومُحاولةُ غَرسِه في قُلوبِهم، ومتى نَشأَ النَّاشِئُ على الرَّحمةِ ثَبَتَتْ في قلْبِه، وأصبحَتْ سَجيَّةً له.

٤- معرفةُ جزاءِ الرُّحماءِ وثَوابِهم، وأنَّهم هُمُ الجَديرونَ برَحمةِ اللهِ دُون

غَيرِهم، ومعرفةُ عُقوبةِ اللهِ لأصحابِ القلوبِ القاسيةِ؛ فإنَّ هذا ممَّا يَدفَعُ للرَّحمةِ، ويَردَعُ عنِ القَسوةِ.

٥- معرفةُ الآثارِ المُترتِّبةِ على التَّحلِّي بهذا الخُلُقِ، والثِّمارِ الَّتي يَجْنيها الرُّحماءُ في الدُّنيا قَبلَ الآخرةِ.

٦- الاختِلاطُ بالضُّعفاءِ والمَساكينِ وذَوي الحاجةِ؛ فإنَّه ممَّا يُرقِّقُ القلبَ ويَدْعو إلى الرَّحمةِ والشَّفَقةِ بهؤلاءِ وغَيرِهم.

٧- التَّعرُّضُ لرحمةِ اللهِ، والسَّعيُ وراءَ أسبابِها؛ فاللهُ تبارَك وتعالى لا يَرحَمُ إلَّا الرُّحماءَ.

نماذجُ في الرَّحمة:

- عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها زَوجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، أنَّها قالت للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: هل أتى عليك يومٌ كان أشَدَّ مِن يومِ أُحُدٍ؟ قال: ((لقد لَقيتُ من قَومِك ما لقيتُ، وكان أشَدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبةِ، إذ عَرَضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستَفِقْ إلَّا وأنا بقَرنِ الثَّعالبِ، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسَحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قَولَ قَومِك لك وما ردُّوا عليك، وقد بَعَث إليك مَلَكَ الجِبالِ لِتَأمُرَه بما شئتَ فيهم. فناداني مَلَكُ الجبالِ، فسَلَّمَ عليَّ ثم قال: يا محمَّدُ، فقال ذلك فيما شِئتَ، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشَبَينِ. فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: بل أرجو أن

يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يَعبُدُ اللهَ وَحدَه لا يُشرِكُ به شَيئًا))[١].

- وتَقولُ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: ((جاءَتْني مِسكينةٌ تَحمِلُ ابنتَينِ لها، فأَطعَمْتُها ثلاثَ تَمَراتٍ، فأعطَتْ كلَّ واحدةٍ مِنهُما تَمْرةً، ورَفَعَتْ إلى فِيها تَمرةً لِتأكُلَها، فاستَطعَمَتْها ابنَتاها، فشَقَّتِ التَّمرةَ الَّتي كانت تُريدُ أنْ تَأكُلَها بيْنهُما. فأَعجبَني شأْنُها، فذكَرْتُ الَّذي صنعَتْ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقال: إنَّ اللهَ قد أَوجَبَ لها بها الجَنَّةَ. أو: أَعتَقَها بها مِنَ النَّارِ))[٢].

- وقال الحافظُ عُمرُ بنُ عليٍّ البَزَّارُ: (وحدَّثَني مَن أَثِقُ به أنَّ الشَّيخَ -يَعني ابْنَ تيميةَ- رَضيَ اللهُ عنه كان مارًّا يومًا في بعضِ الأَزِقَّةِ، فدَعَا له بعضُ الفُقراءِ، وعرَفَ الشَّيخُ حاجتَه، ولم يَكُنْ مع الشَّيخِ ما يُعطيه، فنَزَعَ ثوبًا على جِلدِه ودَفَعَه إليه، وقال: بِعْهُ بما تَيسَّرَ وأَنفِقْهُ، واعتَذَرَ إليه مِن كَونِه لم يَحضُرْ عِندَه شَيءٌ مِنَ النَّفقةِ)[٣].

أقوالٌ وشِعرٌ عن الرَّحمة:

- قال المَنْفَلوطيُّ: (إنَّ الرَّحمةَ كَلِمةٌ صغيرةٌ... ولكنْ بيْن لَفظِها ومَعناها مِنَ الفَرْقِ مِثلُ ما بيْن الشَّمسِ في مَنظرِها، والشَّمسِ في حقيقتِها؛ لو تراحَمَ النَّاسُ لَما كان بيْنهُم جائعٌ ولا مَغْبونٌ ولا مَهضومٌ، ولَأَقفَرَتِ الجُفونُ مِنَ المَدامعِ، ولَاطمَأنَّتِ الجُنوبُ في المضاجعِ، ولَمَحَتِ الرَّحمةُ الشَّقاءَ مِنَ المُجتمَعِ كما يَمحو لِسانُ الصُّبحِ مِدادَ الظَّلامِ)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).
(٣) ((الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية)) لسراج الدين (ص: ٦٥).
(٤) ((مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة)) (ص: ٨٨).

- قال الحافظُ زَينُ الدِّينِ العِراقيُّ:

إنْ كنتَ لا تَرحَمُ المِسكينَ إنْ عَدِما ولا الفَقيرَ إذا يَشْكُو لكَ العَدَما

فكيف تَرْجو مِنَ الرَّحمنِ رحمتَه وإنَّما يَرحَمُ الرَّحمنُ مَن رَحِما[1]



(١) ((صيد الأفكار)) لحسين بن محمد المهدي (٢/ ١٧١).

الرِّفق

معنى الرِّفق:

الرِّفقُ لُغةً: ضِدُّ العُنفِ. يُقالُ: رَفَقَ بالأمرِ وله وعليه، ورَفُقَ ورَفِقَ: لَطَفَ[1].

الرِّفقُ اصطلاحًا: لِينُ الجانبِ بالقَولِ والفعلِ، والأخذُ بالأسهلِ[2]، وقيل: هو المُداراةُ مع الرُّفقاءِ، ولِينُ الجانبِ، واللُّطفُ في أخذِ الأمرِ بأَحسَنِ الوُجوهِ وأَيسَرِها[3].

التَّرغيب والحَثُّ على الرِّفق في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- وقال سبحانه مُخاطِبًا الرَّسولَ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، أي: ارفُقْ بهم، وأَلِنْ جانبَك لهم[4].

- وقال سبحانه آمرًا مُوسَى وهارون عليهما السَّلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣- ٤٤]؛ فإنَّ القولَ اللَّيِّنَ داعٍ للتذكُّرِ أو الخَشيةِ، والقَولَ الغليظَ مُنفِّرٌ عن صاحبه[5].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/ ١١٨).

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).

(٣) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٨/ ٣١٧٠).

(٤) ((معالم التنزيل)) للبغوي (٦/ ٢٠٧).

(٥) ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٠٦).

- وعن جَريرٍ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحرَمِ الخَيرَ))[1].

- وعن أبي الدَّرْداءِ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((مَن أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفقِ فقد أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيرِ، ومَن حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيرِ))[2].

أقوالُ السَّلف والعُلماءِ في الرِّفق:

- بَلَغ عُمرَ بنَ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ جماعةً مِن رَعيَّتِه اشتَكَوْا مِن عُمَّالِه، فأمَرَهُم أنْ يُوافُوه، فلمَّا أَتَوْهُ قامَ فحَمِد اللهَ وأَثْنى عليه، ثمَّ قال: (أيُّها الرَّعيةُ، إنَّ لنا عليكم حقًّا: النَّصيحةُ بالغيبِ، والمعاونةُ على الخيرِ، إنَّه ليس مِن حِلمٍ أحَبَّ إلى اللهِ ولا أعَمَّ نَفعًا مِن حِلمِ إمامٍ ورِفقِه. أيُّها الرعيَّةُ، إنَّه ليس مِن جِهلٍ أبغَضَ إلى اللهِ ولا أعَمَّ شَرًّا مِن جَهلِ إمامٍ وخُرْقِه. أيُّها الرعيَّةُ، إنَّه من يأخُذ بالعافيةِ لِمن بين ظهرانَيه يؤتي اللهُ العافيةَ مَن فَوقَه)[3].

- وعن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ قال: (كان يُقالُ: الرِّفقُ رأسُ الحِكمةِ)[4].

- وعن حُبَيِّبِ بنِ حُجْرٍ القَيْسيِّ قال: (كان يُقالُ: ما أَحسَنَ الإيمانَ يُزَيِّنُه العِلمُ، وما أَحسَنَ العِلمَ يُزَيِّنُه العملُ، وما أَحسَنَ العملَ يُزَيِّنُه الرِّفقُ)[5].

فوائد الرِّفق[6]:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٣) واللفظ له، وأحمد (٢٧٥٥٣) بنحوه. قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٠١٣).
(٣) أخرجه هناد في ((الزهد)) (٢/ ٦٠٢)، والطبري في ((التاريخ)) (٢/ ٥٧٨) واللفظ له.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٣٠٨)، وأحمد في ((الزهد)) (٢٧٤).
(٥) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/ ٣٩٦).
(٦) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٦/ ٢١٦٨) بتصرف يسير.

١- طريقٌ مُوصلٌ إلى الجَنَّةِ.

٢- دليلُ كمالِ الإيمانِ، وحُسنِ الإسلامِ.

٣- يُثمِرُ مَحبَّةَ اللهِ، ومَحبَّةَ النَّاسِ.

٤- يُنمِّي رُوحَ المَحبَّةِ والتَّعاوُنِ بيْن النَّاسِ.

٥- دليلٌ على صَلاحِ العبدِ، وحُسنِ خُلُقِه.

٦- بالرِّفقِ يَنشأُ المُجتمَعُ سالِمًا مِنَ الغِلِّ والعُنفِ.

٧- دَليلٌ على فِقهِ صاحبِه، وأَناتِه وحِكمتِه.

مِن صُوَرِ الرِّفقِ:

١- الرِّفقُ بالنَّفْسِ في أداءِ ما فُرِض عليه.

٢- الرِّفقُ مع النَّاسِ عامَّةً؛ بلِينِ الجانبِ، وعدَمِ الغِلظةِ والجَفاءِ، والتَّعامُلُ بالسَّماحةِ.

٣- الرِّفقُ بالمَدْعوِّينَ؛ قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

٤- الرِّفقُ بالرَّعيَّةِ.

٥- الرِّفقُ بالخادِمِ والمَمْلوكِ.

٦- الرِّفقُ بالحيوانِ؛ ففي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ، وقد شَكَرَ اللهُ لرجُلٍ سقَى كَلبًا، فغَفَرَ له(١).

نَماذجُ مِن رِفقِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وصحابته:

- كان صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ رفيقًا في تعليمِه للجاهلِ، فعن أنسِ بنِ مالكٍ

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

رَضيَ اللهُ عنه قال: ((بيْنما نحن في المسجدِ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ إذْ جاءَ أعرابيٌّ، فقامَ يَبولُ في المسجدِ، فقال أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: مَهْ مَهْ. قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: لا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ. فتَرَكوه حتَّى بالَ. ثمَّ إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ دَعاهُ، فقال له: إنَّ هذه المَساجِدَ لا تَصلُحُ لشَيْءٍ مِن هذا البَولِ، ولا القَذَرِ، إنَّما هيَ لذِكْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، والصَّلاةِ، وقِراءَةِ القُرآنِ. أو كما قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ. قال: فأَمَر رجُلًا مِنَ القَومِ فجاء بدَلْوٍ مِنَ ماءٍ فشَنَّهُ عليه))[(١)].

- وكان عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه يَذهَبُ إلى العَوالي كلَّ يَومِ سبتٍ، فإذا وَجَد عبْدًا في عمَلٍ لا يُطيقُه وَضَع عنهُ[(٢)].

الرِّفقُ في واحةِ الشِّعر:

- قال المُنتصِرُ بنُ بلالٍ:

الرِّفْقُ ممَّا سَيَلْقى اليُمْنَ صاحِبُهُ ... والخُرْقُ مِنهُ يَكونُ العُنفُ والزَّلَلُ[(٣)]

- وقال النَّابِغةُ:

الرِّفقُ يُمْنٌ والأَناةُ سَلامةٌ ... فاسْتَأْنِ في رِفْقٍ تُلاقِ نَجاحَا[(٤)]



(١) أخرجه البخاري (٢١٩)، ومسلم (٢٨٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٨٠) بلاغًا.

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ٢١٥).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/ ٢٠٢).

السَّتر

معنَى السَّترِ:

السَّترُ لُغةً: تَغطيةُ الشَّيءِ، وهو مَصدَرُ ستَرَ الشَّيءَ يَستُرُه ويَستِرُه سَتْرًا وسَتَرًا، أي: غَطَّاهُ أو أَخفاهُ، وكلُّ شَيءٍ ستَرْتَه فالشَّيءُ مَسْتورٌ، والَّذي تَستُرُه به سِترٌ له[1].

السَّترُ اصطلاحًا: إخفاءُ العَيبِ، وعدَمُ إظهارِه، فمَن كان معروفًا بالاستِقامةِ وحصَلَ منه الوُقوعُ في المعصيةِ نُوصِحَ وسُتِرَ عليه[2].

الفَرقُ بيْن السَّترِ والغُفرانِ، وبينَ السِّترِ والحِجابِ والغِطاءِ[3]:

الغُفرانُ: يَقتَضي إسقاطَ العِقابِ، ونَيلَ الثَّوابِ، ولا يَستحِقُّه إلَّا المؤْمِنُ، ولا يُستعمَلُ إلَّا في البارئِ تعالى. والسَّترُ: أَخَصُّ مِنَ الغُفرانِ؛ إذْ يَجوزُ أنْ يَستُرَ ولا يَغفِرَ.

والحِجابُ هو المانِعُ والممنوعُ به، والسِّترُ هو المَستورُ به، ويَجوزُ أن يُقالَ: حِجابُ الشَّيءِ ما قُصِد سَترُه. وفرْقٌ آخَرُ: أنَّ السِّترَ لا يَمنَعُ مِنَ الدُّخولِ على المَستورِ، والحِجابُ يَمنَعُ.

---

(١) ملخصًا من: ((المفردات)) للراغب الأصفهاني (١/ ٣٩٦)، ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (١/ ٣٩٢)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٢/ ٢٦٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٣٢)، ((المحكم)) لابن سيده (٨/ ٤٦٥)، ((مختار الصحاح)) للرازي (١/ ١٤٢)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/ ٣٤٣)، ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (١/ ٤٠٤).

(٢) ((الترغيب والترهيب)) للمنذري (٣/ ٢٣٧)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٥/ ١١٧)، ((فتح القوي المتين)) للشيخ عبد المحسن العباد (ص: ١٢٢).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٨٨)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٦٦٦).

التَّرغيب والحَثُّ على السَّترِ في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، أي: يَختارُونَ ظُهورَ الكلامِ عنهم بالقبيحِ[١].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: خُذُوا ما ظَهَر لكم، ودَعُوا ما سَتَرَ اللهُ[٢].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: ((سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يقول: كلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرةِ أنْ يَعمَلَ الرَّجُلُ باللَّيلِ عمَلًا، ثمَّ يُصبِحَ وقد سَتَرَهُ اللهُ علَيهِ، فيَقولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحةَ كذا وكذا! وقد باتَ يَستُرُهُ رَبُّهُ، ويُصبِحُ يَكشِفُ سِتْرَ اللهِ عنه))[٣].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ اللهُ عنهُ كُرْبةً مِن كُرَبِ الآخِرةِ، ومَن سَتَرَ على مُسْلِمٍ، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ، واللهُ في عَونِ العَبدِ، ما كان العَبدُ في عَونِ أَخيهِ))[٤].

أقوال السَّلف والعلماءِ في الحثِّ على السَّترِ:

- قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ اللهُ عنه: (لو أخذتُ شارِبًا لأحبَبْتُ أن يَستُرَه الله، ولو أخذْتُ سارِقًا لأحبَبْتُ أن يَستُرَه اللهُ)[٥].

(١) ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ٢٩).
(٢) ((تفسير الطبري)) (٢١/ ٣٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم (٢٩٩٠).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٥) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٥٧٨٣) مختصرًا، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) =

- وعن أبي الشَّعْثاءِ قال: (كان شُرَحْبِيلُ بنُ السِّمْطِ على جيشٍ، فقال لجَيشِه: إنَّكم نزَلْتُم أرضًا كثيرةَ النِّساءِ والشَّرابِ -يعني: الخَمرَ- فمَن أَصابَ منكم حدًّا فلْيَأْتِنا، فنُطَهِّرَه، فأَتاهُ ناسٌ، فبَلَغ ذلك عُمرَ بنَ الخطَّابِ، فكَتَب إليه: أنتَ -لا أُمَّ لك- الَّذي يَأمُرُ النَّاسَ أنْ يَهتِكوا سِترَ اللهِ الَّذي سَتَرَهُم به؟!)[1].

- وقال الحسَنُ البَصريُّ: (مَن كان بيْنه وبيْن أَخيهِ سِترٌ فلا يَكشِفْهُ)[2].

السَّترُ لا يَعني ترْكَ إنكارِ المنكَرِ:

لا يَعني السَّترُ ترْكَ الإنكارِ على مَن تَستُرُه فيما بيْنك وبيْنه، وإذا أَنكَرْتَ عليه ونصَحْتَه فلم يَنتَهِ عن قبيحِ فِعلِه، ثمَّ جاهَرَ به، جازَتِ الشَّهادةُ عليه بذلك كما ذَكَرَ ذلك العلماءُ، والسَّترُ مَحلُّه في مَعصيةٍ قد انقضَتْ، والإنكارُ في مَعصيةٍ قد حصَلَ التَّلبُّسُ بها؛ فيَجِبُ الإنكارُ عليه، وإلَّا رَفَعَه إلى الحاكم، وليس مِنَ الغِيبةِ المُحرَّمةِ، بل مِنَ النَّصيحةِ الواجبةِ[3].

فوائد السَّترِ:

١- نَشرُ الحُبِّ والأُلْفةِ بيْن المؤمِنينَ.

٢- أنَّه يُعينُ العاصي على أن يَتدارَكَ نفْسَه، ويَتوبَ إلى اللهِ توبةً نَصُوحًا، وبالعكس.

٣- أنَّ فَضْحَ النَّاسِ -وخاصَّةً أهلَ الفضلِ منهم إنْ بدَتْ منهم زَلَّةٌ أو هَفْوةٌ-، قد يُجرِّئُ كثيرًا مِن عَوامِّ النَّاسِ على المعاصي.

= (٢٨٦٦٤) واللفظ له. وصحح إسناده ابن حجر في ((الإصابة)) (١/ ٥٧٥).

(١) أخرجه عبدالرزاق في ((المصنف)) (٩٣٧١)، وهناد في ((الزهد)) (٢/ ٦٤٦).

(٢) أخرجه الخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (٤٤١).

(٣) ((فتح الباري)) لابن حجر (٥/ ٩٧)، ((هذه أخلاقنا)) لمحمود الخزندار (ص: ٤٥٢)، بتصرف.

٤- أنَّ نفْسَ السَّاترِ تَزْكو، ويَرْضى عنه اللهُ، ويَستُرُه في الدُّنيا والآخرةِ.

مِن صُوَرِ السَّترِ:

١- سَترُ المسلمِ نَفْسَه؛ فلا يُشهِّرُ خطاياهُ أمامَ الخَلقِ، ولا يَذكُرُ زَلَّاتِه أمامَ النَّاسِ، ولو كانوا أصدقاءَه، إلَّا على وَجهِ السُّؤالِ والفُتْيا[1].

٢- سَترُ المسلِمِ لإخوانِه المسلمين.

٣- سَترُ المَيِّتِ؛ فإذا غسَّلَه ورأى فيه شَيئًا مَعِيبًا فعليه أن يَستُرَه ويَكتُمَ أمْرَه.

الوُسائل المُعِينةُ على اكتسابِ صِفةِ السَّترِ:

١- أنْ تعلَمَ فَضلَ السَّترِ، وأنَّ مَن سَتَرَ أخاهُ المُسلِمَ سَترَه اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ.

٢- أنْ تَستَشعِرَ معنَى أُخُوَّةِ الإيمانِ.

٣- أنْ تَضَعَ نفْسَك مكانَ أخيك الَّذي أَخطأَ وزَلَّ؛ فهل تُحِبُّ أن تُفضَحَ أمْ تُستَرَ؟

٤- أنْ يَنشَغِلَ العبدُ بإصلاحِ نفْسِه.

السَّترُ في واحةِ الشِّعر:

قال أحمدُ شوقي:

ومَن لم يُقِمْ سِترًا على غَيرِهِ   يَعِشْ مُستباحَ العِرضِ مُنهَتِكَ السِّترِ[2]



(١) ((خلق المؤمن)) لمصطفى مراد (ص: ١١٣).

(٢) ((ديوان أحمد شوقي)) (ص: ٢٦٢).

السَّكينة

معنى السَّكينة:

السَّكينةُ لُغةً: مِنَ السُّكونِ، وهو ضِدُّ الحركةِ؛ سَكَنَ الشَّيءُ: إذا ذهبَتْ حرَكتُه[1].

السَّكينةُ اصطلاحًا: الطُّمَأنينةُ والوَقارُ الَّذي يُنزِلُه اللهُ في قلبِ عَبدِه عِندَ اضطرابِه مِن شدَّةِ المَخاوِفِ، فلا يَنزعِجُ بعد ذلك لِما يَرِدُ عليه، ويوجِبُ له زيادةَ الإيمانِ، وقوَّةِ اليقينِ والثَّباتِ[2].

التَّرغيبُ والحَثُّ على السَّكينة مِن السُّنَّة:

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَقولُ: ((إذا أُقيمَتِ الصَّلاةُ فلا تَأْتُوها تَسْعَوْنَ، وأْتُوها تَمْشُونَ وعلَيكُم السَّكينةُ، فما أدرَكْتُم فصَلُّوا، وما فاتَكُم فأَتِمُّوا))[3].

- عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: ((أنَّه دفَعَ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم يومَ عَرَفةَ، فسَمِعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصَوتًا للإبِلِ، فأشار بسَوطِه إليهم وقال: أيُّها النَّاسُ، عليكم بالسَّكينةِ؛ فإنَّ البِرَّ ليس بالإيضاعِ))[4].

أقوال السَّلف والعلماءِ في السَّكينة:

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ٣٢٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٨٨)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ٢١١).

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٥٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (١٦٧١).

- قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (تعَلَّموا العِلمَ وعَلِّموه النَّاسَ، وتعَلَّموا له الوَقارَ والسَّكينةَ)[1].

- وقال ابنُ القَيِّمِ: (السَّكينةُ إذا نزَلَتْ على القلبِ اطْمأنَّ بها، وسَكَنَتْ إليها الجَوارِحُ وخشَعَتْ، واكتَسبَتِ الوَقارَ، وأنطَقَتِ اللِّسانَ بالصَّوابِ والحِكمةِ، وحالَتْ بيْنه وبيْن قَولِ الخَنا والفُحشِ واللَّغوِ والهُجْرِ وكلِّ باطلٍ)[2].

أقسامُ السَّكينة:

١- **عامَّةٌ**: وهي الَّتي تَخُصُّ عامَّةَ الخَلقِ، وهي الَّتي يَجِدُها العبدُ عِندَ القيامِ بوَظائفِ العُبوديَّةِ، وهي الَّتي تُورِثُ الخُشوعَ والخُضوعَ، وجُمعيَّةَ القلبِ على اللهِ، بحيث يؤدِّي عُبوديَّتَه بقلبِه وبدَنِه قانِتًا للهِ عزَّ وجلَّ[3].

٢- **خاصَّةٌ**: وهي الَّتي تَخُصُّ أَتباعَ الرُّسُلِ بحسَبِ مُتابَعتِهم، وهي سَكينةُ الإيمانِ، وهي سَكينةٌ تُسكِّنُ القلوبَ عنِ الرَّيبِ والشَّكِّ؛ ولهذا أَنزَلَها اللهُ على المؤْمِنينَ في أصعبِ المَواطنِ أَحوَجَ ما كانوا إليها؛ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤]، فذَكَر نعمتَه عليهِم بالجُنودِ الخارجةِ عنهم، والجُنودِ الدَّاخلةِ فيهم؛ وهي السَّكينةُ عِندَ القلقِ والاضْطِرابِ[4].

فوائدُ السَّكينة:

(١) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٧٨٩).
قال البيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (٢/ ١٥٣): هذا هو الصحيح عن عمر من قوله.
وذكر أنه روي مرفوعًا وهو ضعيف.
(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٥٠٤).
(٣) ((أعلام الموقعين)) لابن القيم (٤/ ١٥٥).
(٤) ((المصدر السابق)).

- السَّكينةُ رِداءٌ يَنزِلُ فيُثبِّتُ القلوبَ الطائرةَ، ويُهدِّئُ الانفعالاتِ الثَّائرةَ.

- أنَّ المُتحلِّيَ بها يَمتثِلُ لأمرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((السَّكينةَ السَّكينةَ))[1].

- متى نزَلَتْ على العبدِ السَّكينةُ؛ استقامَ وصلَحَتْ أَحوالُه، وصلَحَ بالُه، وإذا ترحَّلَتْ عنه السَّكينةُ تَرحَّلَ عنه السُّرورُ والأمنُ والدَّعةُ والرَّاحةُ وطِيبُ العَيشِ[2].

- المُتحلِّي بالسَّكينةِ يَخشَعُ في صَلاتِه؛ لأنَّ السَّكينةَ والخُشوعَ في الوُضوءِ مُقدِّمةٌ للخُشوعِ في الصَّلاةِ.

- أنَّ مِن ثِمارِها مَحبَّةَ اللهِ للعبدِ، ومِن ثَمَّ مَحبَّةَ النَّاسِ له.

- تَجعَلُ العبدَ قادرًا على تَحمُّلِ المصيبةِ إذا نزَلَتْ.

- تَجعَلُ العبدَ قادرًا على امتِصاصِ غضَبِه في المواقفِ الصَّعبةِ.

الوسائل المُعِينة على التَّخلُّق بخُلُق السَّكينة:

١- الامتِثالُ لقَولِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((علَيكُم بالسَّكِينةِ))[3].

٢- مُصاحَبةُ ذَوي الطَّبعِ الهادِئِ؛ ((فالمَرْءُ على دِينِ خَلِيلِه، فلْيَنظُرْ أَحَدُكُم مَن يُخالِلُ))[4].

٣- القِراءةُ في كُتُبِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) مطولًا من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٨٤١٧) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب. وصحح إسناده النووي في ((رياض الصالحين)) (١٧٧)، وحسن الحديث ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٥١).

٤- معرفةُ فوائدِ السَّكينةِ وآثارِها.

٥- التَّحلِّي بالصَّبرِ.

نماذجُ في السَّكينة:

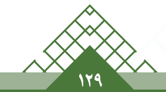
- كان صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِن خُلُقِه السَّكينةُ الباعثُ على الهَيبةِ والتَّعظيمِ، الدَّاعيةُ إلى التَّقديمِ والتَّسليمِ، وكان مِن أَعظَمِ مَهيبٍ في النُّفوسِ حتَّى ارتاعَتْ رُسُلُ كِسْرى مِن هَيبتِه حين أَتَوْه مع ارتياضِهم بصَولةِ الأَكاسِرةِ، ومُكاثَرةِ المُلوكِ الجَبابِرةِ، فكان في نُفوسِهم أَهْيَبَ، وفي أَعيُنِهم أَعظَمَ، وإنْ لم يَتعاظَمْ بأُهْبةٍ، ولم يَتطاوَلْ بسَطْوةٍ، بل كان بالتَّواضُعِ مَوصوفًا، وبالوِطاءِ مَعروفًا[1].

- وكان الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ مُتَّصِفًا بالسَّكينةِ والوَقارِ، فعن المَرُّوذيِّ، قال: (لم أَرَ الفقيرَ في مَجلِسٍ أَعَزَّ منه في مجلسِ أحمدَ؛ كان مائِلًا إليهم، مُقصِّرًا عن أهلِ الدُّنيا، وكان فيه حِلمٌ، ولم يكُنْ بالعَجولِ، وكان كثيرَ التَّواضُعِ، تَعْلُوه السَّكينةُ والوَقارُ، وإذا جَلَس في مَجلِسِه بعدَ العَصرِ للفُتْيا، لا يَتكلَّمُ حتَّى يُسألَ، وإذا خَرَج إلى مَسجِدِه لم يَتصدَّرْ)[2].



(١) ((أعلام النبوة)) للماوردي (١/ ٢٥٤)، بتصرف.

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١١/ ٢١٨).



سلامةُ الصَّدرِ

معنَى سَلامةِ الصَّدرِ:

السَّلامةُ لُغةً: السِّينُ واللَّامُ والميمُ مُعظَمُ بابِه مِنَ الصِّحَّةِ والعافيةِ؛ فالسَّلامةُ: العافيةُ، وأنْ يَسلَمَ الإنسانُ مِنَ العاهةِ والأذى[1].

الصَّدرُ لُغةً: أعلى مُقَدَّمِ كلِّ شيءٍ، وكلُّ ما واجَهَكَ صَدْرٌ، وصَدْرُ القَناةِ: أَعْلاها، وصَدْرُ الأمرِ: أوَّلُه[2].

سلامةُ الصَّدرِ اصطلاحًا: السَّلامةُ من الحِقدِ والغِلِّ والبَغضاءِ ومِن جميعِ أمراضِ القُلوبِ وأَدْوائِها، ومن كلِّ آفةٍ تُبعِدُ عنِ اللهِ تعالى[3].

الفَرقُ بيْن سلامةِ الصَّدرِ والبَلَهِ والتَّغفُّلِ:

أنَّ سلامةَ القلبِ تكونُ مِن عدَمِ إرادةِ الشَّرِّ بعد معرفتِه، فيَسلَمُ قلْبُه مِن إرادتِه وقَصدِه، لا مِن معرفتِه والعِلمِ به، وهذا بخلافِ البَلَهِ والغفلةِ؛ فإنَّها جهلٌ وقلَّةُ معرفةٍ، وهذا لا يُحمَدُ؛ إذْ هو نقصٌ، وإنَّما يَحمَدُ النَّاسُ مَن هو كذلك لسلامتِهم منه، والكمالُ أن يَكونَ القلبُ عارفًا بتفاصيلِ الشَّرِّ، سليمًا مِن إرادتِه. قال عُمرُ ابنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (لستُ بخَبٍّ، ولا يَخْدَعُني الخَبُّ)[4].

التَّرغيب والحَثُّ على سلامةِ الصَّدرِ من القرآنِ والسُّنَّةِ:

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٩٠)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٢٨٩).

(٢) ((العين)) للخليل (٧/ ٩٤)، ((المحكم)) لابن سيده (٨/ ٢٨٢)، ((المعجم الوسيط)) لمجمع اللغة العربية (١/ ٥٠٩).

(٣) ((في السلوك الإسلامي القويم)) لابن الشوكاني (ص: ١٢١).

(٤) ((الروح)) لابن القيم (ص: ٢٤٣ - ٢٤٤).

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لا يُبلِّغُني أحَدٌ مِن أَصْحابي عن أحَدٍ شَيئًا؛ فإنِّي أُحِبُّ أنْ أَخرُجَ إلَيكُم وأنا سَليمُ الصَّدْرِ))[١].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهُما قال: ((قيل لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: أيُّ النَّاسِ أفضَلُ؟ قال: كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ، صَدُوقِ اللِّسانِ. قالوا: صَدوقُ اللِّسانِ نَعرِفُه، فما مَخْمومُ القَلبِ؟ قال: هو النَّقِيُّ التَّقيُّ، لا إثمَ علَيهِ ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حَسَدَ))[٢].

أقوال السَّلف والعلماءِ في سلامةِ الصَّدرِ:

- قال ابنُ العربيِّ: (لا يَكونُ القلبُ سليمًا إذا كان حقودًا حسودًا مُعجَبًا مُتكبِّرًا، وقد شَرَطَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في الإيمانِ أن يُحِبَّ لأخيهِ ما

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠) واللفظ له، والترمذي (٣٨٩٦)، وأحمد (٣٧٥٩).
قال الترمذي: غريب من هذا الوجه. وقال أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٥/ ٢٨٦): إسناده حسن على الأقل. وضعفه الألباني في ((ضعيف سنن أبي داود)) (٤٨٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦٦٠٤).
صحح إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/ ٣٣)، والبوصيري في ((زوائد ابن ماجه)) (٢/ ٣٢٥)، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/ ١٨)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤٢١٦).

يُحِبُّ لنفْسِه)[1].

- وقال شيخُ الإسلامِ: (فالقلبُ السَّليمُ المحمودُ هو الَّذي يُريدُ الخَيرَ لا الشَّرَّ، وكمالُ ذلك بأن يَعرِفَ الخَيرَ والشَّرَّ، فأمَّا مَن لا يَعرِفُ الشَّرَّ فذاك نَقصٌ فيه لا يُمدَحُ به)[2].

فوائد سلامةِ الصَّدرِ:

١- أنَّها سبيلٌ لدُخولِ الجَنَّةِ؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨- ٨٩].

٢- أنَّها تَكْسو صاحبَها بحُلَّةِ الخَيريَّةِ، وتُلبِسُه لِباسَ الأفضليَّةِ.

٣- أنَّها تَجمَعُ القلبَ على الخَيرِ والبِرِّ والطَّاعةِ والصَّلاحِ، فلا يَجِدُ القلبُ راحةً إلَّا فيها، ولا تَقَرُّ عَينُ المؤْمِنِ إلَّا بها.

٤- أنَّها تُزيلُ العُيوبَ، وتَقطَعُ أسبابَ الذُّنوبِ، فمَن سَلِمَ صدْرُه وطَهُر قلْبُه عنِ الإراداتِ الفاسدةِ والظُّنونِ السَّيِّئةِ عَفَّ لسانُه وجوارحُه عن كلِّ قبيحٍ.

مِن صُوَرِ سلامةِ الصَّدرِ:

١- سلامةُ الصَّدرِ مع عامَّةِ النَّاسِ؛ فلا يَحمِلُ لهم في قلبِه غِلًّا ولا حسَدًا ولا غَيرَهما مِنَ الأمراضِ والأَدواءِ القلبيَّةِ الَّتي تَقضي على أَواصِرِ المَحبَّةِ، وتَقطَعُ صِلاتِ المَودَّةِ.

٢- سلامةُ الصَّدرِ مع خاصَّةِ إخوانِه ومُقرَّبيه.

٣- سلامةُ الصَّدرِ مع وُلاةِ الأمرِ، فلا يَحمِلُ عليهِمُ الحِقدَ، ولا يُثيرُ عليهِمُ العامَّةَ، ولا يَذكُرُ مَثالِبَهم عِندَ النَّاسِ، ويَكونُ نَصوحًا لهم، مُشفِقًا عليهم، غاضًّا

(١) ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٤٥٩).
(٢) ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٥/ ٢٦٤).

الطَّرفَ عن أخطائِهمُ الَّتي يُتجاوَزُ عنها، ويَنشُرُ الخَيرَ عنهم، ويَذْكُرُهم بخَيرِ أعمالِهم وصِفاتِهم.

٤- سلامةُ صُدورِ الوُلاةِ للرَّعيَّةِ، فلا يُكثِرُ مِنَ الشُّكوكِ فيهم، ولا يَتربَّصُ بهم أو يَتجسَّسُ عليهم، أو يؤْذِيهم في أموالِهم أو مُمتلكاتِهم، ويَكونُ مُشفِقًا عليهم، ساعيًا وراءَ راحتِهم.

٥- سلامةُ صُدورِ العُلماءِ وطلبةِ العِلمِ بعضِهم مع بعضٍ[1].

موانعُ اكتِسابِ سلامةِ الصَّدرِ:

١- نَزَغاتُ الشَّيطانِ ووَساوِسُه؛ فالشَّيطانُ حريصٌ على إيغارِ الصُّدورِ، وإفسادِ القلوبِ.

٢- إصابةُ القلبِ ببعضِ الأمراضِ الخُلُقيَّةِ القاتِلةِ، الَّتي تُفسِدُ القلبَ؛ كالحسدِ والغِلِّ والحِقدِ.

٣- التَّنافُسُ على الدُّنيا.

٤- حُبُّ الشُّهرةِ والرِّياسةِ، وهي داءٌ عُضالٌ، ومرَضٌ خطيرٌ، وشَرٌّ مُستَطيرٌ.

٥- الاتِّصافُ ببعضِ الصِّفاتِ الَّتي مِن شأنِها أن تُوغِرَ الصُّدورَ وتُنهيَ سلامتَها؛ ككَثرةِ المُزاحِ، وكثرةِ المِراءِ والجِدالِ، والعُجبِ، وغَيرِها.

الوسائلُ المُعِينةُ على اكتساب سلامةِ الصدر:

١- الإخلاصُ للهِ تبارَك وتعالى.

٢- الإقبالُ على كِتابِ اللهِ تعالى قِراءةً وتعلُّمًا وتعليمًا؛ فهو شفاءٌ لِما في الصُّدورِ.

---

(١) ((معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية)) لمحمد المختار الشنقيطي (ص: ٦٤).

٣- الدُّعاءُ؛ فهو العلاجُ النَّاجعُ، والدَّواءُ النَّافعُ، فيَدْعو العبدُ مَوْلاه أن يَجعَلَ قلبَه سليمًا مِنَ الضَّغائنِ والأحقادِ.

٤- التَّخلُّقُ بالأخلاقِ الَّتي تَزيدُ مِنَ المَحبَّةِ والأُلْفةِ بيْن المؤْمِنينَ؛ كالبَشاشةِ والتَّبسُّمِ، وإفشاءِ السَّلامِ، وإهداءِ الهَديَّةِ، وغَيرِها؛ فإنَّ هذه الأخلاقَ كَفيلةٌ بانتِزاعِ سَخيمةِ القلوبِ، وأَعلاقِ الصُّدورِ، فتُصبِحُ نَقيَّةً صافيةً.

٥- رِضا العبدِ بما قَسَمَه اللهُ[١].

نماذجُ لسلامةِ الصَّدرِ من حياةِ الصَّحابةِ والسَّلفِ:

- عن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، (أنَّه دَخَل على ابنِ أبي دُجانةَ وهو مريضٌ، وكان وجْهُه يَتهلَّلُ، فقال له: ما لك يَتهلَّلُ وجْهُك؟ قال: ما مِن عمَلِ شَيءٍ أَوثَقُ عِندي مِنَ اثنَينِ: أمَّا أحدُهُما فكنتُ لا أَتكلَّمُ بما لا يَعْنِيني، وأمَّا الأُخرى: فكان قلْبي للمُسلِمينَ سليمًا)[٢].

- وأُثِر عن أبي الدَّرْداءِ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه كان يَدْعو لسَبعينَ مِن أصحابِه، يُسمِّيهم بأسمائِهم. وفي هذا العملِ عَلامةٌ على سلامةِ الصَّدرِ[٣].

- وعن الفضلِ بنِ أبي عَيَّاشٍ قال: (كنتُ جالِسًا مع وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، فأتاهُ رجُلٌ فقال: إنِّي مرَرْتُ بفُلانٍ وهو يَشتُمُك. فغَضِبَ، فقال: ما وَجَد الشَّيطانُ رسولًا غَيرَك؟! فما بَرِحْتُ مِن عِندِه حتَّى جاءَه ذلك الرَّجُلُ الشَّاتمُ، فسَلَّمَ على وَهبٍ، فرَدَّ عليه، ومَدَّ يدَه، وصافَحَه، وأَجلَسَه إلى جَنبِه)[٤].

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٤٥٧٧)، وابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (١١٣).

(٣) ذكره ابن بطال في ((شرح صحيح البخاري)) (٢/ ٤٥٠).

(٤) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (١/ ٤٥٧).

سلامة الصَّدر في واحة الشِّعر:

قال عَنتَرةُ:

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَـــن تَعْلو به الرُّتبُ ... ولا يَنالُ العُلا مَن دَأبُـــهُ الغضَبُ[1]



(١) ((مجاني الأدب في حدائق العرب)) لرزق الله شيخو (٥/ ٢٥١).

سَماحَة النَّفْس

معنى السَّماحة:

السَّماحةُ لُغةً: مادَّةُ (سمح) تدُلُّ على سَلاسةٍ وسُهولةٍ، والمُسامَحة: المُساهَلةُ[1].

السَّماحةُ اصطلاحًا: تُطلَقُ السَّماحةُ على بَذْلِ ما لا يَجِبُ تَفضُّلًا. وتأتي بمعنَى التَّسامُحِ مع الغَيرِ في المُعاملاتِ المُختلِفةِ، ويَكونُ ذلك بتيسيرِ الأمورِ والمُلاينةِ فيها الَّتي تَتجلَّى في التَّيسيرِ وعدَمِ القهرِ، وسماحةِ المُسلِمينَ الَّتي تَبْدو في تَعامُلاتِهمُ المختلِفةِ مع النَّاسِ[2].

التَّرغيبُ في السَّماحة من القُرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال السعديُّ: (هذه الآيةُ جامِعةٌ لحُسنِ الخُلُقِ مع النَّاسِ، وما يَنبَغي في مُعاملتِهم)[3].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]؛ فوجَّهَ اللهُ الدَّائِنينَ إلى التَّيسيرِ على المَدِينينَ المُعسِرينَ، فعَلَّمَهمُ اللهُ بذلك سَماحةَ النَّفسِ، وحُسنَ التَّغاضي عنِ المُعسِرينَ[4].

- وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهُما، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٩٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ٩٩).
(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٦٠)، ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٦/ ٢٢٨٧).
(٣) ((تفسير السعدي)) (ص: ٣١٣).
(٤) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٤٦٧).

وسلَّمَ قال: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشتَرَى، وإذا اقتَضَى))[(١)].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ألَا أُخبِرُكُم بمَن يَحرُمُ على النَّارِ أو بمَن تَحرُمُ علَيهِ النَّارُ؟ على كُلِّ قَريبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ))[(٢)]، أي: سَهْل في قَضاءِ حَوائجِ النَّاسِ، أو مَعناهُ: أنَّه سَمْحُ القَضاءِ، سَمْحُ الاقتِضاءِ، سَمْحُ البَيعِ، سَمْحُ الشِّراءِ[(٣)].

فوائِد سَماحةِ النَّفْسِ[(٤)]:

- سَمْحُ النَّفْسِ الهَيِّنُ اللَّيِّنُ يَغنَمُ في حياتِه أكبَرَ قِسطٍ مِنَ السَّعادةِ وهَناءةِ العَيشِ.

- ويَستقبِلُ المَقاديرَ بالرِّضا والتَّسليمِ مهما كانت مَكروهةً للنُّفوسِ.

- ويَظفَرُ بأكبَرِ قِسطٍ مِن مَحبَّةِ النَّاسِ له، وثِقةِ النَّاسِ به.

- ويَجلِبُ لنفْسِه الخَيرَ الدُّنيَويَّ بتَسامُحِه؛ لأنَّ النَّاسَ يُحبُّون المُتسامِحَ الهَيِّنَ اللَّيِّنَ، فيَميلون إلى التَّعامُلِ معه، فيَكثُرُ عليه الخَيرُ بكثرةِ مُحِبِّيه والواثِقينَ به.

- ويَجلِبُ لنَفْسِه -إذا ابتغَى وجهَ اللهِ- رِضا اللهِ تعالى والخَيرَ الأُخْرويَّ العظيمَ.

مِن صُوَرِ السَّماحةِ:

١- السَّماحةُ في التَّعامُلِ مع الآخَرين: ويَكونُ بعدَمِ التَّشديدِ والغِلظةِ في

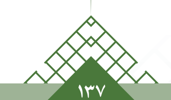
---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٨) واللفظ له، وأحمد (٣٩٣٨). قال الترمذي: حسن غريب. وجود إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/ ٢٦)، والبوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٣/ ٢٨٥) وقال: وله شاهد.

(٣) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٨/ ٣١٧٩).

(٤) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٤٤٣).



التَّعامُلِ مع الآخَرينَ حتَّى ولو كان خادمًا.

٢- السَّماحةُ في البَيعِ والشِّراءِ.

٣- السَّماحةُ في قضاءِ الحَوائجِ.

٤- السَّماحةُ في اقتِضاءِ الدَّينِ مِنَ المَدينِ.

وسائلُ اكتسابِ خُلُقِ سماحةِ النَّفْسِ[1]:

١- التَّأمُّلُ فيما رَغَّبَ اللهُ به الَّذين يَتحلَّوْنَ بخُلُقِ السَّماحةِ، وفي الفوائدِ والسَّعادةِ الَّتي يَظفَرون بها في الحياةِ الدُّنيا والآخرةِ.

٢- التَّأمُّلُ في المَحاذيرِ الَّتي حذَّرَ اللهُ منها النَّكِدينَ المُتشدِّدينَ العَسيرينَ، وما يَجلِبُه لهم خُلُقُهم وظواهِرُه السُّلوكيَّةُ مِن مَضارَّ عاجلةٍ وآجِلةٍ، ومَتاعِبَ وآلامٍ كثيرةٍ، وخَسارةٍ مادِّيَّةٍ ومَعْنويَّةٍ.

٣- الإيمانُ اليقينيُّ بالقضاءِ والقَدَرِ.

نماذجُ مِن سماحةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلف:

- كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ سَمْحًا في تَعامُلِه، وهو المَثَلُ الأَكمَلُ في السَّماحةِ، يَحْكي لنا أنسٌ رَضيَ اللهُ عنه ما لاقاهُ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ مِن حُسنِ المُعامَلةِ، فيَقولُ: ((خدَمْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ عَشْرَ سِنينَ، فما قال لي: أُفٍّ، ولا: لِمَ صَنَعْتَ؟ ولا: ألَا صَنَعْتَ))[2].

- ومِن سماحتِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: قَضاءُ حَوائِجِ النَّاسِ؛ فعن أنسٍ

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٤٥١) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٩).

رَضيَ اللهُ عنه قال: ((إنْ كانتِ الأَمَةُ مِن إماءِ أهلِ المدينةِ لَتَأخُذُ بيَدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فتَنطَلِقُ به حيث شاءَتْ))[1].

- وفي خِلافةِ أبي بكرٍ رَضيَ اللهُ عنه كَتَب خالدُ بنُ الوليدِ رَضيَ اللهُ عنه في عَقدِ الذِّمَّةِ لأهلِ الحِيرةِ بالعراقِ -وكانوا مِنَ النَّصارى-: (وجعَلْتُ لهم أيُّما شَيخٍ ضعُفَ عنِ العملِ، أو أصابَتْهُ آفةٌ مِنَ الآفاتِ، أو كان غَنيًّا فافتَقَر وصارَ أهلُ دِينِه يَتصدَّقونَ عليه، طَرَحْتُ جِزْيَتَه، وعِيلَ مِن بَيتِ مالِ المُسلِمينَ هو وعِيالُه)[2].

- وفي خلافةِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحِمه اللهُ كَتَب إلى عَدِيِّ بنِ أَرْطأةَ: (وانظُرْ مَن قِبَلَكَ مِن أهلِ الذِّمَّةِ قد كبِرَتْ سِنُّه، وضَعُفَتْ قوَّتُه، وولَّتْ عنه المكاسِبُ، فأَجْرِ عليه مِن بَيتِ مالِ المُسلمينَ ما يُصلِحُه)[3].

علاماتُ سمحِ النَّفْسِ:

١- طلاقةُ الوَجهِ، واستِقبالُ النَّاسِ بالبِشرِ، ومُشاركتُهم بالسَّمعِ والفِكْرِ والقلبِ.

٢- مُبادَرةُ النَّاسِ بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ، والمُصافَحةِ، وحُسنِ المُحادَثةِ.

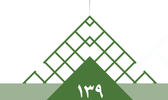
٣- حُسنُ المُصاحَبةِ والمُعاشَرةِ، والتَّغاضي وعدَمُ التَّشدُّدِ في الأمورِ.

السَّماحة في واحة الشِّعر:

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٦٠٧٢) واللفظ له، وأخرجه موصولًا ابن ماجه (٤١٧٧)، وأحمد (١٣٢٥٦).

(٢) ((كتاب الخراج)) لأبي يوسف (ص: ١٥٧).

(٣) ((الأموال)) للقاسم بن سلام (ص: ٥٦).



قال الإمامُ الشافعيُّ:

وكُنْ رجُلًا على الأَهوالِ جَلْدًا ... وشِيمتُكَ السَّماحةُ والوَفاءُ

ولا تَرْجُ السَّماحةَ مِن بَخيلٍ ... فما في النَّارِ لِلظَّمْآنِ ماءُ[1]



(١) ((ديوان الإمام الشافعي)) (ص: ١٧).

الشَّجاعةُ

معنى الشَّجاعة:

الشَّجاعةُ لُغةً: شِدَّةُ القلبِ عندَ البأسِ[1].

الشَّجاعةُ اصطلاحًا: الإقدامُ على المكارِهِ والمهالِكِ عندَ الحاجةِ إلى ذلك، وثباتُ الجأشِ عندَ المخاوفِ، والاستهانةُ بالموتِ[2].

الفرقُ بيْنَ الشجاعةِ و البَسالَةِ والجُرأةِ[3]:

الشجاعةُ مِن القلبِ، وهي ثباتُهُ واستقرارُه عندَ المخاوفِ. والبَسلُ: الحَرامُ؛ فكأنَّ الباسلَ حرامٌ أنْ يُصابَ في الحربِ بمكروهٍ؛ لشِدَّتِه فيها وقُوَّتِه. والشَّجاعةُ: الجُرأةُ، والشجاعُ: الجريءُ المِقْدامُ في الحربِ؛ ضعيفًا كان أو قويًّا، والجُرأةُ: قوَّةُ القلبِ الدَّاعي إلى الإقدامِ على المكارِهِ؛ فالشجاعةُ تُنْبِئُ عن الجُرأةِ، والبسالةُ تُنْبِئُ عن الشِّدَّةِ. والجُرأةُ إقدامٌ سببُهُ قلَّةُ المبالاةِ، وعَدمُ النَّظرِ في العاقبةِ، بلْ تُقدِمُ النفسُ في غيرِ موضعِ الإقدامِ، مُعرِضةً عن ملاحظةِ العارضِ؛ فإمَّا عليها، وإمَّا لها.

الترغيبُ في الشجاعةِ من القرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ

---

(١) يُنظر: ((الصحاح في اللغة)) للجوهري (٣/ ١٢٣٥)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٣٥٤)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/ ١٧٣).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٧). ويُنظر: ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٢٥).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٩٩)، ((الروح)) لابن القيم (ص: ٢٣٧) بتصرف.

بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

- وقال سُبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]، أي: حُثَّهم وأَنْهِضْهم إليه بكلِّ ما يُقوِّي عزائمَهم، ويُنشِّطُ هِمَمَهم، مِن التَّرغيبِ في الجِهادِ ومُقارعةِ الأعداءِ، والترهيبِ مِن ضدِّ ذلك، وذِكْرِ فضائلِ الشجاعةِ والصَّبرِ، وما يَترتَّبُ على ذلكَ من خيرٍ في الدُّنيا والآخرةِ، وذِكْرِ مضارِّ الجُبنِ، وأنَّه من الأخلاقِ الرَّذيلةِ المُنقصِةِ للدِّينِ والمروءةِ، وأنَّ الشجاعةَ بالمؤمنينَ أَوْلَى مِن غيرِهِمْ[1].

- وعن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِن المؤمنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ))[2].

- وعن عَمرِو بنِ مَيمونٍ الأوديِّ قال: ((كان سعدٌ يُعلِّمُ بنِيهِ هؤلاء الكلماتِ كمَا يُعلِّمُ المعلِّمُ الغِلمانَ الكِتابةَ، ويقولُ: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ كانَ يتعوَّذُ منهنَّ دُبرَ الصلاةِ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من الجُبنِ، وأعوذُ بك أنْ أُرَدَّ إلَى أرذلِ العُمرِ، وأعوذُ بكَ مِن فِتنةِ الدُّنيا، وأعوذُ بكَ من عذابِ القبرِ. فَحدَّثتُ به مُصعبًا، فصدَّقَهُ))[3].

ما قِيل في الشجاعة:

(١) ((تفسير السعدي)) (ص: ٣٢٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٢).

- قال أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه لخالدِ بنِ الوليدِ رضِيَ اللهُ عنه: (احرِصْ على الموتِ، تُوهَبْ لكَ الحياةُ)[1].

- وكتبَ زيادٌ إلى ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنه: (أنْ صِفْ ليَ الشَّجاعةَ والجبنَ والجودَ والبُخلَ، فكتبَ إليهِ: كتبْتَ تَسْأَلُني عن طبائعَ رُكِّبَتْ في الإنسانِ تركيبَ الجوارحِ، اعلَمْ أنَّ الشجاعَ يُقاتِلُ عمَّن لا يَعرِفُه، والجبانَ يفِرُّ عنْ عُرسِه، وأنَّ الجوادَ يُعطِي مَن لا يَلزَمُه، وأنَّ البخيلَ يُمسِكُ عن نفْسِه)[2].

- وقال بعضُ الحكماءِ: (جِسمُ الحربِ الشجاعةُ، وقلبُهَا التَّدبيرُ، ولِسانُها المكيدةُ، وجَناحُها الطاعةُ، وقائدُها الرِّفقُ، وسائقُها النَّصرُ).

أقسامُ الشجاعةِ[3]:

الشَّجاعةُ خمسةُ أنواعٍ: **سَبُعيةٌ**؛ كمَن أقدَمَ لثَورانِ غضبٍ، وتَطلُّبِ غَلبةٍ. و**بَهيميَّةٌ**؛ كمَن حاربَ تَوصُّلًا إلى مأكلٍ أو مَنكحٍ. و**تَجريبيةٌ**؛ كمَن حاربَ مِرارًا فظَفِرَ، فجعلَ ذلكَ أصلًا يَبْني عليه. و**جِهاديةٌ**؛ كمَن يُحارِبُ ذَبًّا عن الدِّينِ. و**حِكميةٌ**، وهيَ ما تكونُ في كلِّ ذلكَ عن فِكرٍ وتمييزٍ وهيئةٍ محمودةٍ بقدْرِ ما يجِبُ، وعلى ما يجِبُ، ألَا ترَى أنَّه يُحمَدُ مَن أقدَمَ على كافرٍ غضبًا لدِينِ اللهِ، أو طمعًا في ثوابِهِ، أو خوفًا مِن عقابِه، أوِ اعتمادًا على ما رأَى مِن إنجازِ وَعْدِ اللهِ في نُصْرةِ أوليائِه؛ فإنَّ كلَّ ذلكَ محمودٌ وإنْ كانَ مَحضُ الشَّجاعةِ هوَ ألَّا يَقصِدَ بالإقدامِ حوزَ ثوابٍ، أو دفعَ عِقابٍ.

ومن الشَّجاعةِ المحمودةِ: مُجاهدةُ الإنسانِ نفْسَهُ، أو غيرَه، وكلُّ واحدٍ منهما ضَرْبانِ: مُجاهدةُ النَّفْسِ بالقولِ، وذلكَ بالتعلُّمِ، وبالفِعلِ، وذلكَ بقمعِ الشهوةِ،

---

(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/ ٩٢).

(٢) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٤٧).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٣٢٨).

وتهذيبِ الحميَّةِ. ومُجاهدةُ الغيرِ بالقولِ، وذلكَ بتَزيينِ الحقِّ وتعليمِه، وبالفعلِ، وذلكَ بمُدافعةِ الباطلِ ومُتَعاطيهِ بالحربِ.

فوائدُ الشجاعة وآثارُهَا[1]:

١- الشَّجاعةُ سببٌ لانشراحِ الصَّدرِ.

٢- الشجاعةُ أصلُ الفضائلِ.

٣- الشَّجاعةُ تَحْمِلُ صاحبَها على عِزَّةِ النفْسِ، وإيثارِ معالي الأخلاقِ والشِّيَمِ.

٤- الرَّجُلُ الشُّجاعُ يُحسِنُ الظنَّ باللهِ.

٥- لا تَتِمُّ مَصلحةُ الإمارةِ والسِّياسةِ إلَّا بالشجاعةِ.

٦- كِبْرُ النَّفْسِ، والاقتدارُ على حمْلِ الكرائِهِ، والتأهُّلِ للأمورِ العِظَامِ.

٧- النَّجدةُ، وهيَ ثِقةُ النفْسِ عندَ المخاوفِ حتَّى لا يُخامِرَها جَزَعٌ.

٨- احتمالُ الكدِّ، وهو قوَّةٌ للنفْسِ بها تَستعمِلُ البدنَ بالتَّمرينِ وحُسنِ العادةِ.

مِن صُوَرِ الشجاعةِ[2]:

١- الإقدامُ في سَاحاتِ الوغَى في الجهادِ في سبيلِ اللهِ، والاستهانةُ بالموتِ.

٢- الجرأةُ في إنْكارِ المنكَرِ، وبَيانِ الحقِّ.

٣- الشَّجاعةُ في الأعمالِ التي تَحتاجُ إلى تَحمُّلِ المخاطِرِ، ورِباطةِ الجأشِ؛ كرجالِ المطافِئِ، وعمَّالِ المناجمِ، والأطبَّاءِ والممرضينَ وغيرِهم.

٤- حُضورُ الذِّهنِ عندَ الشدائدِ، ومقابلتُها برَزانةٍ وثباتٍ، وذِهنٍ حاضرٍ، وعقلٍ

(١) ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص: ١٨) بتصرف.
(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لجمال نصار (ص: ٢٠٦) بتصرف.

غير مُشتَّتٍ.

٥- الشجاعةُ الأدبيَّةُ، وهي قولُ الحقِّ بأدبٍ وإنْ تألَّمَ منه الناسُ، والاعتِرافُ بالخطإِ وإنْ نالَتْه عُقوبةٌ.

مِن وسائلِ اكتسابِ خُلقِ الشجاعةِ:

١- اللُّجوءُ إلَى اللهِ بالدُّعاءِ والذِّكْرِ.

٢- ترسيخُ عقيدةِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدَرِ، وأنَّ الإنسانَ لنْ يُصِيبَه إلَّا ما كتَبَ اللهُ له.

٣- ترسيخُ عقيدةِ الإيمانِ باليومِ الآخرِ.

٤- غرسُ اليقينِ بما أعدَّه اللهُ مِن النَّعيمِ في الجنَّةِ للذينَ يُقاتِلونَ في سبيلِ اللهِ.

٥- التدريبُ العمليُّ بدفْعِ الإنسانِ إلى المواقفِ المُحرِجَةِ التي لا يَتخلَّصُ منها إلَّا بأنْ يَتشجَّعَ.

٦- الإقناعُ بأنَّ مُعظمَ مُثيراتِ الجُبنِ لا تعدُو أنَّها أوهامٌ لا حقيقةَ لها.

٧- القُدوةُ الحَسنةُ، وعرضُ مشاهدِ الشُّجعانِ، وذِكْرُ قَصَصِهم.

٨- إثارةُ دوافعِ التَّنافسِ، ومكافأةُ الأشجعِ بعطاءاتٍ مادِّيةٍ[1].

نماذجُ من شجاعةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والعُلماءِ:

- عنْ عليٍّ رَضِي اللهُ عنه قال: ((لقَدْ رأيتُنَا يومَ بَدْرٍ ونحنُ نلوذُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وهُوَ أقربُنَا إلى العدوِّ، وكان مِن أشدِّ الناسِ يومئذٍ بأسًا))[2].

---

(١) ٢ - ٨ ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (٢/ ٥٦٨) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٤)، وابن أبي شيبة (٣٣٢٨١). جود إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/ ٤٦٧)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٢/ ٦٤).

- وعنْ أنسٍ رضي الله عنه قال: ((كانَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أحسَنَ الناسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجَعَ الناسِ، ولقدْ فزِعَ أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ، فانطلَقَ الناسُ قِبَلَ الصَّوتِ، فاستَقْبَلهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قدْ سبَقَ الناسَ إلى الصَّوتِ، وهو يقولُ: لنْ تُراعوا، لنْ تُراعوا. وهو على فرسٍ لأبِي طلحةَ عُرْيٍ، ما عليه سَرجٌ، في عُنقِه سيفٌ، فقالَ: لقدْ وجَدْتُهُ بحرًا، أو إنَّهُ لَبحرٌ))[١].

- وعنْ هِشامِ بنِ عُروةَ، عنْ أبيهِ: (أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قالُوا للزُّبيرِ يومَ اليَرْموكِ: ألَا تشُدُّ فنشُدَّ معكَ؟ فقال: إنِّي إنْ شَدَدْتُ كذَبْتُمْ، فقالوا: لا نَفعَلُ، فحَمَلَ عليهم حتى شقَّ صُفوفَهم، فجاوَزَهم، وما معَه أحدٌ، ثمَّ رجَعَ مُقبِلًا فأَخَذوا بلِجامِهِ فضَربُوه ضَرْبتَين على عاتقِهِ، بينهما ضَربةٌ ضُرِبَها يومَ بدرٍ. قالَ عروةُ: كنتُ أُدخِلُ أصَابعي في تلك الضَّرباتِ ألْعبُ وأنا صغيرٌ، قالَ عروةُ: وكانَ معَه عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ يومئذٍ، وهو ابْنُ عشْرِ سنينَ، فحَمَله على فرسٍ وكَّلَ به رجلًا)[٢].

- ويَحكي الباجِيُّ موقفًا عن سُلطانِ العلَماءِ العزِّ بنِ عبدِ السَّلام رحِمهُ اللهُ، فيقول: (طلَعَ شَيخُنا عزُّ الدِّينِ مرَّةً إلى السُّلطانِ في يومِ عيدٍ إلى القلعةِ، فشاهَدَ العساكرَ مُصطفِّينَ بينَ يدَيْه، ومجلسَ المملكةِ وما السُّلطانُ فيهِ يومَ العيدِ مِن الأُبَّهَةِ، وقد خرَجَ على قَومِه في زِينتِه على عادةِ سَلاطينِ الدِّيارِ المصريةِ، وأخذَتِ الأمراءُ تُقبِّلُ الأرضَ بينَ يدَي السُّلطانِ، فالْتفَتَ الشيخُ إلى السُّلطانِ وناداه: يا أيُّوبُ، ما حُجَّتُك عندَ اللهِ إذا قال لك: ألَمْ أُبوِّئْ لك مُلْكَ مصرَ ثمَّ تُبيحُ الخمورَ؟! فقال: هل جَرى هذا؟ فقال: نعَمْ؛ الحانةُ الفلانيةُ يُباعُ فيها الخمورُ، وغيرُهَا مِن المنكراتِ، وأنتَ تتقلَّبُ في نِعمةِ هذه المملكةِ، يُناديهِ كذلك بأعْلَى

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧٥).

صَوتِه، والعساكرُ واقفونَ، فقال: يا سيِّدي، هذا أنا ما عمِلْتُه، هذا مِن زمانِ أبِي، فقال: أنتَ من الذينَ يقولونَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]! فرسَمَ السُّلطانُ بإبطالِ تلك الحانةِ. يقولُ الباجِيُّ: سألْتُ الشيخَ لمَّا جاءَ مِن عندِ السُّلطانِ وقدْ شاع هذا الخبرُ: يا سيِّدي، كيفَ الحالُ؟ فقال: يا بُنَيَّ، رأَيتُه في تلكَ العظمةِ فأردْتُ أنْ أُهِينَه؛ لئلَّا تَكبُرَ نفْسُه فتُؤْذيَه، فقلتُ: يا سيِّدي، أمَا خِفْتَه؟ فقال: واللهِ يا بُنَيَّ، استَحْضرتُ هَيبةَ اللهِ تعالى، فصارَ السُّلطانُ قدَّامي كالقِطِّ)[1].

ما يترتَّبُ على الشجاعةِ:

- أنْ يُستعانَ بالشَّجاعةِ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ.
- أنْ تكونَ الشَّجاعةُ في مَوضعِها، فيُقْدِمَ الشُّجاعُ في موضعِ الإقدامِ، ويَثْبُتَ في مَوضعِ الثَّباتِ، ويَحجُمَ في موضعِ الإحجامِ.
- أنْ يَقترِنَ مع الشَّجاعةِ الرَّأيُ الصحيحُ.

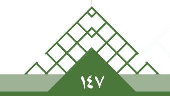
الشجاعةُ في واحةِ الشِّعرِ:

قيل: أشجعُ بيتٍ قالَه العربُ قولُ العبَّاسِ بْنِ مِرْداسٍ السُّلميِّ:

أشُدُّ علَى الكَتيبةِ لَا أُبالي ... أَحَتْفِي كانَ فيها أَمْ سِوَاها[2]



(١) ((طبقات الشافعية)) للسبكي (٨/ ٢١١).
(٢) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة الدينوري (٢/ ٢١١).



الشَّفقةُ

معنى الشَّفقةِ:

الشَّفقةُ لُغةً: الاسمُ مِن الإشفاقِ، وهو الحَذرُ من الشَّيءِ، والخَوفُ عليه؛ يقال: أشفَقْتُ منهُ، وأشفقتُ عليه، ولا يقال: شَفِقْت. والشَّفيقُ: الناصحُ الحريصُ على صلاحِ المنصوحِ[1].

الشَّفقةُ اصطلاحًا: هي رِقَّةُ الخوفِ، وهو خوفٌ برحمةٍ مِن الخائفِ لِمَنْ يخافُ علَيه، فنِسْبتُه إلى الخوفِ نِسبةُ الرَّأفةِ إلى الرحمةِ، فإنَّها ألْطَفُ الرحمةِ وأرقُّها[2]. وقيل: هي عِنايةٌ مُختلِطةٌ بخوفٍ؛ لأنَّ المشفِقَ يُحِبُّ المشفَقَ عليه، ويَخافُ ما يَلحَقُه[3].

الفرقُ بيْن الشَّفقةِ والرِّقَّةِ:

قدْ يَرِقُّ الإنسانُ لِمَنْ لا يُشفِقُ عليه؛ كالَّذي يَئِدُ المؤودةَ فيَرِقُّ لها لا مَحالةَ؛ لأنَّ طبْعَ الإنسانيةِ يُوجِبُ ذلك، ولا يُشفِقُ عليها؛ لأنَّه لوْ أشفَقَ علَيها ما وَأَدَها[4].

التَّرغيبُ والحَثُّ على الشَّفقةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، أي:

---

(١) ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٨/ ٢٦١)، ((الصحاح)) للجوهري (٤/ ١٥٠١-١٥٠٢).
(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ٥١٤).
(٣) ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٥٨-٤٥٩).
(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٠٠).

رسولٌ مُشفِقٌ في حقِّكم؛ لأنَّه يَصعُبُ عليه عَنَتُكم[1].

- وعن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رَضِي اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادِّهِم وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم مَثَلُ الجسدِ؛ إذَا اشْتكَى منهُ عضوٌ تَداعى لهُ سائرُ الجَسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى))[2]. وهذا تَمثيلٌ للمؤمنينَ بما يجِبُ أنْ يكونُوا علَيه مِن الشَّفقةِ والرأفةِ[3].

- عنْ أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((إذا أَمَّ أحدُكُم الناسَ فلْيُخفِّفْ؛ فإنَّ فيهم الصَّغيرَ، والكبيرَ، والضَّعيفَ، والمريضَ، فإذا صَلَّى وَحْده فلْيُصلِّ كيفَ شاء))[4].

أقْوالُ السَّلفِ والعُلَماءِ في الشفقةِ:

- عنْ أسلمَ: (أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رَضِي اللهُ عنه استَعملَ مولًى له يُدْعى: هُنَيًّا على الحِمَى، فقال: يا هُنَيُّ، اضْمُمْ جَناحَك عن المسلمينَ، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ؛ فإنَّ دعوةَ المظلومِ مُستجابةٌ)[5]. وقوله: (اضْمُمْ جَناحَك) كِنايةٌ عن الرحمةِ والشفقةِ[6].

- وقال أبو الخَيرِ: (القلوبُ ظُروفٌ؛ فقلْبٌ مملوءٌ إيمانًا، فعلامتُهُ الشَّفقةُ على جميعِ المسلمينَ، والاهتمامُ بما يَهمُّهم، ومُعاونتُهم على أنْ يعودَ صلاحُهُ إليهم، وقلْبٌ مملوءٌ نِفاقًا، فعلامتُه الحِقدُ والغِلُّ والغشُّ والحَسدُ)[7].

---

(١) ((الكليات)) للكفوي (ص: ١٥١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٣) ((صحيح ابن حبان)) (١/ ٤٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٥٩).

(٦) ((عمدة القاري)) للعيني (١٤/ ٣٠٤).

(٧) ((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (٦٦/ ١٦١).

أقسامُ الشفقةِ:

الشَّفقةُ قِسمانِ: الشَّفَقةُ المحمودةُ، والشَّفقةُ المذمومةُ. والمَذمومةُ ما يَحصُلُ بسَبِبها تعطيلٌ لشرْعِ اللهِ، أو تَهاونٌ في تطبيقِ حُدودِه وأوامرِه؛ كمَنْ يُشفِقُ على مَن ارتكَبَ جُرمًا يَستحِقُّ به حدًّا، فيُحاولُ إقالتَه والعفوَ عنه، ويَحسَبُ أنَّ ذلك مِن الشفقةِ على الخَلْقِ، وهو ليسَ منها في شَيءٍ. أو كمَنْ يُشفِقُ على الطُّلَّابِ فيَتْركُهم يَغشُّون في الامتحانِ؛ شَفقةً منه عليهم أنْ يَرْسُبوا!

فوائدُ الشفقةِ وآثارُها:

١- أنَّ المُتحلِّيَ بها يَتحلَّى بخُلقٍ تحلَّى بِهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

٢- أنَّ أهلَها مَخْصوصونَ برحمةِ اللهِ؛ جَزاءً لِشَفَقتِهم ورَحْمتِهم بخَلقِه.

٣- سببٌ في نَيلِ مَحبَّةِ اللهِ للعبْدِ، ومحبَّةِ النَّاسِ له.

٤- أنَّها رَكيزةٌ عَظيمةٌ يَنْبني عليها مجتمعٌ مُسلِمٌ مُتماسكٌ يعطِفُ بعضُهُ على بعضٍ، ويُشفِقُ بعضُهُ على بعضٍ.

٥- أنَّها سببٌ لمغفرةِ اللهِ -تبارَك وتَعالَى- وكريمِ عفْوِه، كما أنَّ نقيضَها سببٌ في سَخطِه وعذابِه.

مِن صُوَرِ الشَّفقةِ:

١- شَفقةُ الإمامِ برَعيتِه، وتجنُّبُ ما مِن شأنِه أنْ يَجلِبَ المشقَّةَ لهم.

٢- الشفقةُ على الأبناءِ، والعطفُ عليهم، والحزنُ إذا أصابَهم مَكروهٌ.

٣- شَفقةُ الوالدَينِ على أوْلادِهما.

٤- الشَّفقةُ على النِّساءِ.

موانعُ اكتسابِ الشفقَّةِ[1]:

١- التكبُّرُ على الناسِ.

٢- الإساءةُ للآخَرينَ.

٣- الشِّبَعُ؛ لأنَّه إذا شبِعَ، ظنَّ أنَّ الخلْقَ كلَّهم شِباعٌ.

٤- الحسدُ؛ فإنَّه عدُوُّ نِعمةِ اللهِ، ونَتيجةُ الحَسَدِ مِن قِلَّةِ الشَّفقةِ على المسلمينَ.

الوسائلُ المُعِينةُ على اكتسابِ الشَّفقةِ:

١- التَّحلِّي بالإحسانِ.

٢- عدمُ الشِّبَعِ.

٣- عدمُ الحسدِ.

٤- الاختلاطُ بالضُّعفاءِ والمساكينِ وذَوِي الحاجةِ، ومسْحُ رأْسِ اليتيمِ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يُرقِّقُ القلبَ، ويَدْعو إلى الرحمةِ والشَّفقةِ بهؤلاء وغَيرِهم.

نَماذجُ في الشَّفقةِ من الأنبياءِ والمرسَلينَ والصَّحابةِ:

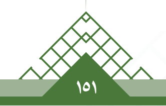
- كان الأنبياءُ -صلواتُ اللهِ علَيهم- مِن أَسْمَى الخلْقِ في الشَّفقةِ والرحمةِ والحِلْمِ بقَوْمِهم، فكانوا يُشفِقون بِهم بالرَّغمِ مِن إيذاءِ قومِهم لهُمْ؛ فعنْ عبدِ اللهِ ابنِ مسعودٍ رَضِي اللهُ عنه قال: ((كأنِّي أنظُرُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يَحْكي نبيًّا مِنَ الأنبياءِ ضرَبَه قومُهُ، فأَدْمَوه، فهو يَمسَحُ الدَّمَ عن وجْهِه ويقولُ: ربِّ اغْفِرْ لقَومِي؛ فإنَّهم لا يَعلمون))[2].

- وفيه ما كانوا عليه -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيهم- مِن الحِلمِ والتصبُّرِ والعفْوِ

---

(١) ((عيوب النفس)) للسلمي (ص: ٣١)، ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢).



والشَّفقةِ على قَومِهم، ودُعائِهم لهم بالهِدايةِ والغُفرانِ، وعُذْرِهم في جِنايَتِهم على أنْفسِهم بأنَّهم لا يَعْلمون[1].

- وعنْ أنسٍ رَضِي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال في حديثِ الشفاعةِ: ((أُمَّتِي أُمَّتِي))[2]، وهذ الوصْفُ مِن الشَّفقةِ والرَّحمةِ التي وُصِفَ بها صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ[3].

- وقال الأصمعيُّ: (كَلَّم الناسُ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عوفٍ أنْ يُكلِّمَ عمرَ بْن الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه في أنْ يَلِينَ لهمْ؛ فإنَّه قد أخافَ الأبكارَ في خُدورِهنَّ، فكلَّمَه عبدُ الرحمنِ، فالْتفتَ عمرُ إلى عبدِ الرَّحمنِ رَضيَ اللهُ عنهما، فقال له: يا عبدَ الرحمنِ، إنِّي لا أجِدُ لهم إلَّا ذلكَ، واللهِ لو أنَّهم يَعْلمون ما لهم عندِي مِن الرَّأفةِ والرحمةِ والشَّفقةِ، لَأَخَذوا ثوبِي عن عَاتِقي)[4].

الشَّفقةُ في الأمثالِ والشِّعر:

- يقال: أشفقُ مِن أُمٍّ على ولدٍ[5].

- وقال الشاعرُ:

وصاحبٌ كانَ لِي وكنتُ لَه ... أشْفقَ مِن والدٍ علَى ولدِ
كنَّا كساقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ ... أو كذراعٍ نِيطَتْ إلى عَضُدِ[6]

(١) ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/ ١٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).
(٣) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (٢/ ١٦٣).
(٤) أخرجه أبو بكر الدِّينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (٤/ ٤٣).
(٥) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (ص: ٥٣٨).
(٦) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٣/ ٩٣).

الشَّهامةُ

معنى الشَّهامةِ:

الشهامةُ لُغةً: مادة (شهم) تدلُّ على الذَّكاءِ؛ يُقال: رجلٌ شَهمٌ، وهو الذَّكيُّ الفؤادِ المتوقِّدُ، الجلْدُ. وقيل: الشَّهمُ: الحَمولُ، الجيِّدُ القِيامِ بما يَحمِلُ، الذي لا تَلْقاهُ إلَّا حَمولًا، طيِّبَ النفْسِ بما حَمَل[1].

الشَّهامةُ اصطلاحًا: هيَ عِزَّةُ النَّفسِ وحِرصُها على مُباشَرةِ الأمورِ العَظيمةِ؛ توقُّعًا للذِّكرِ الجميلِ[2].

مدحُ الشهامةِ والترغيبُ فيها مِن القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤]. (فَثارَ مُوسَى، وتحرَّكتْ فيهِ عواملُ الشَّهامةِ والرُّجولةِ، وسقَى لهُما، وأدْلَى بدَلْوِه بينَ دِلَاءِ الرِّجالِ حتَّى شَرِبَت ماشيتُهُما)[3].

- وعنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: ((إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه

---

(١) ((كتاب العين)) للخليل (٣/ ٤٠٥)، ((الزاهر في معاني كلمات الناس)) لأبي بكر الأنباري (١/ ١١٤)، ((معجم ديوان الأدب)) للفارابي (٢/ ٢٧٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٢٣)، ((المحكم)) لابن سيده (٤/ ١٩٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٣٢٨).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص: ٣٠)، ((المعجم الوسيط)) (ص: ٤٩٨).

(٣) ((التفسير الواضح)) للحجازي محمد محمود (٢/ ٨٢٥).

وسلَّمَ لمَّا رَأى منَ النَّاس إدبارًا، قال: اللَّهمَّ سبْعٌ كسبعِ يُوسُفَ، فأخَذتْهم سَنةٌ حَصَتْ كلَّ شيءٍ، حتَّى أكَلوا الجلودَ والميتةَ والجِيَفَ، ويَنظرُ أحدُهُم إلى السماءِ، فيَرَى الدُّخَانَ من الجوعِ، فأتَاه أبو سفيانَ، فقال: يا محمدُ، إنَّك تأمُرُ بطاعةِ الله، وبصلَةِ الرَّحِمِ، وإنَّ قومَكَ قدْ هلَكوا، فَادْعُ اللهَ لهمْ))[1]؛ فلمَّا جاءَه أبُو سفيانَ يَطلُبُ منه الاستسقاءَ لمْ يَرفُضْ؛ لحُسنِ خُلقِه وشهامتِهِ، ورغبتِه في هِدايتِهم.

فوائدُ الشهامةِ:

١- الشَّهامةُ مِن مكارمِ الأخلاقِ الفاضلةِ، ومِن صِفَاتِ الرجالِ العُظماءِ.

٢- تُشِيعُ المحبَّةَ في النُّفوسِ، وتُزِيلُ العداوةَ بين الناسِ.

٣- فيها حِفظُ الأعراضِ، ونشْرُ الأمنِ في المجتمعِ.

٤- علامةٌ على عُلوِّ الهِمَّةِ، وشَرفِ النفْسِ.

موانعُ اكتسابِ صِفَةِ الشهامةِ:

١- قَسوةُ القلبِ.

٢- الأنانيةُ وخِذْلانُ المسلمينَ، واللَّامبالاةُ بمُعاناتِهم.

٣- الجبنُ والبخلُ.

٤- الذلُّ والهوانُ وضَعفُ النفْسِ.

٥- الحِقدُ والعداوةُ والبغضاءُ.

٦- لُبسُ الرِّجالِ للحَرِيرِ.

٧- الوقوعُ في الفواحشِ، واختلاطُ النِّساءِ بالرِّجالِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧٩٨).

الوسائلُ المُعِينةُ على اكتسابِ صِفَةِ الشَّهامةِ[1]:

١- الصبرُ، والشجاعةُ.

٢- علوُّ الهمَّةِ وشرفُ النفْسِ.

٣- العدلُ والإنصافُ.

٤- مُصاحبةُ ذَوِي الشهامةِ والنَّجدةِ.

٥- الإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ.

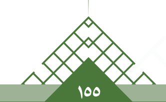
نَماذجُ في الشَّهامةِ مِن حياةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ:

- كان للنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ النَّصيبُ الأوفى مِن هذه الصِّفةِ؛ فكانَ -صلواتُ الله وسلامُهُ عليه ((أحسنَ النَّاسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجَعَ الناسِ، قال أنسٌ: وقَدْ فَزِعَ أهلُ المدينةِ ليلةً سَمعُوا صوتًا، قال: فتَلقَّاهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ على فَرسٍ لأَبي طلحةَ عُرْيٍ، وهُوَ مُتقلِّدٌ سيفَه، فقال: لَمْ تُرَاعوا، لَمْ تُرَاعوا، ثمَّ قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: وجدْتُهُ بَحرًا. يَعْني: الفرسَ))[2].

- وعنْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه قال: (إنِّي لَفِي الصفِّ يومَ بدرٍ، إذِ الْتفتُّ، فإذَا عنْ يميني وعنْ يَساري فَتيانِ حَديثَا السِّنِّ، فكأنِّي لم آمَنْ بمَكَانهما، إذْ قال لي أحدُهُما سِرًّا مِن صاحبِهِ: يا عمِّ، أَرنِي أبَا جهلٍ، فقلتُ: يا ابنَ أَخي، وما تَصنعُ بِهِ؟ قال: عاهدْتُ اللهَ إنْ رأيتُهُ أنْ أقتُلَه أو أموتَ دونَه، فقال ليَ الآخرُ سِرًّا مِن صاحبِهِ مِثلَه، فما سَرَّني أنِّي بينَ رجلينِ مكانَهما، فأَشَرتُ لهُما

(١) ((بريقة محمودية)) للخادمي (٣/ ١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٧).



إليهِ، فشَدَّا عليه مِثْلَ الصَّقْرينِ حتَّى ضَرَباهُ، وهُمَا ابنَا عَفْراءَ)[1]؛ شَبَّههما بالصَّقر لِمَا اشْتُهِرَ عنه مِن الشَّجاعةِ والشهامةِ والإقدامِ علَى الصيدِ، ولأنَّه إذا تَشبَّثَ بشَيْءٍ لم يُفارِقْه حتَّى يأخذَهُ[2].



(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٧٥٢).
(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/ ٣٠٨).

الصَّبرُ

معنى الصَّبرِ:

الصَّبرُ لُغةً: حَبْسُ النَّفْسِ عن الجَزَعِ، وقد صَبَرَ فلانٌ عندَ المصيبةِ يَصْبِرُ صَبْرًا[1].

الصَّبرُ اصطلاحًا: خُلُقٌ فاضِلٌ مِن أخلاقِ النَّفْسِ يُمْتَنَعُ به مِن فِعلِ ما لا يَحسُنُ ولا يَجمُلُ، وهو قوَّةٌ مِن قُوى النَّفْسِ التي بها صلاحُ شأْنِها وقِوامُ أمْرِها[2].

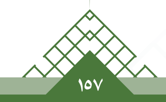
الفَرْقُ بين الصَّبرِ، والتصبُّرِ، والاصطبارِ، والمُصابَرةِ، والاحتمالِ:

إنْ كان حبْسُ نفْسِه ومنْعُها عن إجابةِ داعِي ما لا يَحسُنُ خُلُقًا له ومَلَكةً سُمِّيَ صَبْرًا. وإنْ كان بتكلُّفٍ وتمرُّنٍ وتَجرُّعٍ لِمَرارته سُمِّيَ تصبُّرًا. وأمَّا الاصطبارُ فهو أبلغُ مِن التَّصبُّرِ؛ فإنَّه افتعالٌ للصَّبرِ بمنزلةِ الاكتسابِ؛ فالتَّصبُّرُ مَبْدأُ الاصطبارِ، كما أنَّ التكسُّبَ مُقدِّمةُ الاكتسابِ، فلا يَزالُ التَّصبُّرُ يَتكرَّرُ حتَّى يَصِيرَ اصطبارًا. وأمَّا المُصابَرةُ فهي مُقاوَمةُ الخَصمِ في مَيدانِ الصَّبرِ؛ فإنَّها مُفاعَلةٌ تَسْتدعي وُقوعَها بين اثنينِ، كالمُشاتَمةِ والمُضارَبةِ. والفرقُ بين الاحتمالِ والصَّبرِ: أنَّ الاحتمالَ للشيءِ يُفِيدُ كَظْمَ الغيظِ فيه، والصَّبرُ على الشِّدَّةِ يُفِيدُ حبْسَ النَّفْسِ عن المُقابَلةِ عليه بالقولِ والفعلِ، والصَّبرُ عن الشَّيءِ يُفِيدُ حبْسَ النفْسِ عن فِعلِه[3].

فضلُ الصَّبرِ والحثُّ عليه مِن القرآنِ والسُّنةِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٧٠٦).
(٢) ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص: ٣٤).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٢).



لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

- وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

- وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ ناسًا مِن الأنصارِ سَألوا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأعطاهُم، ثمَّ سَألوهُ فأعطاهُم، ثمَّ سألوهُ فأعْطاهُم، حتَّى نَفِدَ ما عندَهُ، فقال: ما يكونُ عندي مِن خيرٍ فلنْ أدَّخِرَه عنكم، ومَن يَسْتعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْه اللهُ، وما أُعْطِيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسَعَ مِن الصَّبرِ))[١].

- وعن صُهيبٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((عجبًا لأمْرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كلَّهُ خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ؛ إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شكَرَ فكان خيرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صبَرَ فكان خيرًا له))[٢].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في الصَّبرِ:

- قال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه: (إنَّ أفضَلَ عَيشٍ أدْركناهُ بالصَّبرِ، ولو أنَّ الصَّبرَ كان مِن الرِّجالِ كان كريمًا)[٣].

- وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه: (ألَا إنَّ الصَّبرَ مِن الإيمانِ بمَنزلةِ الرَّأسِ مِن الجسَدِ، فإذا قُطِعَ الرَّأسُ باد الجسَدُ. ثمَّ رفَعَ صوتَه فقال: ألَا إنَّه لا إيمانَ لمَن لا صَبْرَ له)[٤].

فوائدُ الصَّبرِ:

١- دليلٌ على كَمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ.

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصبر والثواب عليه)) (٦).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصبر والثواب عليه)) (٨).

٢- يُثْمِرُ مَحبَّةَ اللهِ ومحبَّةَ النَّاسِ.

٣- سببٌ للتَّمكينِ في الأرضِ.

٤- الفوزُ بالجنَّةِ والنَّجاةُ مِن النَّارِ.

٥- مَظهرٌ مِن مظاهرِ الرُّجولةِ الحقَّةِ، وعلامةٌ على حُسنِ الخاتمةِ.

مراتبُ الصَّبرِ:

مراتبُ الصَّبرِ أربعٌ:

إحداها: مرتبةُ الكَمالِ، وهي مرتبةُ أولي العزائمِ، وهي الصَّبرُ للهِ وباللهِ.

الثانيةُ: ألَّا يكونَ فيه لا هذا ولا هذا، فهو أخسُّ المراتبِ وأردَأُ الخَلْقِ، وهو جديرٌ بكلِّ خِذلانٍ وحِرمانٍ.

الثالثةُ: مرتبةُ مَن فيه صَبْرٌ باللهِ، وهو مُستعينٌ مُتوكِّلٌ على حَولِه وقوَّتِه، مُتبرِّئٌ مِن حَولِه هو وقوَّتِه، ولكنَّ صَبْرَه ليس للهِ؛ إذ ليس صَبْرُه فيما هو مرادُ اللهِ الدِّينيُّ منه، فهذا يَنالُ مَطلوبَهُ ويَظفَرُ به، ولكنْ لا عاقبةَ له، وربَّما كانت عاقبتُه شَرَّ العواقبِ، وفي هذا المقامِ خُفراءُ الكُفَّارِ وأربابُ الأحوالِ الشَّيطانيَّةِ؛ فإنَّ صَبْرَهم باللهِ، لا للهِ ولا في اللهِ.

الرابعةُ: مَن فيه صَبْرٌ للهِ لكنَّه ضعيفُ النَّصيبِ مِن الصَّبرِ به والتَّوكُّلِ عليه، والثِّقةِ به والاعتمادِ عليه؛ فهذا له عاقبةٌ حَميدةٌ، ولكنَّه ضعيفٌ عاجزٌ، مَخذولٌ في كثيرٍ مِن مَطالِبِه؛ لِضَعْفِ نَصيبِه مِن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فنَصِيبُه مِن اللهِ أقْوى مِن نَصِيبِه باللهِ، فهذا حالُ المؤمنِ الضَّعيفِ[١].

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٤٥٠).

موانعُ التَّحلِّي بالصَّبرِ:

١ – الاستعجالُ.

٢ – الغضبُ.

٣ – شِدَّةُ الحُزنِ والضِّيقِ ممَّا يَمكُرُ به أعداؤه.

٤ – اليأْسُ.

الوسائلُ المُعِينةُ على الصَّبرِ:

١ – أنْ يَتدبَّرَ المرْءُ القرآنَ الكريمَ وَينظُرَ إلى آياتِه نظرةَ تأمُّلٍ.

٢ – أنْ يَستعينَ باللهِ في مُصابِه، ويَعلَمَ أنَّ ما أصابَهُ مُقدَّرٌ مِن اللهِ.

٣ – أنْ يَتجنَّبَ الجزَعَ، وأنَّه لا يَنفَعُه، بلْ يَزِيدُ مِن مُصابِهِ.

٤ – التيقُّن أنَّ نِعَمَ الدُّنيا فانيةٌ لا تَدومُ لأحدٍ؛ فلا يَفرَحُ بإقبالِها، ولا يَحزَنُ بإدْبارِها.

نماذجُ مِن صَبْرِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، والصَّحابةِ، والسَّلفِ، والعلماءِ:

– عن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها، أنَّها قالت: ((يا رسولَ اللهِ، هل أتَى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ؟ فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لقد لَقِيتُ مِن قَومِك ما لَقِيتُ، وكان أشدُّ ما لَقِيتُ منهم يومَ العَقبةِ؛ إذ عرَضْتُ نَفْسي على ابنِ عبْدِ يَالِيلَ ابنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فلمْ يُجِبْني إلى ما أرَدْتُ، فانطلَقْتُ وأنا مَهمومٌ على وَجْهي، فلمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعالبِ، فرفَعْتُ رَأْسي، فإذا بسحابةٍ قد أظَلَّتْني، فنَظرْتُ فإذا فيها جِبريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قَومِك لك وما رَدُّوا عليك، وقد

بعَثَ إليك ملَكَ الجِبالِ لِتَأمُرَه بما شِئْتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجبالِ، فسلَّمَ عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّدُ، إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قَومِك لك، وأنا مَلَكُ الجِبالِ، وقد بَعَثني ربُّك إليك لِتَأمُرَني بأمْرِك فما شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ، فقال له رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بلْ أرْجو أنْ يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يَعبُدُ اللهَ تعالى وحْدَهُ لا يُشرِكُ به شيئًا))[1].

- وقد صَبر آل ياسرٍ رضِيَ اللهُ عنهم -عمَّارٌ، وأبوه ياسرٌ، وأُمُّه سُمَيَّةُ- على تعذيب المشركين لهم بسببِ إيمانِهم؛ فعن ابنِ إسحاقَ قال: ((كان عمَّارُ بنُ ياسرٍ وأبوهُ وأُمُّه أهلَ بيتِ إسلامٍ، وكان بنو مَخزومٍ يُعذِّبونهم، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صبْرًا يا آلَ ياسرٍ؛ فإنَّ مَوعدَكم الجنَّةُ))[2].

- وقد (أُخِذَ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ في مِحنةِ خلْقِ القرآنِ أيَّامَ المأمونِ؛ لِيُحمَلَ إلى المأمونِ ببلادِ الرُّومِ، وأُخِذَ معه أيضًا محمَّدُ بنُ نُوحٍ مُقيَّديْنِ، ومات المأمونُ قبْلَ أنْ يَلْقاهما، فَرُدَّا في أقيادِهما، فمات محمَّدُ بنُ نوحٍ في الطَّريقِ، ورُدَّ أحمدُ إلى بغدادَ مُقيَّدًا. ودخَلَ على الإمامِ أحمدَ بعضُ حُفَّاظِ أهلِ الحديثِ بالرَّقَّةِ وهو محبوسٌ، فجَعَلوا يُذاكِرونه ما يُرْوى في التَّقيَّةِ مِن الأحاديثِ، فقال أحمدُ: وكيف تَصْنعون بحديثِ خبَّابٍ: ((إنَّ مَن كان قبْلَكم كان يُنشَرُ أحدُهم بالمِنْشارِ، ثمَّ لا يَصُدُّه ذلك عن دِينِه))[3]؟! فيَئِسوا منه).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم (٥٦٤٦) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٥١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٢) باختلاف يسير من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

الصَّبرُ في واحةِ الشِّعرِ:

- قال الشاعر:

الصَّبـــرُ أفضلُ شَـــيءٍ تَسْـــتعينُ به على الزَّمانِ إذا ما مسَّـــكَ الضَّرَرُ[1]

- وقال آخَرُ:

إنِّـــي رأيْتُ وفـــي الأيَّـــامِ تَجرِبةٌ للصَّبـــرِ عاقبـــةً مَحمـــودةَ الأثَرِ

وقَـــلَّ مَن جَـــدَّ في شَـــيءٍ يُحاوِلُه فاسْـــتصْحَبَ الصَّبرَ إلَّا فازَ بالظَّفَرِ[2]



(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ١٦١).
(٢) ((المصدر السابق)).

الصِّدقُ

معنى الصِّدقِ:

الصِّدقُ لُغةً: الصِّدْقُ: نقيضُ الكذِبِ، وصَدَّقَه: قَبِلَ قولَه، وصَدَقَهُ الحديثَ: أَنبأَهُ بالصِّدقِ(١).

الصِّدقُ اصطلاحًا: هو الخبرُ عن الشَّيءِ على ما هو بِهِ، وهو نقيضُ الكذِبِ(٢).

الفرقُ بين الصِّدقِ والوفاءِ(٣):

قيل: بيْنهما عُمومٌ وخُصوصٌ؛ فكلُّ وفاءٍ صِدْقٌ، وليس كلُّ صِدْقٍ وفاءً؛ فإنَّ الوفاءَ قد يكونُ بالفِعلِ دونَ القولِ، ولا يكونُ الصِّدقُ إلَّا في القولِ؛ لأنَّه نوعٌ مِن أنواعِ الخبرِ، والخبرُ قولٌ.

الحثُّ على الصِّدقِ مِن القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

- وقال سُبحانَه: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

- عن عبد اللهِ بنِ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: ((إنَّ الصِّدقَ يَهْدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجلَ لَيَصْدُقُ

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/ ١٩٣).
(٢) ((الواضح في أصول الفقه)) لابن عقيل (١/ ١٢٩).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٧٥).

حتَّى يكونَ صِدِّيقًا، وإنَّ الكذِبَ يَهْدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفُجورَ يَهْدي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجلَ لَيَكذِبُ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللهِ كذَّابًا))[1].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في الصِّدقِ:

- قال أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رضِيَ اللهُ عنه حِينما بُويِعَ للخلافةِ: (...الصِّدقُ أمانةٌ، والكذِبُ خِيانةٌ)[2].

- قال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: (ما مِن مُضغةٍ أحبَّ إلى اللهِ مِن لِسانٍ صَدوقٍ، وما مِن مُضغةٍ أبغَضَ إلى اللهِ مِن لِسانٍ كَذوبٍ)[3].

- وقيل: (مِن شَرَفِ الصِّدقِ أنَّ صاحبَهُ يَصدُقُ على عَدُوِّه)[4].

فوائدُ الصِّدقِ وآثارُه:

١- سلامةُ المُعتقَدِ.

٢- البذْلُ والتَّضحيةُ لِنُصرةِ الدِّينِ.

٣- حبُّ الصَّالحينَ وصُحبةُ الصَّادقينَ.

٤- الثَّباتُ على الاستقامةِ.

٥- البُعدُ عن مواطنِ الرِّيَبِ.

٦- الوفاءُ بالعُهودِ.

الوسائلُ المُعِينةُ على الصِّدقِ:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه الفسوي في ((المشيخة)) (٩)، والطبري في ((التاريخ)) (٣/ ٢١٠) مطولًا.

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٥٢).

(٤) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢/ ٢٦).

١- مُراقَبَةُ اللهِ تعالى.

٢- الحياءُ.

٣- صُحبةُ الصَّادقينَ.

٤- إشاعةُ الصِّدقِ في الأُسرةِ.

٥- الدُّعاءُ.

٦- مَعرفةُ وَعِيدِ اللهِ للكذَّابين وعذابِه للمُفْترينَ.

نماذجُ مِن الصِّدقِ:

- كان نبيُّنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أصدَقَ النَّاسِ وأبَرَّهم، وأكْمَلَهم عِلْمًا وعمَلًا، وإيمانًا وإيقانًا، مَعروفًا بالصِّدقِ في قَومِه، لا يشُكُّ في ذلك أحدٌ منهم، بحيث لا يُدْعى بيْنهم إلَّا بالأمينِ محمَّدٍ؛ ولهذا ((لمَّا سألَ هِرقلُ مَلِكُ الرُّومِ أبا سُفيانَ عن تلك المسائلِ التي سألَها مِن صِفَةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، كان فيما قال له: أَوَكُنتُم تَتَّهِمونه بالكذِبِ قبْلَ أنْ يقولَ ما قال؟ قال: لا. فقال هِرَقلُ: فما كان لِيَدَعَ الكذِبَ على النَّاسِ ويَذهبَ فيَكذِبَ على اللهِ عزَّ وجلّ))[1].

- وقد نجَا كعبُ بنُ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه بالصِّدقِ؛ وفي حديثِه الطويلِ في تخلُّفِه عن تبوكَ، قال كعبٌ: ((...فلمَّا بَلَغني أنَّه تَوجَّهَ قافِلًا، حَضَرني هَمِّي، وطَفِقْتُ أتذَكَّرُ الكَذِبَ وأقولُ: بماذا أَخرُجُ مِن سَخَطِه غدًا؟ واستَعنْتُ على ذلك بكلِّ ذي رأْيٍ مِن أهْلي، فلمَّا قِيل: إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد أظلَّ قادمًا، زاح عنِّي الباطلُ وعرَفْتُ أنِّي لنْ أخْرُجَ منه أبدًا بشَيءٍ فيه كذِبٌ، فأجْمَعْتُ صِدْقَه،... فلمَّا سلَّمْتُ عليه تبسَّمَ تبسُّمَ المُغضَبِ، ثمَّ قال: تعالَ. فجِئْتُ أمْشي

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣). ويُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٤/ ٦٠٤).

حتَّى جلَسْتُ بين يَديهِ، فقال لي: ما خلَّفَك؟ ألَمْ تكُنْ قد ابتَعْتَ ظَهْرَك؟ فقلْتُ: بلى، إنِّي واللهِ -يا رسولَ اللهِ- لو جلَسْتُ عندَ غَيرِك مِن أهلِ الدُّنيا لَرأيتُ أنْ سأَخرُجُ مِن سَخَطِه بعُذْرٍ، ولقد أُعْطِيتُ جدَلًا، ولكنِّي واللهِ لقد عَلِمْتُ لئنْ حَدَّثْتُك اليومَ حديثَ كذِبٍ تَرْضَى به عنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يُسخِطَك عليَّ، ولئنْ حَدَّثْتُك حديثَ صِدقٍ تَجِدُ عليَّ فيه، إنِّي لَأَرْجو فيه عفْوَ اللهِ، لا واللهِ ما كان لي مِن عُذْرٍ، واللهِ ما كنتُ قطُّ أقْوى ولا أيسَرَ منِّي حين تَخلَّفْتُ عنك. فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَّا هذا فقد صدَقَ، فقُمْ حتَّى يَقضِيَ اللهُ فيك... فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ إنَّما نجَّاني بالصِّدقِ، وإنَّ مِن تَوبتي ألَّا أُحَدِّثَ إلَّا صِدقًا ما بَقِيتُ؛ فواللهِ ما أعلَمُ أحدًا مِن المسلمين أبلاهُ اللهُ في صِدْقِ الحديثِ منذُ ذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أحسَنَ ممَّا أبْلاني؛ ما تَعمَّدْتُ منذُ ذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى يَومي هذا كذِبًا، وإنِّي لَأَرْجو أنْ يَحْفَظني اللهُ فيما بَقِيتُ))[١].

مِن صُوَرِ الصِّدقِ:

١- صِدْقُ اللِّسانِ.

٢- صِدْقُ النِّيَّةِ والإرادةِ.

٣- صِدْقُ العزْمِ.

٤- صِدْقُ الوفاءِ بالعزْمِ.

٥- الصِّدْقُ في الأعمالِ.

٦- الصِّدقُ في مقاماتِ الدِّينِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الأمورُ التي تُخِلُّ بالصِّدقِ:

١- الكذِبُ الخَفِيُّ: الرِّياءُ، وهو الشِّركُ الخَفِيُّ.

٢- الابتداعُ.

٣- كثرةُ الكلامِ.

٤- مُداهَنةُ النَّفْسِ، وهي: الاسترسالُ مع النَّفْسِ في أهوائِها وشَهواتِها.

٥- التَّناقُضُ بين القَولِ والعمَلِ.

الأمثالُ والشِّعرُ في الصِّدقِ:

- الصِّدْقُ عِزٌّ، والكَذِبُ خُضُوعٌ[١].

- قال الشاعرُ:

وإذا الأمورُ تَزاوجَتْ فالصِّدقُ أكْرَمُهَا نِتاجَا
الصِّدقُ يَعقِدُ فوقَ رَأْسِ حَليفِه بالصِّدقِ تاجَا
والصِّدقُ يَقْدَحُ زَنْدُهُ في كُلِّ ناحيةٍ سِراجَا[٢]



(١) ((مجمع الأمثال)) للميداني (ص: ٤٠٨).
(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٥٣).



الصَّمتُ

معنى الصَّمتِ:

الصَّمتُ لُغةً: صَمَت يَصْمُتُ صَمْتًا وصُموتًا وصُماتًا: سَكَت. ويُقال لغيرِ النَّاطقِ: صامتٌ، ولا يُقالُ: ساكِتٌ[(١)].

الصَّمتُ اصطلاحًا: سُقوطُ النُّطقِ بظُهورِ الحقِّ. وقيل: انقطاعُ اللِّسانِ عندَ ظُهورِ العِيانِ[(٢)].

الفرقُ بين الصَّمتِ والسُّكوتِ:

السُّكوتُ هو تَركُ التَّكلُّمِ مع القُدرةِ عليه، والقُدرةُ على التَّكلُّمِ غيرُ مُعتبرَةٍ في الصَّمت. كما أنَّ الصَّمتَ يُراعى فيه الطُّولُ النِّسبيُّ؛ فمَن ضَمَّ شَفتيهِ آنًا يكونُ ساكتًا، ولا يكونُ صامتًا إلَّا إذا طالَتْ مُدَّةُ الضَّمِّ. والسُّكوتُ إمساكٌ عن الكلامِ حقًّا كان أو باطلًا، أمَّا الصَّمتُ فهو إمساكٌ عن قولِ الباطلِ دونَ الحقِّ[(٣)].

التَّرغيبُ والحثُّ على الصَّمتِ مِن القرآنِ والسُّنةِ:

- قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

- وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) ((المعجم الوسيط)) (ص: ٥٢٢).

(٢) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) لزين الدين المناوي (ص: ٢١٩).

(٣) ((نضرة النعيم)) لمجموعة من الباحثين (٧/ ٢٦٣٤).

- وعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ...))[١]، وفيه: التَّأكيد في لزوم الصَّمت، وقولُ الخيرِ أفضلُ من الصَّمت؛ لأنَّ قولَ الخير غَنيمةٌ، والسُّكوتَ سَلامةٌ، والغنيمة أفضلُ مِن السَّلامة[٢].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في الصَّمتِ:

- عن أبي الدَّرداءِ رضِيَ اللهُ عنه قال: (تعلَّموا الصَّمتَ كما تَعلَّمون الكلامَ؛ فإنَّ الصَّمتَ حُكْمٌ عَظيمٌ، وكنْ إلى أنْ تَسمَعَ أحْرَصَ منك إلى أنْ تَتكلَّمَ، ولا تَتكلَّمْ في شَيءٍ لا يَعْنِيك، ولا تكُنْ مِضْحاكًا مِن غيرِ عَجبٍ، ولا مَشَّاءً إلى غيرِ أَرَبٍ)[٣].

- وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: (أربعٌ لا يُصَبْنَ إلَّا بعَجَبٍ: الصَّمتُ وهو أوَّلُ العِبادةِ، والتَّواضُعُ، وذِكْرُ اللهِ، وقِلَّةُ الشَّيءِ)[٤].

- وعن وُهَيْبِ بنِ الورْدِ رحِمهُ اللهُ، قال: (كان يُقال: الحِكمةُ عشَرةُ أجزاءٍ: فتِسعةٌ منها في الصَّمتِ، والعاشِرةُ عُزلةُ النَّاسِ)[٥].

أقسامُ الصَّمتِ:

١- **صمْتٌ محمودٌ**، وهو: أنْ تَصمُتَ عن كلِّ ما حرَّمَ اللهُ ونَهى عنه، مِثلُ الغِيبةِ والنَّميمةِ والبَذاءةِ وغيرِها، وكذلك الصَّمتُ عن الكلامِ المُباحِ الذي يُؤدِّي بك إلى الكلامِ الباطلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) ((التمهيد)) لابن عبدالبر (٢١/ ٣٥).

(٣) أخرجه الخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (ص: ١٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص: ٢٦٢)، وابن أبي عاصم في ((الزهد)) (ص: ٣٦) موقوفًا.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص: ٦٢).

٢- صمْتٌ مذمومٌ: كالصَّمتِ في المواطنِ التي يتطلَّبُ منك أنْ تَتكلَّمَ فيها، مِثلُ الأماكنِ التي تَرى فيها المُنكَراتِ، وكذلك الصَّمتُ عن نشْرِ الخيرِ، وكتْمُ العلْمِ.

فوائدُ الصَّمتِ:

١- دليلُ كَمالِ الإيمانِ، وحُسنِ الإسلامِ.

٢- دليلُ حُسنِ الخُلقِ، وطهارةِ النَّفْسِ.

٣- يُثمِرُ محبَّةَ اللهِ، ثمَّ محبَّةَ النَّاسِ.

٤- مِن أقوى أسْبابِ التَّوقيرِ.

٥- دليلٌ على الحِكمةِ.

٦- داعيةٌ للسَّلامةِ مِن اللَّغَطِ، والفراغِ للفِكرِ والذِّكرِ والعِبادةِ.

نماذجُ في الصَّمتِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم:

- عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: ((جالستُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أكثَرَ مِن مِئةِ مَرَّةٍ، فكان أصحابُه يتناشَدونَ الشِّعرَ ويتذاكَرون أشياءَ مِن أمرِ الجاهليَّةِ، وهو ساكِتٌ، فربَّما تبسَّمَ معهم))[(١)].

- وقال ابنُ بُريدةَ: (رأيتُ ابنَ عبَّاسٍ آخِذٌ بلِسانِه وهو يقولُ: وَيْحكَ، قُلْ خيرًا تَغنَمْ، أو اسْكُتْ عن سُوءٍ تَسلَمْ، وإلَّا فاعْلَمْ أنَّك ستَندَمُ. قال: فقِيل له: يا ابنَ عبَّاسٍ، لِمَ تقولُ هذا؟ قال: إنَّه بَلَغني أنَّ الإنسانَ -أُراهُ قال- ليس على

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٥٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٠١٠).
قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٨٥٠).

شَيءٍ مِن جَسدِه أشدَّ حَنَقًا أو غَيظًا يومَ القيامةِ منه على لِسانِه، إلَّا ما قال به خيرًا، أو أَمْلى به خيرًا))[1].

الوَسائلُ المُعِينةُ على اكتسابِ الصَّمتِ:

١- النَّظرُ في سيرةِ السَّلفِ الصَّالحِ، والاقتداءُ بهم في صَمْتِهم.

٢- التأمُّلُ في العواقبِ الوخيمةِ والسَّيِّئةِ للكلامِ الذي لا فائدةَ فيه، والذي يُفْضِي إلى الكلامِ الباطلِ.

٣- الابتعادُ عن المجالسِ التي يَكثُرُ فيها اللَّغطُ والفُحشُ والكلامُ البَذِيءُ.

حِكَمٌ وأمثالٌ وشِعرٌ في الصَّمتِ[2]:

- كان يُقال: إذا فاتَكَ الأدبُ، فالْزَمِ الصَّمْتَ[3].
- النَّدمُ على السُّكوتِ خيرٌ مِن النَّدمِ على القولِ[4].
- الصَّمتُ أخْفى للنَّقيصةِ، وأنْفى للغَمِيصَةِ[5].
- قال أبو جعفرٍ القرشيُّ:

اسْتُرِ العِيَّ ما استطَعْتَ بصَمْتٍ   إنَّ في الصَّمتِ راحةً للصَّمُوتِ
واجعَلِ الصَّمتَ إنْ عَيِيتَ جوابًا   رُبَّ قولٍ جوابُه في السُّكوتِ[6]

(١) أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (١٨٤٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/ ٣٢٧)، والفاكهي في ((أخبار مكة)) (٢٧٠).

(٢) ((الأمثال)) لأبي عبيد (ص: ٤٤)، ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢/ ١٩٢)، ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٢/ ١٣٤). والغَمصيةُ بمعنَى الغَميزة.

(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢/ ١٩٢).

(٤) ((الأمثال)) لأبي عبيد (ص: ٤٤).

(٥) ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٢/ ١٣٤).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (٧٠٠).

العدلُ

معنى العدْلِ:

العدلُ لُغةً: القصدُ في الأمورِ، وهو ضِدُّ الْجَوْرِ[1].

العدْلُ اصطلاحًا: استعمالُ الأمورِ في مَواضعِها، وأوقاتِها، ووُجوهِها، ومَقاديرِها، مِن غيرِ سَرفٍ، ولا تقْصيرٍ، ولا تقْديمٍ، ولا تأخيرٍ[2].

الفرقُ بين العدْلِ والقِسطِ والإنصافِ[3]:

القِسطُ: هو العدلُ البيِّنُ الظَّاهِرُ، ومنه سُمِّيَ المِكيالُ قِسطًا، والميزانُ قِسطًا؛ لأنَّه يُصوِّرُ لك العدلَ في الوزنِ حتَّى تراهُ ظاهرًا، وقد يكونُ مِن العدلِ ما يَخْفى.

والإنصافُ: إعطاءُ النَّصَفِ، **والعدْلُ** يكونُ في ذلك وفي غيرِه؛ ألَا ترى أنَّ السَّارقَ إذا قُطِعَ، قيل: إنَّه عدَلَ عليه، ولا يقال: إنَّه أنصَفَ.

آثارُ العدْلِ وفوائدُه:

١- العدلُ مِيزانُ اللهِ في الأرضِ، به يُؤخَذُ للمظلومِ مِن الظَّالمِ.

٢- مَن قام بالعدْلِ نال محبَّةَ اللهِ سُبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٣- بالعدْلِ يَحصُلُ الوئامُ بيْن الحاكمِ والمحكومِ.

---

(١) ((الصحاح في اللغة)) للجوهري (٥/ ١٧٦٠)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٤٣٠)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٣٩٦).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٨).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٨٠، ٤٢٨).

٤- العدلُ أساسُ الدُّولِ والمُلْكِ.

٥- بالعدْلِ يَستتِبُّ الأمْنُ في البلادِ.

٦- بالعدْلِ تَحصُلُ الطُّمأنينةُ في النُّفوسِ.

٧- العدلُ سببٌ لدخولِ غيرِ المسلمينَ في الإسلامِ.

الأمرُ بالعدْلِ ومَدْحُ مَن يقومُ به في القرآنِ والسُّنةِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

- وقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ٧٦].

- وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((بايَعْنا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على السَّمعِ والطَّاعةِ في عُسْرِنا ويُسْرِنا، ومَنشطِنا ومَكارِهِنا، وعلى ألَّا نُنازِعَ الأمْرَ أهْلَه، وعلى أنْ نقولَ بالعدْلِ أين كنَّا، لا نخاف في اللهِ لَومةَ لائمٍ))(١).

- عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما قال: قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّ المُقسِطينَ عندَ الله على منابرَ مِن نورٍ، عن يمينِ الرَّحمنِ عَزَّ وجَلَّ، وكلتا يديه يمينٌ؛ الذين يَعدِلون في حُكمِهم وأهليهم وما وَلُوا))(٢).

---

(١) أخرجه النسائي (٤١٥٣)، وأحمد (١٥٦٥٣).
صحَّحه ابن عبد البر في ((التمهيد)) (٢٣/ ٢٧٢)، وابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٤/ ٩١)، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٤١٥٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

فالعدلُ واجبٌ في كلِّ شيءٍ، لكنَّه في حقِّ ولاة الأمورِ آكدُ وأولى وأعظمُ؛ لأنَّ الظلم إذا وقَع مِن وُلاةِ الأمور حصَلتِ الفوضى والكراهة لهم؛ حيثُ لم يعدلوا[1].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في العدْلِ:

- قال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه: (إنَّ اللهَ إنَّما ضرَبَ لكمُ الأمثالَ، وصرَّفَ لكم القولَ؛ لِتَحيَا القلوبُ، فإنَّ القلوبَ ميِّتةٌ في صُدورِها حتَّى يُحْيِيَها اللهُ، مَن عَلِمَ شيئًا فلْيَنتفِعْ به؛ إنَّ للعدْلِ أماراتٍ وتباشيرَ؛ فأمَّا الأماراتُ: فالحياءُ والسَّخاءُ والهينُ واللَّينُ. وأمَّا التَّباشيرُ فالرَّحمةُ. وقد جعَلَ اللهُ لكلِّ أمْرٍ بابًا، ويسَّرَ لكلِّ بابٍ مفتاحًا، فبابُ العدلِ الاعتبارُ، ومفتاحُه الزُّهدُ، والاعتبارُ ذِكْرُ الموتِ والاستعدادُ بتَقديمِ الأعمال)[2].

- وقال ابنُ حزْمٍ رحِمهُ اللهُ: (أفضلُ نِعَمِ اللهِ تعالى على المرْءِ أنْ يطْبَعَهُ على العدْلِ وحُبِّهِ، وعلى الحقِّ وإيثارِهِ)[3].

- وقال ابنُ تيميَّةَ رحِمهُ اللهُ: (العدْلُ نِظامُ كلِّ شَيءٍ، فإذا أُقِيمَ أمْرُ الدُّنيا بعدْلٍ، قامت وإنْ لم يكُنْ لصاحبِها في الآخرةِ مِن خَلاقٍ. ومتى لم تقُمْ بعدْلٍ، لم تقُمْ وإنْ كان لصاحبِها مِن الإيمانِ ما يُجْزى به في الآخرةِ)[4].

أقسامُ العدْلِ:

ينقسِمُ العدلُ إلى قسمين:

(١) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/ ٦٤١).

(٢) أخرجه الطبري في ((تاريخ الرسل والملوك)) (٣/ ٤٨٥)، وذكره ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٧/ ٤٣).

(٣) ((الأخلاق والسير)) لابن حزم (ص: ٩٠).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/ ١٤٦).

عدلٌ مُطلَقٌ: يَقْتضي العقْلُ حُسْنَه، ولا يكونُ في شَيءٍ مِن الأزمنةِ مَنسوخًا، ولا يُوصَفُ بالاعتداءِ بوَجْهٍ، نحوُ: الإحسانِ إلى مَن أحسَنَ إليك، وكفُّ الأذيَّةِ عمَّن كفَّ أذاهُ عنك. **وعدْلٌ يُعرَفُ كونُه عدْلًا بالشَّرعِ**، ويُمكِنُ أنْ يكونَ منسوخًا في بعضِ الأزمنةِ؛ كالقِصاصِ وأُروشِ الجناياتِ[1].

مِن صُوَرِ العدْلِ:

١- عدْلُ الوالي، سواءٌ كانت ولايتُه ولايةً خاصَّةً أو عامَّةً.

٢- العدْلُ في الحُكْمِ بين النَّاسِ.

٣- العدلُ مع الزَّوجةِ أو بيْن الزَّوجاتِ.

٤- العَدلُ بيْن الأولادِ في العَطيَّةِ والهِبَةِ.

٥- العدلُ في القولِ.

٦- العدلُ في الكَيلِ والميزانِ.

٧- العدلُ مع غيرِ المسلمينَ؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

نَماذجُ في العدلِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم:

- عن عائشةَ زوجِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((أنَّ قُريشًا أهَمَّهم شأْنُ المرأةِ التي سرَقَت في عهْدِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في غزوةِ الفتْحِ، فقالوا: مَن يُكلِّمُ فيها رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فقالوا: ومَن يَجترِئُ عليه إلَّا

(١) ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٥٢).

أسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فأُتِيَ بها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فكلَّمَه فيها أسامةُ بنُ زيدٍ، فتلوَّنَ وجْهُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: أتَشفَعُ في حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ؟! فقال له أسامةُ: اسْتغفِرْ لي يا رسولَ اللهِ. فلمَّا كان العشِيُّ قام رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فاختطَبَ فأثْنى على اللهِ بما هو أهْلُه، ثمَّ قال: أمَّا بعدُ، فإنَّما أهلَكَ الذين مِن قبْلِكم: أنَّهم كانوا إذا سرَقَ فيهم الشَّريفُ ترَكوهُ، وإذا سرَقَ فيهم الضَّعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وإنِّي والَّذي نفْسي بيَدِه، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سرَقَت، لَقطعْتُ يَدَها. ثمَّ أمَرَ بتلك المرأةِ التي سرَقَت فقُطِعَت يَدُها))[1].

العَدلُ في واحةِ الشِّعرِ:

قال الزهاويُّ:

العدْلُ كالغَيــثِ يُحْيي الأرضَ وَابِلُهُ والظُّلمُ في المُلْكِ مِثْلُ النارِ في القَصبِ[2]



(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) ((مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي)) لأحمد قبش (ص: ٣٢٧).

العِزَّةُ

معنى العِزَّةِ:

العِزَّةُ لُغةً: العِزُّ: خِلافُ الذُّلِّ. وهو في الأصلِ: القوَّةُ والشِّدَّةُ، والغَلَبةُ، والرِّفعةُ، والامتناعُ، والحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ؛ يقالُ: عَزَّ يَعَزُّ: إذا اشتَدَّ وقَوِيَ، ويَعِزُّ: إذا قَوِيَ وامتنَعَ، ويَعُزُّ: إذا غلَبَ وقهَرَ[1].

العِزَّةُ اصطلاحًا: حالةٌ مانعةٌ للإنسانِ مِن أنْ يُغلَبَ. وقيل: التَّأبِّي عن حمْلِ المَذلَّةِ، والتَّرفُّعُ عمَّا تَلحَقُه غَضاضةٌ[2].

الفرقُ بين الشَّرفِ والعِزَّةِ:

أنَّ العِزَّةَ تتضمَّنُ معنى الغَلَبةِ والامتناعِ. والشَّرفُ إنَّما هو في الأصلِ شَرفُ المكانِ، ومنه قولُهم: أشْرَفَ فلانٌ على الشَّيءِ: إذا صار فوقَه، ومنه قِيلَ: شُرفةُ القصرِ، ثمَّ استُعْمِلَ في كَرمِ النَّسبِ؛ فقيل للقرشي: شريفٌ[3].

التَّرغيبُ والحثُّ على العِزَّةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ٨٨٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٨)، ((شمس العلوم)) لنشوان الحميري (٧/ ٤٣١٠)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٣٧٤، ٣٧٥)، ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٢٤١)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١٥/ ٢١٩)، ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (٢/ ١٤٩٢).

(٢) ((معجم مقاليد العلوم)) للسيوطي (ص: ٢٠٣)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١٥/ ٢١٩)، ((المعجم الوسيط)) (٢/ ٥٩٨).

(٣) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٦/ ٢٣٤٤).

- وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

- وعن تَميمٍ الدَّاريِّ رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((لَيبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلَغَ الليلُ والنَّهارُ، ولا يَترُكُ اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدْخلَه اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذَليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفْرَ))[١]. وكان تميمٌ الدَّاريُّ يقولُ: قد عرَفْتُ ذلك في أهلِ بَيتي؛ لقد أصاب مَن أسلَمَ منهم الخيرُ والشَّرفُ والعِزُّ، ولقد أصاب مَن كان منهم كافرًا الذُّلُّ والصَّغارُ والجِزيةُ.

أقوالُ العلماءِ في العِزَّةِ:

- قال ابنُ القيِّمِ: (العِزَّةُ والعُلوُّ إنَّما هما لأهلِ الإيمانِ الذي بعَثَ اللهُ به رُسلَه، وأنزَلَ به كُتبَهُ، وهو عِلْمٌ وعمَلٌ وحالٌ... قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ فلهُ مِن العِزَّة بحسَبِ ما معه مِن الإيمانِ وحقائقِه، فإذا فاتهُ حظٌّ مِن العُلوِّ والعِزَّةِ، ففي مُقابَلةِ ما فاته مِن حقائقِ الإيمانِ؛ عِلْمًا وعَملًا، ظاهرًا وباطنًا)[٢].

أقسامُ العِزَّةِ:

١- العِزَّةُ الشَّرعيَّةُ.

٢- العِزَّةُ غيرُ الشَّرعيَّةِ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧) واللفظ له، والطبراني (٢/ ٥٨) (١٢٨٠). صححه الحاكم على شرط الشيخين في ((المستدرك)) (٤/ ٤٧٧)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦/ ١٧): رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في ((تحذير الساجد)) (١٥٨): على شرط مسلم وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/ ١٨١).

مِن صُورِ العِزَّةِ الشَّرعيَّة:

١- الاعتزازُ باللهِ تَبارَك وتعالى.

٢- الاعتزازُ بالانتسابِ للإسلامِ، والاعتزازُ بهَدْيِه وشرائعِه.

٣- الاعتزازُ برسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

٤- إظهارُ العِزَّةِ على الكافرينَ، والذِّلَّةِ وخفْضِ الجَناحِ للمؤمنينَ.

مِن صُورِ العِزَّة غيرِ الشَّرعية:

١- الاعتزازُ بالكفَّارِ: مِن يهودَ، ونَصارى، ومنافقينَ، وغيرِهم.

٢- الاعتزازُ بالآباءِ والأجدادِ.

٣- الاعتزازُ بالقبيلةِ والرَّهطِ.

٤- الاعتزازُ بالكثرةِ، سواءٌ كان بالمالِ أو العدَدِ.

٥- الاعتزازُ بالأصنامِ والأوثانِ.

أسبابُ العِزَّةِ الشَّرعيَّة:

١- الاعتقادُ الجازمُ والإيمانُ اليقينيُّ بأنَّ اللهَ تعالى هو العزيزُ الذي لا يَغلِبُه شيءٌ، وأنَّه هو مصدرُ العِزَّةِ وَواهِبُها.

٢- صِدقُ الانتماءِ لهذا الدِّينِ، والشُّعورُ بالفخرِ للانتسابِ له، والاعتزازُ به، حتَّى ولو كان ذلك في زَمنِ الاستضعافِ، واستقواءِ أعداءِ المسلمينَ.

٣- مُتابَعةُ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هَدْيِه، وطاعتُه في أمْرِه، ولُزومُ سُنَّتِه؛ فإنَّه بقَدْرِ ذلك تكونُ عِزَّةُ العبْدِ في الدُّنيا وفلاحُه في الآخرةِ.

٤- اليقينُ أنَّ دِينَ اللهِ قد كُتِبَ له العُلوُّ والتَّمكينُ في الأرضِ، وأنَّ دولةَ الكافرينَ وعِزَّتَهم صائرةٌ إلى زوالٍ؛ لأنَّها بُنِيَت على باطلٍ وسرابٍ.

نماذجُ مِن العِزَّة في الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم:

- عن طارقِ بنِ شِهابٍ، قال: (خرَجَ عمرُ بنُ الخطَّابِ إلى الشَّامِ، ومعنا أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاحِ، فأتَوا على مَخاضَةٍ وعمَرُ على ناقةٍ له، فنزَلَ عنها وخلَعَ خُفَّيْه، فوضَعَهُما على عاتِقِه، وأخَذَ بزِمامِ ناقتِه، فخاض بها المَخاضَةَ، فقال أبو عُبيدةَ: يا أميرَ المؤمنينَ، أنت تَفعَلُ هذا؛ تخلَعُ خُفَّيْك وتَضعُهما على عاتِقِك، وتأخُذُ بزِمامِ ناقَتِك، وتخوضُ بها المَخاضةَ؟! ما يَسُرُّني أنَّ أهلَ البلدِ اسْتَشْرَفوك، فقال عمرُ: أوَّهْ! لو يقُلْ ذا غيرُك أبا عُبيدةَ، جَعلْتُه نَكالًا لِأُمَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ! إنَّا كنَّا أذلَّ قومٍ، فأعَزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فمَهْما نَطلُبِ العِزَّةَ بغيرِ ما أعَزَّنا اللهُ به أذَلَّنا اللهُ)[1].

حِكَمٌ وشِعرٌ عن العِزَّةِ:

- إذا أردْتَ أنْ يكونَ لك عِزٌّ لا يَفْنى، فلا تَستعِزَّ بعِزٍّ يَفْنى. إنَّ اللهَ حكَمَ بحُكْمٍ قبْلَ خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ: ألَّا يُطِيعَه أحدٌ إلَّا أعزَّه، ولا يَعْصيَه أحدٌ إلَّا أذَلَّه[2].

- الموتُ في مقامِ العِزَّةِ خيرٌ مِن الحياةِ في الذُّلِّ[3].

- قال المُتنبِّي:

عِشْ عزيزًا أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بيْنَ طَعْنِ القَنا[4] وخَفْقِ البُنودِ[5]

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٧).
صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١/ ١١٨).
(٢) ((فيض القدير)) للمناوي (٦/ ٧٣).
(٣) ((مرزبان نامه)) (ص: ١٢٠).
(٤) القنا: جمع قناة وهي الرمح. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ٢٠٣).
(٥) ((الوساطة بين المتنبي وخصومه)) للجرجاني (١/ ٣٥١). والبنود: جمع بند وهو العلَم الكبير. ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ٩٧).

العزْمُ والعزيمةُ

معنى العزم والعزيمة:

العزْمُ والعزيمةُ لُغةً: الجِدُّ؛ عَزَمَ على الأمْرِ يَعْزِمُ عَزْمًا وعَزِيمةً. وعزَمَ عليه لَيَفعلَنَّ: أقسَمَ[1].

العَزْمُ والعزيمةُ اصطلاحًا: إمضاءُ الرَّأيِ، وعدَمُ التَّردُّدِ بعدَ تبيُّنِ السَّدادِ[2].

التَّرغيبُ في العزْمِ والعزيمةِ في فِعلِ الخيرِ مِن القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- وقول تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

- عنْ أبِي هُريرةَ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((لا يقُولَنَّ أحَدُكم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْني إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ في الدُّعاءِ؛ فإنَّ اللهَ صانعٌ ما شاء لا مُكْرِهَ له))[3].

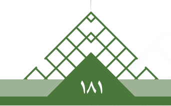
مِن أقوالِ العلماءِ في العزْمِ والعزيمةِ:

---

(١) ((المحكم)) لابن سيده (١/ ٥٣٣).

(٢) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (٤/ ١٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) واللفظ له.



قال ابنُ الجوزيِّ: (ليس في سِياطِ التَّأديبِ أجودُ مِن سَوطِ العزْمِ)[1].

مِن فوائدِ العزْمِ والعزيمةِ:

١- مَظِنَّةُ قَبولِ الدُّعاءِ.

٢- وسيلةٌ لِتَهذيبِ النَّفْسِ وتحصيلِ الأخلاقِ الفاضلةِ؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

٣- يُعِينُ على تَحقيقِ التَّقْوى.

٤- يُعِينُ على تَرْكِ المعاصي.

٥- وَسيلةٌ للتَّخلُّصِ مِن تَلبيسِ الشَّيطانِ ووَسوستِه.

٦- خيرُ مُعِينٍ على طلَبِ العلْمِ.

٧- العزيمةُ على طلَبِ الحقِّ تُثمِرُ نورَ الحقِّ وجلالَ الإيمانِ.

موانعُ اكتسابِ العزمِ والعزيمةِ وتقْويتِهما:

١- مرضُ القلْبِ وضَعفُ النَّفسِ وانهزامُها.

٢- العجْزُ والكسَلُ.

٣- التَّسويفُ والتَّمنِّي وتَرْكُ الأخذِ بالأسبابِ.

٤- الخوفُ مِن الفشَلِ.

٥- التَّردُّدُ وعدَمُ وُضوحِ الأهدافِ.

٦- سُوءُ الظَّنِّ باللهِ سُبحانه وتعالى، واليأْسُ وفُقدانُ الأملِ، والنَّظرةُ التَّشاؤميَّةُ للحياةِ.

---

(١) ((صيد الخاطر)) لابن الجوزي (ص: ٦٧).

٧- قِلَّةُ الصَّبرِ، وعدَمُ الثَّباتِ، واستطالةُ الطَّريقِ، واستعجالُ النتائجِ.

٨- صُحبةُ أصحابِ العزائمِ الخاويةِ والبطَّالينَ.

الوسائلُ المُعِينةُ على تقْويةِ العزْمِ والعزيمةِ:

١- التَّوكُّلُ على اللهِ وحُسْنُ الظَّنِّ به سُبحانه في الوصولِ للهدَفِ؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- الدُّعاءُ.

٣- صِدْقُ الإيمانِ، وسلامةُ العقيدةِ.

٤- الاقتداءُ بذَوِي العزْمِ والعزيمةِ مِن أهلِ الصَّلاحِ والدِّينِ ومُصاحبتُهم؛ قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٥- المُسارَعةُ في التَّنفيذِ، وعدَمُ التَّردُّدِ بعدَ عقْدِ العزْمِ على العملِ؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

٦- الثَّباتُ والصَّبرُ على الصُّعوباتِ أثناءَ العملِ؛ قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

نماذجُ مِن قوَّةِ العزْمِ والعزيمةِ في حياةِ الأنبياءِ والصَّحابةِ:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

(يُخبرُ تعالى عن نَبيِّه مُوسى عليه السَّلامُ، وشِدَّةِ رَغبتِه في الخيرِ وطَلبِ العلْمِ، أنَّه قال لخادمِهِ: لا أزالُ مُسافِرًا وإنْ طالَتْ عليَّ الشُّقَّةُ، ولَحِقَتْني المشقَّةُ، حتَّى أصِلَ إلى مَجمعِ البحرينِ، وهو المكانُ الذي أُوحِيَ إليه: أنَّك ستَجِدُ فيه عبدًا مِن عِبادِ الله العالمين، عنده مِن العِلْمِ ما ليس عِندك، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، أي:

مسافةً طويلةً، وهذا عزْمٌ منه جازمٌ، فلذلك أمضاهُ)[1]، ولم يَمنَعْه مِن الاستمرارِ في رِحلتِه قولُه: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، أي: تعَبًا، وكذلك لم يَثْنِ عزْمَه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّهم أخطؤوا الطَّريقَ؛ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤-٦٦]. وسبَبُ رِحلةِ نبيِّ اللهِ مُوسى لطَلبِ العلْمِ: أنَّه (بيْنما مُوسى في مَلإٍ مِن بني إسرائيلَ، جاءهُ رجلٌ فقال: هلْ تَعلَمُ أحدًا أعلَمَ منك؟ قال مُوسى: لا. فأَوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى مُوسى: بلى، عبْدُنا خَضِرٌ، فسألَ مُوسى السَّبيلَ إليه، فجعَلَ اللهُ له الحوتَ آيةً، وقيل له: إذا فقَدْتَ الحوتَ فارْجِعْ؛ فإنَّك ستلقاهُ)[2].

- عزيمة أنسِ بنِ النَّضرِ رضِيَ اللهُ عنه لا يُخمِدُها إلَّا الموتُ، قال ابنُ الجَوزيِّ: (ولولا جِدُّ أنسِ بنِ النَّضرِ في تَرْكِ هواهُ، وقد سمِعْتَ مِن أثَرِ عَزمتِه: لئنْ أشْهَدني اللهُ مَشْهدًا ليَرينَّ اللهُ ما أصنَعُ، فأقْبَلَ يومَ أُحدٍ يُقاتِلُ حتَّى قُتِلَ، فلم يُعرَفْ إلَّا ببَنانِه، فلولا هذا العزْمُ ما كان انبساطُ وَجْهِه يومَ حلَفَ: واللهِ لا تُكسَرُ سِنُّ الرُّبَيِّعِ)[3].

- وقد تعلم زَيدُ بنُ ثابتٍ العِبريَّةَ في نِصفِ شَهْرٍ بعزيمة ثابتة، فيقول رضِيَ اللهُ عنه: ((أمَرَني رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ أتعلَّمَ له كِتابَ يهودَ، قال: إنِّي واللهِ ما آمَنُ يهودَ على كِتابٍ، قال: فما مرَّ بي نِصفُ شَهْرٍ حتَّى تعلَّمْتُه له. قال: فلمَّا تعلَّمْتُه كان إذا كتَبَ إلى يهودَ كتَبْتُ إليهم، وإذا كتَبوا إليه قرأْتُ له كِتابَهم))[4].

(١) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) السعدي (ص: ٤٨٠-٤٨١).
(٢) البخاري (٧٤).
(٣) ((صيد الخاطر)) ابن الجوزي (ص: ١٣٩).
(٤) أخرجه البخاري معلقًا (٧١٩٥)، وأخرجه موصولًا أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥) واللفظ له، وأحمد (٢١٦١٨). قال الترمذي: حسن صحيح. وصحَّحه الحاكم في ((المستدرك)) (١/ ١٤٧)، وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٧١٥): حسن صحيح.

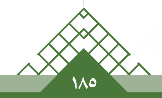
العَزْمُ والعزيمةُ في واحةِ الشِّعر:

قال المُتنبِّي:

على قَدْرِ أهلِ العــزْمِ تأْتي العَزائمُ وتأْتي علــى قَدْرِ الكــرامِ المَكارِمُ
وتَعظُمُ في عَينِ الصَّغيــرِ صِغارُها وتَصغُرُ في عَيــنِ العظيمِ العَظائمُ(١)



(١) ((ديوان أبي الطيب المتنبي)) (ص: ٣٨٥).



العِفَّةُ

معنى العِفَّةِ:

العِفَّةُ لُغةً: الكَفُّ عمَّا لا يَحِلُّ ويَجْمُلُ؛ يقال: عَفَّ عن المحارِمِ والأطْماعِ الدَّنِيَّةِ. والاسْتِعْفافُ: طَلَبُ العَفافِ[1].

العِفَّةُ اصطلاحًا: ضبطُ النَّفْسِ عن الشَّهواتِ، وقَصْرُها على الاكتفاءِ بما يُقِيمُ أوَدِ الجسَدِ ويَحفَظُ صِحَّتَه فقطْ، واجتنابُ السَّرفِ في جميعِ الملذَّاتِ، وقصْدُ الاعتدالِ[2].

الأمْرُ بالعِفَّةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال سُبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

- عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عَونُهم: المُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، والمُكاتَبُ الذي يُريدُ الأداءَ، والنَّاكحُ الذي يُريدُ العَفافَ))[3]؛ فهذه مِن الأمورِ الشاقَّةِ التي تَقصِمُ ظهر

---

(١) ((مختار الصحاح)) للرازي (٤/ ١٤٠٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ٢٥٣).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٥٥)، والنسائي (٣١٢٠)، وابن ماجه (٢٥١٨). حسَّنه الترمذي، وصحَّحه =

الإنسان، لو لا أنَّ اللهَ تعالى يُعينه عليها لا يقومُ بها، وأصعبُها العفافُ؛ لأنَّه قَمعُ الشهوةِ الجِبليَّةِ المركوزةِ فيه[1].

- وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: ((إنَّ ناسًا مِن الأنصارِ سَألوا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأعطاهُم، ثمَّ سَألوهُ فأعطاهُم، حتَّى نَفِدَ ما عندَهُ، قال: ما يكُن عندي مِن خيرٍ فلنْ أدَّخِرَه عنكم، ومَن يَسْتعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَصبرْ يُصبِّرْه اللهُ، وما أُعْطِيَ أحدٌ مِن عطاءٍ خيرٌ وأوسَعُ مِن الصَّبرِ))[2].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في العِفَّةِ:

- قال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه: (المُروءةُ مُروءتانِ: مُروءةٌ ظاهرةٌ، ومُروءةٌ باطنةٌ؛ فالمُروءةُ الظَّاهرةُ الرِّيَاشُ، والمُروءةُ الباطنةُ العَفَافُ)[3].

- قال عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما: (نحن معشرَ قُريشٍ نعُدُّ الحِلْمَ والجُودَ السُّؤددَ، ونعُدُّ العَفافَ وإصلاحَ المالِ المُروءةَ)[4].

- قال أيُّوبُ السَّختيانيُّ: (لا يَنبُلُ الرَّجلُ حتَّى يكونَ فيه خَصلتانِ: العِفَّةُ عن أموالِ النَّاسِ، والتَّجاوزُ عنهم)[5].

أقسامُ العِفَّةِ:

العِفَّةُ نوعانِ: أحدُهما: العِفَّةُ عن المحارمِ، والثاني: العِفَّةُ عن المآثِمِ.

= ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٣/ ٥)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (١٦٥٥).

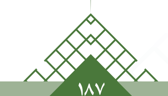
(١) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٥/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ له.

(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/ ١٥٠).

(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٢/ ٢١٥).

(٥) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٣١٩).



فأمَّا العِفَّةُ عن المحارمِ فنوعانِ: أحدُهما: ضبْطُ الفرْجِ عن الحرامِ، والثاني: كفُّ اللِّسانِ عن الأعراضِ.

وأمَّا العِفَّةُ عن المآثِمِ فنوعانِ: أحدُهما: الكفُّ عن المُجاهَرةِ بالظُّلمِ، والثاني: زَجْرُ النَّفْسِ عن الإسرارِ بخيانةٍ[1].

آثارُ العِفَّةِ وفوائدُها:

١- سلامةُ المُجتمعِ مِن الفواحشِ.

٢- أنَّ العفيفَ مِن السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه.

٣- العِفَّةُ سببٌ للنَّجاةِ مِن الابتلاءاتِ والمضايقِ.

شُروطُ العِفَّةِ:

١- ألَّا يكونَ تَعفُّفُه عن الشَّيءِ انتظارًا لأكثَرَ منه.

٢- أو لأنَّه لا يُوافِقُه.

٣- أو لِجُمودِ شَهوتِه.

٤- أو لاستشعارِ خَوفٍ مِن عاقبتِه.

٥- أو لأنَّه ممْنوعٌ مِن تَناوُلِه.

٦- أو لأنَّه غيرُ عارفٍ به؛ لقُصورِه.

فإنَّ ذلك كلَّه ليس بعِفَّةٍ، بل هو إمَّا اصطيادٌ، أو تطبُّبٌ، أو مَرضٌ، أو خَرمٌ، أو عجْزٌ، أو جهْلٌ[2].

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣٢٩) بتصرف.

(٢) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٣١٩) بتصرف.

مِن صُوَرِ العِفَّةِ:

١ - العِفَّةُ عمَّا في أيدي النَّاسِ.

٢ - العِفَّةُ عمَّا حرَّمَ اللهُ.

٣ - كفُّ اللِّسانِ عن الأعراضِ.

موانعُ العِفَّةِ وعوائقُها:

١ - وسائلُ الإعلامِ.

٢ - الاختلاطُ.

٣ - تبرُّجُ النِّساءِ.

٤ - استماعُ الأغاني والمعازفِ.

الوَسائلُ المُعِينةُ على العِفَّةِ:

١ - أنْ يَتَّقِيَ اللهَ في سِرِّه وعَلانيتِه.

٢ - أنْ يَدعُوَ اللهَ بأنْ يَصرِفَ عنه السُّوءَ والفحشاءَ.

٣ - تَنشئةُ الأبناءِ على التَّربيةِ الإسلاميَّةِ.

٤ - الزَّواجُ.

٥ - سَدُّ الذَّرائعِ التي تُؤدِّي إلى الفسادِ.

٦ - إقامةُ الحُدودِ.

نماذجُ في العِفَّةِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلفِ:

- كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في أعْلى دَرجاتِ العِفَّةِ؛ فعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: أخَذَ الحسنُ بنُ عليٍّ تمْرةً مِن تمْرِ الصَّدقةِ، فجعَلَها في فِيهِ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((كِخْ كِخْ، ارْمِ بها، أمَا علِمْتَ أنَّا لا

نَأكُلُ الصَّدقةَ؟))[١].

- عن حَكيمِ بنِ حزامٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سألْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأعْطاني، ثمَّ سألْتُه فأعْطاني، ثمَّ سألْتُه فأعْطاني، ثمَّ قال: يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمَن أخَذهُ بسَخاوةِ نفْسٍ بُورِكَ له فيه، ومَن أخذَهُ بإشرافِ نفْسٍ لم يُبارَكْ له فيه كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، اليدُ العُلْيا خيرٌ مِن اليَدِ السُّفلى. قال حكيمٌ: فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، والذي بَعثَك بالحقِّ لا أرْزَأُ أحدًا بعدَك شيئًا حتَّى أُفارِقَ الدُّنيا. فكان أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه يَدعُو حَكيمًا إلى العطاءِ، فيأبى أنْ يَقبلَهُ منه، ثمَّ إنَّ عمَرَ رضِيَ اللهُ عنه دعاهُ لِيُعطِيَه، فأبَى أنْ يَقبلَ منه شيئًا، فقال عمرُ: إنِّي أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمين على حكيمٍ أنِّي أعْرِضُ عليه حقَّه مِن هذا الفيءِ، فيَأبى أنْ يأْخُذَه. فلم يَرزَأْ حَكيمٌ أحدًا مِن النَّاسِ بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى تُوفِّيَ))[٢].

- عن سَعْدَانَ قال: (أمَرَ قومٌ امرأةً ذاتَ جمالٍ بارِعٍ أنْ تَتعرَّضَ للرَّبيعِ بنِ خُثَيمٍ فلَعلَّها تَفتِنُهُ، وجَعلوا لها إنْ فعَلَتْ ذلك ألْفَ دِرهمٍ، فلَبِسَت أحسَنَ ما قدَرَتْ عليه مِن الثِّيابِ، وتطيَّبَتْ بأطيبِ ما قدَرَتْ عليه، ثمَّ تعرَّضَت له حِين خرَجَ مِن مَسجِدِه، فنظَرَ إليها، فراعَهُ أمْرُها، فأقبَلَتْ عليه وهي سافرةٌ، فقال لها الرَّبيعُ: كيف بك لو قد نزَلَتِ الحُمَّى بجسمِكِ، فغيَّرتْ ما أرى مِن لَونِك وبَهجتِك؟! أمْ كيف بكِ لو قد نزَلَ بك مَلَكُ الموتِ، فقطَعَ منك حبْلَ الوتينِ؟! أمْ كيف بكِ لو قد ساءَلَك مُنكَرٌ ونكيرٌ؟! فصرَخَتْ صرخةً، فسقَطَتْ مَغشِيًّا عليها. فواللهِ لقد أفاقَتْ وبلغَتْ مِن عبادةِ ربِّها: أنَّها كانت يومَ ماتَتْ كأنَّها جِذعٌ مُحترِقٌ)[٣].

(١) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٥).
(٣) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٣/ ١٩١).

العَفافُ في واحةِ الشِّعرِ:

قال الشَّاعرُ:

وكلُّ تَزيُّنٍ بالمرْءِ زَينٌ وأزْيَنُه التَّزيُّنُ بالعَفافِ[1]



(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ١٥٠).

العفْوُ والصَّفحُ

معنى العفْوِ والصَّفحِ:

العفْوُ لُغةً: مصدرُ عَفا يَعْفو عَفْوًا، وأصلُه المـحوُ والطمسُ، وعفوتُ عن الحقِّ: أسْقَطته، كأنَّك محوتَه عن الذي عليه[1].

العفْوُ اصطلاحًا: هو التَّجاوُزُ عن الذَّنْبِ وتَرْكُ العِقابِ عليه، وأصلُه: المَحْوُ والطَّمْسُ[2].

الصَّفْحُ لُغةً: الإعراضُ عن الذَّنْبِ، وهو صَفُوحٌ وصَفَّاحٌ: عَفُوٌّ، والصَّفُوحُ: الكريمُ؛ لأنَّه يَصْفَحُ عمَّن جَنى عليه، واستَصْفَحه ذنْبَهُ: استغفَرَهُ إيَّاه وطلَبَ أنْ يَصْفَحَ له عنه[3].

الصَّفحُ اصطلاحًا: هو تَركُ التَّأنيبِ، وهو أبلَغُ مِن العفْوِ؛ فقد يَعفُو ولا يَصفَحُ[4].

الحَثُّ على العفْوِ والصَّفحِ مِن القرآنِ والسُّنةِ:

- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

(١) يُنظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ٧٢)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٤١٩).
(٢) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٦/ ١٤٣).
(٣) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/ ٥١٢).
(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٤٥٧).

- وعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((ما نقَصَتْ صَدقةٌ مِن مالٍ، وما زاد اللهُ عبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضَعَ أحدٌ للهِ إلَّا رفَعهُ اللهُ))(١)، أي: مَن عُرِفَ بالصفحِ والعفوِ سادَ وعظُم في القُلوبِ، وزادَ عِزُّه. وقيل: يكونُ أجرُه على ذلك في الآخِرَةِ وعِزَّتُه هناك(٢).

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في العفوِ والصَّفحِ:

- قِيل لأبي الدَّرداءِ: مَن أعزُّ النَّاسِ؟ فقال: (الذين يَعفُون إذا قَدَروا؛ فاعْفُوا يُعِزَّكم اللهُ تعالى)(٣).

- وقال الحسنُ بنُ عليٍّ رضِيَ اللهُ تعالى عنهما: (لو أنَّ رجلًا شتَمني في أُذني هذه، واعْتذَرَ في أُذني الأخرَى، لَقَبِلْتُ عُذرَه)(٤).

- وعن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قال: (أحبُّ الأمورِ إلى اللهِ ثلاثةٌ: العفْوُ في القُدرةِ، والقصدُ في الجِدَةِ، والرِّفقُ في العبادةِ. وما رفَقَ أحدٌ بأحدٍ في الدُّنيا إلَّا رفَقَ اللهُ به يومَ القيامةِ)(٥).

نماذجُ في العفوِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلفِ والملوكِ:

- عن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضِيَ اللهُ عنهما قال: ((كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصحابُه يَعْفُون عن المشركينَ وأهلِ الكتابِ كما أمرَهُم اللهُ، ويَصبِرون على الأذَى، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (٨/ ٢٨).

(٣) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٦/ ٥٨).

(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/ ٣٠٢).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ١٦٧).

[آل عمران: ١٨٦]، وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآيةَ [البقرة: ١٠٩]، فكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يتأوَّلُ في العفْوِ عنهم ما أمَرَ اللهُ به...))(١).

- وعن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان لا يَجْزي بالسَّيِّئةِ مِثْلَها، ولكنْ يَعْفُو ويَصفَحُ))(٢).

- وقد عَفَا أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه عن مِسطَحِ بنِ أُثاثةَ -وكان ممَّن تكلَّمَ في الإفكِ- فلمَّا أنزَلَ اللهُ براءةَ عائشةَ، قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ -وكان يُنفِقُ على مِسطَحِ بنِ أُثاثةَ؛ لقَرابَتِه منه وفَقْرِه-: واللهِ لا أُنفِقُ على مِسطَحٍ شيئًا أبدًا بعدَ الذي قال لعائشةَ ما قال، فأنزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: بلى واللهِ إنِّي لَأُحِبُّ أنْ يَغفِرَ اللهُ لي، فرجَعَ إلى مِسطَحٍ النَّفَقةَ التي كان يُنفِقُ عليه، وقال: واللهِ لا أَنزِعُها منه أبدًا))(٣).

- وقد (غضِبَ سُليمانُ بنُ عبدِ الملِكِ على خالدٍ القَسْرِيِّ، فلمَّا أُدخِلَ عليه، قال: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ القُدرةَ تُذهِبُ الحفيظةَ، وإنَّك تَجِلُّ عن العقوبةِ، فإنْ تَعْفُ فأهْلٌ لذلك أنت، وإنْ تُعاقِبْ فأهْلٌ لذلك أنا. فعَفَا عنه)(٤).

فوائدُ العفْوِ والصَّفحِ:

١- في العفْوِ رَحمةٌ بالمُسيءِ، وتقديرٌ لجانبِ ضَعْفِه البشريِّ، وامتثالٌ لأمْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٦)، وأحمد (٢٥٤١٧) واللفظ له.
قال الترمذي: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٤) ((وفيات الأعيان)) لابن خلكان (٢/ ٤٢٥).

اللهِ، وطلَبٌ لعَفْوِه وغُفرانِه.

٢- في العفْوِ توثيقٌ للرَّوابطِ الاجتماعيَّةِ التي تَتعرَّضُ إلى الوهنِ والانفصامِ بسببِ إساءةِ الناسِ إلى بعضِهم، وجِنايةِ بعضِهم على بعضٍ[1].

٣- العفْوُ والصَّفحُ عن الآخرينَ سببٌ لنَيلِ مرضاتِ اللهِ سُبحانه وتعالى.

٤- العفْوُ والصَّفحُ سببٌ للتَّقوى؛ قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

٥- العفْوُ والصَّفحُ مِن صفاتِ المُتَّقينَ؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٦- مَن يَعفو ويَصفَحُ عن النَّاسِ يَشعُرُ بالرَّاحةِ النَّفسيَّةِ.

أمثالٌ وشِعرٌ في العفْوِ:

- قولُهم: ملَكْتَ فأسْجِحْ. أي: ظَفِرْتَ فأحسِنْ[2].
- وقولُهم: إنَّ المقدرةَ تُذهِبُ الحفيظةَ[3].
- وقولُهم: إذا ارْجَحَنَّ شاصِيًا فارْفَعْ يدًا. أي: إذا رأيْتَه قد خضَعَ واستكانَ فاكْفُفْ عنه[4].

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/ ٤٠٨).

(٢) ((الأمثال)) لابن سلام (ص: ١٥٤).

(٣) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/ ١٤).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/ ١٠٤).

- وقال الشاعرُ:

إذا كنتُ لا أعْفُو عــن الذَّنْبِ مِن أخٍ	وقلْــتُ أُكافِيــهِ فأيــنَ التَّفاضُلُ
ولكنَّني أُغْضــي جُفوني على القَذى	وأصْفَــحُ عمَّــا رابَنــي وأُجامِلُ
متى أقْطَــعِ الإخوانَ فــي كلِّ عَثْرةٍ	بَقِيتُ وحيدًا ليس لــي مَن أُواصِلُ
ولكــنْ أُدارِيــهِ فإنْ صَحَّ سَــرَّني	وإنْ هــو أعْيَا كان عنــه التَّجاهُلُ [1]



(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/ ٨٠).

عُلوُّ الهِمَّةِ

معنى عُلوِّ الهِمَّةِ:

العُلوُّ لُغةً: الارتفاعُ، وعَلَا الشَّيءُ عُلُوًّا فهو عَلِيٌّ. ويُقال: عَلَا فلانٌ الجَبَلَ: إذا رَقِيَهُ، يَعْلُوه عُلُوًّا. وعَلَا فلانٌ فلانًا: إذا قَهَرَه. والعَلِيُّ: الرَّفيعُ. وتَعالَى: تَرَفَّع[١].

الهِمَّةُ لُغةً: الهَمَّةُ والهِمَّةُ: ما هَمَّ به مِن أَمْرٍ لِيَفعَلَهُ، وتقولُ: إنَّه لَعَظيمُ الهَمِّ، وإنَّه لَصغيرُ الهِمَّةِ، وإنَّه لَبَعيدُ الهِمَّةِ والهَمَّةِ بالفتحِ. والهُمَامُ: المَلِكُ العظيمُ الهِمَّةِ[٢].

عُلوُّ الهِمَّةِ اصطلاحًا: استصغارُ ما دونَ النِّهايةِ مِن معالي الأمورِ، وطلَبُ المراتبِ السَّاميةِ، واستحقارُ ما يَجُودُ به الإنسانُ عندَ العطيَّةِ، والاستخفافُ بأوساطِ الأمورِ، وطلَبُ الغاياتِ، والتَّهاوُنُ بما يَملِكُه، وبَذْلُ ما يُمكِنُه لمَن يَسألُه مِن غيرِ امتنانٍ ولا اعتدادٍ به[٣].

الفرقُ بين الهِمَّةِ والهَمِّ:

الهِمَّةُ: اتِّساعُ الهَمِّ وبُعْدُ مَوقعِه؛ ولهذا يُمدَحُ بها الإنسانُ، فيُقال: فلانٌ ذو هِمَّةٍ وذو عَزيمةٍ، وبَعِيدُ الهِمَّةِ وكبيرُ العزيمةِ، أي: إنَّه يهْتَمُّ بالأمورِ الكِبارِ. والهَمُّ: هو الفِكرُ في إزالةِ المكروهِ واجتلابِ المحبوبِ، ومنه يُقال: أَهُمُّ بحاجَتي[٤].

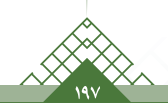
---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ٨٣).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٨).

(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٥٨).



الحثُّ على عُلوِّ الهِمَّةِ مِن القرآنِ والسُّنةِ:

- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وهو أمرٌ مِن اللهِ بالهِمَّةِ العاليةِ.

- وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ففي هذه الآيةِ ثَناءٌ على أصحابِ الهِمَمِ العاليةِ، وفي مُقدِّمتِهم أُولو العزْمِ مِن الرُّسلِ، وعلى رأْسِهم خاتَمُهم محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقد تجلَّت هِمَّتُهم العاليةُ في مُثابَرتِهم وجِهادِهم ودَعوتِهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ[1].

- وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((احْرِصْ على ما يَنفَعُك، واستعِنْ باللهِ ولا تَعجِزْ))[2].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في عُلوِّ الهِمَّةِ:

- رُوِيَ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: (لا تَصْغُرَنَّ هِمَّتُكم؛ فإنِّي لم أَرَ أقْعَدَ عن الْمُكرَماتِ مِن صِغَرِ الهِمَمِ)[3].

- وقال الإمامُ مالكٌ: (وعليك بمَعالي الأمورِ وكرائمِها، واتَّقِ رذائلَها وما سَفَّ منها؛ فإنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ معاليَ الأمورِ، ويَكْرَهُ سَفْسافَها)[4].

- وقال ابنُ القيِّم: (فمَن علَتْ هِمَّتُه وخشَعَتْ نفْسُه، اتَّصَفَ بكلِّ خُلقٍ جميلٍ، ومَن دنَتْ هِمَّتُه وطَغَتْ نفْسُه، اتَّصَفَ بكلِّ خُلقٍ رَذيلٍ)[5].

---

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص: ١٢٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣١٩).
(٤) ((ترتيب المدارك)) للقاضي عياض (٢/ ٦٥).
(٥) ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ٩٧).

درجاتُ عُلوِّ الهِمَّة:

١- الدَّرجةُ الأُولى: هِمَّةٌ تَصُون القلْبَ عن وَحشةِ الرَّغبةِ في الفاني، وتَحْمِلُه على الرَّغبةِ في الباقي، وتُصَفِّيه مِن كَدَرِ التَّواني.

٢- الدَّرجةُ الثَّانيةُ: هِمَّةٌ تُورِثُ أنفَةً مِن المُبالاةِ بالعِلَلِ، والنُّزولَ على العمَلِ، والثِّقةَ بالأمَلِ.

٣- الدَّرجةُ الثَّالثةُ: هِمَّةٌ تَتصاعَدُ عن الأحوالِ والمُعامَلاتِ، وتَزْرِي بالأعواضِ والدَّرجاتِ، وتَنْحو عن النُّعوتِ نحوَ الذَّاتِ[(١)].

مِن صُوَرِ عُلوِّ الهِمَّة:

١- عُلوُّ الهِمَّةِ في طَلبِ العلْمِ.
٢- عُلوُّ الهِمَّةِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ.
٣- عُلوُّ الهِمَّةِ في الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ.
٤- عُلوُّ الهِمَّةِ في العِبادةِ.

موانعُ اكتسابِ عُلوِّ الهِمَّة:

١- الذُّنوبُ والمعاصي.
٢- الخوفُ والهمُّ والحزَنُ.
٣- فِتنةُ الفقْرِ أو الغِنى.
٤- اليأْسُ والتَّشاؤمُ.
٥- مُجالَسةُ القاعدينَ.
٦- الإكثارُ مِن الطَّعامِ والنَّومِ والكلامِ.
٧- الانشغالُ الكثيرُ بالدُّنيا.

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/ ٦- ٨).

أسبابُ عُلوِّ الهِمَّةِ:

١- العِلْمُ.

٢- تَذكُّرُ اليومِ الآخِرِ.

٣- أثَرُ الوالدينِ ودَورُهما في التَّربيةِ الصَّحيحةِ.

٤- وُجودُ المُربِّينَ الأفذاذِ، والمُعلِّمين القُدواتِ.

٥- مُطالَعةُ سِيَرِ الأبطالِ والمُصلِحين والنَّابغينَ.

٦- استشعارُ المَسؤوليَّةِ.

٧- السَّلامةُ مِن الغُرورِ، ومِن المُبالَغةِ في احتقارِ النَّفْسِ.

نماذجُ في عُلوِّ الهِمَّةِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلفِ والعلماءِ:

- كان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ القُدوةَ في الهِمَّةِ العاليةِ في العِبادةِ؛ فعن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها قالت: ((إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يقومُ مِن اللَّيلِ حتَّى تَتفطَّرَ قَدماهُ، فقلْتُ له: لِمَ تَصنَعُ هذا يا رسولَ اللهِ، وقد غفَرَ اللهُ لك ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ؟ قال: أفلَا أكونُ عبْدًا شَكورًا))[1].

- عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((إنَّه لم يكُنْ يَشغَلُني عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غَرْسُ الوَدِيِّ[2]، ولا صَفْقٌ بالأسواقِ، إنِّي إنَّما كنتُ أطْلُبُ مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كلمةً يُعلِّمُنِيها وأكلةً يُطْعِمُنِيها، فقال له ابنُ عمرَ: أنت يا أبا هُريرةَ، كنتَ ألْزَمَنا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأعْلَمَنا

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) الوَدِيُّ: صغار النخل. يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٥/ ١٧٠).

بحديثه))[1].

- وكان النَّوويُّ رحِمهُ اللهُ عالِيَ الهِمَّةِ في طَلبِ العلْمِ منذُ صِغَرِه؛ فكان وهو ابنُ عشْرِ سِنينَ يُكرِهُهُ الصِّبيانُ على اللَّعِبِ معهم، وهو يَهرُبُ منهم ويَبْكي؛ لإكراهِهم، ويَقرَأُ القُرآنَ في هذه الحالةِ؛ فذُكِرَ ذلك لوالدِه، فحَرَصَ عليه، إلى أنْ ختَمَ القرآنَ وقد ناهَزَ الاحتلامَ[2].

دلائلُ عالي الهِمَّةِ[3]:

١- الزُّهدُ في الدُّنيا.

٢- المُسارَعةُ في الخيراتِ، والتَّنافُسُ في الصَّالحاتِ.

٣- التَّطلُّعُ إلى الكَمالِ، والتَّرفُّعُ عن النَّقصِ.

٤- التَّرفُّعُ عن مُحَقَّراتِ الأمورِ وصغائرِها، ونِشْدانُ معالي الأمورِ وكَمالاتِها.

٥- الأخذُ بالعزائمِ.

٦- أداءُ الواجباتِ، وتحمُّلُ المَسؤوليَّاتِ.

٧- الاهتمامُ بواقعِ الأُمَّةِ، والسَّعيُ لإصلاحِه.

٨- حُسنُ إدارةِ الأوقاتِ.

عُلوُّ الهِمَّةِ في واحةِ الشِّعرِ:

قال ابنُ هانئٍ الأندلسيُّ:

ولمْ أجِدِ الإنسانَ إلَّا ابنَ سَعْيِه فمَن كان أسْعَى كان بالمَجْدِ أجْدَرَا

وبالهِمَّةِ العَلْياءِ يَرْقى إلى العُلا فمَن كان أرْقَى هِمَّةً كان أظْهَرَا[4]

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٢)، وأحمد (٤٤٥٣) واللفظ له.

(٢) ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي (٨/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٣) انظر للتوسع: ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن الميداني (ص: ٤٨٠-٥٠٨).

(٤) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (ص: ٢١٧).

الغَيرةُ

معنى الغَيرةِ:

الغَيرةُ لُغةً: بالفتحِ: المصدرُ مِن قَولِك: غارَ الرَّجلُ على أَهْلِه. قال ابنُ سِيدَهْ: وغار الرَّجلُ على امرأَتِه، والمرأَةُ على بَعْلِها تَغارُ غَيْرةً وغَيْرًا وغارًا وغِيارًا[1].

الغَيرةُ اصطلاحًا: كَراهةُ الرَّجلِ اشتراكَ غيرِه فيما هو حقُّه[2].

ما ورَدَ في الغَيرةِ مِن السُّنةِ النَّبويَّةِ:

- عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: ((كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عندَ بعضِ نِسائِه، فأرسَلَتْ إحدى أُمَّهاتِ المؤمنينَ بصَحْفةٍ فيها طعامٌ، فضَرَبتِ التي النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في بَيتِها يَدَ الخادمِ، فسَقَطَت الصَّحفةُ، فانفلَقَتْ، فجمَعَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِلَقَ الصَّحفةِ، ثمَّ جعَلَ يَجمَعُ فيها الطَّعامَ الذي كان في الصَّحفةِ، ويقولُ: غارَتْ أُمُّكم، ثمَّ حبَسَ الخادمَ حتَّى أتى بصَحفةٍ مِن عندِ التي هو في بَيتِها، فدفَعَ الصَّحفةَ الصَّحيحةَ إلى التي كُسِرَت صَحْفَتُها، وأمسَكَ المكسورةَ في بيتِ التي كُسِرَت فيه))[3].

- وعن أبي هريرة رضِي اللهُ عنه، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((المؤمنُ يَغارُ، واللهُ أشدُّ غَيرًا))[4].

(١) ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٢٣٢)، لابن منظور ((لسان العرب)) (٥/ ٣٤).
(٢) ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٧١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٢٢٥).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٦١).

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في الغَيرةِ:

- عن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها قالت: ((كنتُ أغارُ على اللَّاتي وهَبْنَ أنفُسَهنَّ لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأقولُ: وتَهَبُ المرأةُ نفْسَها؟! فلمَّا أنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ [الأحزاب: ٥١]، قالت: قُلْتُ: واللهِ ما أرى ربَّك إلَّا يُسارِعُ لك في هواكَ))[1].

- وقال ابنُ القيِّم: (إنَّ أصلَ الدِّينِ الغيرةُ، ومَن لا غيرةَ له لا دِينَ له؛ فالغيرةُ تَحْمي القلْبَ، فتَحْمي له الجوارحَ، فتَدفَعُ السُّوءَ والفواحشَ، وعدَمُ الغيرةِ يُميتُ القلْبَ، فتَموتُ له الجوارحُ؛ فلا يَبْقى عندها دَفْعٌ الْبتَّةَ، ومَثَلُ الغيرةِ في القلْبِ مَثَلُ القوَّةِ التي تَدفعُ المرضَ وتُقاوِمُه، فإذا ذهبَتِ القوَّةُ وجَدَ الدَّاءُ المَحلَّ قابلًا، ولم يَجِدْ دافعًا، فتَمكَّنَ، فكان الهلاكُ، ومثَلُها مثَلُ صَياصي الجاموسِ التي يَدفَعُ بها عن نفْسِه وولَدِه، فإذا تكسَّرَتْ طَمِعَ فيه عدُوُّه)[2].

أقسامُ الغَيرةِ:

تَنقسِمُ الغَيرةُ إلى نوعينِ: غَيرةٍ للمحبوبِ، وغَيرةٍ عليه.

١- فأمَّا الغَيرةُ له: فهي الحميَّةُ له والغضَبُ له إذا اسْتُهِينَ بحقِّه وانتُقِصَتْ حُرمَتُه، ونالَهُ مَكروهٌ مِن عَدُوِّه، فيَغضَبُ له المُحِبُّ ويَحْمَى، وتأْخُذه الغَيرةُ له بالمُبادَرةِ إلى التَّغييرِ ومُحارَبةِ مَن آذاهُ؛ فهذه غَيرةُ المُحبِّين حقًّا، وهي مِن غَيرةِ الرُّسلِ وأتْباعِهم للهِ ممَّن أشْرَكَ به واستحَلَّ مَحارِمَه وعَصى أمْرَهُ.

٢- وأمَّا الغَيرةُ على المحبوبِ: فهي أنفَةُ المُحِبِّ وحمِيَّتُه أنْ يُشارِكَه في مَحبوبِه غيرُه. وهذه أيضًا نوعانِ: غَيرةُ المُحِبِّ أنْ يُشارِكَه غيرُه في مَحبوبِه،

(١) أخرجه البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤) واللفظ له.

(٢) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ٦٨).

وغَيرةُ المحبوبِ على مُحِبِّه أنْ يُحِبَّ معه غيرَه[1].

فوائدُ الغَيرةِ:

١- الغَيرةُ دليلٌ على قوَّةِ الإيمانِ باللهِ.

٢- خَصلةٌ يُحِبُّها اللهُ سُبحانه وتعالى ما دامَتْ مِن أجْلِ حِفظِ أعراضِ المسلمينَ.

٣- هي السِّياجُ المَعْنويُّ لحِمايةِ الحِجابِ، ودفْعِ التَّبرُّجِ والسُّفورِ والاختلاطِ[2].

٤- الغَيرةُ تَحْمي القلْبَ، فتَحْمي له الجوارحَ، فتَدفَعُ السُّوءَ والفواحشَ[3].

٥- وهي مَظهرٌ مِن مظاهرِ الغضَبِ للهِ إذا رأى حُرماتِ اللهِ تُنْتَهَكُ.

٦- وهي مِن الأسبابِ الدَّافعةِ لإنكارِ المُنكَرِ.

٧- تُطَهِّرُ المُجتمعَ مِن الرَّذائلِ.

٨- الغَيرةُ سببٌ لِصَونِ الأعراضِ.

أسبابُ ضَعفِ الغَيرةِ:

١- ضعفُ الإيمانِ.

٢- كثرةُ الذُّنوبِ.

٣- الجهْلُ بالدِّينِ.

٤- قِلَّةُ الحَياءِ.

٥- التَّقليدُ للكفَّارِ والمُفسدينَ.

٦- وسائلُ الإعلامِ الفاسدةِ.

٧- انتشارُ المُنكَراتِ.

---

(١) ((روضة المحبين)) لابن القيم (ص: ٣٤٧).

(٢) ((حراسة الفضيلة)) بكر أبو زيد (ص: ٨٧).

(٣) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ٦٨).

الوَسائلُ المُعِينَةُ لتَنميةِ الغَيرةِ:

١- تربيةُ البناتِ الصِّغارِ على الحِشمةِ والحَياءِ في اللِّباسِ وغيرِه.

٢- تربيةُ الأولادِ على الغَيرةِ؛ بأنْ نَجعَلَ الولَدَ هو الذي يقومُ بالحديثِ مع البائعِ، دونَ البنتِ أو المرأةِ.

٣- عدَمُ تَركِ الأسبابِ التي تُدمِّرُ الغَيرةَ، فلا بُدَّ أنْ نُخرِجَ المَجلَّاتِ الهابطةَ مِن البُيوتِ، وغيرَها مِن وسائلِ الهدْمِ.

٤- الرُّجوعُ إلى قِيَمِ الدِّينِ وغرْسُها في نُفوسِ النَّاسِ.

٥- التَّأكيدُ على دَورِ الرَّجلِ.

٦- تَوعيةُ المُجتمعِ تَوعيةً شاملةً بجميعِ وسائلِ الإعلامِ والخُطَبِ والمحاضراتِ.

٧- تَعظيمُ قدْرِ الأعراضِ، وتَوضيحُ أنَّ المساسَ بها هلاكٌ وضياعٌ[1].

نماذجُ في الغَيرةِ مِن حياةِ الأنبياءِ والصَّحابةِ:

- عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((كان داودُ النَّبيُّ فيه غَيرةٌ شديدةٌ، وكان إذا خرَجَ أُغلِقَتِ الأبوابُ، فلم يَدخُلْ على أهْلِه أحدٌ حتَّى يَرجِعَ، قال: فخرَجَ ذاتَ يومٍ، وغُلِّقَتِ الدَّارُ، فأقبَلَتِ امرأتُه تَطَّلِعُ إلى الدَّارِ، فإذا رجلٌ قائمٌ وسطَ الدَّارِ، فقالت لمَن في البيتِ: مِن أين دخَلَ هذا الرَّجلُ الدَّارَ، والدَّارُ مُغلَقةٌ؟ واللهِ لَنُفْتَضَحَنَّ بداودَ، فجاء داودُ فإذا الرَّجلُ قائمٌ وسطَ الدَّارِ، فقال له داودُ: مَن أنت؟ قال: أنا الذي لا أَهابُ المُلوكَ، ولا يَمتنِعُ منِّي شَيءٌ، فقال داودُ: أنت واللهِ مَلَكُ الموتِ، فمرحبًا بأمْرِ اللهِ، فرمَلَ داودُ مكانَه حيث

---

(١) انظر: ((الغيرة على المرأة)) لعبد الله المانع (ص: ٢٣٥) نقلًا عن شريط ((الغيرة على الأعراض)) لخالد السبت، بتصرف.

قُبِضَتْ رُوحُه حتَّى فرَغَ مِن شأْنِه وطلَعَتْ عليه الشَّمسُ، فقال سُليمانُ للطَّيرِ: أظِلِّي على داودَ، فأظَلَّت عليه الطَّيرُ حتَّى أظْلَمَتْ عليهما الأرضُ، فقال لها سُليمانُ: اقْبِضي جناحًا جناحًا -قال أبو هُريرةَ: يُرِينا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كيف فعلَتِ الطَّيرُ- وقَبَضَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدَهُ، وغلَبَتْ عليه يومئذٍ المُصَرِّحِيَّةُ[1]))[2].

- عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه: ((أنَّ نفَرًا مِن بني هاشمٍ دَخَلوا على أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ، فدخَلَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وهي تحتَه يومئذٍ، فرآهُم، فكَرِهَ ذلك، فذكَرَ ذلك لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقال: لم أرَ إلَّا خيرًا، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ اللهَ قد برَّأها مِن ذلك. ثمَّ قام رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على المِنْبرِ فقال: لا يَدخُلَنَّ رجلٌ بعدَ يَومي هذا على مُغِيبةٍ، إلَّا ومعه رجلٌ أو اثنانِ))[3].



(١) المُصَرِّحِيَّةُ: اسمُ فاعلٍ من التَّصريحِ، لحقته الياءُ والتاءُ المصدريتان، أي: غلبتْ عليه صفةُ التَّصريحِ والإيضاحِ في البيانِ حتى يوضحَ المرام بالكلامِ، ويستعينُ عليه بالإشارةِ باليدِ. يُنظر: ((حاشية السندي على مسند أحمد)) (٢/ ٧٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٩٤٣٢). جود إسناده وقواه ووثق رجاله ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٢/ ١٦)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ٢٠٩): فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثَّقه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٧٣).

القناعةُ

معنى القناعة:

القناعةُ لُغةً: مِن قَنِعَ -بالكَسرِ- يَقنَعُ قُنوعًا وقَناعةً: إذا رضِيَ، وقنَعَ -بالفتحِ- يَقنَعُ قُنوعًا: إذا سأَلَ[1].

القناعةُ اصطلاحًا: هي الرِّضا بما أعطى اللهُ. وقيل: الرِّضا بما دونَ الكفايةِ، وتركُ التَّشوُّفِ إلى المفقودِ، والاستغناءُ بالموجودِ[2].

الفرقُ بين القناعةِ والقصدِ والزُّهدِ[3]:

القناعةُ: الاقتصارُ على القليلِ والتَّقتيرِ. **والقصدُ**: هو تركُ الإسرافِ والتَّقتيرِ جميعًا.

والقناعةُ: الرِّضا بما دونَ الكفايةِ. **والزُّهدُ**: الاقتصارُ على الزَّهيدِ، أي: القليلِ، وهما يَتقاربانِ، لكنِ القناعةُ تُقال اعتبارًا بِرِضَا النَّفسِ، والزُّهدُ يُقال اعتبارًا بالمُتناولِ لحَظِّ النَّفْسِ، وكلُّ زُهدٍ حصَلَ لا عن قناعةٍ فهو تزهُّدٌ لا زُهدٌ.

التَّرغيبُ في القناعةِ في القرآنِ والسُّنةِ:

- قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]؛ قِيل: الغِنى هاهنا: القناعةُ[4].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/ ٢٩٨).

(٢) ((مشارق الأنوار)) للقاضي عياض (٢/ ١٨٧)، ((معجم مقاليد العلوم)) للسيوطي (ص: ٢٠٥، ٢١٧).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٣٠)، ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٢٥).

(٤) ((تفسير البغوي)) (٦/ ٤٠).

- عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((قد أفلَحَ مَن أسلَمَ، ورُزِقَ كَفافًا، وقنَّعَهُ اللهُ بما آتاهُ))[1].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في القناعةِ:

- قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ: (القناعةُ مالٌ لا نَفادَ له)[2].

- وقال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ لابنِه: (يا بُنَيَّ، إذا طلبْتَ الغِنى فاطلُبْه بالقناعةِ؛ فإنَّها مالٌ لا يَنفَدُ، وإيَّاك والطَّمعَ؛ فإنَّه فقرٌ حاضرٌ، وعليك باليأْسِ؛ فإنَّك لم تيأَسْ مِن شيءٍ قطُّ إلَّا أغْناك اللهُ عنه)[3].

- قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: (الفِقهُ الأكبرُ: القناعةُ وكَفُّ اللِّسانِ)[4].

- وقال أكْثَمُ بنُ صَيْفيٍّ لابنِه: (يا بُنَيَّ، مَن لم يأسَ على ما فاتَهُ وَدُعَ بدَنُه [أي: سَكَنَ]، ومَن قَنِع بما هو فيه قَرَّتْ عينُه)[5].

مراتبُ القناعةِ:

الأولى: أنْ يَقنَعَ بالبُلْغةِ مِن دُنياهُ، ويَصرِفَ نفْسَه عن التَّعرُّضِ لِمَا سواهُ، وهذا أعلى منازلِ القناعةِ. **الثَّانية**: أنْ تَنتهِيَ به القناعةُ إلى الكفايةِ، ويَحذِفَ الفضولَ والزِّيادةَ. وهذه أوسطُ حالِ المُقتنِعِ. **الثَّالثةُ**: أنْ تَنتهِيَ به القناعةُ إلى الوقوفِ على ما سنَحَ، فلا يَكرَهُ ما أتاهُ وإنْ كان كثيرًا، ولا يَطلُبُ ما تعذَّرَ وإنْ كان يسيرًا. وهذه الحالُ أدْنى منازلِ أهلِ القناعةِ[6].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

(٢) ذكره ابن عبد ربه في ((العقد الفريد)) (٣/ ١٦٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٠/ ٣٦٣).

(٤) ((أدب المجالسة وحمد اللسان)) لابن عبد البر (ص: ٨٧).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ١٤٩).

(٦) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ١٢٦-١٢٧).

فوائدُ القناعةِ:

١- علامةُ كَمالِ الإيمانِ.

٢- سببٌ للبركةِ.

٣- تُبعِدُ الإنسانَ عن الذُّنوبِ والمعاصي التي تُحبِطُ الحسناتِ.

٤- تَجعلُ الإنسانَ يعيشُ حياةً هنيئةً طيِّبةً.

٥- عِزٌّ للنَّفْسِ، وبُعْدُ المَهانةِ والذُّلِّ.

٦- فيها تَحقيقٌ لشُكرِ اللهِ تعالى على نِعَمِه.

موانعُ اكتسابِ القناعةِ:

١- مُجالسةُ ذوي الأموالِ واللَّاهثينَ وراءَ جمْعِها.

٢- اتِّباعُ الشَّهواتِ لطَلبِ الدُّنيا والتَّزوُّدِ منها.

٣- عدَمُ قِراءةِ القرآنِ الكريمِ وتدبُّرِ آياتِه.

٤- عدَمُ تذكُّرِ الموتِ والدَّارِ الآخرةِ.

الأسبابُ المعينةُ على اكتسابِ القناعةِ:

١- اكتفاءُ الإنسانِ بما رُزِقَ، وعدمُ الاهتمامِ بالمستقبلِ.

٢- الاطِّلاعُ على سِيرةِ السَّلفِ الصالحِ وزُهْدِهم وقَناعتِهم في الدُّنيا، والاقتداءُ بهم.

٣- الاقتصادُ في الإنفاقِ، وعدمُ الإسرافِ والتَّبذيرِ.

٤- الإلحاحُ في الدُّعاءِ بأنْ يَرزُقَه اللهُ القناعةَ، كما فعَلَ ذلك الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.



٥- الإيمانُ الجازمُ بأنَّ اللهَ قد كتَبَ الأرزاقَ قبْلَ أنْ يَخلُقَنا، ولنْ تموتَ نفْسٌ حتَّى تَستوفِيَ رِزقَها.

٦- أنْ يَنظُرَ المرْءُ إلى مَن هو أقلُّ منه في الرِّزقِ، ولا يَنظُر إلى مَن هو أعلى منه.

نماذجُ في القَناعةِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلفِ:

- قال عمرُ رضِيَ اللهُ عنه: ((دخلْتُ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مُضطجِعٌ على حصيرٍ، فجلسْتُ، فأدْنى عليه إزارَه، وليس عليه غيرُه، وإذا الحصيرُ قد أثَّرَ في جنْبِه، فنَظرْتُ ببَصري في خِزانةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإذا أنا بقَبضةٍ مِن شعيرٍ نحوَ الصَّاعِ، ومِثْلِها قَرَظًا في ناحيةِ الغُرفةِ، وإذا أَفِيقٌ مُعلَّقٌ، قال: فابْتَدرَتْ عيناي، قال: ما يُبْكِيك يا ابنَ الخطَّابِ؟ قلتُ: يا نَبيَّ اللهِ، وما لي لا أبْكي وهذا الحصيرُ قد أثَّرَ في جنْبِك، وهذه خِزانتُك لا أرى فيها إلَّا ما أرى، وذاك قَيصرُ وكِسرى في الثِّمارِ والأنهارِ، وأنت رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وصفوتُه، وهذه خِزانتُك! فقال: يا ابنَ الخطَّابِ، ألَا تَرضى أنْ تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا؟ قلتُ: بلى...))[1].

- عن عامرِ بنِ عبدِ اللهِ: ((أنَّ سلْمانَ الخيرَ حين حضَرهُ الموتُ عرَفوا منه بعضَ الجزَعِ، قالوا: ما يُجزِعُك يا أبا عبدِ اللهِ وقد كانت لك سابقةٌ في الخيرِ؛ شهِدْتَ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مغازيَ حَسنةً، وفتوحًا عِظامًا؟ قال: يُجزِعُني أنَّ حبيبَنا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حين فارَقَنا عهِدَ إلينا قال: «لِيَكْفِ اليومَ منكم كزادِ الرَّاكبِ»، فهذا الذي أجْزَعني. فجُمِعَ مالُ سلمانَ، فكان قِيمتُه

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩) واللفظ له.

خمسةَ عشَرَ دِينارًا))[1].

حِكمٌ وأمثالٌ وشِعرٌ في القناعة[2]:

- قال أكْثَمُ بنُ صَيفيٍّ: مَن باع الحِرصَ بالقَناعةِ ظَفِرَ بالغِنى والثَّروةِ.

- وقال بعضُ الحكماءِ: إنَّ مَن قنِعَ كان غنيًّا وإنْ كان مُقتِرًا، ومَن لم يَقنَعْ كان فقيرًا وإنْ كان مُكثِرًا.

- القناعةُ مالٌ لا يَنفَدُ.

قال بِشرُ بنُ الحارثِ:

أفادَتْنـــا القناعـــةُ أيَّ عِـــزٍّ ... ولا عِـزَّ أعَـزُّ مِـن القناعـهْ

فخُـذْ منهـا لنفسِـك رأسَ مالٍ ... وصَيِّـرْ بعدهـا التَّقـوى بِضاعهْ

تَحُـزْ حاليـنِ تُغْنَى عـن بخيلٍ ... وتَسـعَدُ في الجِنانِ بصبْرِ ساعهْ[3]



(١) أخرجه ابن حبان (٧٠٦)، والطبراني (٦/ ٢٦٨) (٦١٨٢). صححه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣٣١٩).

(٢) ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ١٢٧٣)، ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/ ١٤).

(٣) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (٢/ ٥٣٧).

كِتمانُ السِّرِّ

الكِتمانُ لُغةً: الإخفاءُ، واسْتكتَمَهُ سِرَّه: سألَهُ أنْ يَكتُمَه، وكاتَمَه سِرَّه[1].

الكِتمانُ اصطلاحًا: سَترُ الحَديثِ. وقيلَ: ضبْطُ النفْسِ ضِدَّ دوافعِ التَّعبيرِ عمَّا يَختلِجُ فيها[2].

السِّرُّ لُغةً: الذي يُكتَمُ، وجَمْعُه: أسْرارٌ. والسَّرِيرةُ مِثْلُه، ورجُلٌ سِرِّيٌّ: يَصنَعُ الأشياءَ سِرًّا[3].

السِّرُّ اصطلاحًا: الحَديثُ المُكْتَتَمُ في النفْسِ[4].

الفرقُ بين الكِتمانِ والسِّرِّ والنَّجوى والاختفاءِ[5]:

النَّجوى: اسمٌ للكلامِ الخَفِيِّ الذي تُناجِي به صاحبَك، كأنَّك تَرفعُه عن غيرِه. والسِّرُّ: إخفاءُ الشَّيءِ في النفْسِ، ولو اخْتَفى بسِترٍ أو وراءَ جِدارٍ لم يكُنْ سِرًّا، ويُقال: سِرِّي عندَ فلانٍ، تُريد ما يُخْفِيه في نفْسِه مِن ذلك، ولا يُقال: نَجْواي عنده. والكِتمانُ: يَختصُّ بالمعاني كالأسرارِ والأخبارِ؛ لأنَّ الكِتمانَ لا يُستعمَلُ إلَّا فيهما. والسِّرُّ: يَختصُّ بالجُثثِ والأعيانِ. والكِتمانُ هو السُّكوتُ عن المعنى. والإخفاء يكونُ في ذلك وفي غيرِه؛ فهو أعمُّ مِن الكِتمانِ.

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٣٢٩)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٢٦٦).

(٢) ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٠٢)، ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٣٤٣).

(٣) ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/ ٣٥٦)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١٢/ ٥).

(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ١٩٣).

(٥) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٤٧- ٤٤٨، ٥٣٣).

الحَثُّ على كِتمانِ السِّرِّ في القرآنِ والسُّنةِ:

- قال تَعالى حِكايةً عن كِتمانِ يُوسفَ عليهِ السَّلامُ للرُّؤْيا التي رَآها بأمْرٍ مِن أبيهِ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]. ومِن هذا يُؤخَذُ الأمرُ بكِتمانِ النِّعمةِ حتى تُوجَدَ وتَظهَرَ[١].

- عن مُعاذِ بنِ جَبلٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((اسْتَعِينوا على إنْجاحِ الحوائجِ بالكِتمانِ؛ فإنَّ كُلَّ ذِي نِعمةٍ مَحسودٌ))[٢].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في كِتمانِ السِّرِّ:

- قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه: (سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فإنْ تكلَّمْتَ بهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ)[٣].

- قال عمرُو بنُ العَاصِ رضِيَ اللهُ عنه: (ما وضَعْتُ سِرِّي عندَ أحدٍ أفْشاهُ عليَّ فَلُمْتُه؛ أنا كنتُ أَضيقَ بهِ حيثُ اسْتودَعْتُه إيَّاهُ)[٤].

- عن الحسنِ رَحِمهُ اللهُ، قال: (إنَّ مِن الخِيانةِ أنْ تُحَدِّثَ بسِرِّ أخِيكَ)[٥].

فوائدُ كِتمانِ السِّرِّ[٦]:

١- حِفظُ الأسرارِ صِفةٌ مِن صفاتِ المروءةِ والنُّبْلِ.

---

(١) ((تفسير ابن كثير)) (٤/ ٣٧١).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٠/ ٩٤) (١٨٣)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦٢٢٨). ضعف سنده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (١٠٨٦)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ١٩٨): فيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به، وكذَّبه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات، إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ.

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣٠٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص: ٢١٤).

(٥) ((الصمت وآداب اللسان)) لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٤).

(٦) ((الرائد. دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (ص: ٢١٧).

٢- مِن أعظمِ أسبابِ النَّصرِ على الأعداءِ.

٣- دَرءُ مَفسدةِ الحِقدِ والحسدِ.

٤- يُقوِّي الصِّلةَ بين الإخوةِ.

٥- يُقوِّي الثِّقةَ بين الزَّوجين.

مِن صُورِ كِتمانِ الأسرارِ:

١- كِتمانُ الطَّاعاتِ؛ قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥].

٢- كِتمانُ الذُّنوبِ؛ قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((كلُّ أُمَّتِي مُعافًى إلَّا المُجاهِرينَ، وإنَّ مِن المَجانةِ أنْ يَعمَلَ الرَّجلُ باللَّيلِ عمَلًا، ثمَّ يُصبِحُ وقدْ ستَرَهُ اللهُ، فيقولُ: يا فلانُ، عمِلْتُ البارحةَ كذا وكذا، وقدْ بات يَستُرُه ربُّه، ويُصبِحُ يَكشِفُ سِتْرَ اللهِ عنه))[١].

٣- كِتمانُ الأسرارِ الزَّوجيَّةِ؛ قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنَّ مِن أشرِّ النَّاسِ عندَ اللهِ مَنزلةً يومَ القيامةِ الرَّجلَ يُفْضِي إلى امْرأتِه وتُفْضِي إليه ثمَّ يَنشُرُ سِرَّها))[٢].

٤- كِتمانُ الرُّؤيَا المكروهةِ؛ قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((... وإذا رأى غيرَ ذلك ممَّا يَكرَهُ، فإنَّما هي مِن الشَّيطانِ، فلْيَسْتَعِذْ مِن شَرِّها، ولا يَذْكُرْها لأحدٍ؛ فإنَّها لا تَضُرُّه))[٣].

نماذجُ في كِتمانِ السِّرِّ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ:

- بعَثَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَرِيَّةً مِن المهاجرينَ، قِوامُها اثْنَا عشَرَ

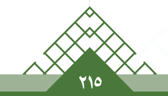
(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

رجلًا بقيادةِ عبدِ الله بنِ جَحشٍ الأسديِّ، ومعه رسالةٌ، أَمَرهُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ألَّا يَفتَحَها إلَّا بعدَ يومينِ مِن مَسيرِه، فإذا فتَحَها وفَهِمَ ما فيها، مَضى في تَنفيذِها غيرَ مُستكرِهٍ أحدًا مِن أفرادِ قوَّتِه على مُرافقَتِه[1].

- عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ: ((أنَّ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنه حين تأيَّمَت بِنتُه حفصةُ مِن خُنَيسِ بنِ حُذافةَ السَّهميِّ، وكان مِن أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد شهِدَ بدْرًا، تُوفِّيَ بالمدينةِ، قال عمرُ: فلَقِيتُ عُثمانَ بنَ عفَّانَ، فعرَضْتُ عليه حفصةَ، فقلتُ: إنْ شِئْتَ أنكَحْتُكَ حفصةَ بِنتَ عمرَ، قال: سأنْظُرُ في أمْري، فلَبِثْتُ ليالِيَ، فقال: قد بدَا لي ألَّا أتزوَّجَ يَومي هذا، قال عمرُ: فلَقِيتُ أبا بكرٍ، فقلتُ: إنْ شِئتَ أنكَحْتُكَ حفصةَ بنتَ عمرَ، فصمَتَ أبو بكرٍ، فلم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، فكنتُ عليه أوجَدَ منِّي على عُثمانَ، فلَبِثْتُ ليالِيَ، ثمَّ خطَبَها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأنكَحْتُها إيَّاهُ، فلَقِيَني أبو بكرٍ فقال: لعلَّك وجَدْتَ عليَّ حين عرضْتَ عليَّ حفصةَ، فلم أرْجِعْ إليك؟ قلتُ: نعمْ، قال: فإنَّه لم يَمنَعْني أنْ أرْجِعَ إليك فيما عرضْتَ، إلَّا أنِّي قد علِمْتُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد ذكَرَها، فلم أكنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولو ترَكَها لَقَبِلْتُها))[2].



(١) ((سيرة ابن هشام)) (١/ ٦٠٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٥).



كَظمُ الغَيظِ

معنى كَظم الغَيظِ:

الكَظمُ لُغةً: الكافُ والظَّاءُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنًى واحدٍ، وهو الإمساكُ والجمْعُ للشَّيءِ، يقال: كَظَمْتُ القِربةَ: إذا مَلأْتُها[1].

الكظْمُ اصطلاحًا: الإمساكُ على ما في النفْسِ مِن صفْحٍ أو غَيظٍ[2].

الغَيظُ لُغةً: الغضبُ. وقيل: غضبٌ كامنٌ للعاجزِ. وقِيل: هو أشدُّ مِن الغضبِ. وقيل: هو سَورتُه وأوَّلُه[3].

الغَيظُ اصطلاحًا: أشدُّ الغضبِ، وهو الحرارةُ التي يَجِدُها الإنسانُ مِن ثَورانِ دَمِ قلْبِه. وقيل: هو الغضبُ المحيطُ بالكَبِدِ، وهو أشدُّ الحَنَقِ[4].

كَظمُ الغَيظِ اصطلاحًا: تَجرُّعُه واحتمالُ سَببِه والصَّبرُ عليه. وقيل: عدمُ إظهارِه بقولٍ أو فِعلٍ مع قُدرتِه على إيقاعِه بعَدُوِّه[5].

الحثُّ على كَظمِ الغَيظِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٨٤)، ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) للثعلبي (٣/ ١٦٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٥١٩).

(٢) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٢٨٢).

(٣) ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (٢/ ٩٣٢)، ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ١١٧٦)، ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٤٠٢)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/ ٤٥٠).

(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٢٨٢).

(٥) ((معجم ديوان الأدب)) للفارابي (٢/ ١٨٦)، ((تفسير القرطبي)) (٤/ ٢٠٦)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ١٧٩).

﴿وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

- عن سَهلِ بنِ مُعاذِ بنِ أنسٍ الجُهنيِّ، عن أبيهِ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((مَن كظَمَ غَيظًا وهو يَستطيعُ أنْ يُنفِذَه، دعاهُ اللهُ يومَ القيامةِ على رُؤوسِ الخلائقِ حتى يُخيِّرَه في أيِّ الحُورِ شاء))[1].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في كَظمِ الغَيظِ:

- قال عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: (دُمْ على كظْمِ الغَيظِ، تُحمَدْ عواقبُك)[2].

- وقال ابنُ عبدِ البرِّ: (مَن كظَمَ غَيظَه، ورَدَّ غضَبَه، أخْزى شيطانَه، وسَلِمَتْ مُروءتُه ودِينُه)[3].

فوائدُ كظْمِ الغَيظِ:

١- صاحبُه مُعَدٌّ ومُهيَّأٌ للجنَّةِ.

٢- التَّخييرُ مِن الحُورِ العينِ.

٣- التغلُّبُ على الشَّيطانِ.

الوَسائلُ المعينةُ على كظْمِ الغَيظِ:

١- أنْ يَعرِفَ المرءُ الأجرَ المُترتِّبَ على كظْمِ الغَيظِ والعفوِ عن المُخطئينَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) واللفظ له، وابن ماجه (٣٣٩٤)، وأحمد (١٥٦٣٧).
قال الترمذي: حسن غريب. وذكر المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/ ٣٨٦) أن فيه عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ. وضعَّف إسناده ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (٢٨/ ٤٩٠)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٠٢١).

(٢) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) (ص: ٣٤٢).

(٣) ((التمهيد)) لابن عبد البر (٧/ ٢٥٠).

٢- إنَّ رحمةَ المُخطِئِ والشَّفقةَ عليه داعيةٌ لكظْمِ الغَيظِ، وإخمادِ نارِ الغضبِ.

٣- أنْ يُربِّيَ المؤمنُ نفْسَه على سَعةِ الصَّدرِ.

٤- الحياءُ مِن التَّلبُّسِ بأخطاءِ المُخطِئِ ومُقابَلتِه فيما يَفعلُ.

٥- أنْ يَقطعَ المرْءُ المُلاحاةَ والجدلَ في مواقفِ الخصومةِ، وألَّا يَتمادى في السِّبابِ والشَّتائمِ.

نماذجُ في كظْمِ الغَيظِ مِن سِيرةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسلفِ:

- عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنتُ أمْشي مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليه بُردٌ نَجْرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدْرَكَهُ أعرابيٌّ، فجذَبَهُ جَذبةً شديدةً، حتى نَظرْتُ إلى صفْحةِ عاتقِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد أثَّرتْ به حاشيةُ الرِّداءِ؛ مِن شدَّةِ جَذبَتِه، ثم قال: مُرْ لي مِن مالِ اللهِ الذي عندك، فالْتَفَتَ إليه فضَحِكَ، ثم أمَرَ له بعطاءٍ))[١].

- عن جُبيرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: (شَهِدتُ وهبَ بنَ مُنبِّهٍ وجاءه رجلٌ، فقال: إنَّ فلانًا يقَعُ فيك، فقال وهبٌ: أمَا وجَدَ الشيطانُ أحدًا يَستخِفُّ به غيرَك؟! قال: فما كان بأسرعَ مِن أنْ جاء الرَّجلُ، فرفَعَ مَجلِسَه وأكْرمَهُ)[٢].

أمثالٌ وحِكَمٌ وشِعرٌ في كظْمِ الغَيظِ:

- لا يَصلُحُ رفيقًا مَن لم يَبتلِعْ رِيقًا: يُضرَبُ لمَن يَكظِمُ الغَيظَ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) ((الورع)) لأحمد رواية المروزي (ص: ١٩٧).

(٣) ((الكشف والبيان)) للثعلبي (٣/ ١٦٦)، ((مجمع الأمثال)) للميداني (٢/ ٢٤٢).

- قال العرجيُّ:

وإذا غضِبْـــتَ فكُنْ وَقــورًا كاظمًا   للغيـــظِ تُبصِرْ مـــا تقولُ وتَســـمَعُ
فكَفـــى بــــه شَـــرفًا تصبُّرُ ســـاعةٍ   يَرضى بها عنـــك الإلـــهُ وتُرفَعُ(١)



(١) ((الكشف والبيان)) للثعلبي (٣/ ١٦٦).

المحبَّةُ

معنى المَحبَّة:

المحبَّةُ لُغةً: نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الوِدادُ والمحبَّةُ، وهي تدلُّ على اللُّزومِ والثَّباتِ[1].

المحبَّةُ اصطلاحًا: المَيلُ إلى الشَّيءِ السَّارِّ[2].

الفرقُ بين الحبِّ والوُدِّ[3]:

أنَّ الحبَّ يكونُ فيما يُوجِبُه مَيلُ الطِّباعِ والحكمَةُ جَمِيعًا، والوُدَّ مَيلُ الطِّباعِ فقطْ.

التَّرغيبُ والحثُّ على المحبَّةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أي: يَجعلُ محبَّتَهم في قلوبِ المؤمنين فيُحِبُّونهم[4].

- قال سُبحانه: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥].

- عن أبي هُريرةَ، قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((والَّذي نَفْسي بِيَدِه، لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليهِ مِن والِدِه ووَلَدِه))[5].

(١) ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٤/ ٨)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٢٩٠).

(٢) ((المعجم الوسيط)) (ص: ١٥١).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٢١- ١٢٢).

(٤) ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٢/ ٦٤٠).

(٥) أخرجه البخاري (١٤).

- عن ابنِ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقال: يا رسولَ اللهِ، كيفَ تقولُ في رجلٍ أحَبَّ قَومًا ولَمْ يَلْحَقْ بهم؟ فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: المَرْءُ مع مَن أحَبَّ))[1].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في المَحبَّة:

- قال أبو بكرٍ الورَّاقُ: (حقيقةُ المحبَّةِ مُشاهدةُ المحبوبِ على كلِّ حالٍ؛ فإنَّ الاشتغالَ بالغيرِ حِجابٌ، وأصلُه التَّسليمُ واليقينُ؛ فإنَّهما يُبلِّغانِ إلى دَرجاتِ المُتَّقين في جنَّاتِ النَّعيمِ)[2].

- وقال الرَّاغبُ: (المَحبَّةُ والعَدلُ مِن أسبابِ نِظامِ أُمورِ النَّاسِ، ولو تحابَّ النَّاسُ، وتعامَلوا بالمحبَّةِ لَاسْتغنَوا بها عن العدلِ... وهي أفضلُ مِن المَهابةِ؛ لأنَّ المَهابةَ تُنفِّرُ، والمحبَّةَ تُؤلِّفُ. وقد قِيل: طاعةُ المحبَّةِ أفضلُ مِن طاعةِ الرَّهبةِ؛ لأنَّ طاعةَ المحبَّةِ مِن داخلٍ، وطاعةَ الرَّهبةِ مِن خارجٍ، وهي تَزولُ بزوالِ سَببِها. وكلُّ قومٍ إذا تحابُّوا تواصَلوا، وإذا تواصَلُوا تعاوَنوا، وإذا تعاوَنوا عمِلُوا، وإذا عمِلُوا عَمَّروا، وإذا عَمَّروا عُمِّروا وبُورِكَ لهم)[3].

- وقال ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ: (المحبَّةُ هي حياةُ القلوبِ وغِذاءُ الأرواحِ، وليس للقلْبِ لذَّةٌ، ولا نَعيمٌ، ولا فلاحٌ، ولا حياةٌ إلَّا بها، وإذا فقَدَها القلبُ كان ألَمُه أعظَمَ مِن ألَمِ العينِ إذا فقَدَت نُورَها، والأُذنِ إذا فقَدَت سمْعَها، والأنْفِ إذا فقَدَ شمَّهُ، واللِّسانِ إذا فقَدَ نُطْقَه، بلْ فسادُ القلبِ إذا خلَا مِن مَحبَّةِ فاطِرِه وبارئِه وإلهِه الحقِّ أعظَمُ مِن فسادِ البدنِ إذا خلَا مِن الرُّوحِ، وهذا الأمرُ لا يُصدِّقُ به إلَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).
(٢) ((بحر الدموع)) لابن الجوزي (ص: ٨٥).
(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٥٧).

مَن فيه حياةٌ)[1].

أقسامُ المحبَّة:

على أربعةِ أقسامٍ:

١- محبَّةُ اللهِ.

٢- محبَّةُ ما يُحِبُّ اللهُ.

٣- الحبُّ للهِ وفيه.

٤- المحبَّةُ مع اللهِ، وهي المحبَّةُ الشِّركيةُ، وكلُّ مَن أحبَّ شيئًا مع اللهِ لا للهِ، ولا مِن أجْلِه، ولا فيه؛ فقدِ اتَّخذَهُ نِدًّا مِن دونِ اللهِ، وهذه محبَّةُ المشركين.

فوائدُ المحبَّة:

١- دَلالةٌ على كَمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ.

٢- المحبَّةُ تُغذِّي الأرواحَ والقلوبَ، وبها تقَرُّ العيونُ، بل إنَّها هي الحياةُ التي يُعَدُّ مَن حُرِمَها مِن جُملةِ الأمواتِ.

٣- قلْبُ صاحبِها تغْشاهُ مباركةُ اللهِ ونِعَمُه على الدَّوامِ.

٤- تَظهرُ آثارُ المحبَّةِ عندَ الشَّدائدِ والكُرباتِ.

٥- مِن ثمارِ المحبَّةِ النَّعيمُ والسُّرورُ في الدُّنيا المُوصِلُ إلى نَعيمِ الآخرةِ وسُرورِها.

الأسبابُ الجالبةُ للمحبَّة والمُوجِبةُ لها:

١- الإحسانُ إلى الآخرين.

٢- تقديمُ الهَديَّةِ للآخرين.

---

(١) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ٢٣٣-٢٣٤).

٣- التَّواضعُ للآخرين.

٤- التَّحلِّي بصِفةِ الصَّمْتِ.

٥- البَشاشةُ والابتسامةُ.

٦- البَدْءُ بالسَّلامِ.

نماذجُ في المحبَّةِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

- عن مُعاذِ بنِ جَبلٍ رضِيَ اللهُ عنه، ((أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أخَذَ بيَدِه وقال: يا معاذُ، واللهِ إنِّي لَأُحِبُّك، واللهِ إنِّي لَأُحِبُّك، فقال: أُوصِيك يا مُعاذُ لا تَدعَنَّ في دُبرِ كل صَلاةٍ تقولُ: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذِكْرِك وشُكرِك وحُسنِ عِبادتِك))[١].

- وعن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((رأى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ النِّساءَ والصِّبيانَ مُقبلينَ -قال: حسِبْتُ أنَّه قال: مِن عُرسٍ- فقام النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُمْثِلًا فقال: اللَّهُمَّ أنتم مِن أحبِّ النَّاسِ إليَّ. قالها ثلاثَ مِرارٍ))[٢].

حِكمةٌ في المحبَّةِ:

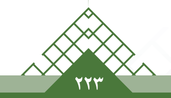
المحبَّةُ ثمَنُ كلِّ شَيءٍ وإنْ غلَا، وسُلَّمٌ إلى كلِّ شيءٍ وإنْ علَا[٣].



(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وأحمد (٢٢١١٩). صححه الحاكم على شرط الشيخين في ((المستدرك)) (١/ ٤٠٧)، وصحَّح إسناده النووي في ((المجموع)) (٣/ ٤٨٦)، وابن الملقن في ((الإعلام)) (٤/ ١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٥٠٨).

(٣) ((مجمع الأمثال)) للنيسابوري (٢/ ٤٥٦).



المُداراةُ

معنى المُداراةِ:

المُداراةُ لُغةً: المُلاينَة، واتِّقاءُ الشرِّ، ومدافعةُ الخُصومةِ[1].

المُداراةُ اصطلاحًا: خفْضُ الجَناحِ للنَّاسِ، ولِينُ الكلامِ، وترْكُ الإغلاظِ لهم في القولِ[2].

الفرقُ بين المُداراةِ والمُداهنةِ:

المُداراةُ مَندوبٌ إليها، والمُداهنةُ مُحرَّمةٌ، والفَرْقُ بينهما: أنَّ المُداهنةَ مِن الدِّهانِ، وهو الذي يَظهَرُ على الشَّيءِ ويَستُرُ باطنَه، وفسَّرَها العلماءُ بأنَّها مُعاشَرةُ الفاسقِ، وإظهارُ الرِّضا بما هو فيه مِن غيرِ إنكارٍ عليه، والمُداراة هي الرِّفقُ بالجاهلِ في التَّعليمِ، وبالفاسقِ في النَّهيِ عن فِعلِه وترْكِ الإغلاظِ عليه حيث لا يَظهَرُ ما هو فيه، والإنكار عليه بلُطفِ القولِ والفِعلِ، ولا سيَّما إذا احتِيجَ إلى تألُّفِه ونحوِ ذلك[3].

الحثُّ على المُداراةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال سُبحانه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٧١) و(١٤/ ٢٥٥).

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٥٢٨).

(٣) ((المصدر السابق)).

- وعن عُروةَ بنِ الزُّبير، أنَّ عائشةَ أخبرَتْهُ ((أنَّه استأذَنَ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رجلٌ، فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ائْذَنوا له، فبِئسَ ابنُ العشيرةِ -أو بِئسَ أخو العشيرةِ-، فلمَّا دخَل ألَانَ له الكلامَ، فقلْتُ له: يا رسولَ اللهِ، قلتَ ما قلْتَ، ثمَّ ألَنتَ له في القولِ؟ فقال: أيْ عائشةُ، إنَّ شرَّ النَّاسِ منزلةً عندَ اللهِ مَن ترَكَهُ -أو ودَعَهُ- النَّاسُ اتِّقاءَ فُحشِه))[1]. وهذا أصلٌ في ندْبِ المُداراةِ إذا ترتَّبَ عليها دفْعُ ضُرٍّ أو جلْبُ نفْعٍ[2].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في المُداراةِ:

- قال محمَّدُ ابنُ الحنفيَّةِ: (ليس بحَليمٍ مَن لم يُعاشِرْ بالمعروفِ مَن لا يجِدُ مِن مُعاشَرتِه بُدًّا، حتى يَجعلَ اللهُ له فرَجًا. أو قال: مَخرجًا)[3].

- وعن الحَسنِ: (المؤمنُ يُداري ولا يُماري، يَنشُرُ حِكمةَ اللهِ، فإنْ قُبِلَت حمِدَ اللهَ، وإنْ رُدَّتْ حمِدَ اللهَ)[4].

- قال أبو بكرٍ الطُّرْطُوشيُّ: (المُداراةُ أنْ تُداريَ النَّاسَ على وجْهٍ يَسلَمُ لك دِينُك)[5].

فوائدُ المُداراةِ:

١- تَزرَعُ الأُلْفةَ والمودَّةَ.

٢- تَجمعُ بين القلوبِ المُتنافرةِ.

٣- مِن عواملِ إنجاحِ الدَّعوةِ إلى اللهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٥٩١).
(٢) ((فيض القدير)) للمُناوي (٢/ ٤٥٤).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((مداراة الناس)) (٢٠).
(٤) ((أخلاق العلماء)) للآجري (ص: ٥٨).
(٥) ((سراج الملوك)) لأبي بكر الطرطوشي (١١/ ٣٦).

٤- تحقيقُ السَّعادةِ الزَّوجيةِ[١].

٥- تحقيقُ السَّلامةِ والأمْنِ والطُّمأنينةِ للنفْسِ[٢].

٦- صِيانةُ النفْسِ مِن أهلِ الفجورِ والشُّرورِ.

مِن صُوَرِ المُداراةِ[٣]

١- في تعامُلِ الإمامِ مع الرَّعيةِ.

٢- الخوفُ مِن الكفَّارِ والعجْزُ عن مُقاومتِهم.

٣- في دَعوةِ النَّاسِ والسُّلطانِ.

٤- المُداراةُ مع الوالدينِ.

٥- المُداراةُ مع الزَّوجةِ مُحافظةً على الحياةِ الزَّوجيةِ.

موانعُ اكتسابِ المُداراةِ:

١- العجَلةُ والطَّيشُ، وسُرعةُ الغضبِ والانتصارُ للنفْسِ.

٢- عَدمُ تفهُّمِ الواقعِ وطبائعِ الناسِ.

٣- سُوءُ الخُلقِ وغِلظةُ القلْبِ.

٤- الكِبْرُ وضَعفُ إرادةِ الخيرِ للنَّاسِ.

٥- قِلَّةُ الصَّبرِ والحِلمِ والرِّفقِ.

٦- العُزلةُ عن الناسِ؛ فالمُداراةُ إنما يَحتاجُها مَن يُخالِطُ الناسَ لا مَن يَعتزِلُهم.

(١) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطَّال (٧/ ٢٩٥).

(٢) ((سراج الملوك)) لأبي بكر الطرطوشي (١/ ١٤٨).

(٣) ((بدائع السلك في طبائع الملك)) لابن الأزرق (١/ ٣٢٦).

الوسائلُ المعينةُ على اكتسابِ صِفَةِ المُداراةِ[1]:

١- التَّحلِّي بخُلقِ الصَّبرِ والرِّفقِ والرحمةِ.

٢- النَّظرُ للمصالحِ المُترتِّبةِ على المُداراةِ.

٣- فَهمُ الواقعِ ومعرفةُ طبائعِ الناسِ.

٤- احتسابُ الأجْرِ في دَعوةِ الخلْقِ.

شِعرٌ في المُداراةِ:

قال أحمدُ الخطابيُّ:

ما دمْتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهم ... فإنَّما أنت في دارِ المُداراةِ

مَن يَدْرِ دارَى ومَن لم يَدْرِ سَوف يُرى ... عمَّا قليلٍ نديمًا للنَّدَاماتِ[2]



(١) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٥٣).

(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/ ٥٤).



المُروءة

معنى المُروءة:

المُروءةُ لُغةً: آدابٌ نَفسانيَّةٌ تَحمِلُ مُراعاتُها الإنسانَ على الوقوفِ عِندَ مَحاسنِ الأخلاقِ، وجميلِ العاداتِ. وفُلانٌ تَمَرَّأَ بالقومِ، أي: سَعى أنْ يُوصَفَ بالمُروءَةِ بإكرامِهم أو بنقْصِهم وعَيْبِهم[1].

المُروءةُ اصطلاحًا: مُراعاةُ الأحوالِ إلى أنْ تكونَ على أفضلِها، حتَّى لا يَظهرَ منها قبيحٌ عن قصْدٍ، ولا يَتوجَّهَ إليها ذمٌّ باستحقاقٍ[2].

الفرقُ بينَ المُروءةِ والفُتوَّةِ والعَقلِ[3]:

المُروءةُ أعمُّ مِن الفُتوَّةِ؛ فالمُروءةُ هي ما يَتخلَّقُ به الإنسانُ ممَّا يَختَصُّ به في ذاتِه أو يَتعدَّى إلى غيرِه، بيْنما الفُتوَّةُ ما يَتخلَّقُ به الإنسانُ ويكونُ مُتعدِّيًا إلى غيرِه. والعَقلُ يأمُرُ بالأنفَعِ، والمُروءَةُ تأمُرُ بالأجمَلِ.

التَّرغيبُ والحثُّ على المُروءةِ مِن القرآنِ والسُّنَّة:

- قال اللهُ تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

- قال اللهُ تَبارَك وتعالى -على لِسانِ لُقمانَ وهو يعِظُ ابنَه ويُعطِيه دروسًا في القِيَمِ، ومعالمَ في المُروءةِ-: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

---

(١) ((المخصص)) لابن سيده (١/ ٢٤٥)، ((المصباح المنير)) (٢/ ٥٦٩)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي (١/ ٤٢٧)، ((المعجم الوسيط)) (٢/ ٨٦٠).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) (ص: ٣٢٥).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) (ص: ٣٢٥)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢ / ٣٤٠).

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٧- ١٩].

- عن سَهلِ بنِ سعدٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كريمٌ يُحِبُّ الكُرماءَ، ويُحِبُّ معاليَ الأمورِ، ويَكرَهُ سَفْسافَها))[1].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في المُروءةِ:

- قال مُعاوِيةُ رضِيَ اللهُ عنه: (المُروءَةُ تَرْكُ الشَّهواتِ، وعِصيانُ الهَوى)[2].

- وقال عليُّ بنُ الحُسينِ: (مِن تَمامِ المُروءةِ: خِدمةُ الرَّجلِ ضَيفَهُ كما خدَمَهُم أبونَا إبراهيمُ الخليلُ بنَفْسِه وأهْلِه)[3].

أقسامُ المُروءةِ:

اجتِنابُ ما يَكرَهُ اللهُ والمُسلِمون مِن الفِعالِ. واستِعمالُ ما يُحِبُّ اللهُ والمسلمون مِن الخِصالِ.

شروطُ المُروءةِ:

مِن شرائطِ المُروءةِ: أنْ تَعِفَّ عن الحرامِ، وتَتصلَّفَ [أي: وتَترفَّعَ] عن الآثامِ، وتُنصِفَ في الحُكمِ، وتكُفَّ عن الظُّلمِ، ولا تَطمَعَ فيما لا تَستحِقُّ، ولا تَستطِيلَ على مَن تَسترِقُّ، ولا تُعِينَ قويًّا على ضَعيفٍ، ولا تُؤثِرَ دَنيًّا على شَريفٍ، ولا تُسَرَّ

(١) أخرجه الطبراني (٦/ ١٨١) (٥٩٢٨)، والحاكم في ((المستدرك)) (١٥١).
صححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٨٠١).
(٢) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/ ٤٥٧).
(٣) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (٢/ ١٥١).

ما يُعْقِبُ الوِزرَ والإثمَ، ولا تَفعَلَ ما يُقبِّحُ الذِّكرَ والاسمَ[1].

فوائدُ التَّحلِّي بالمُروءةِ واجتنابِ ما يَخرِمُها:

١- سبيلٌ إلى نَيلِ المطلوبِ العالي، والسَّبقِ إليه وإنْ كثُرَ عليه المُتنافِسون[2].

٢- التَّحلِّي بها ممَّا يَزِيدُ في ماءِ الوجْهِ وبَهجَتِه[3].

٣- تَحجُزُ المرْءَ عن كلِّ لذَّةٍ يَتبَعُها ألمٌ، وكلِّ شَهوةٍ يَلحَقُها ندَمٌ؛ فهي جُنَّةٌ عن اللَّذائذِ المُحرَّمةِ، والشَّهواتِ المُهلِكةِ.

٤- المروءةُ مانعةٌ مِن الكذِبِ، باعثةٌ على الصِّدقِ؛ لأنَّها قد تَمنَعُ مِن فِعلِ ما كان مُستكْرَهًا، فأَولى مِن فِعلِ ما كان مُستقبَحًا[4].

٥- داعيةٌ إلى إنصافِ الرَّجلِ لجميعِ الخلْقِ، سواءٌ في ذلك مَن كان دونَه، أو مَن كان فوقَه، لا يُفرِّقُ بيْن هؤلاء وهؤلاء.

٦- داعيةٌ إلى الرِّفعةِ والعُلوِّ، والمنافسةِ في خَيرَيِ الدُّنيا والآخرةِ، وعدَمِ الرِّضا مِن الشيءِ إلَّا بأعلاهُ وغايتِه.

٧- تَحمِلُ صاحبَها على التَّرفُّعِ عن سَفاسفِ الأمورِ ومُحقَّراتِها.

مِن صُورِ المُروءةِ وآدابِها[5]:

- أنْ يكونَ ذا أَناةٍ وتُؤدَةٍ في كَلامِه، ويكونَ حَسَنَ البيانِ، واضحَ العبارةِ،

---

(١) ((تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك)) للماوردي (ص: ٢٩).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣٢٧).

(٣) ((زاد المعاد في هدي خير العباد)) للماوردي (٤/ ٣٧٢).

(٤) ((أدب الدنيا والدين)) لابن قيم الجوزية (ص: ٢٧٢).

(٥) ((المروءة ومظاهرها الصادقة)) لمحمد الخضر حسين، بتصرف. نقلًا عن كتاب ((المروءة الغائبة)) لمحمد إبراهيم (ص: ١٢٠- ١٢٣) - بتصرف.

بعيدًا عن التَّكلُّفِ والتقعُّرِ، يَنتقِي أطايبَ الحديثِ كما يَنْتقي أطايبَ الثَّمرِ.

- أنْ يَضبِطَ نفْسَه عن هيَجانِ الغضبِ أو دَهشةِ الفرَحِ، وأنْ يقِفَ موقفَ الاعتدالِ في حالَي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ.

- أنْ يَتحلَّى بالصَّراحةِ والترفُّعِ عن المُوارَبةِ والمُجامَلةِ والنِّفاقِ.

موانعُ اكتسابِ صفةِ المُروءةِ (خوارمُ المُروءةِ):

١- الخبَلُ في العقْلِ (أي: الفسادُ فيه).

٢- نُقصانُ الدِّينِ.

٣- قلَّةُ الحياءِ.

الوسائلُ المعينةُ على اكتسابِ المُروءةِ:

١- عُلوُّ الهِمَّةِ، والتَّطلُّعُ إلى السُّموِّ بالنفْسِ والتَّرقي بها إلى المعالي.

٢- مُنافسةُ أصحابِ المُروءاتِ، ومُسابقةُ أصحابِ الأخلاقِ العاليةِ؛ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

٣- شَرفُ النفْسِ واستعفافُها، ونزاهتُها وصِيانتُها.

٤- المالُ الصالحُ خيرُ مُعِينٍ على بُلوغِ المُروءاتِ.

أقوال وشِعرٌ عن المُروءةِ:

- قال صاحبُ كَليلةَ ودِمْنةَ: (إنَّ الرجلَ ذا المُروءةِ قد يُكرَمُ على غيرِ مالٍ: كالأسدِ الذي يُهاب وإنْ كان رابضًا، والغنيَّ الذي لا مُروءةَ له يُهانُ وإنْ كان كثيرَ المالِ: كالكلبِ لا يُحفَل به، وإنْ طُوِّقَ وخُلْخِلَ بالذهبِ)[1].

(١) ((كليلة ودمنة)) لابن المقفع (ص: ١٩٣).

- قال الشاعر:

وإذا الفَتـــى جمَعَ المُـــروءةَ والتُّقى		وحَوى مع الأدبِ الحياءَ فقد كَمَل[1]



(١) ((المروءة)) لابن المرزبان (ص: ٥١).

المُزاحُ

معنى المزاحِ:

المُزاحُ لُغةً: المَزْحُ: الدُّعابةُ، وهو نقيضُ الجِدِّ؛ مَزَحَ يَمْزَحُ مَزْحًا ومِزاحًا ومُزاحًا ومُزاحةً[1].

المزاحُ اصطلاحًا: المُباسَطةُ إلى الغيرِ على جِهَةِ التَّلطُّفِ والاستعطافِ دونَ أذيَّةٍ[2].

الفرقُ بين المُزاحِ والهزْلِ والمُجُونِ[3]:

أنَّ الهزلَ يَقْتضي تواضُعَ الهازلِ لمَن يَهزِلُ بيْن يدَيْه، والمزاحَ لا يقْتضي ذلك. والمُجونَ هو صلابةُ الوجْهِ وقلَّةُ الحياءِ.

الأحاديثُ الواردةُ في المزاحِ:

- عن ابنِ عمرَ رَضيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنِّي لَأمزَحُ، ولا أقولُ إلَّا حقًّا))[4].

- عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((إنْ كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيُخالِطُنا، حتَّى يقولَ لأخٍ لي صغيرٍ: يا أبا عُميرٍ، ما فعَلَ النُّغيرُ؟))[5]، وفيه

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/ ٥٩٣)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٧/ ١١٧).

(٢) ((تاج العروس)) للزبيدي (٧/ ١١٧).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٥٤)، ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) للمناوي (١/ ٣٦٧).

(٤) أخرجه الطبراني في ((المعجم الصغير)) (٧٧٩). حسَّن إسناده الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ٩٢)، وصحَّح الحديث الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٤٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢٥١٠).

جوازُ المُمازَحةِ وتَكريرُ المزْحِ[1].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في المزاحِ[2]:

- كان العبَّاسُ رضِيَ اللهُ عنه يقولُ: ((مزَحَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فصار المزْحُ سُنَّةً)).

- وقِيل لسُفيانَ بنِ عُيينةَ: (المُزاحُ هُجْنةٌ؟ فقال: بلْ سُنَّةٌ، ولكنَّ الشَّأنَ فيمَن يُحسِنُه ويَضَعُه مواضعَه).

- وقال المُرتضى الزَّبيديُّ: (الإكثارُ منه والخروجُ عن الحدِّ مُخِلٌّ بالمروءةِ والوَقارِ، والتَّنزُّهُ عنه بالمرَّةِ والتَّقبُّضُ مُخِلٌّ بالسُّنةِ والسِّيرةِ النَّبويةِ المأمورِ باتِّباعِها والاقتداءِ، وخيرُ الأمورِ أوسَطُها)[3].

أقسامُ المزاحِ[4]:

ينقسمُ المزاحُ إلى قسمين:

القسمُ الأول: المزاحُ المحمودُ: الذي يَفعلُه المرءُ على النُّدرةِ؛ لمَصلحةِ تطْييبِ نفْسِ المُخاطَبِ ومُؤانسَتِه، وهو سُنةٌ مُستحبَّةٌ.

القسمُ الثَّاني: المزاحُ المذمومُ: الذي فيه إفراطٌ، ويُداوَمُ عليه؛ فإنَّه يُورِثُ كثرةَ الضَّحِكِ وقسوةَ القلبِ، ويَشغَلُ عن ذِكرِ اللهِ والفِكرِ في مُهمَّاتِ الدِّينِ، ويَؤُولُ في كثيرٍ مِن الأوقاتِ إلى الإيذاءِ، ويُورِثُ الأحقادَ، ويُسقِطُ المهابةَ والوَقارَ.

ضوابطُ المزاحِ المحمودِ:

١- ألَّا يكونَ فيه استهزاءٌ بشَيءٍ مِن أُمورِ الدِّينِ.

(١) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٥٨٤).
(٢) ((اللطائف والظرائف)) للثعالبي (ص: ١٥١).
(٣) ((تاج العروس)) للزبيدي (٧/ ١١٧).
(٤) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للقاري (٧/ ٣٠٦١).

٢- ألَّا يتضمَّنَ المزاحُ سُخريةً أو استهزاءً بالآخرين.

٣- أنْ يكونَ هذا المزاحُ بصِدْقٍ، ولا يُدخِلُ المازحُ فيه الكذِبَ مِن أجلِ إضحاكِ مَن حولَه.

٤- ألَّا يَترتَّبَ عليه ضررٌ على الآخَرين؛ كتَرويعِ الشَّخصِ بقصْدِ المزاحِ معه.

فوائدُ المزاحِ المحمودِ:

١- يُحبِّبُ الشخصَ إلى الناسِ، ويُكسِبُه وُدَّهُم، ويَجعلُه مرغوبًا مَحبوبًا.

٢- مُؤانسةُ الأصحابِ، وإدخالُ السُّرورِ عليهم.

٣- التَّخفيفُ عن النفْسِ، وإبعادُ المَلالةِ والسَّأمِ عنها.

نماذجُ في المزاحِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلفِ:

١- عن أنسِ بنِ مالكٍ: ((أنَّ رجلًا اسْتحمَلَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: إنِّي حامِلُك على ولَدِ الناقةِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، ما أصنَعُ بوَلدِ الناقةِ؟ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وهلْ تلِدُ الإبلُ إلَّا النُّوقَ؟))[١].

٢- عن بكرِ بنِ عبدِ اللهِ، قال: (كان أصحابُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتبادَحُون بالبِطِّيخِ، فإذا كانت الحقائقُ كانوا هم الرِّجالَ)[٢].

٣- قال عطاءُ بنُ السائبِ: (كان سعيدُ بنُ جُبيرٍ لا يَقُصُّ علينا إلَّا أبكانَا بوَعظِه، ولا يقومُ مِن مَجلسِنا حتَّى يُضحِكَنا بمَزْحِه)[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١) واللفظ له، وأحمد (١٣٨١٧).
قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (١٩٩١).

(٢) أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٦٦).
صحَّحه الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٢٠١).

(٣) ((اللطائف والظرائف)) للثعالبي (ص: ١٥١).

٤- وممَّا أُثِرَ عنهم مِن الصُّورِ التي تُبيِّن ذمَّ المزاحِ: ما رواهُ بعضُهم عن مجاهدٍ: (أنَّه مازَحَ صديقًا له بكلمةٍ، فتَهاجرَا حتَّى ماتَا)[١].

شِعرٌ في المزاح:

قال الشاعرُ:

امْزَحْ بمِقـــدارِ الطَّلاقـــةِ واجتَنِبْ   مَزْحًـــا تُضافُ به إلى سُـــوءِ الأدَبْ
لا تُغضِبَـــنْ أحَـــدًا إذا مازحْتَـــه   إنَّ المُزاحَ على مُقدِّمـــةِ الغضبْ[٢]



(١) ((الأمثال)) لابن سلام (ص: ٨٥).
(٢) ((غرر الخصائص الواضحة)) للوطواط (ص: ٢٣٨، ٢٣٩).

النُّبلُ

معنى النُّبلِ:

النُّبلُ لُغةً: النُّبْلُ بالضَّمِّ: الذَّكاءُ والنَّجابةُ، والنَّبيلُ: العاقل، أو الحاذِق، وهو نَبيلُ الرَّأْيِ، أي: جيِّدُه، وقيلَ: رفيقٌ بإصلاحِ عِظامِ الأُمورِ[1].

النُّبلُ اصطلاحًا: خُلقٌ حميدٌ يتحلَّى صاحبُه بالذَّكاءِ والنَّجابةِ في ذاتِه، والفضلِ والرِّفقِ في تَعامُلِه مع الناسِ، مع حِذْقٍ في الرَّأيِ والعملِ[2].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في النُّبلِ:

- قال مُعاويةُ: (أتدْري مَن النَّبيلُ؟ هو الذي إذا رأَيْتَه هِبْتَه، وإذا غاب عنك اغْتبْتَه)[3].

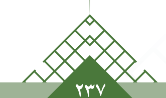
- سُئِلَ مُعاويةُ رضِيَ اللهُ عنه عن النُّبلِ؛ فقال: (مُؤاخاةُ الأَكْفاءِ، ومُداجاةُ الأعداءِ)[4].

- وقال الجاحظُ: (ومتى كنتَ مِن أهلِ النُّبلِ لم يَضُرَّك التَّبذُّلُ، ومتى لم تكنْ مِن أهْلِه لم يَنفعْك التَّنبُّلُ)[5].

فوائدُ النُّبلِ:

١- النُّبلُ أهلُه يَعيشون كِرامًا، ويَموتون كِرامًا.

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٦٤٠).
(٢) ((نضرة النعيم)) لمجموعة من المؤلفين (٨/ ٣٤٧١).
(٣) ((الرسائل الأدبية)) للجاحظ (ص: ١٣٣).
(٤) ((المروءة)) لابن المرزبان (ص: ٤٢).
(٥) ((الرسائل الأدبية)) للجاحظ (ص: ١٣٣).



٢- النُّبلُ مِن مكارمِ الأخلاقِ الفاضلةِ.

٣- النُّبلُ مِن صِفاتِ العُظماءِ والحُكماءِ.

٤- النُّبلُ علامةٌ على عُلوِّ الهِمَّةِ وشَرفِ النفْسِ.

٥- النُّبلُ تتفرَّعُ عنه الأخلاقُ الحسنةُ، كالحِلمِ والصَّبرِ.

٦- النُّبلُ يُؤدِّي إلى الحذْقِ في التَّعامُلِ.

موانعُ اكتسابِ النُّبلِ:

١- التَّكبُّرُ والتَّعالي على الخلْقِ.

٢- الدَّناءةُ وسُوءُ الخُلقِ.

٣- ظُلمُ الناسِ.

٤- البُخلُ والشُّحُّ.

- التعجُّلُ والحُمقُ وسُوءُ التَّفكيرِ، ونُقصانُ الحِكمةِ في الأمورِ.

الوسائلُ المعينةُ على اكتسابِ النُّبلِ:

١- أنْ يكونَ مُتواضعًا.

٢- أنْ يكونَ صابرًا حليمًا.

٣- أنْ يكونَ سخِيًّا كريمًا.

٤- أنْ يكونَ مُترفِّعًا عن سفاسفِ الأمورِ.

نماذجُ للنُّبلِ مِن الصحابةِ والسَّلفِ:

١- قال سعيدُ بنُ العاصِ: (ما شاتَمْتُ رجلًا مذْ كنتُ رجلًا؛ لأنِّي لا أُشاتِمُ إلَّا أحدَ رجلينِ: إمَّا كريمٌ، فأنا أحقُّ مَن احتمَلَهُ، وإمَّا لَئيمٌ، فأنا أولى مَن رفَعَ

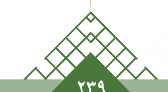
نفْسَه عنه)[1].

٢- قال يحيى بنُ أكْثمَ: (قال الرَّشيدُ: ما أنبَلُ المراتبِ؟ قلتُ: ما أنت فيه يا أميرَ المؤمنينَ، قال: فتَعرِفُ أجلَّ منِّي؟ قلتُ: لا، قال: لكنِّي أعرِفُه؛ رجلٌ في حلْقةٍ يقولُ: حدَّثَنا فلانٌ، عن فلانٍ، عن رَسولِ اللهِ. قال: قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أهذا خيرٌ منك وأنت ابنُ عمِّ رسولِ اللهِ ووليُّ عهْدِ المؤمنين؟! قال: نعمْ، ويلك! هذا خيرٌ منِّي؛ لأنَّ اسمَه مُقترِنٌ باسمِ رسولِ اللهِ، لا يموتُ أبدًا ونحن نموتُ، ونفْنى والعلماءُ باقونَ ما بقِيَ الدَّهرُ)[2].

٣- وكان أبو عاصمٍ النَّبيل يَحفَظُ قدْرَ ألفِ حديثٍ مِن جيِّدِ حديثِه، وكان فيه مزاحٌ، ويُقال: إنَّما قِيل له: النَّبيلُ؛ لأنَّ فيلًا قدِمَ البصرةَ، فذهَبَ الناسُ يَنظُرون إليه، فقال له ابنُ جريجٍ: ما لك لا تَنظرُ؟ قال: لا أجِدُ منك عِوَضًا، قال: أنت نبيلٌ[3].



(١) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٢/ ١٨).
(٢) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/ ١٧٠).
(٣) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٩/ ٤٨٢).



النَّزاهةُ

معنى النَّزاهةِ:

النَّزاهةُ لُغةً: البُعدُ عن السُّوءِ؛ نَزُهَ نَزاهةً وتَنَزَّهَ تنَزُّهًا: إذا بَعُدَ، ونَزْهُ الخُلُقِ ونَزِهُهُ ونازِهُ النَّفْسِ: عفيفٌ مُتكَرِّمٌ يَحُلُّ وحْدَهُ ولا يُخالِطُ البيوتَ بنفسِه ولا مالِه. ونَزَّهَ نفْسَه عن القبيحِ: نَحَّاها[1].

النَّزاهةُ اصطلاحًا: اكتسابُ مالٍ مِن غيرِ مَهانةٍ ولا ظُلمٍ إلى الغيرِ. وقيل: التَّباعدُ مِن الدَّناءةِ والأوساخِ[2].

الفَرقُ بين النَّزاهةِ والعِفَّةِ:

العِفَّةُ: الإمساكُ عن المحظورِ، **والنَّزاهةُ:** الوقوفُ عن المُباحِ، وفي العِفَّةِ ذبٌّ عن الدِّينِ، وفي النَّزاهةِ حِفظٌ للمُروءةِ[3].

التَّرغيبُ والحثُّ على النَّزاهةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وهي طَهارةُ القلبِ، وطهارةُ الجَيبِ، ونزاهةُ النَّفْسِ عن الدَّنايا والآثامِ والذُّنوبِ[4].

- عن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رضِيَ اللهُ عنهما قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ((الحلالُ بيِّنٌ، والحرامُ بيِّنٌ، وبينهما مُشبَّهاتٌ لا يَعلَمُها كثيرٌ

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ٥٤٨).

(٢) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/ ٤٧٦)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٢٤٠).

(٣) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان التوحيدي (٥/ ١٢١).

(٤) ((الاستذكار)) لابن عبد البر (١/ ٣٣٣).

مِن الناسِ، فمَن اتَّقى المُشبَّهاتِ استبرَأَ لِدِينِه وعِرضِه...))[1]، أي: طالبٌ له البراءة والنَّزاهةَ ممَّا يُدنِّسُه ويَشِينُ[2].

- عن الحَسنِ بنِ عليٍّ رَضيَ اللهُ عنهما، قال: حفِظْتُ مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((دَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك))[3].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في النَّزاهة:

- قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: (إذا كان في القاضي خمسُ خِصالٍ فقد كَمَلَ: عِلْمٌ بما كان قبْلَه، ونزاهةٌ عن الطَّمعِ، وحِلمٌ عن الخَصمِ، واقتداءٌ بالأئمَّةِ، ومُشاورةُ أهلِ العلْمِ والرَّأيِ)[4].

- وقال ابنُ حزْمٍ: (نزاهةُ النفْسِ صِفةٌ فاضلةٌ مُتركِّبةٌ مِن النَّجدةِ والجُودِ والعدْلِ والفَهمِ)[5].

- وقال الماورديُّ: (والنفْسُ الشَّريفةُ تَطلُبُ الصِّيانةَ، وتُراعي النَّزاهةَ، وتَحتمِلُ مِن الضُّرِّ ما احتملَتْ، ومِن الشِّدَّةِ ما طاقَت، فيَبقى تَحمُّلُها، ويَدومُ تَصوُّنُها)[6].

أقسامُ النَّزاهة:

- النَّزاهةُ عن المطامعِ الدَّنِيَّةِ.

- والنَّزاهةُ عن مواقفِ الرِّيبةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) ((فتح الباري)) لابن رجب (١/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١).

قال الترمذي: حسن صحيح. وحسَّنه النووي في ((المجموع)) (١/ ١٨١)، وصحَّحه ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (١٤/ ٤٢)، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٥٧١١).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/ ٧٨).

(٥) ((رسائل ابن حزم)) (١/ ٣٧١).

(٦) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ١٩٣).

فوائدُ النَّزاهةِ:

١- النَّزاهةُ طاعةٌ للهِ سُبحانه وتعالى، ومِن ثِمارِها محبَّةُ اللهِ للعبْدِ، ومحبَّةُ الناسِ له.

٢- النَّزاهةُ سببٌ مِن أسبابِ التَّقوى، وتَحفَظُ النفْسَ عن الانزلاقِ والانحرافِ.

٣- النَّزاهةُ خُلقٌ يُثمِرُ أخلاقًا أُخرى؛ كالقناعةِ والورَعِ.

٤- المُتحلِّي بالنَّزاهةِ يتحلَّى بخُلقٍ تحلَّى به رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

مِن صُورِ النَّزاهةِ:

١- التَّنزُّهُ عن المالِ المشْبوهِ.

٢- التَّنزُّهُ مِن مواقفِ الرِّيبةِ؛ من باب ((إنَّما هي صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ))[1].

٣- التَّنزُّهُ عن أشياءَ مِن الحلالِ مَخافةَ الوقوعِ في الحرامِ.

٤- التَّنزُّهُ عن ذَمِّ الناسِ وفُحشِ القولِ.

موانعُ اكتسابِ النَّزاهةِ:

١- الطَّمعُ في الدُّنيا ونِسيانُ الآخرةِ.

٢- الشَّرهُ وحُبُّ التَّوسُّعِ في جمْعِ الأموالِ.

٣- الجُبنُ؛ لأنَّه يُولِّدُ المَهانةَ والذُّلَّ.

٤- البُخلُ والشُّحُّ؛ لأنَّه يُولِّدُ الطَّمعَ.

٥- الانهماكُ في الشَّهواتِ.

الوسائلُ المعينةُ على اكتسابِ النَّزاهةِ:

١- الدُّعاءُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

٢- القناعةُ والبُعدُ عن الطَّمعِ.

٣- النَّجدةُ والجُودُ والعدْلُ.

٤- الزُّهدُ عمَّا في أيدي الناسِ.

٥- عَدمُ مُصاحَبةِ أهلِ الطَّمعِ والشَّرَه.

نماذجُ للنَّزاهةِ مِن سيرةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسلفِ:

- عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((إنِّي لَأنقلِبُ إلى أهْلي، فأجِدُ التَّمرةَ ساقطةً على فِراشي، فأرْفَعُها لِآكُلَها، ثم أخْشى أنْ تكونَ صَدقةً فأُلْقِيها))[1].

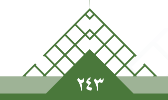
- عن عمرَ رضِيَ اللهُ عنه قال: (إنَّه لا أجِدُه يحِلُّ لي أنْ آكُلَ مِن مالِكم هذا، إلَّا كما كنتُ آكلُ مِن صُلبِ مالي: الخبْزَ والزَّيتَ، والخبْزَ والسَّمنَ، قال: فكان ربَّما يُؤتَى بالجَفْنةِ قد صُنِعَت بالزَّيتِ، وممَّا يَلِيه منها سمْنٌ، فيَعتذِرُ إلى القومِ ويقولُ: إنِّي رجلٌ عربيٌّ، ولست أسْتمْرِئُ الزَّيتَ)[2].

- كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قد طلَّقَ نفْسَه عن الفَيءِ، فلم يُرزَقْ منه شيئًا إلَّا عطاءَه مع المسلمين، فدَخَل عليه ابنُ أبي زكريَّا فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي أُرِيدُ أنْ أكلِّمَك بشيءٍ، قال: قُلْ، قال: قد بلَغني أنَّك تَرزُقُ العاملَ مِن عُمَّالِك ثلاثَ مائةِ دِينارٍ، قال: نعمْ، قال: ولِمَ ذلك؟ قال: أردْتُ أنْ أُغنِيَهم عن الخيانةِ، قال: فأنت يا أميرَ المؤمنينَ أَولى بذلك، قال: فأخْرَجَ ذِراعَه، وقال: يا ابنَ أبي زكريَّا، إنَّ هذا نبَتَ مِن الفَيءِ، ولستُ مُعِيدًا إليه منه شيئًا أبدًا[3].

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الورع)) (١٩٠).

(٣) ((سيرة عمر بن عبد العزيز)) لابن عبد الحكم (١٥/ ٥٤).



النَّزاهة في واحة الأدب والشِّعر:

- قال أعرابيٌّ: (عِزُّ النَّزاهةِ أشرَفُ مِن سُرورِ الفائدةِ)(١).

- وقال الشاعرُ:

أُنزِّهُ نَفسِي عَن أَذَى القَوْلِ والخَنا ... وإنِّي إلى الإسلامِ والسِّلمِ أنْجَحُ
وعقْلي ودِيني والحَياءُ يَرُدُّني ... عن الجَهْلِ لكنِّي عن الذَّنبِ أصْفَحُ
فشَتَّان ما بيْني وبَيْنك في الهَوى ... وكلُّ إناءٍ بالَّذي فِيهِ يَنضَحُ(٢)



(١) ((الأمالي)) للقالي (٢/ ١٦٧).
(٢) ((الضوء اللامع)) للسخاوي (٤/ ٣١٠-٣١١).

النَّشاطُ

معنى النَّشاطِ:

النَّشاطُ لُغةً: النَّشاطُ ضِدُّ الكَسَلِ، والمَنْشَطُ: مَفْعَلٌ مِن النَّشاطِ، وهو الأمرُ الذي تنْشَطُ له وتَخِفُّ إليه، وتُؤثِرُ فِعلَه، وهو مصدرٌ بمعنى النَّشاطِ[1].

النَّشاطُ اصطلاحًا: أنْ يَخِفَّ الإنسانُ إلى الأمرِ ويُؤثِرَ فِعلَه[2].

التَّرغيبُ والحثُّ على النَّشاطِ في القرآنِ والسُّنةِ:

- قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. وهذا فيه تَنشيطُهم على الأعمالِ بذِكْرِ جزائِها وثَمراتِها؛ فإنَّها بذلك تخِفُّ وتَسهُلُ[3].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((لكلِّ عمَلٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرةٌ، فمَن كانت فَترتُه إلى سُنَّتي فقد أفلَحَ، ومَن كانت إلى غيرِ ذلك فقد هلَكَ))[4]. والشِّرَّةُ: النَّشاطُ والهِمَّة[5].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/ ٤١٣).
(٢) ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ١٣١).
(٣) ((تفسير السعدي)) (ص: ٤٦).
(٤) أخرجه أحمد (٦٩٥٨)، وابن خزيمة (٢١٠٥)، وابن حبان (١١).
صحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١١/ ١٥٩)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢١٥٢).
(٥) ((الزواجر)) للهيتمي (١/ ١٦٥).

ما قِيل في النَّشاطِ:

- قال عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: (أُوصِيكم بتَقْوى اللهِ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةِ الحقِّ في الرِّضا والغضَبِ، والقصدِ في الغِنى والفقْرِ، والعدْلِ على الصَّديقِ والعدُوِّ، والعملِ في النَّشاطِ والكسَلِ)[1].

- قال الجُنيدُ: (علامةُ المُحِبِّ دوامُ النَّشاطِ)[2].

- وقال ابنُ القيِّمِ: (الكُسالى أكثرُ الناسِ همًّا وغمًّا وحزنًا، ليس لهم فرحٌ ولا سرورٌ، بخلافِ أربابِ النَّشاطِ والجِدِّ في العملِ)[3].

أقسامُ النَّشاطِ:

النَّشاطُ المحمودُ: وهو ما ذكَرْناه سابقًا.

النَّشاطُ المذمومُ: وهو ما لا يَنفَعُ في الآخرةِ، أو كان على وجْهِ الرِّياءِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

فوائدُ النَّشاطِ:

١- المُتحلِّي بالنَّشاطِ مُتَحلٍّ بخُلقٍ مِن أخلاقِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

٢- النَّشيطُ يُحِبُّه الناسُ ويَرتفِعُ ذِكْرُه بينهم.

٣- بالنَّشاطِ يَصْفو الذِّهنُ، ويَصدُقُ الحسُّ، ويَكثُرُ الصَّوابُ.

٤- النَّشاطُ سببٌ للخُروجِ مِن الذُّلِّ إلى العزِّ، وللخُروجِ مِن الخُمولِ إلى النَّباهةِ.

---

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٤/ ٣٣٤).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((روضة المحبين)) لابن القيم (ص: ١٦٨).

مِن صُورِ النَّشاطِ:

١- استثمارُ الوقتِ والاستفادةُ منه، وعَدمُ تَضييعِه فيما لا يُفيد.

٢- الإقبالُ على كلِّ عمَلٍ جِدِّيٍّ مع الالتزامِ والانضباطِ.

٣- الإتقانُ في العملِ وتَنظيمُه، وتحديدُ الأهدافِ، والسَّعيُ إلى تَحقيقِها.

٤- الإقبالُ على فِعلِ الطَّاعاتِ.

موانعُ اكتسابِ النَّشاطِ:

١- البُعدُ عن ذِكْرِ اللهِ، ومُخالفةُ أوامرِهِ والبُعدُ عن طاعتِه.

٢- التَّشاؤمُ والطِّيَرةُ، والبُعدُ عن التَّفاؤلِ؛ حيث إنَّه بالتَّشاؤمِ يَتكاسَلُ الإنسانُ، ويَحصُل له الهمُّ والحزنُ.

٣- مُجالَسةُ الكُسالى والمُثبِّطين، وعدَمُ الاختلاطِ بالصالحينَ.

٤- عدمُ الشُّعورِ بالمسؤوليَّةِ.

الوسائلُ المعينةُ على اكتسابِ النَّشاطِ وزِيادتِه[١]:

١- ذِكرُ اللهِ، والتَّذكرةُ بآياتِه، وامتثالُ طاعتِه.

٢- الفرحُ بفضْلِ اللهِ ورَحمتِه.

٣- التَّأمُّلُ في قَصصِ السابقين.

٤- الفألُ الحَسنُ.

٥- الرَّجاءُ لنَعيمِ اللهِ وما وعَدَ به الصالحين.

٦- الشُّعورُ بالمسؤوليَّةِ، وعَدمُ التَّهاوُنِ بما كُلِّفَ به.

---

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص: ٣٦١).

نَماذجُ للنَّشاطِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسلفِ:

- وصفَتْ عائشةُ رضِيَ اللهُ عنها صلاةَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالت: (كان يَنامُ أوَّلَ الليلِ ويُحْيي آخرَه، ثم إنْ كانت له حاجةٌ إلى أهْلِه قضى حاجتَه، ثم ينامُ، فإذا كان عندَ النِّداءِ الأوَّلِ... وثَبَ... فأفاضَ عليه الماءَ... وإنْ لم يكُنْ جُنبًا تَوضَّأَ وُضوءَ الرَّجلِ للصَّلاةِ، ثم صلَّى الرَّكعتينِ)[1].

- وقد ضَرَبَ الأنصارُ رضِيَ اللهُ عنهم أروعَ الأمثلة في النَّشاطِ لطاعةِ اللهِ؛ فحين بايَعُوه بالعَقبةِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّا بُرآءُ مِن ذِمامِك حتى تصِلَ إلى دارِنا، فإذا وصَلْتَ إلينا فأنت في ذِمَمِنا، نَمْنَعُك ممَّا نَمنَعُ منه أبناءنا ونِساءنا... وقال له سعدُ بنُ مُعاذٍ: فقدْ آمنَّا بك، وصدَّقْناك، وشَهِدنا أنَّ ما جِئتَ به هو الحقُّ، وأعْطَيناك على ذلك عُهودَنا ومَواثيقَنا على السَّمعِ والطاعةِ، فامْضِ يا رسولَ اللهِ لِمَا أمَرَك اللهُ، فوالَّذي بعَثَك بالحقِّ، إنِ اسْتعرضْتَ بنا هذا البحرَ، فخُضْتَه، لَخُضناهُ معك، ما يَتخلَّفُ منَّا رجلٌ واحدٌ، وما نَكرَهُ أنْ تَلقى بنا عَدُوَّنا غدًا، إنَّا لَصُبُرٌ في الحربِ، صُدُقٌ عندَ اللِّقاءِ، ولعلَّ اللهَ يُريك منَّا ما تقَرُّ به عينُك، فسِرْ بِنا على بَركةِ اللهِ. فسُرَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بقولِ سَعدٍ، ونشَطه ذلك، ثمَّ قال: سِيروا على بركةِ اللهِ وأبْشِروا؛ فإنَّ اللهَ قد وَعَدني إحدى الطَّائفتينِ، واللهِ لَكأنِّي الآنَ أنظُرُ إلى مصارعِ القومِ[2].

- وقال أبو حاتمٍ: قال لي أبو زُرعةَ: (ما رأيتُ أحْرَصَ على طلبِ الحديثِ منك، فقلتُ له: إنَّ عبدَ الرحمنِ ابْني لَحريصٌ، فقال: مَن أشبَهَ أباهُ فما ظلَمَ. قال

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه الطبري في ((تفسيره)) (١٣/ ٤٠٠).
قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٣/ ٢٦١): له شواهد.

الرَّقَّامُ: فسألْتُ عبدَ الرحمنِ عن اتِّفاقِ كثرةِ السَّماعِ له وسُؤالاتِه لأبيهِ، فقال: ربَّما يأكُلُ وأقْرَأُ عليه، ويمْشي وأقرَأُ عليه، ويَدخُل الخَلاءَ وأقرَأُ عليه، ويَدخُل البيتَ في طلبِ شيءٍ وأقرَأُ عليه)[1].



(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٣/ ٢٥٠).

النُّصرةُ

معنى النُّصرةِ:

النُّصرةُ لُغةً: نَصَرَه على عَدوِّه يَنْصُرُه نَصْرًا، أي: أعَانَه وقَوَّاه، والاسمُ: النُّصرةُ[1].

النُّصرةُ اصطلاحًا: الغَيرةُ الإيمانيةُ التي تَدفَعُ المسلمَ لرفْعِ الظُّلمِ عن أخيهِ المسلمِ المُستضعَفِ[2].

الفرقُ بينَ النُّصرةِ والإعانةِ والمَعونةِ:

النُّصرةُ لا تكونُ إلَّا على المنازِعِ المغالِبِ والخَصمِ المُناوِئِ المشاغِبِ، والإعانةُ تكونُ على ذلك وعلى غيرِه؛ تقولُ: أعانَهُ على مَن غالَبَه ونازَعَه ونصَرَه عليه، وأعانَهُ على فقْرِه: إذا أعطاهُ ما يُعِينه، وأعانَهُ على الأحمالِ، ولا يُقال: نصَرَه على ذلك؛ فالإعانةُ عامَّةٌ، والنُّصرةُ خاصَّةٌ. والنَّصرُ يَختصُّ بالمعونةِ على الأعداءِ، والمعونةُ عامَّةٌ في كلِّ شيءٍ؛ فكلُّ نصْرٍ معونةٌ ولا يَنعكِسُ[3].

الحثُّ على النُّصرةِ في القرآنِ والسُّنةِ:

- قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) ملخصًا من ((العين)) للخليل (٢/ ٣٥)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٤/ ١٩٧)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٢١٠)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٦٠٧)، ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (١/ ٦٢١)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١/ ٣٥٣٨).

(٢) ((هذه أخلاقنا)) لمحمود الخزندار (ص: ٥٧).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٤٠).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

- وقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((انصُرْ أخاك ظالِمًا أو مظلومًا. فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أنْصُره إذا كان مظلومًا، أفرأيْتَ إذا كان ظالمًا؛ كيف أنصُره؟ قال: تَحجُزه -أو تَمنَعُه- مِن الظُّلمِ؛ فإنَّ ذلك نصْرُه))[1].

فوائدُ النُّصرةِ:

١- تقديسُ اللهِ للأمَّةِ، أي: تطْهيرُها مِن دَنسِ الذُّنوبِ.

٢- أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُقيم ويَنصُر ويُمكِّنُ الدَّولةَ التي يُنصَرُ فيها المظلومُ، ويأْخُذُ فيها حقَّه[2].

٣- أنَّ الذي يَنصُرُ المظلومَ يَنصُرُه اللهُ، والجزاءُ مِن جِنسِ العملِ.

٤- نَجاةُ الأمَّةِ مِن العقابِ، فإنْ لم تَنصُرِ الأمَّةُ المظلومَ، وتأخُذْ على يَدِ الظَّالمِ، وتَمنَعْه مِن الظُّلمِ، فسَيَعُمُّ العِقابُ الجميعَ.

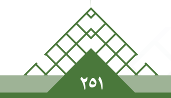
٥- يُسخِّرُ اللهُ للنَّاصرِ مَن يقِفُ إلى جانبِه ويَنصُره في الدُّنيا، ويَتولَّاه اللهُ في الآخرةِ.

مِن صُوَرِ النُّصرةِ:

١- النُّصرةُ قبْلَ وقوعِ الظُّلمِ.

٢- النُّصرةُ بالنُّصحِ للظالمِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ١٤٦).



٣- النُّصرةُ بالشَّفاعةِ للمظلومِ.

٤- النُّصرةُ بدفْعِ أذى السُّلطانِ عنه.

٥- النُّصرةُ في الجهادِ.

الوسائلُ المعينةُ على اكتسابِ صفةِ النُّصرةِ:

١- أنْ تَعلَمَ أنَّ نُصرةَ المظلومِ هي طاعةٌ للهِ ورسولِه، فبِقدْرِ حُبِّك للهِ ورسولِه تكونُ طاعتُك لهما.

٢- أنْ تَستشعِرَ الأخوَّةَ الإيمانيةَ.

٣- أنْ تَستحضِرَ عظمةَ اللهِ وقُدرتَه ومعيَّتَه لك، فيَهونَ عليك أمْرُ الظالمِ ولا تخْشاهُ.

موانعُ اكتسابِ صفةِ النُّصرةِ:

١- ضَعفُ الإيمانِ.

٢- عَدمُ الشُّعورِ بأخوَّةِ الإيمانِ، ويَنتجُ مِن ذلك عَدمُ نُصرةِ الإخوانِ.

نماذجُ لنُصرةِ المظلومِ مِن حياةِ الأنبياءِ والصَّحابةِ:

- يَتجلَّى ذلك في قصَّةِ الرَّجلِ الذي طلَبَ مِن مُوسى عليه السَّلامُ النُّصرةَ؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٤- ١٥].

- كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَحمِلُ الكَلَّ، ويُعِينُ على نوائبِ الحقِّ، ويَنتصِرُ للمظلومِ، وقد شهِدَ حِلفًا في الجاهليةِ مِن أجْلِ نُصرةِ المظلومِ، وقد

قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في ذلك: ((شهِدْتُ حِلفَ المُطيَّبِين مع عُمومتي وأنا غلامٌ، فما أُحِبُّ أنَّ لي حُمْرَ النَّعَمِ وأنِّي أَنْكُثُه))(١). وهذا حيث تَداعتْ قبائلُ مِن قُريشٍ إلى حِلفٍ، فاجْتَمعوا له في دارِ عبدِ اللهِ بنِ جُدعانَ؛ لشَرفِه وسِنِّه، فتَعاقدوا وتعاهَدوا على ألَّا يَجِدوا بمكَّةَ مظلومًا مِن أهلِها وغيرِهم ممَّن دخَلَها مِن سائرِ الناسِ، إلَّا قاموا معه، وكانوا على مَن ظلَمَه حتى تُرَدَّ عليه مَظلمتُه، فسَمَّت قريشٌ ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضولِ(٢).

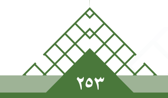
- عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ، قال: ((قلتُ لعبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ: أخبِرْني بأشدِّ ما صنَعَ المشركون برسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: بيْنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصلِّي بفِناءِ الكعبةِ، إذ أقبَلَ عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، فأخَذَ بمَنكِبِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ولَوَى ثوبَه في عُنقِه، فخنَقَهُ به خنقًا شديدًا، فأقبَلَ أبو بكرٍ، فأخَذَ بمَنكِبِه ودفَعَه عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؟!))(٣).



(١) أخرجه أحمد (١٦٥٥)، والبزار (١٠٠٠)، من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه. صحَّحه الطبري في ((التفسير)) (٤/ ١/ ٧٧)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ١٧٥): رجاله رجال الصحيح.

(٢) ((سيرة ابن هشام)) (١/ ١٣٤، ١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٥).



النَّصيحةُ

معنى النَّصيحةِ:

النَّصيحةُ لُغةً: نَصَحَ الشَّيءُ: خَلَصَ، والنَّاصحُ: الخالِصُ مِن العَسَلِ وغيرِه، وكلُّ شَيءٍ خَلَصَ، فقدْ نَصَحَ، والنُّصْحُ نقيضُ الغِشِّ(١).

النَّصيحةُ اصطلاحًا: الدُّعاءُ إلى ما فيه الصَّلاحُ، والنَّهيُ عمَّا فيه الفسادُ(٢).

الفرقُ بين النَّصيحةِ والتَّعييرِ:

(أنَّهما يَشتركانِ في أنَّ كلًّا منهما ذِكْرُ الإنسانِ بما يَكرَهُ ذِكْرَه... وأنَّ ذِكرَ الإنسانِ بما يَكرَهُ مُحرَّمٌ إذا كان المقصودُ منه مجرَّدَ الذَّمِّ والعيبِ والنَّقصِ، فأمَّا إنْ كان فيه مصلحةٌ لعامَّةِ المسلمين، خاصَّةً لبعضِهم، وكان المقصودُ منه تحصيلَ تلك المصلحةِ؛ فليس بمُحرَّمٍ، بل مندوبٌ إليه)(٣).

فضلُ النَّصيحةِ والحثُّ عليها في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى حِكايةً عن نوحٍ عليه السَّلامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢].

- وكذلك قولُه حِكايةً عن شُعيبٍ عليه السَّلامُ: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٩٣].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/ ٦١٥).
(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٢٤١).
(٣) ((الفرق بين النصيحة والتعيير)) لابن رجب (ص: ٧) بتصرف يسير.

- عن تَميمٍ الدَّاريِّ رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((الدِّينُ النَّصيحةُ، قُلْنا: لمَن؟ قال: للهِ ولكتابِه ولرسولِه، ولأئمَّةِ المسلمين وعامَّتِهم))[١].

- وعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((حقُّ المسلمِ على المسلمِ سِتٌّ، قِيل: ما هنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال: إذا لَقِيتَه فسَلِّمْ عليه، وإذا دعاكَ فأجِبْه، وإذا اسْتنصَحَك فانصَحْ له، وإذا عطَسَ فحَمِدَ اللهَ فسَمِّتْه، وإذا مَرِضَ فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه))[٢]، أي: إذا استشارَكَ في عملٍ مِن الأعمالِ، فانصَحْ له بما تُحِبُّه لنفْسِك؛ فإنْ كان العملُ نافعًا مِن كلِّ وجْهٍ، فحُثَّه على فِعلِه، وإنْ كان مُضِرًّا فحَذِّرْه منه، وإنِ احْتَوى على نفْعٍ وضَررٍ فاشْرَحْ له ذلك، ووازِنْ بين المصالِحِ والمفاسِدِ[٣].

أقوالُ السلفِ في النَّصيحةِ:

- سُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما عن أمْرِ السُّلطانِ بالمعروفِ ونهْيِه عن المُنكَرِ، فقال: (إنْ كنتَ فاعلًا ولا بُدَّ، ففيما بيْنك وبيْنه)[٤].

- وسُئِلَ ابنُ المبارَكِ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: (النُّصحُ للهِ، قِيل: فالأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكَرِ؟ قال: جُهْدُه إذا نصَحَ أنْ لا يأمُرَ ولا يَنْهى)[٥].

فوائدُ النَّصيحةِ:

١- النَّصيحةُ لُبُّ الدِّينِ، وجوهرُ الإيمانِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٢).

(٣) ((بهجة قلوب الأبرار)) للسعدي (ص: ١١٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٧٣٠٧)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧١٨٦).

(٥) ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٧).

٢- دليلُ حبِّ الخيرِ للآخرينَ، وبُغضِ الشَّرِّ لهم.

٣- تكثيرُ الأصحابِ؛ إذ إنَّه يُؤمَنُ منه الجانبُ. وتقليلُ الحسَّادِ؛ إذ إنَّه لا يُحِبُّ لغيرِه الشَّرَّ والفسادَ.

٤- صلاحُ المُجتمعِ؛ إذ تُشاع فيه الفضيلةُ، وتُستَرُ فيه الرَّذيلةُ.

٥- إحلالُ الرَّحمةِ والوِدادِ مكانَ القسوةِ والشِّقاقِ.

٦- مَن قام بها على وجْهِها يَستحِقُّ الإكرامَ لا اللَّومَ والتَّقريعَ[١].

مِن صُوَرِ النَّصيحةِ:

١- النَّصيحةُ للهِ تعالى.

٢- النَّصيحةُ لكتابِهِ سُبحانه وتعالى.

٣- النَّصيحةُ لِرَسولِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

٤- النَّصيحةُ لأئمَّةِ المسلمين.

٥- النَّصيحةُ لعامَّةِ المسلمين.

ضوابطُ في النَّصيحةِ:

١- الإخلاصُ في النَّصيحةِ.

٢- العلْمُ بما يَنصَحُ به.

٣- ألَّا يَجْهَرَ بنَصيحتِه.

٤- أنْ يُراعيَ الوقتَ والمكانَ المناسبينِ.

٥- اللِّينُ والرِّفقُ في النَّصيحةِ.

---

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٨/ ٣٥٠٧).

٦- ألَّا تكونَ النَّصيحةُ على شَرطِ القَبولِ.

وسائلُ النَّصيحةِ وأساليبُها:

١- البَدءُ بقضاءِ حاجةِ المنصوحِ، ثم النَّصيحةِ.

٢- تقْديمُ الهديَّةِ.

٣- التواصلُ بالرَّسائلِ.

٤- الصُّحبةُ والخُلطةُ.

نماذجُ في النَّصيحةِ والتناصُحِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ:

- عن مُعاذٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: بَعَثني رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: ((إنَّك تأتي قومًا مِن أهلِ الكتابِ، فادْعُهم إلى شَهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعْلِمْهم أنَّ اللهَ افترَضَ عليهم خمْسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعْلِمْهم أنَّ اللهَ افترَضَ عليهم صَدقةً تُؤخَذُ مِن أغنيائِهم فتُرَدُّ في فُقرائِهم، فإنْ هم أطاعوا لذلك فإيَّاك وكرائمَ أموالِهم، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ؛ فإنَّه ليس بيْنها وبيْن اللهِ حِجابٌ))(١).

- ونصَحَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُعاذًا وأبا مُوسى الأشعريَّ حينما بعَثَهما إلى اليمنِ، فقال: ((يَسِّرَا ولا تُعسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنفِّرَا، وتَطاوَعَا ولا تَختَلِفَا))(٢).

- عن أبي جُحيفةَ، قال: ((آخَى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْن سَلمانَ وأبي

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

الدَّرداءِ، فزار سلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتبذِّلَةً، فقال لها: ما شأْنُك؟ قالت: أخوك أبو الدَّرداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنيا، فجاء أبو الدَّرداءِ، فصنَعَ له طعامًا، فقال: كُلْ، قال: فإنِّي صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكُلَ، قال: فأكَلَ، فلمَّا كان الليلُ ذهَبَ أبو الدَّرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام، ثم ذهَبَ يقومُ، فقال: نَمْ، فلمَّا كان مِن آخرِ اللَّيلِ، قال سلمانُ: قُمِ الآنَ، فصَلَّيَا، فقال له سلمانُ: إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفْسِك عليك حقًّا، ولأهْلِك عليك حقًّا، فأعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فذكَرَ ذلك له، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صدَقَ سَلمانُ))[1].

حِكمٌ وأمثالٌ وشِعرٌ في النَّصيحةِ:

- قال الشافعيُّ: (مَن وَعَظَ أخاه سرًّا فقد نَصحَه وزانه، ومَن وعظَه عَلانيةً فقد فَضحَه وشانَه)[2].

- اسْمَعْ ممَّن لا يجِدُ منك بُدًّا، أي: اقْبَلْ نَصيحةَ مَن يَطلُبُ نفْعَك، يعني: الأبوينِ ومَن لا يَستجلِبُ بنُصحِك نفعًا إلى نفْسِه، بلْ إلى نفْسِك[3].

- وقال الأصمعيُّ:

النُّصحُ أرخصُ ما بـاعَ الرِّجالُ فلا ... تَـرْدُدْ على ناصحٍ نُصْحًـا ولا تَلُمِ
إنَّ النَّصائـحَ لا تَخْفـى مَناهِجُها ... على الرِّجـالِ ذوي الألبابِ والفَهَمِ[4]

- وممَّا يُنسَبُ إلى الشافعيِّ:

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).
(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٨٢).
(٣) ((مجمع الأمثال)) للنيسابوري (١/ ٦٧، ٣٤٤).
(٤) ((مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي)) لأحمد قبش (ص: ٥١٠).

تَعمَّدْنـــي بنُصْحِك فـــي انفرادي   وجَنِّبْنـــي النَّصيحةَ فـــي الجَماعهْ
فـــإنَّ النُّصـــحَ بيـــن النـــاسِ نَوعٌ   مـــن التوبيخِ لا أَرْضَى اســـتِماعَهْ
وإنْ خالفْتَنـــي وعَصيـــتَ قولـــي   فـــلا تَجـــزَعْ إذا لم تُعـــطَ طاعَهْ[1]



(١) ((ديوان الإمام الشافعي)) (ص: ٩).

الورَعُ

معنى الورَعِ:

الورعُ لُغةً: التَّحرُّجُ. والورِعُ -بكسرِ الرَّاءِ-: الرَّجلُ التَّقِيُّ المُتَحَرِّجُ. والورَعُ في الأصلِ: الكَفُّ عن المحارِمِ والتَّحَرُّجُ منه، ثُمَّ اسْتعِيرَ لِلكفِّ عنِ المُباحِ والحلالِ[1].

الورعُ اصطلاحًا: الاجتنابُ عن الشُّبهاتِ، سَواءٌ كان تَحصيلًا أو غيرَ تَحصيلٍ. ويُستعمَلُ بمعنى التَّقوى؛ وهو الكفُّ عن المُحرَّماتِ القطعيَّةِ[2].

الفرقُ بين الزُّهدِ والورعِ:

أنَّ الزُّهدَ ترْكُ ما لا يَنفَعُ في الآخرةِ، والورعَ ترْكُ ما يُخْشى ضَررُه في الآخرةِ[3].

فضلُ الورعِ والحثُّ عليه في السُّنةِ:

- عن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((فضْلُ العلْمِ أحبُّ إليَّ مِن فضْلِ العِبادةِ، وخيرُ دِينِكم الورعُ))[4].

- وعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((يا أبا هُريرةَ، كُنْ وَرِعًا تكُنْ أعبَدَ الناسِ))[5].

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/ ٣٨٨)، و((تاج العروس)) للزبيدي (٢٢/ ٣١٣).
(٢) ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٤).
(٣) ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ١٨١).
(٤) أخرجه الحاكم (٣١٤)، والبيهقي في ((الآداب)) (٨٣٠).
صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٢١٤).
(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥٧٥٠).
حسَّن إسناده البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (٤/ ٢٤٠)، وصححه الألباني في ((صحيح =

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في الورعِ:

- قال أبو الدَّرداءِ: (تَمامُ التَّقوى أنْ يَتَّقِيَ اللهَ العبدُ، حتَّى يَتَّقِيَه مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ، وحتى يَترُكَ بعضَ ما يَرى أنَّه حلالٌ؛ خشيةَ أنْ يكونَ حرامًا، حِجابًا بيْنه وبين الحرامِ)[1].

- قال أبو هُريرةَ: (جُلساءُ اللهِ غدًا أهْلُ الورعِ والزُّهدِ)[2].

- قال أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ: (الورَعُ أوَّلُ الزُّهدِ، كما أنَّ القناعةَ أوَّلُ الرِّضا)[3].

- قال سُفيانُ الثَّوريُّ: (ما رأيتُ أسهَلَ مِن الورَعِ؛ ما حاك في نفْسِك فاترُكْه)[4].

أقسامُ الورَعِ[5]:

١- الورعُ المشروعُ، وهو: اتِّقاءُ ما يُخاف أنْ يكونَ سببًا للذَّمِّ والعذابِ عندَ عدمِ المعارضِ الرَّاجحِ، ويَدخُلُ في ذلك أداءُ الواجباتِ والمُشتبهاتِ التي تُشبِهُ الواجبَ، وترْكُ المُحرَّماتِ والمُشتبهاتِ التي تُشبِهُ الحرامَ.

٢- الورعُ الواجبُ، وهو: اتِّقاءُ ما يكونُ سببًا للذَّمِّ والعذابِ، وهو فِعلُ الواجبِ وترْكُ المُحرَّمِ.

٣- الورعُ الفاسدُ؛ كثيرٌ مِن النَّاسِ تَنفِرُ نفْسُه عن أشياءَ لعادةٍ ونحوِها، فيكونُ ذلك ممَّا يُقوِّي تَحريمَها واشتباهَها عنده، ويكونُ بعضُهم في أوهامٍ وظُنونٍ

= سنن ابن ماجه)) (٤٢١٧).

(١) أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (٢/ ١٩)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (١/ ٢١٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٧/ ١٦٠).

(٢) ((الرسالة القشيرية)) (١/ ٢٣٦).

(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٤).

(٤) ((المصدر السابق)).

(٥) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٠/ ١٣٧).

كاذبةٍ، فتكونُ تلك الظُّنونُ مبْناها على الورعِ الفاسدِ، فيكونُ صاحبُه ممَّن قال اللهُ تعالى فيه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، وورعُ أهلِ البدعِ كثيرٌ منه مِن هذا البابِ.

فوائدُ الورعِ وآثارُه:

١- يَجلِبُ محبَّةَ اللهِ سُبحانه وتعالى.

٢- فيه ترْكُ الشُّبهاتِ والبُعدُ عنها.

٣- به يَطِيبُ المَطعمُ والمشْربُ.

٤- سببٌ لاستجابةِ الدُّعاءِ.

٥- الاستبراءُ للدِّينِ والعِرضِ.

٦- الورعُ سببٌ مِن أسبابِ كَمالِ التَّقوى.

درجاتُ الورعِ:

الورعُ على ثلاثِ دَرجاتٍ:

الأولى: تجنُّبُ القبائحِ؛ لصَونِ النفْسِ، وتوفيرِ الحَسناتِ وصيانةِ الإيمانِ.

الثَّانيةُ: حِفظُ الحدودِ عندَ ما لا بأْسَ به؛ إبقاءً على الصِّيانةِ والتَّقوى، وصُعودًا عن الدَّناءةِ، وتخلُّصًا عن اقتحامِ الحدودِ.

الثَّالثةُ: التَّورُّعُ عن كلِّ داعيةٍ تدْعو إلى شَتاتِ الوقتِ، والتعلُّقِ بالتَّفرُّقِ، وعارضٍ يُعارِضُ حالَ الجمْعِ[1].

مِن صُورِ الورعِ ومظاهِرِه:

١- الورعُ في النَّظرِ: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لعليٍّ رضي الله

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٢).

عنه: ((لا تُتْبِعِ النَّظرةَ النَّظرةَ؛ فإنَّ لك الأُولى، وليست لك الآخرةُ))[1].

٢- الورعُ في السَّمعِ.

٣- الورَعُ في اللِّسانِ: اطَّلعَ عمرُ بنُ الخطَّابِ على أبي بكرٍ رحِمَهما اللهُ وهو يمُدُّ لِسانَه، فقال: ما تَصنَعُ يا خليفةَ رسولِ اللهِ؟ قال: هذا أوْرَدني الموارِدَ؛ إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((ليس شيءٌ مِن الجسدِ إلَّا يشْكو إلى اللهِ اللِّسانَ على حِدتِه))[2].

٤- الورعُ في البطْنِ: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقبَلُ إلَّا طيِّبًا، وإنَّ اللهَ أمَرَ المؤمنين بما أمَرَ به المُرسَلين؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثمَّ ذكَرَ العبْدَ يُطِيل السَّفرَ أشعَثَ أغبَرَ رافعًا يَدَيه: يا ربِّ يا ربِّ. مطْعَمُه حرامٌ، ومَشرَبُه حرامٌ، ومَلبسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ؛ فأنَّى يُستجابُ لذلك؟!))[3].

٥- الورعُ في الفَتوى: عن البراءِ رضِيَ اللهُ عنه، قال: (لقد رأيتُ ثلاثَ مِئةٍ مِن أهلِ بدْرٍ، ما منهم مِن أحدٍ إلَّا وهو يُحِبُّ أنْ يَكفِيَه صاحبُه الفَتوى)[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد (٢٢٩٧٤).
صححه الحاكم على شرط مسلم في ((المستدرك)) (٢/ ٢١٢) ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٧٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (١٣)، وأبو يعلى (٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٩٤٧).
صحح إسناده على شرط البخاريِّ الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٥٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٤) أخرجه الخطيب في ((تاريخ بغداد)) (٨/ ٢٧٦).

وسائلُ اكتسابِ الورعِ:

يكونُ بخمسةِ أشياءَ: بالعلْمِ. وبتَذكُّرِه منه لِمَا عليه، ورَغبته فِيما له. وبتَذكُّرِه عظمةَ اللهِ وجلالَه، وقُدرتَه وسُلطانَه. وبتَذكُّرِه استحياءَه مِن المَلِكِ الجبَّارِ. بتَذكُّرِه خوفَه مِن غضَبِ اللهِ عليه، وبقائه له على الشبهِ[1].

نماذجُ في الورعِ من حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ والسلفِ:

- ((مرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بتمْرةٍ مَسقوطةٍ، فقال: لولا أنْ تكونَ صَدقةً لَأكلْتُها))[2].

- وعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ الحسَنَ بنَ عليٍّ رضِيَ اللهُ عنهما أخَذَ تمْرةً مِن تمْرِ الصَّدقةِ، فجعَلَها في فِيه، فقال له النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالفارسيَّةِ: كِخْ، كِخْ؛ أمَا تَعرِفُ أنَّا لا نأكُلُ الصَّدقةَ))[3].

- عن عاصمِ بنِ عمرَ، عن عمرَ رضِيَ اللهُ عنه قال: (إنَّه لا أجِدُه يحِلُّ لي أنْ آكُلَ مِن مالِكم هذا، إلَّا كما كنتُ آكلُ مِن صُلبِ مالي: الخبْزَ والزَّيتَ، والخبْزَ والسَّمنَ، قال: فكان ربَّما يُؤتَى بالجَفْنةِ قد صُنِعَت بالزَّيتِ، وممَّا يَلِيه منها سمْنٌ، فيَعتَذِرُ إلى القومِ ويقولُ: إنِّي رجلٌ عربيٌّ، ولست أسْتمْرِئُ الزَّيتَ)[4].

- عن ابنِ السَّمَّاكِ قال: (كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يَقسِمُ تُفَّاحًا بين الناسِ، فجاء ابنٌ له وأخَذَ تُفَّاحةً مِن ذلك التُّفَّاحِ، فوثَبَ إليه، ففَكَّ يدَهُ فأخَذَ تلك التُّفَّاحةَ، فطَرحَها في التُّفَّاحِ، فذهَبَ إلى أُمِّه مُسْتغيثًا، فقالت له: ما لك أيْ بُنَيَّ؟

---

(١) ((العقل والهوى)) للحكيم الترمذي (ص: ٦- ٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٥٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الورع)) (١٩٠).

فأخبَرَها، فأرسلَتْ بدِرهمينِ فاشتَرَتْ تُفَّاحًا، فأكلَتْ وأطعَمَتْه، ورفَعَتْ لِعمرَ، فلمَّا فرَغَ ممَّا بيْن يدَيْه دخَلَ إليها، فأخرَجَتْ له طبقًا مِن تُفَّاحٍ، فقال: مِن أين هذا يا فاطمةُ؟، فأخبَرَتْه، فقال: رحِمَكِ اللهُ، واللهِ إنْ كنتُ لَأشْتهِيهِ)[1].

الوَرعُ في واحة الشِّعرِ:

- قال الشاعرُ:

لا يُفسِدُ دِينَ الورى إلَّا الطَّمَعُ   حقًّا ولا يُصلِحُه إلَّا الورَعُ[2]

- وقال آخرُ:

تورَّعْ ودَعْ ما قدْ يَرِيبُك كلَّه   جميعًا إلى ما لا يَرِيبُك تَسْلَمِ
وحافِظْ على أعضائِك السَّبْعِ جُملةً   وراعِ حُقوقَ اللهِ في كلِّ مُسلمِ[3]



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الورع)) (٢٢٣).
(٢) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (٣/ ٤٣).
(٣) ((طبقات صلحاء اليمن)) لعبد الوهاب السكسكي (١/ ٣٠١).

الوفاءُ بالعهْدِ

معنى الوفاءِ:

الوفاءُ لُغةً: ضِدُّ الغَدْرِ، يُقال: وَفَى بعَهْدِه وأَوْفَى بمعنًى، أي: تمَّمَ العَهْدَ ولم يَنقُضْ حِفظَه[1].

الوفاءُ اصطلاحًا: هو الصَّبرُ على ما يَبذُلُه الإنسانُ مِن نفْسِه ويَرهَنُ به لِسانَه، والخروجُ ممَّا يَضمَنُه وإنْ كان مُجحِفًا به[2].

الفرقُ بين الوفاءِ والصِّدقِ:

قِيل: هما أعمُّ وأخصُّ؛ فكلُّ وَفاءٍ صِدقٌ، وليس كلُّ صِدقٍ وفاءً؛ فإنَّ الوفاءَ قد يكونُ بالفِعلِ دونَ القولِ، ولا يكونُ الصِّدقُ إلَّا في القولِ؛ لأنَّه نوعٌ مِن أنواعِ الخبرِ، والخبرُ قولٌ[3].

وقيل: الوَفاءُ أخو الصِّدقِ والعدْلِ، والغدْرُ أخو الكذِبِ والجَورِ؛ وذلك أنَّ الوفاءَ صِدقُ اللِّسانِ والفِعلِ معًا، والغدْرَ كذِبٌ بهما؛ لأنَّ فيه مع الكذِبِ نقْضَ العهْدِ، والوفاءُ يَختَصُّ بالإنسانِ؛ فمَن فُقِدَ فيه فقدِ انسلَخَ مِن الإنسانيةِ كالصِّدقِ، وقد جعَلَ اللهُ تعالى العهْدَ مِن الإيمانِ، وصيَّرَه قِوامًا لأُمورِ النَّاسِ، فالنَّاسُ مُضطرُّونَ إلى التَّعاوُنِ، ولا يتِمُّ تعاوُنُهم إلَّا بمُراعاةِ العهدِ والوفاءِ، ولولا ذلك لَتنافَرَتِ القلوبُ، وارتفَعَ التعايشُ[4].

---

(١) ((المفردات)) للراغب الأصفهاني (ص: ٨٧٨).
(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٤).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٧٥).
(٤) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص: ٢٩٢).

الأمرُ بالوفاءِ بالعهدِ والوعدِ في القرآنِ والسُّنةِ:

- قال سُبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

- وقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد: ١٩-٢٠].

- وعن عُبادةَ بنِ الصامتِ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((اضْمَنوا لي سِتًّا مِن أنفُسِكم أضمَنْ لكمُ الجنَّةَ: اصْدُقوا إذا حدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعَدْتُم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحْفَظوا فُروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيدِيَكُم))(١).

ما قِيل في الوفاءِ:

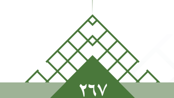
- قال ابنُ مُفلحٍ: (كان يُقال: كما يُتوخَّى للوديعةِ أهلُ الأمانةِ والثِّقةِ، كذلك يَنْبغي أنْ يُتوخَّى بالمعروفِ أهلُ الوفاءِ والشُّكرِ)(٢).

- قال بعضُ الحكماءِ: (مَن لم يَفِ للإخوانِ كان مغْموزَ النَّسبِ)(٣).

- قال ابنُ حزْمٍ: (الوفاءُ مُركَّبٌ مِن العدْلِ والجُودِ والنَّجدةِ؛ لأنَّ الوفيَّ رأى مِن الجَورِ ألَّا يُقارِضَ مَن وثِقَ به، أو مَن أحسَنَ إليه، فعدَلَ في ذلك، ورأى أنْ يَسمَحَ بعاجلٍ يَقْتضيهِ له عدمُ الوفاءِ مِن الحظِّ، فجاد في ذلك، ورأى أنْ يَتجلَّدَ لِمَا يَتوقَّعُ مِن عاقبةِ الوفاءِ، فشَجُعَ في ذلك)(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٧)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦).
صحَّح إسناده الحاكم، وقال الذهبي في ((المهذب)) (٥/ ٢٤٥١): إسناده صالح. وحسن إسناده ابن كثير في ((جامع المسانيد)) (٥٨٠٧).
(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (ص: ٢٩٢).
(٣) ((آداب العشرة)) لبدر الدين الغزي (ص: ٥٢).
(٤) ((الأخلاق والسير)) لابن حزم (ص: ١٤٥).



أقسامُ العهْدِ:

القِسمُ الأوَّلُ: عهْدٌ مع اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ اللهَ سُبحانه وتعالى قال في كتابِه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقد أخَذَ اللهُ العهْدَ على عِبادِه جميعًا أنْ يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا؛ لأنَّه ربُّهم وخالِقُهم.

القِسمُ الثَّاني: العهدُ مع عِبادِ اللهِ، ومنه العهودُ التي تقَعُ بيْن النَّاسِ: بين الإنسانِ وأخيهِ المسلمِ، بيْن المسلمين والكفَّارِ، وغيرُ ذلك مِن العهودِ المعروفةِ، فقد أمَرَ اللهُ تعالى بالوفاءِ بالعَهدِ؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤][1].

فوائدُ الوفاءِ بالعهْدِ وآثارُه:

١- التَّقوى، وهي أثرٌ مِن آثارِ الوفاءِ بعَهدِ اللهِ، وثمرةٌ مِن ثَمراتِ الالتزامِ بمِيثاقِه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣].

٢- محبَّةُ اللهِ، أثبَتَ اللهُ محبَّتَه للمُتَّقين المُوفِين بعَهْدِهم، المُستقيمينَ على عُهودِهم ومَواثيقِهم، حتَّى مع أعدائِهم ما اسْتَقاموا همْ على تلك العهودِ؛ قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٧].

٣- حصولُ الأمْنِ في الدُّنيا، وصِيانةُ الدِّماءِ.

٤- الحياةُ الطَّيِّبةُ، والجزاءُ الحَسنُ والأجرُ العظيمُ عندَ اللهِ.

---

(١) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٤/ ٤٥).

٥- تكفيرُ السَّيِّئاتِ، وإدخالُ الجنَّاتِ.

مِن صُوَرِ الوفاءِ:

١- الوفاءُ بالعهْدِ الذي بيْن العبْدِ وربِّه.

٢- الوفاءُ في سَدادِ الدَّينِ.

٣- الوفاءُ بشُروطِ عقْدِ النِّكاحِ.

٤- الوفاءُ بيْن الزَّوجينِ.

٥- وفاءُ العاملِ بعمَلِه.

٦- الوفاءُ بالنَّذرِ.

٧- الوفاءُ بما الْتزَمَ به مِن بَيعٍ أو إجارةٍ.

٨- الوفاءُ بما الْتزَمَ به الولاةُ والأمراءُ مِن العهودِ والمواثيقِ في عَلاقاتِهم مع الدُّولِ.

نماذجُ في الوفاءِ مِن حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابةِ:

- مِن وَفائِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه كان يُكرِمُ صَديقاتِ زَوجتِه خديجةَ رضِيَ اللهُ عنها بعدَ موتِها؛ فعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: ((كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا أُتِيَ بالشَّيءِ يقولُ: اذْهَبوا به إلى فُلانةَ؛ فإنَّها كانت صَديقةَ خديجةَ، اذْهَبوا به إلى بَيتِ فُلانةَ؛ فإنَّها كانت تُحِبُّ خديجةَ))(١).

- ومِن ذلك وَفاءُ أبي بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه بديونِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٣٢)، وابن حبان (٧٠٠٧)، الحاكم (٧٣٣٩).
صحَّح إسناده الحاكم، وحسَّنه ابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (٤/ ١٠٧)، والألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (١٧٢).

وعِدَاتِه؛ فعنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((قال لي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لو قدْ جاء مالُ البحرينِ، لقد أعطَيْتُك هكذا وهكذا، ثلاثًا، فلم يَقدَمْ مالُ البحرينِ حتَّى قُبِضَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فلمَّا قَدِمَ على أبي بكرٍ أمَرَ مُنادِيًا، فنادى: مَن كان له عندَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دَينٌ أو عِدَةٌ، فلْيأتِني. قال جابرٌ: فجِئتُ أبا بكرٍ، فأخبَرْتُه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: «لو جاء مالُ البحرينِ أعْطَيْتُك هكذا وهكذا» ثلاثًا. قال: فأعْطاني، قال جابرٌ: فلَقِيتُ أبا بكرٍ بعدَ ذلك، فسألْتُه فلم يُعطِني، ثم أتَيْتُه فلمْ يُعطِني، ثم أتَيْتُه الثَّالثةَ فلم يُعطِني، فقلتُ له: قد أتَيتُك فلمْ تُعطِني، ثمَّ أتَيْتُك فلمْ تُعطِني، ثمَّ أتَيْتُك فلمْ تُعطِني، فإمَّا أنْ تُعطِيَني، وإمَّا أنْ تَبخَلَ عنِّي، فقال: أقلْتَ: تَبخَلُ عنِّي؟ وأيُّ داءٍ أدوَأُ مِن البُخلِ؟! -قالَها ثلاثًا- ما مَنعْتُك مِن مرَّةٍ إلَّا وأنا أُرِيدُ أنْ أُعطِيَك))[1].

أحوالُ الإخلافِ بالعهدِ والوعدِ:

الحالةُ الأولى: التَّعبيرُ العَمليُّ عن الكذِبِ منذُ إعطاءِ الوعدِ أو العهْدِ، وهو في هذا يَحمِلُ رَذيلةَ الإخلافِ المُستنِدِ إلى رَذيلةِ الكذِبِ.

الحالةُ الثَّانيةُ: النَّكثُ والنَّقضُ لِمَا أبْرَمهُ والْتزَمَ به مِن وعْدٍ وعهْدٍ، وهذا يُعبِّرُ عن ضَعفِ الإرادةِ وعَدمِ الثَّباتِ، وعَدمِ احترامِ شَرفِ الكلمةِ، وثِقةِ الآخرينَ بها، وهذا الخُلقُ يُفْضي بصاحبِه إلى النَّبذِ مِن ملاكِ جماعةِ الفُضلاءِ الذين يُوثَقُ بهم وبأقوالِهم.

الحالةُ الثَّالثةُ: التَّحوُّلُ إلى ما هو أفضلُ وخيرٌ عندَ اللهِ، والانتقالُ إلى ما هو

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٤).

أكثرُ طاعةً للهِ، إلَّا أنَّ هذه الحالةَ لا تكونُ في العهودِ العامَّةِ التي تَدخُل فيها حقوقٌ دَوليَّةٌ، ولا في العهودِ التي تَرتبِطُ بها حقوقٌ مادِّيةٌ للآخرينَ مِن الناسِ. أمَّا العهدُ مع اللهِ في الْتزامِ أمْرٍ مِن الأمورِ، فقد تَجْري المُفاضَلةُ بيْنه وبيْن غيرِه؛ لاختيارِ ما هو أقربُ إلى طاعةِ اللهِ وتَحقيقِ مَرضاتِه.

الحالةُ الرَّابعةُ: العجْزُ عن الوفاءِ لسببٍ مِن الأسبابِ، ومَن عجَزَ عن الوفاءِ، مع صِدقِ رَغبتِه به وحِرصِه عليه، فهو مَعذورٌ؛ لعَدمِ استطاعتِه.

أمثالٌ وشِعرٌ في الوفاءِ[1]:

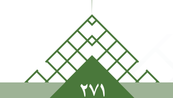
١- أوفى مِن فُكَيْهَةَ: وهي امرأةٌ مِن بني قَيسِ بنِ ثعلبةَ، كان مِن وَفائها: أنَّ السُّليكَ بنَ سُلَكةَ غزَا بكرَ بنَ وائلٍ، فلم يجِدْ غَفلةً يلْتمِسُها، فخرَجَ جماعةٌ مِن بكرٍ فوَجَدوا أثَرَ قدَمٍ على الماءِ، فقالوا: إنَّ هذا الأثرَ لأثَرُ قدَمٍ ورَدَ الماءَ، فقَصَدوا له، فلمَّا وافَى حَمَلوا عليه، فعَدَا حتى ولَجَ قُبَّةَ فُكَيهةَ، فاستجار بها، فأدْخَلَتْه تحت دِرعِها، فانْتَزعوا خِمارَها، فنادتْ إخوتَها، فجاؤوا عشرةً، فمَنَعوهم منها.

٢- أَوفى مِن أُمِّ جَميلٍ: وهي مِن رَهطِ ابنِ أبي بُردةَ مِن دَوسٍ، وكان مِن وَفائها: أنَّ هشامَ بنَ الوليدِ بنِ المغيرةِ المخزوميَّ قتَلَ رجلًا مِن الأزْدِ، فبلَغَ ذلك قومَه بالسَّراةِ، فوَثَبوا على ضرارِ بنِ الخطَّابِ الفِهريِّ لِيَقْتلوه، فعدَا حتى دخَلَ بيتَ أُمِّ جَميلٍ وعاذ بها، فقامت في وُجوهِهم، ودَعَت قومَها فمَنَعوه لها.

- قال الشاعرُ:

إنَّ الوفاءَ على الكريمِ فريضةٌ ... واللُّؤمُ مَقْرونٌ بذي الإخلافِ
وتَرى الكريمَ لِمَن يُعاشِرُ مُنصِفًا ... وتَرى اللَّئيمَ مُجانِبَ الإنصافِ[2]

(١) ((المحاسن والأضداد)) للجاحظ (ص: ٤٧).
(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٥٥).



وقال آخرُ:

إذا قلْــتَ في شَـــيءٍ: نعـــمْ، فأتِمَّهُ	فإنَّ «نعمْ» دَينٌ علــى الحُرِّ واجبُ
وإلَّا فقُــلْ: «لا» تَســترِحْ وتُرِحْ بها	لئلَّا يقــولَ الناسُ: إنَّــك كاذِبُ[1]



(١) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص: ٢٠٧).

الوقارُ

معنى الوقارِ:

الوقارُ لُغةً: الحِلمُ والرَّزانةُ والسُّكونُ، ورجلٌ ذو قِرَةٍ، أي: وَقورٌ، ورجلٌ مُوقَّرٌ: مُجرَّبٌ[1].

الوَقارُ اصطلاحًا: سُكونُ النَّفْسِ وثَباتُها عندَ الحَرَكاتِ التي تكونُ في المطالبِ[2].

وقيل: هو الإمساكُ عن فُضولِ الكلامِ والعبَثِ، وكثرةِ الإشارةِ والحركةِ فيما يُستَغنى عن التَّحرُّكِ فيه، وقِلَّةُ الغضبِ، والإصغاءُ عندَ الاستفهامِ، والتَّوقُّفُ عن الجوابِ، والتَّحفُّظُ مِن التَّسرُّعِ، والمُباكرةِ في جميعِ الأمورِ[3].

الفرقُ بين الوَقارِ والتَّوقيرِ والسَّكينةِ[4]:

التَّوقيرُ يُستعمَلُ في معنى التَّعظيمِ، يُقال: وقَّرْتُه: إذا عظَّمْتَه.

والسَّكينةُ: هي التَّأنِّي في الحَرَكاتِ، واجتنابُ العبَثِ، والوقارُ: في الهيئةِ؛ كغضِّ البصرِ، وخفْضِ الصَّوتِ، وعَدمِ الالْتفاتِ.

التَّرغيبُ والحثُّ على الوَقارِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تَبارَك وتعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي: يَمشُون بسَكينةٍ

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٨٤٨)، ((مفردات القرآن)) للراغب (ص: ٨٨٠)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/ ٤٨٨٩-٤٨٩١)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٦٦٨).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) لمسكويه (ص: ٢٨).

(٣) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٢).

(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٤٧)، ((شرح النووي على مسلم)) (٥/ ١٠٠).

ووَقارٍ وتواضعٍ، لا يَضرِبون بأقْدامِهم، ولا يَخفِقون بنِعالِهم أشَرًا وبطَرًا[1].

- وقال اللهُ تَبارَك وتعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: ١٩]، أي: لِيَكُنْ مَشْيُك قصْدًا، لا تخيُّلًا ولا إسراعًا. وقيل: امْشِ بالوَقارِ والسَّكينةِ، كقولِه: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣][2].

- وعن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها قالت: ((ما رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُستَجمِعًا قَطُّ ضاحِكًا حتى أرى منه لَهواتِه، إنَّما كان يتبَسَّمُ))[3].

ومجموعُ الأحاديثِ: يدلُّ أنَّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان في مُعظَمِ أحوالِه لا يَزيدُ على التَّبسُّمِ، وربَّما زاد على ذلك فضَحِكَ، والمَكروهُ مِن ذلك إنَّما هو الإكثارُ منه أو الإفراطُ فيه؛ لأنَّه يُذهِبُ الوقارَ[4].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في مدْحِ الوَقارِ:

- قال ذو النُّونِ: (ثلاثةٌ مِن أعلامِ الوقارِ: تَعظيمُ الكبيرِ، والتَّرحُّمُ على الصَّغيرِ، والتَّحلُّمُ على الوضيعِ)[5].

- عن عِمْرانَ بنِ مُسلمٍ، أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه قال: (تعلَّموا العلْمَ وعلِّموه الناسَ، وتَعلَّموا له الوَقارَ والسَّكينةَ، وتواضَعوا لمَن يُعلِّمُكم العلْمَ، وتواضَعوا لمَن تُعلِّمونه العلْمَ، ولا تكونوا جَبابرةَ العلماءِ، فلا يَقوم عِلْمُكم بجَهلِكم)[6].

---

(١) ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩١).

(٢) ((تفسير البغوي)) (٦/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٢) واللفظ له، ومسلم (٨٩٩).

(٤) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٥٠٥).

(٥) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (١٣/ ٣٦٠).

(٦) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٧٨٩). =

- وحكى ابنُ مُفلحٍ عن ابنِ عَقِيلٍ أنَّه قال: (لمَّا رأَيْنا الشَّريعةَ تنْهى عن تَحريكاتِ الطِّباعِ بالرُّعوناتِ، وكسَرَت الطُّبولَ والمعازفَ، ونهَت عن النَّدبِ والنِّياحةِ والمدْحِ وجَرِّ الخُيلاءِ؛ فعَلِمْنا أنَّ الشَّرعَ يُريد الوقارَ دونَ الخلاعةِ)[1].

فوائدُ الوقارِ:

١- الوقارُ يُلبِسُ الإنسانَ خُلقَ الحياءِ، بلْ هو نتيجةٌ مِن نتائجِه.

٢- الوقارُ يَكْسو الرَّجلَ هَيبةً وبهاءً، ويُعطِيه سمْتًا حَسنًا.

٣- الوقارُ يَصُون العبْدَ عن المُنكراتِ والرَّذائلِ، والاحتكاكِ يُدنِّسُ النَّفْسَ ويُقلِّلُ مِن هَيبتِها ومَكانتِها.

٤- يَطبَعُ الحُبَّ في قلوبِ الآخرين للشَّخصِ المُتَّصفِ بالوقارِ، ويُكسِبُه المَهابةَ بين النَّاسِ.

الوسائلُ المعينةُ على التَّحلِّي بالوقارِ:

١- اتِّباعُ آثارِ الأنبياءِ والصَّالحين الذين تحلَّوْا بالوقارِ.

٢- الخشوعُ في الطَّاعاتِ، والإكثارُ مِن الصَّالحاتِ.

٣- طلَبُ العلْمِ.

٤- السَّكينةُ.

٥- البُعدُ عن الغضبِ والطَّيشِ؛ فإنَّ ذلك يُنافي الوقارَ والهَيبةَ.

٦- الْتزامُ الصَّمتِ وقلَّةِ الكلامِ إلَّا فيما يعني.

موانعُ اكتسابِ صِفةِ الوَقارِ:

١- المُجاهرةُ بالمعاصي.

= قال البيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (٢/ ١٥٣): هذا هو الصحيح عن عمر من قوله. وذكر أنه روي مرفوعًا وهو ضعيف.

(١) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٢/ ٤٣٣).



٢- الحُمقُ.

٣- الغضبُ.

٤- البَذاذةُ، ومِن صُوَرِها: سُوءُ المَظهرِ وقُبحُ الصُّورةِ.

٥- كثرةُ المُزاحِ تُؤدِّي إلى سُقوطِ الوقارِ؛ فقد قال عمرُ رضِيَ اللهُ عنه: (مَن مزَحَ اسْتُخِفَّ به)[1].

٦- الطَّيشُ.

٧- سَماعُ الغناءِ والمَيلُ إليه.

نماذجُ لصِفةِ الوَقارِ مِن حياةِ الأنبياءِ والصَّحابةِ والسلفِ:

- جاء في وَصْفِ أُمِّ معبَدٍ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (إنْ صمَتَ فعليه الوقارُ، وإنْ تكلَّمَ سَماهُ وعَلاهُ البهاءُ، أجمَلُ النَّاسِ وأبهاهُ مِن بعيدٍ، وأحسَنُه وأجمَلُه مِن قريبٍ، حُلْوُ المَنطِقِ، فَصلٌ، لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ، كأنَّ مَنطِقَه خَرَزاتُ نظْمٍ يَتحدَّرْنَ، رَبْعَةٌ)[2].

- عن سَعيدِ بنِ المُسيِّبِ قال: كان إبراهيمُ أوَّلَ النَّاسِ أضاف الضَّيفَ، وأوَّلَ النَّاسَ قَصَّ شارِبَه وقلَّمَ أظْفارَهُ واستحَدَّ، وأوَّلَ النَّاسِ اختتَنَ، وأوَّلَ النَّاسَ رأى الشَّيبَ، فقال: يا ربِّ، ما هذا؟ قال: الوَقارُ، قال: ربِّ زِدْني وَقارًا[3].

- قال عمرُ رضِيَ اللهُ عنه: (كان أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه يومَ السَّقيفةِ أحلَمَ منِّي وأوقَرَ، واللهِ ما ترَكَ مِن كلمةٍ أعْجَبتني في تَزْويري، إلَّا قال في بَديهتِه مِثلَها أو أفضَلَ منها حتَّى سكَتَ... الحديثَ)[4].

---

(١) ((الموشى)) للوشاء (ص: ١٣).

(٢) أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (٤٢٧٤)، وقال: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٩٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٣٠) واللفظ له، ومسلم (١٦٩١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

- قال ابنُ المُبارَكِ يَمدَحُ الإمامَ مالكًا إمامَ دارِ الهجرةِ:

يأْبى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيبةً ... فالسَّائلون نواكسُ الأذقانِ

هَدْيُ الوقارِ وعِزُّ سُلطانِ التُّقى ... فهو المَهيبُ وليس ذا سُلطانِ(١)

حِكَمٌ وأمثالٌ وشِعرٌ عن الوقارِ(٢):

- قالوا: إنَّ رِداءَ الوقارِ والحلْمِ أزيَنُ ما تعطَّفَ به ذو العلْمِ، فتحَلَّمْ وتَوَقَّرْ وإنْ لم يَكونَا مِن جدائلِك.

- ورأى حكيمٌ مِن ملِكٍ تَرفًا، فقال: ليس التَّاجُ الذي يَفتخِرُ به علماءُ الملوكِ فِضَّةً ولا ذَهبًا، لكنَّه الوَقارُ المُكلَّلُ بجواهرِ الحِلمِ، وأحمَقُ الملوكِ بالبسطةِ عندَ ظهورِ السَّقطةِ مَن اتَّسَعت قُدرتُه.

- قال الشاعرُ:

إنَّ الكَمالَ الذي سادَ الرِّجالُ بِهِ ... هُو الوَقارُ وقَرْنُ العِلْمِ بالعَمَلِ

فقُلْ لمَن يَزْدهي عجْبًا بمنْطِقِه ... وقَلْبُه في قُيودِ الحِرْصِ والأمَلِ

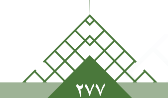
مَهْلًا فمَا اللهُ ساهٍ عنْ تلاعُبِكُم ... لكنَّ مَوعِدَكُم في مُنْتهى الأجَلِ(٣)

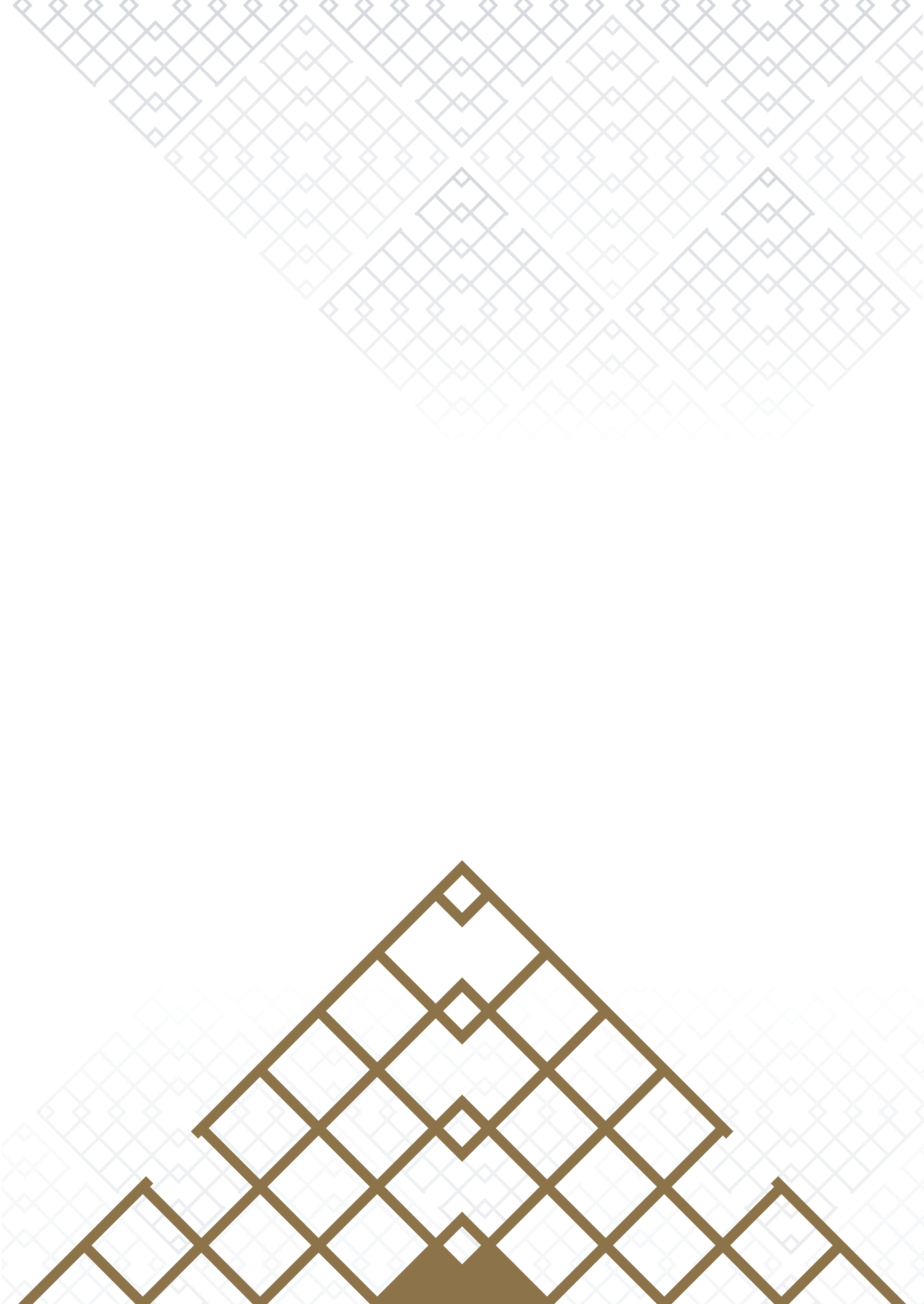


(١) ((من أعلام أهل السنة والجماعة - عبد الله بن المبارك)) للزهراني (١/ ٤١).

(٢) ((مقامات الزمخشري)) (ص: ١٧٩)، ((محاضرات الأدباء)) للراغب (١/ ٢٧٦).

(٣) ((موارد الظمآن)) لعبد العزيز السلمان (٤/ ٨٢).







الأخلاقُ المَذْمومةُ

الإساءةُ

معنَى الإساءةِ:

الإساءة لُغةً: خِلافُ الإحسانِ، وأَساءَ الشَّيءَ: أَفسَدَه ولم يُحسِنْ عمَلَه[1].

الإساءة اصطلاحًا: الإساءةُ: فِعلُ أمرٍ قبيحٍ جارٍ مجرَى الشَّرِّ، يترتَّب عليه غَمٌّ لإنسانٍ في أمورِ دِينه ودُنياه، سواء أكان ذلك في بَدنِه أو نفْسه، أو فيما يُحيطُ به مِن مالٍ أو وَلدٍ أو قُنْيةٍ. والإساءةُ كذلِك إنفاقُ العُمرِ في الباطِلِ[2].

الفَرْقُ بيْن الإساءةِ والمَضَرَّة[3]:

الإساءةُ قبيحةٌ، وقد تكونُ مَضَرَّةٌ حسنةً؛ إذا قُصِد بها وجْهٌ يَحسُنُ؛ نَحوَ المَضَرَّةِ بالضَّربِ للتَّأديبِ، وبالكَدِّ للتَّعلُّمِ والتَّعليمِ.

ذمُّ الإساءةِ والتَّحذيرُ منها في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، أي: إذا أساءَ إليكَ أعداؤُك بالقولِ والفِعلِ، فلا تُقابِلْهُم بالإساءةِ[4].

- قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

أي: فإليها تَرجِعُ الإساءةُ؛ لِما يَتوجَّهُ إليها من العِقابِ، فرغَّبَ في الإحسانِ،

(١) ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٤١).
(٢) ((تفسير الماوردي)) (٤/ ٣٠١).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٣)، ((تفسير الماوردي)) (٤/ ٣٠١).
(٤) ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٥٨).

وحذَّرَ مِنَ الإساءةِ[1].

- وعن مُعاذِ بنِ جبَلٍ رَضيَ اللهُ عنه، ((أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بعَثَه إلى قَومٍ فقال: يا رسولَ اللهِ، أَوصِني، قال: أَفشِ السَّلامَ، وابْذُلِ الطَّعامَ... وإذا أَسأتَ فأَحسِنْ، ولْتُحسِنْ خُلُقَك ما استطَعْتَ))[2].

- وعنِ ابنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: ((قال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، أَنؤاخَذُ بما عَمِلْنا في الجاهليَّةِ؟ قال: مَن أَحسَنَ في الإسلامِ لم يؤاخَذْ بما عَمِلَ في الجاهِليَّةِ، ومَن أَساءَ في الإسلامِ أُخِذَ بالأوَّلِ والآخِرِ))[3]. والمرادُ بالإساءةِ: الكُفرُ، وهو غايةُ الإساءةِ[4].

أقوال السَّلف والعلماءِ في الإساءة:

- قال الأَوْزاعيُّ: (خرَجَ النَّاسُ إلى الاستِسقاءِ، فقام فيهم بِلالُ بنُ سعدٍ، فحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليه، ثمَّ قال: يا مَعشَرَ مَن حَضَر، أَلَسْتُم مُقِرِّينَ بالإساءةِ؟ قالوا: اللَّهمَّ نعَم، قال: اللَّهمَّ إنَّا نَسمَعُك تَقولُ: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: 91]، وقد أَقرَرْنا بالإساءةِ، فاغفِرْ لنا وارحَمْنا، واسقِنا، ورَفَع يدَيهِ، ورَفَعوا أيديَهُم، فسُقوا)[5].

- وعنِ الحسَنِ البَصْريِّ أنَّه كان يقولُ: (إنَّ المؤْمنَ جَمَع إحسانًا وشفقةً، وإنَّ المُنافِقَ جَمَع إساءةً وأَمْنًا)[6].

---

(1) ((تفسير الماوردي)) (3/ 230).

(2) أخرجه البزار في ((المسند)) (2642). وصححه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (3559).

(3) أخرجه البخاري (6921)، ومسلم (120).

(4) ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) للمناوي (2/ 754).

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (6/ 1862).

(6) أخرجه الطبري في ((التفسير)) (17/ 68).

- وقال بعضُ السَّلفِ: (ما أَحسنْتُ إلى أحدٍ وما أَسأْتُ إلى أحدٍ، وإنَّما أَحسنْتُ إلى نَفْسي، وأَسأْتُ إلى نَفْسي)[1].

- وقال موسى بنُ جَعفرٍ: (مَن لم يَجِدْ للإساءةِ مَضَضًا، لم يكُنْ للإحسانِ عِندَه مَوقِعٌ)[2].

مِن صُوَرِ الإساءةِ وأقسامِها:

القِسمُ الأوَّلُ: الإساءةُ القاصِرةُ، وهي أنواعٌ، منها:

التَّعرُّضُ لأذيةِ اللهِ تعالى، التَّهاوُنُ، تقليدُ الجاهلِ، مُجالَسةُ أهلِ الشَّرِّ، التَّصويرُ، استِصحابُ الجرَسِ والكلْبِ، اللَّعِبُ بالنَّردِ، التَّختُّمُ بالذَّهبِ، الأكلُ في الذَّهبِ والفضَّةِ.

القِسمُ الثَّاني: الإساءةُ القَوليَّةُ والفِعليَّةُ، وهي أنواعٌ، منها:

- كذِبُ المُلوكِ، وزِنا الشُّيوخِ، وكِبْرُ الفُقراءِ، والعائلُ المُستكبِرُ والشَّيخُ الزَّاني ممَّن لا يُكلِّمُهمُ اللهُ ولا يَنظُرُ إليهِم يَومَ القيامةِ ولا يُزكِّيهِم ولهم عذابٌ أليمٌ، وإنَّما عَظُمتْ ذُنوبُ هؤلاءِ؛ لضَعفِ دَواعيهم إلى مَعاصيهِم؛ فإنَّ المَلِكَ لا يَحتاجُ إلى الكَذبِ، والشَّيخَ لا تَغلِبُه شَهوَتُه على الزِّنا، والعائلَ الفقيرَ ليس عِندَه أسبابُ الكِبْرِ والطُّغيانِ.

- أَذيَّةُ الرَّسولِ، أذيَّةُ أَولياءِ اللهِ، أذيَّةُ الوالِدَينِ، أذيَّةُ المؤْمِنينَ، أذيَّةُ اليتيمِ، أذيَّةُ المُتصدَّقِ عليه.

- أذيَّةُ الجارِ، مُضارَّةُ الزَّوْجاتِ.

---

(١) ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (٣٠/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٢) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (١/ ٢٧٥).

- غِشُّ الوالي، تقصيرُ الوُلاةِ، إفسادُ الوُلاةِ وقطيعةُ الأرحامِ، تَباغُضُ الوُلاةِ ورَعاياهُم.

- التَّفاخُرُ والتَّكاثُرُ، اللَّدَدُ وكثْرةُ الخِصامِ، مَعصيةُ أئمَّةِ العدلِ، الإعانةُ على المعصيةِ.

- كِتمانُ الشَّهادةِ، كِتمانُ ما أَنزَلَ اللهُ، نَقضُ أيمانِ العهدِ، التَّبرُّجُ وإظهارُ الزِّينةِ.

- بَخْسُ الحقوقِ، الشُّحُّ والبخلُ، الجَورُ واتِّباعُ الهوَى في الحُكمِ، كُفرُ الإحسانِ، التَّسبُّبُ إلى شَتمِ الأبَوَينِ.

القِسمُ الثَّالثُ: الإساءةُ الفِعليَّةُ، وهي أنواعٌ، منها:

- هَجْرُ المسْلمِ، الإشارةُ بالسِّلاحِ، الاحتِكارُ وعَنَتُ الشَّريكِ والجارِ، المَطْلُ مع اليَسارِ.

- تَغييرُ المَنارِ (أي: علاماتِ الأرضِ وحُدودِها)، الخيانةُ، التَّصدُّقُ بالمالِ الحرامِ.

- طَرْحُ الأذَى على الطُّرُقاتِ، الضَّحِكُ مِنَ المؤْمنينَ، إظهارُ الكِبْرِ.

- الخَلْوةُ المُحرَّمةُ، النَّظرُ إلى العَوْراتِ، اقتِناءُ الكلابِ، أذيَّةُ الدَّوابِّ.

القِسمُ الرَّابعُ: الإساءةُ القَوليَّةُ، وهي أنواعٌ، منها:

- سَبُّ المسْلمِ، مُشاحنةُ المسْلمِ، إفشاءُ الأسرارِ، الطَّعنُ في الأنسابِ.

- الْمَنُّ، وكَثرةُ الحَلِفِ، وتَنفيقُ السِّلَعِ بالحَلِفِ الكاذبِ.

- الشَّفاعةُ فيما لا يَجوزُ، التَّناجي المؤْذِي، التَّناجي بالمعاصي، الأمرُ بالمُنكَرِ

والنَّهيُ عنِ المعروفِ، قَولُ الزُّورِ، المُجادَلةُ عنِ الخائنِ، كَثرةُ اللَّعنِ، تَعييرُ الزَّاني، مَدْحُ مَن تُخشى فِتنتُه، الفَخرُ والخُيلاءُ، الكلامُ بما لا يُعرَفُ قُبحُه مِن حُسنِه، القَولُ البَشِعُ، الخيانةُ في المُحَقَّراتِ، سؤالُ المرأةِ طلاقَ ضَرَّتِها، مَنْعُ فضْلِ الماءِ.

- السُّخريةُ، والغِيبةُ، والسَّعيُ بالنَّميمةِ، والحسَدُ، والتَّباغُضُ، والتَّناجُشُ، والبَيْعُ على البَيعِ، والخِطبةُ على الخِطبةِ، والمُساوَمةُ، وقطيعةُ الرَّحِمِ، والتَّدابُرُ[1].

آثارُ الإساءةِ ومَضارُّها[2]:

١- الإساءةُ صفةٌ مِن صِفاتِ المُنافِقينَ.

٢- أنَّ مَن رَضيَ لنفْسِه بالإساءةِ، شَهِد على نفْسِه بالرَّداءةِ.

٣- أنَّ الإساءةَ مِن أسبابِ قَسْوةِ القلبِ.

٤- أنَّ الإساءةَ تَمنَعُ مِنَ الشَّفاعة.

٥- أنَّه كلَّما ازدادَ الإنسانُ إساءةً، ازدادَ وَحْشةً.

٦- أنَّ أَخْوفَ النَّاسِ أشَدُّهم إساءةً.

٧- الإساءةُ إلى الآخَرينَ تُسبِّبُ العداوةَ والبَغضاءَ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

مِن أسبابِ الوقوعِ في إساءةِ الإنسانِ إلى غَيرِه:

١- مُقابَلةُ الإساءةِ بالإساءة.

٢- قسوةُ القلبِ.

٣- كَوْنُه صاحبَ خُلُقٍ ذَميمٍ.

(١) ((شجرة المعارف والأحوال)) للعز بن عبد السلام (ص: ٢٢٣-٢٥٢) بتصرف.
(٢) ((طريق الهجرتين)) لابن القيِّم (ص: ٢٧٢).

ومِن أسباب الوقوعِ في إساءة الإنسانِ لنفْسِه:

١- اليأسُ.

٢- سوءُ الظَّنِّ.

٣- طولُ الأملِ.

الوسائلُ المُعِينةُ على ترك الإساءة:

١- الحِلمُ.

٢- الاستِغفارُ.

٣- معرفةُ أنَّ في تَركِ الإساءةِ راحةَ النَّفسِ.

٤- حُسنُ الظَّنِّ باللهِ.

٥- قِصَرُ الأملِ.

٦- عدَمُ اليأسِ.

الإساءةُ في الأمثالِ والشِّعر[1]:

- أَساءَ رَعْيًا فسَقَى: يُضرَبُ مثَلًا للرَّجلِ يُفسِدُ الأمرَ ثمَّ يريدُ إصلاحَه فيَزيدُه فسادًا.

- أَساءَ كارِهٌ ما عَمِلَ: يُضرَبُ مثَلًا للرَّجلِ يُكرَهُ على الأمرِ فلا يُبالِغُ فيه.

- البادئُ أَظلَمُ: يَقولُه الرَّجلُ يُجازي على الإساءةِ بمِثْلِها، أي: الَّذي ابتَدأَ الإساءةَ أَظلَمُ.

(١) ((أمثال العرب)) للمفضل الضبي (١١٩)، ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (ص: ١١٢، ١٩٧، ٢٣٠).

- قال الحسَنُ بنُ عليٍّ رَضيَ اللهُ عنهُما:

مضَى أَمسُكَ الماضي شهيدًا مُعدَّلًا وأَصبحْتَ في يَومٍ عليكَ شَهيدُ
فإنْ كنتَ بالأمسِ اقترفْتَ إساءةً فثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حَميدُ[1]



(١) ((الكشف والبيان)) للثعلبي (١٠/ ١٦٧).

الإسراف والتَّبذير

معنى الإسرافِ والتَّبذيرِ:

الإسرافُ لُغةً: الإسرافُ والسَّرف: مُجاوَزةُ القَصدِ، وأَسرَفَ في مالِه: عَجِلَ مِن غيرِ قَصدٍ، والإسرافُ في النَّفقةِ: التَّبذيرُ[1].

الإسرافُ اصطلاحًا: تَجاوُزُ الحَدِّ في كلِّ فِعلٍ يَفعَلُه الإنسانُ، وإنْ كان ذلك في الإنفاقِ أَشهَرَ[2].

التَّبذيرُ لُغةً: التَّبذير: التَّفريقُ، وأصْلُه: إلقاءُ البَذْرِ وطَرْحُه، فاستُعيرَ لكلِّ مُضَيِّعٍ لمالِه، وبذَّرَ مالَه: أَفسَدَه وأَنفَقَه في السَّرفِ[3].

التَّبذيرُ اصطلاحًا: إنفاقُ المالِ في غيرِ حَقِّه، وصَرْفُ الشيءِ فيما لا يَنبغي[4].

الفَرقُ بيْنَ الإسرافِ والتَّبذير:

- الإسرافُ: صرْفُ الشَّيءِ فيما يَنبغي زائدًا على ما يَنبغي، بخِلافِ التَّبذيرِ؛ فإنَّه صرْفُ الشَّيءِ فيما لا يَنبغي[5].

- وقال مالكٌ: (التَّبذيرُ هو أخْذُ المالِ مِن حقِّه ووضْعُه في غيرِ حقِّه، وهو الإسرافُ)[6].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ١٤٨).
(٢) ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٠٧).
(٣) ((المفردات)) للراغب (ص: ١١٤)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ١٤٨).
(٤) ((تفسير القرطبي)) (١٠/ ٢٤٧)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٢٤)، و((الكليات)) للكفوي (ص: ١١٣).
(٥) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٢٤).
(٦) ((تفسير القرطبي)) (١٠/ ١٤٧).



ذمُّ الإسرافِ والتَّبذيرِ في القرآن والسُّنَّة:

- قال سبحانه: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

- وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُوا وَٱشۡرَبُوا وَلَا تُسۡرِفُوٓاۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

- وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

- قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((كُلُوا واشْرَبوا وتَصَدَّقوا والْبَسُوا ما لم يُخالِطْهُ إسرافٌ، أو مَخِيلةٌ))[1].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ يَرْضى لكُم ثلاثًا، ويَكرَهُ لكُم ثلاثًا؛ فيَرْضَى لكُم: أنْ تعبُدوهُ ولا تُشرِكُوا به شَيئًا، وأنْ تعتَصِموا بحَبلِ اللهِ جميعًا ولا تَفرَّقُوا، ويَكرَهُ لكُم: قِيلَ وقالَ، وكَثْرةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ))[2].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الإسراف والتَّبذير:

- قال عُمرُ رَضيَ اللهُ عنه: (كفَى بالمرءِ سَرَفًا أن يَأكُلَ كلَّ ما اشتَهى)[3].

(١) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) واللفظ له.
حسنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (٣٢)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٠/ ٧٨).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (١٧١٥) واللفظ له.
(٣) ذكره الهيتمي في ((الصواعق المحرقة)) (١/ ٢٩٨).

- وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما: (كُلْ ما شِئتَ والْبَسْ ما شِئتَ، ما أَخطأَتْكَ خَلَّتانِ: سَرَفٌ، أو مَخِيلةٌ)[1].

- وعن عثمانَ بنِ الأَسْودِ قال: (كنتُ أَطوفُ مع مُجاهِدٍ بالبيتِ، فقال: لو أَنفقَ عشَرةَ آلافِ دِرهمٍ في طاعةِ اللهِ ما كان مُسرِفًا، ولو أَنفقَ دِرهمًا واحدًا في معصيةِ اللهِ كان مِنَ المُسرِفينَ)[2].

مِن صوَرِ الإسرافِ ومَظاهِرِه:

١- الإسرافُ على الأنفُسِ في المعاصي والآثامِ، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٥].

٢- الإسرافُ في الأكلِ والشِّبَعِ المُفرِطِ.

٣- الإسرافُ في الوُضوءِ.

٤- الإسرافُ في المَرافِقِ العامَّةِ.

مَضارُّ الإسرافِ والتَّبذيرِ[3]:

١- عدَمُ مَحبَّةِ اللهِ للمُسرِفينَ والمُبذِّرينَ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

٢- يُفْضي إلى طلبِ المالِ بالكسبِ الحرامِ؛ لأنَّ المُسرِفَ ربَّما ضاقتْ به المعيشةُ ويُريدُ أنْ يعملَ مِثلَ ما أَلِفَه، فيُضْطَرُّ إلى الكسبِ الحرامِ لإشباعِ هذه الغريزةِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٢٤٨٧٨).

(٢) ((تفسير القرآن)) لأبي المظفر السمعاني (٣/ ٢٣٥).

(٣) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (أ-٨/ ١٢٣).

٣- الإسرافُ في الأكلِ يَضُرُّ بالبدنِ.

٤- المُسرِفُ والمُبَذِّرُ يُشارِكُه الشَّيطانُ في حياتِه.

٥- الإسرافُ والتَّبذيرُ مِن صِفاتِ إخوانِ الشَّياطينِ.

٦- الإسرافُ يَجُرُّ إلى مَذَمَّاتٍ كثيرةٍ.

٧- سَوف يُحاسَبُ على مالِه فيمَ أَنفَقَه؟

الوسائل المُعِينة لترك الإسراف والتَّبذير:

١- الاعتدالُ في السَّرَفِ.

٢- البُعدُ عن مُجالَسةِ المُسرِفينَ والمُبذِّرينَ.

٣- قراءةُ سيرةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والسَّلفِ الصَّالحِ.

٤- أن يُفكِّرَ في عَواقبِ الإسرافِ والتَّبذيرِ؛ فإذا عَلِمَ أنَّها عواقبُ سيِّئةٌ، تجنَّبَ هذا الطريقَ ولم يتمادَ فيه.

٥- تَذكُّرُ الموتِ والدَّارِ الآخرةِ؛ فإنَّ ذلك من أكثرِ ما يُعينُ على تَرْكِ الإسرافِ والبَذخِ، والتقرُّبِ إلى اللهِ بإنفاقِ الزائدِ عن الحاجةِ.

أسبابُ الإسرافِ والتَّبذيرِ:

١- الجهلُ بأحكامِ الشَّريعةِ، وأنَّ الإسرافَ منهيٌّ عنه.

٢- التَّأثُّرُ بالبيئةِ؛ فالذي يَعيشُ في بِيئةٍ يَنتشرُ فيها الإسرافُ سيُحاكي ويُقلِّدُ أهلَ بيئتِه.

٣- السَّعةُ بعد الضِّيقِ؛ فثَمَّ صِنفٌ مِن الناس يَصعُب عليه التوسُّطُ؛ فينقلبُ

على النَّقيضِ تمامًا[١].

٤- الغفلةُ عنِ الآخرة.

٥- مُصاحَبةُ المُسرِفينَ والمُبذِّرينَ؛ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((الرَّجُلُ على دِينِ خَليلِه، فلْيَنظُرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ))[٢].



(١) ((آفات على الطريق)) للسيد محمد نوح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) واللفظ لهما، وأحمد (٨٤١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: حسن غريب. وصحح إسناده النووي في ((رياض الصالحين)) (١٧٧)، وحسن الحديث ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٥١).

الافتراء والبهتان

معنى الافتراء:

الافتِراء لُغةً: الكَذِبُ والاختلاق. وفُلانٌ يَفْري الفَرِيَّ، إذا كان يأتي بالعجَبِ في عملِه. وفَرِيتُ: دَهِشْتُ وحِرْتُ[1].

الافتِراء اصطلاحًا: الكَذِبُ في حقِّ الغيرِ بما لا يرتَضيهِ. وقيل: هو العظيمُ مِن الكذبِ، وافتعالُ واختلاقُ ما لا يصحُّ أنْ يكونَ[2].

البُهتان لُغةً: الافتِراءُ، بَهَتَ الرَّجُلَ، أي: قال عليه ما لم يَفعَلْهُ. وباهَتَه: استَقبَلَه بأمرٍ يَقذِفُه به وهو منه بَريءٌ، لا يَعلَمُه، فيَبهَتُ منه. وبَهَتُّ الرَّجلَ أَبهَتُه بَهْتًا، إذا قابَلْتَه بالكذِبِ. وبَهِتَ وبُهِتَ إذا تَحيَّرَ[3].

البُهتان اصطلاحًا: هو الكَذِبُ الَّذي يُواجَهُ به صاحبُه على وجهِ المُكابَرةِ له. أو استِقبالُ الإنسانِ بقَذْفِه بذنبٍ وهو منه بريءٌ[4].

الفرق بيْن البُهتانِ والزُّورِ:

الزُّورُ: هو الكذِبُ الَّذي قد سوِّيَ وحسِّنَ في الظَّاهرِ؛ ليُحسَبَ أنَّه صِدقٌ.

والبُهتانُ: هو مواجهةُ الإنسانِ بما لم يُحِبَّه وقد بَهَتَه[5].

---

(١) انظر ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ١٥٤).

(٢) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٤٤٩).

(٣) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/ ١٢- ١٣).

(٤) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (٥/ ٣٨١).

(٥) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٧).

ذمُّ الافتراءِ والبُهتانِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

- وقال سُبحانَه فيمَن يَنقُلُ عنِ المؤْمنينَ والمؤمناتِ ما لم يَفعَلوه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

- وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ مِن أَعظَمِ الفِرَى أنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلى غَيرِ أَبيهِ، أو يُرِيَ عَينَه ما لمْ تَرَ، أو يَقولَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ ما لم يَقُلْ))[1]. والفِرَى: جمْعُ: فِرْيةٍ، وهي الكذِبُ والبَهْتُ[2].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((أتَدْرُونَ ما الغِيبةُ؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أَعلَمُ، قال: ذِكْرُكَ أَخاكَ بما يَكرَهُ، قيل: أفَرَأيْتَ إنْ كان في أخي ما أَقولُ؟ قال: إنْ كان فيه ما تَقولُ فقد اغتَبْتَهُ، وإنْ لم يكُنْ فيه فقد بَهَتَّهُ))[3].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الافتراءِ والبُهتانِ:

- قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنهُ: (الغِيبةُ: أن تَذكُرَ مِن أخيك شَيئًا تَعلَمُه منه، فإذا ذَكَرْتَه بما ليس فيه، فذلك البُهتانُ)[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٩).

(٢) ((عمدة القاري)) للعيني (١٦/ ٨٠) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (٢١١)، وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٦/ ٧٠): إسناده رجاله ثقات موقوف. وله شاهد.

- وقال فُضَيلٌ: (في آخِرِ الزِّمانِ قَومٌ بَهَّاتون، عَيَّابون، فاحذَرُوهُم؛ فإنَّهم أشرارُ الخلْقِ، ليس في قُلوبِهم نورُ الإسلامِ، وهُم أشرارٌ، لا يَرتفِعُ لهم إلى اللهِ عمَلٌ)[1].

- وقال سهْلُ بنُ عبدِ اللهِ: (مَن سَلِمَ مِنَ الغِيبةِ سَلِمَ مِنَ الزُّورِ، ومَن سَلِمَ مِنَ الزُّورِ سَلِمَ مِنَ البُهتانِ)[2].

أنواع الافتراءِ والبُهتانِ:

١- الافتِراءُ على اللهِ، وهو أشَدُّ أنواعِ البُهتانِ، وهو نوعانِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: أن يقولَ: قال اللهُ كذا. وهو يَكذِبُ؛ ما قال اللهُ شيئًا.

والنَّوعُ الثَّاني: أن يُفسِّرَ -متعمِّدًا- كلامَ اللهِ بغيرِ ما أراد اللهُ؛ لأنَّ المقصودَ من الكلامِ مَعناهُ، فإذا قال: أراد اللهُ بكذا كذا وكذا، فهو كاذِبٌ على اللهِ، شاهِدٌ على اللهِ بما لم يُرِدْهُ اللهُ عزَّ وجلَّ.

٢- الافتراءُ على الرَّسولِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وهو نوعانِ: **الأوَّلُ**: بأن يقولَ: قال رسولُ اللهِ كذا، ولم يَقُلْهُ، لكنْ كذَبَ عليه. **الثَّاني**: تفسيرُ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بغيرِ مَعناهُ متعمِّدًا، فقد كذَبَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ[3].

٣- الافتراءُ على المؤْمِنينَ، كأن يَتقوَّلَ على أحدٍ مِنَ المسْلمينَ ما لم يَقُلْهُ، أو يَقذِفَه بذنْبٍ وهو منه بَريءٌ، أو أن يَغتابَه بما ليس فيه.

---

(١) ((التوبيخ والتنبيه)) لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: ٩٦، ١٠٦).

(٢) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (٩/ ١٢٢) برقم (٦٣٦٤).

(٣) انظر ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٦/ ١٥٦).

الآثارُ السَّلبيَّةُ للافتراء والبُهتانِ:

١- المُفترِي على اللهِ -سُبحانَه وتعالى- أَعظَمُ الظَّالِمينَ والمُجرِمينَ.

٢- الافتراءُ والبُهتانُ سِمَةُ كلِّ كافرٍ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠٥].

٣- يؤدِّي للوقوعِ في الشِّركِ والبِدَعِ.

٤- سببٌ في الحرمانِ مِنَ الهدايةِ.

٥- سببٌ في عدمِ الفلاحِ؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يونس: ٦٩].

٦- يؤدِّي إلى الذُّلِّ والمَهانةِ.

٧- سببٌ في وقوعِ العذابِ في الدُّنيا.

أسبابُ الوقوعِ في الافتراء والبُهتان[1]:

١- الشِّركُ باللهِ سُبحانَه وتعالى.

٢- القولُ على اللهِ ورسولِه بغيرِ عِلمٍ.

٣- الاختلافُ والتَّفرُّقُ والتَّحزُّبُ.

٤- التَّعصُّبُ والتَّقليدُ الأعمى.

٥- الكِبْرُ والحسدُ والحِقدُ والكَراهيةُ.

٦- كثرةُ الكلامِ بلا فائدةٍ.

٧- استِمراءُ الكَذِبِ والغِيبةِ والنَّميمةِ.

(١) ((الإبانة الكبرى)) لابن بطة (١/ ٢٧٠- ٢٧١).

قصصٌ في الافتراء والبُهتانِ:

١- عن جابرِ بنِ سَمُرةَ، قال: (شكَا أهلُ الكوفةِ سعدًا إلى عُمرَ رَضيَ اللهُ عنه، فعَزَلَه، واستعمَلَ عليهِم عمَّارًا، فشَكَوْا حتَّى ذَكَروا أنَّه لا يُحسِنُ يُصلِّي! فأرسَلَ إليه، فقال: يا أبا إسحاقَ، إنَّ هؤلاءِ يَزعُمون أنَّك لا تُحسِنُ تُصلِّي، قال أبو إسحاقَ: أمَّا أنا واللهِ فإنِّي كنتُ أُصلِّي بهم صَلاةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، ما أَخرِمُ عنها؛ أُصلِّي صَلاةَ العِشاءِ، فأَركُدُ في الأُولَيَينِ وأُخِفُّ في الأُخرَيَينِ، قال: ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاقَ، فأرسَلَ معه رجُلًا أو رِجالًا إلى الكوفةِ، فسَأل عنه أهلَ الكوفةِ، ولم يَدَعْ مَسجدًا إلَّا سَأل عنه، ويُثْنونَ معروفًا، حتَّى دَخَل مَسجدًا لبَني عَبْسٍ، فقام رجُلٌ منهم يُقالُ له أسامةُ بنُ قَتادةَ، يُكْنى أبا سَعْدةَ، قال: أمَّا إذْ نَشَدْتَنا فإنَّ سعدًا كان لا يَسِيرُ بالسَّريَّةِ، ولا يَقسِمُ بالسَّويَّةِ، ولا يَعدِلُ في القَضيَّةِ، قال سعدٌ: أمَا واللهِ لأَدْعُوَنَّ بثلاثٍ: اللَّهمَّ إنْ كان عبْدُك هذا كاذبًا، قامَ رِياءً وسُمْعةً، فأَطِلْ عُمُرَه، وأَطِلْ فَقْرَه، وعَرِّضْهُ بالفِتَنِ، وكان بعدُ إذا سُئِل يقولُ: شيخٌ كبيرٌ مَفْتونٌ، أصابَتْني دَعوةُ سعدٍ. قال عبدُ المَلِكِ -راوي الأثرِ عن سَمُرةَ-: فأنا رأيْتُه بعدُ، قد سقَطَ حاجِباهُ على عَينَيهِ مِنَ الكِبَرِ، وإنَّه لَيَتعرَّضُ للجَواري في الطُّرُقِ يَغمِزُهُنَّ)[١].

٢- القِصَّةُ الثَّانيةُ ذَكرها الذَّهبيُّ؛ قال: (قال ابنُ طاهرٍ: سمِعتُ أصحابَنا بهَرَاةَ يقولون: لَمَّا قَدِم السُّلطانُ ألْبُ أَرْسِلانُ هَراةَ في بعضِ قَدَماتِه اجتَمَع مَشايخُ البلدِ ورُؤساؤُه ودَخَلوا على أبي إسماعيلَ وسَلَّموا عليه، وقالوا: وَرَد السُّلطانُ ونحنُ على عَزمٍ أنْ نَخرُجَ ونُسلِّمَ عليه، فأَحبَبْنا أن نَبدأَ بالسَّلامِ عليك،

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥) واللفظ له، ومسلم (٤٥٣).

وكانوا قد تَواطَؤوا على أن حمَلوا معهم صنمًا مِن نُحاسٍ صغيرًا، وجَعَلوه في المِحرابِ تحت سَجَّادةِ الشَّيخِ، وخَرَجوا، وقام إلى خَلْوَتِه، ودَخَلوا على السُّلطانِ، واستَغاثُوا من الأنصاريِّ، وأنَّه مُجَسِّمٌ، وأنَّه يَترُكُ في مِحرابِه صنمًا يَزعُمُ أنَّ اللهَ على صورتِه، إنْ بَعَث الآنَ السُّلطانُ يَجِدْهُ. فعَظُم ذلك على السُّلطانِ، وبَعَث غُلامًا ومعه جماعةٌ، فدَخَلوا الدَّارَ، وقَصَدوا المِحرابَ، فأَخَذوا الصَّنمَ، ورَجَع الغُلامُ بالصَّنمِ، فبَعَث السُّلطانُ مَن أَحضَرَ الأنصاريَّ، فأَتَى، فرأى الصَّنمَ والعُلماءَ، والسُّلطانَ قد اشتَدَّ غضَبُه؛ فقال السُّلطانُ له: ما هذا؟ قال: هذا صنَمٌ يُعمَلُ مِنَ الصُّفرِ، شِبهَ اللُّعبةِ؛ قال: لستُ عن ذا أَسأَلُك، قال: فعَمَّ يَسألُني السُّلطانُ؟ قال: إنَّ هؤلاءِ يَزعُمون أنَّك تَعبُدُ هذا، وأنَّك تَقولُ: إنَّ اللهَ على صورتِه، فقال الأَنصاريُّ بصَولةٍ وصَوتٍ جَهْوَريٍّ: سُبحانَك هذا بُهتانٌ عظيمٌ! فوقع في قلبِ السُّلطانِ أنَّهم كَذَبوا عليه، فأَمَر به فأُخرِجَ إلى دارِه مُكرَّمًا، وقال لهم: اصْدُقوني، وهَدَّدَهم، فقالوا: نحنُ في يدِ هذا الرَّجُلِ في بَلِيَّةٍ مِنَ استيلائِه علينا بالعامَّةِ، فأَرَدْنا أن نَقطَعَ شَرَّه عنَّا، فأَمَرَ بهم، ووكَّلَ بكلِّ واحدٍ منهم، وصادَرَهُم، وأهانَهُم)[1].

الافتراء والبُهتانُ في الأمثال والشِّعر[2]:

- قَولُهم: يا لَلأَفِيكةِ:

وهي فَعيلةٌ مِنَ الإفكِ، وهو الكذِبُ.

- وقولُهم: يا لَلبَهيتةِ: وهي البُهتانُ.

---

(١) ((سير أعلام النبلاء)) (١٨/ ٥١٢)، ((تذكرة الحفاظ)) للذهبي (٣/ ٢٥١- ٢٥٢).

(٢) ((مجمع الأمثال)) لأبي الفضل الميداني (٢/ ٤١٢).



- قال بعضُ الحُكماءِ:

إنَّ الكريـــــمَ إذا تَقضَّـــــى وُدُّهُ ... يُخْفـــي القَبيحَ ويُظهِرُ الإحســـانَا

وتـــرَى اللَّئيـــمَ إذا تَصـــرَّمَ حَبْلُهُ ... يُخْفي الجَميلَ ويُظهِـــرُ البُهتانَا[1]



(١) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/ ٣٦٢).

إفشاء السِّرِّ

معنى إفشاءِ السِّرِّ:

الإفشاء لُغةً: الذُّيوعُ والانتشارُ، وتَفَشَّى الشَّيءُ، أي: اتَّسَعَ، وظَهَر[1].

الإفشاءُ اصطلاحًا: هو تعمُّدُ الإفضاءِ بسِرٍّ مِن شخصٍ ائتُمِنَ عليه في غيرِ الأحوالِ الَّتي توجِبُ فيها الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ الإفضاءَ أو تُجيزُه[2].

السِّرُّ لُغةً: هو ما يُكتَمُ، وهو خلافُ الإعلانِ، يقال: أَسرَرْتُ الشَّيءَ إسرارًا، خِلافُ أَعلَنْتُه. وكُنِّي عنِ النِّكاحِ بالسِّرِّ؛ من حيث إنَّه يُخفَى[3].

السِّرُّ اصطلاحًا: ما يُسِرُّه المرءُ في نفْسِه مِن الأمورِ الَّتي عَزَم عليها[4].

ذمُّ إفشاءِ السِّرِّ، والنَّهيُ عنه في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

(أَذاعُوا به: أَفْشَوه وبَثُّوه في النَّاسِ)[5].

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٤٥٥)، ((مقاييس اللُّغة)) لابن فارس (٣/ ٦٩).
(٢) ((كتمان السر وإفشاؤه في الفقه الإسلامي)) لشريف بن أدول (ص: ٢٠).
(٣) ((مقاييس اللُّغة)) لابن فارس (٤/ ٥٠٤)، ((مفردات القرآن الكريم)) للراغب (١/ ٤٠٤)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤١٥).
(٤) ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤١٥).
(٥) ((تفسير الطبري)) (٧/ ٢٥٢).



- وقال سُبحانَه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣].

- قال القاسِميُّ: (أشار تعالى إلى غضَبِه لنبيِّه، صلواتُ اللهِ عليه، ممَّا أَتَتْ به مِن إفشاءِ السِّرِّ إلى صاحبتِها، ومِن مُظاهرَتِهما على ما يُقلِقُ راحتَه، وأنَّ ذلك ذنبٌ تَجِبُ التَّوبةُ منه)[(١)].

- عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِندَ اللهِ مَنزِلةً يومَ القِيامةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امرَأتِه، وتُفْضِي إلَيهِ، ثمَّ يَنشُرُ سِرَّها))[(٢)].

- وعن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهُما، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((إذا حَدَّث الرَّجُلُ الحديثَ ثمَّ الْتَفَتَ، فهي أَمانةٌ))[(٣)].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في ذمِّ إفشاءِ السِّرِّ:

- قال مُعاويةُ رَضيَ اللهُ عنه: (ما أَفشَيْتُ سِرِّي إلى أحدٍ إلَّا أَعقبَني طولَ النَّدمِ، وشدَّةَ الأسفِ، ولا أَودعْتُه جَوانحَ صدْري فحَكَمْتُه بيْن أضْلاعي، إلَّا أَكسَبَني مَجدًا وذِكْرًا، وسَناءً ورِفعةً)[(٤)].

- و(قال عَمرُو بنُ العاصِ رَضيَ اللهُ عنه: ما استَودَعْتُ رجُلًا سِرًّا فأَفشاهُ

---

(١) ((محاسن التأويل)) للقاسمي (٩/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩)، وأحمد (١٤٥١٤). حسنه الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (١٩٥٩).

(٤) ((المحاسن والأضداد)) للجاحظ (ص: ٤٦).

فلُمْتُهُ؛ لأنِّي كنتُ أَضْيقَ صدرًا منه حيث استَودَعْتُه إيَّاهُ)[1].

- وقال أَكْثَمُ بنُ صَيْفيٍّ: (إنَّ سِرَّك مِن دمِك، فانظُرْ أين تُريقُه)[2].

أنواع إفشاءِ السِّرِّ:

يَنقسِمُ إفشاءُ السِّرِّ إلى قِسمَينِ:

القسمُ الأول: الإفشاء المحمود

مِثلُ إفشاءِ السِّرِّ الَّذي يؤدِّي إلى مصلحةٍ للأفرادِ أو المُجتمَعاتِ، أو إفشاءِ السِّرِّ الَّذي به يُغيَّرُ المُنكَرُ، وغَيرِها مِنَ الأشياءِ الَّتي يَعودُ نفْعُها ومصلحتُها على الفردِ والمُجتمَعِ.

القسمُ الثَّاني: الإفشاء المذموم

والإفشاءُ المذمومُ يَنقسِمُ إلى قِسمَينِ:

أ- إفشاءُ الإنسانِ سِرَّ نفْسِه، وهذا يدُلُّ على فشلِه وعدمِ صبرِه.

ب- إفشاءُ الإنسانِ سِرَّ غيرِه، وهذا يُعتبَرُ مِنَ الخيانةِ، وهو أشدُّ وأخطرُ مِن إفشاءِ الإنسانِ سِرَّ نفْسِه.

مِن صُوَرِ إفشاءِ السِّرِّ:

• مِن صُوَرِ إفشاءِ السِّرِّ المذموم:

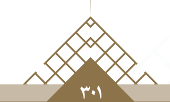
١- إفشاءُ الأسرارِ الزَّوجيَّةِ.

٢- إفشاءُ أسرارِ الدَّولةِ.

---

(١) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/ ٩٨)، و((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/ ٦٢).

(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٢/ ١٧٤-٢٧٥).



٣- إفشاءُ وإعلانُ الذُّنوبِ الَّتي يَرتكِبُها.

٤- إفشاءُ أسرارِ المسْلِمينَ.

• مِن صُوَرِ إفشاءِ السِّرِّ المَحمودِ:

١- أداءُ الشَّهادةِ عِندَ القاضي.

٢- ما يَظهَرُ للمُحتسِبِ مِن المُنكَراتِ دون تَجسُّسٍ؛ فلا يَحِقُّ له أنْ يَسكُتَ أو يَغُضَّ الطَّرْفَ عنها، بل يجبُ عليه تغييرُها وإزالتُها.

٣- إفشاءُ الأسرارِ للإخوانِ؛ لِما فيه المَصلحةُ العامَّةُ.

أضرارُ إفشاءِ السِّرِّ:

١- إفشاءُ السِّرِّ دليلُ الغفلةِ عن تَفطُّنِ العقلاءِ، والسَّهوِ عن يقَظةِ الأذكياءِ.

٢- إفشاءُ السِّرِّ خيانةٌ للأمانةِ، ونقْضٌ للعهدِ.

٣- إفشاءُ السِّرِّ فيه ارتكابٌ للغَرَرِ، وتَعرُّضٌ للخطَرِ.

٤- إفشاءُ السِّرِّ دليلٌ على لُؤْمِ الطَّبعِ، وفسادِ المُروءةِ.

٥- إفشاءُ السِّرِّ دليلٌ على قلَّةِ الصَّبرِ، وضِيقِ الصَّدرِ.

٦- إفشاءُ السِّرِّ -خاصَّةً عِندَ الغضبِ- يُعقِبُ النَّدمَ والحسرةَ في نفْسِ صاحِبِه.

٧- إفشاءُ الأسرارِ إخلالٌ بالمروءةِ، وإفسادٌ للصَّداقةِ، ومَدْعاةٌ للتَّنافُرِ[1].

الحالاتُ الَّتي يجوزُ فيها إفشاءُ السِّرِّ:

لا يَجوزُ إفشاءُ السِّرِّ الواجبِ كتمانُه إلَّا في أحوالٍ محدودةٍ، منها:

- انقضاءُ حالةِ كتمانِ السِّرِّ.

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة باحثين (١/ ٢٢٨-٢٢٩).

- موتُ صاحبِ السِّرِّ.

- ألَّا يَعودَ عليه بالضَّررِ.

- أن يؤدِّيَ الكتمانُ إلى ضررٍ أَبلَغَ مِن ضررِ الإفشاءِ.

- دفعُ الخطَرِ[1].

الأسباب المُعِينة على ترْكِ إفشاءِ السِّرِّ:

١- إدراكُ خطورةِ اللِّسانِ.

٢- تَذكُّرُ عاقبةِ كشفِ السِّرِّ.

٣- تعويدُ النَّفْسِ على الصَّبرِ.

٤- أنْ لا نَحمِلَ ما لا نُطيقُ مِنَ الأسرارِ.

لا تَنسَ الوصايا الثَّمينة التَّالية:

١- لا تُحَدِّثْ بكلِّ ما سمِعتَ؛ قال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((كَفَى بالمَرءِ إثمًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ))[2].

٢- لا تَبحَثْ عنِ الأسرارِ؛ قال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((مِن حُسنِ إسلامِ المَرءِ تَرْكُه ما لا يَعْنِيهِ))[3].

٣- سَترُ المسْلمِ واجبٌ؛ قال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لا يَستُرُ عبْدٌ عبْدًا في

---

(١) ((الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية)) لمجموعة باحثين (ص: ٩٩-١٠١) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة في (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة، عن أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ إلا من هذا الوجه. وحسنه النووي في ((الأذكار)) (٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٣١٧).

الدُّنيا، إلَّا سَتَرَهُ اللهُ يومَ القِيامةِ))[1].

٤- الأسرارُ أماناتٌ؛ فلا تَخُنْ مَنِ ائتَمَنَك: قال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إذا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَديثَ ثمَّ الْتَفَتَ، فهيَ أَمانةٌ))[2].

٥- لا تكُنْ أَسيرَ سِرِّكَ؛ قال عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه: (سِرُّك أَسيرُك، فإنْ تكلَّمْتَ به صِرتَ أَسيرَه)[3].

٦- احذَرْ كثرةَ المُستودَعينَ؛ فإنَّ كثرَتَهم سببُ الإذاعةِ، وطريقُ الإشاعةِ.

حِكَمٌ وأمثالٌ وشِعْرٌ في إفشاءِ السِّرِّ:

- صدْرُك أَوسَعُ لسِرِّك.

- (سِرُّك مِن دمِك؛ يُقالُ: ربَّما أَفشَيْتَه فيَكونُ سببَ حتْفِك)[4].

- (قال بعضُ الأدباءِ: مَن كتَم سِرَّه كان الخيارُ إليه، ومَن أَفشاهُ كان الخيارُ عليه.

- وقال بعضُ البُلغاءِ: ما أَسرَّك، ما كتَمْتَ سِرَّك!

- وقال بعضُ الفُصحاءِ: ما لم تُغيِّبْه الأضالِع، فهو مكشوفٌ ضائع)[5].

- (القلوبُ أَوعيةُ الأسرارِ، والشِّفاهُ أَقفالُها، والأَلسُنُ مَفاتيحُها، فلْيَحفَظْ كلٌّ منكم مَفاتيحَ سِرِّه)[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩)، وأحمد (١٤٥١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. حسنه الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (١٩٥٩).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣٠٦).
(٤) ((الأمثال)) لابن سلام (ص: ٥٧).
(٥) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣٠٦-٣٠٧).
(٦) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (١/ ١١٧).

- قال أنسُ بنُ أسيدٍ:

ولا تُفْـــشِ سِـــرَّكَ إلَّا إليكَ ... فـــإنَّ لـــكلِّ نَصيحٍ نَصيحَـــا

فإنِّـــي رأيـــتُ وُشـــاةَ الرِّجـــا ... لِ لا يَتركـــونَ أَديمًـــا صحيحَا[1]



(١) ((الحيوان)) للجاحظ (٥/ ١٠١)، ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٣٠٧).

الانتقام

معنَى الانتقامِ:

الانتِقام لُغةً: العُقوبةُ؛ يُقال: انتَقَم اللهُ منه، أي: عاقَبَه. ونَقَمتُ الأمرَ ونَقِمْتُه، إذا عِبتَه وكرهتَه أشدَّ الكَراهةِ لسُوءِ فِعلِه، والاسمُ منه: النِّقْمةُ، والجَمعُ: نَقِماتٌ، ونَقِمٌ[1].

الانتقام اصطلاحًا: إنزالُ العُقوبةِ مَصحوبًا بكراهيةٍ تصلُ إلى حدِّ السُّخطِ. وسَلْبُ النِّعمةِ بالعذابِ[2].

الفرق بيْن الانتقامِ والعِقابِ[3]:

الانتقامُ سلْبُ النِّعمةِ بالعذابِ. والعقابُ جزاءٌ على الجُرمِ بالعذابِ؛ لأنَّ العِقابَ نقيضُ الثَّوابِ، والانتقامَ نقيضُ الإنعامِ.

ذمُّ الانتقامِ والتَّحذيرُ منه في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤].

قال السعديُّ: (ولَمَّا كانت النُّفوسُ -في الغالب- لا تَقِفُ على حدِّها إذا رُخِّص

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٥/ ٢٠٤٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٥٩٠)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٦٢٣).
(٢) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٧٧)، ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٩/ ٤٠٠٧).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٣، ٧٧).

لها في المعاقبةِ؛ لطلَبِها التَّشفِّيَ -أي: الانتقامَ-، أَمَر تعالى بلُزومِ تَقْواهُ، الَّتي هي الوقوفُ عِندَ حدودِه، وعدَمُ تَجاوُزِها، وأَخبَرَ تعالى أنَّه ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤] أي: بالعَونِ، والنَّصرِ، والتَّأييدِ، والتَّوفيقِ)[١].

- وقال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورى: ٣٧].

- وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها أنَّها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بيْن أمْرَينِ إلَّا أخَذَ أيسَرَهُمَا، ما لم يكُن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعَدَ النَّاسِ منه، وما انتقَم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ لنفْسِه، إلَّا أنْ تُنتهَكَ حُرمةُ اللهِ، فيَنتقِمَ للهِ بها))[٢].

أي: ما انتقَمَ مِن أحدٍ لأجْلِ حَظِّ نفْسِه إلَّا أن تُنتهكَ حُرمةُ اللهِ، أي: تُرتَكبَ، فيُعاقِبَ حينئذٍ بسببِ تِلك الحُرمةِ[٣].

- وعن عِياضِ بنِ حمارٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: قُلْتُ: ((يا نبيَّ اللهِ، الرَّجُلُ مِن قَومي يَشتُمُني وهو دُوني، أفأَنتقِمُ منه؟ فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: المُسْتَبَّانِ شَيطانانِ، يَتهاتَرانِ ويَتكاذَبانِ))[٤].

أقوال السَّلف والعُلماءِ في الانتقام:

- قال مُعاويةُ لابنِه، وقد رآه ضرَب غُلامًا له: (إيَّاك يا بُنيَّ والتَّشفِّيَ ممَّن لا يَمتنِعُ منك، فواللهِ لقد حالتِ القُدرةُ بيْن أبيك وبيْن ذَوي تِراتِه، ولهذا قيل:

---

(١) ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢٧).

(٣) ((مرقاة المفاتيح)) لعلي القاري (٩/ ٣٧١٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٥٢٤)، وابن حبان (٥٧٢٦) واللفظ له، والطبراني (١٧/ ٣٦٥) (١٠٠١). صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٩١٧٩).

القُدرةُ تُذهِبُ الحَفيظةَ)[1].

- وقال ابنُ القَيِّم: (فما انتَقَم أحدٌ لنفْسِه قطُّ إلَّا أَعقَبَه ذلك نَدامةً)[2].

- وقال بعضُ البُلغاءِ: (ليس مِن عادةِ الكِرامِ سرعةُ الانتقامِ، ولا مِن شروطِ الكرَمِ إزالةُ النِّعمِ)[3].

أقسامُ الانتِقامِ:

يَنقسِمُ الانتقامُ إلى قِسمَينِ:

القِسمُ الأوَّلُ: الانتقامُ المحمودُ، وهو الانتقامُ إذا انتُهِكَ شيءٌ مِن مَحارمِ اللهِ.

القِسمُ الثَّاني: الانتقامُ المذمومُ، وهو الانتقامُ مِن أجْلِ النَّفْسِ والهَوى.

آثارُ الانتِقامِ:

للانتقامِ مَضارُّ وآثارٌ سيِّئةٌ تَعودُ على المُنتقِمِ نفْسِه، ومِن هذه الآثارِ:

١- أنَّ صاحِبَ هذه الصِّفةِ لا يَنالُ السِّيادةَ والشَّرفَ.

٢- أنَّ المُنتقِمَ لا يَجِبُ شُكرُه، ولا يُحمَدُ ذِكرُه.

٣- أنَّ الانتقامَ يَعقُبُه النَّدامةُ.

٤- يوَلِّدُ بيْنَ النَّاسِ الأحقادَ والضَّغائنَ.

مِن أسبابِ الوُقوعِ في الانتقامِ:

١- عدَمُ التَّحلِّي بالحِلمِ والصَّبرِ.

---

(١) ((التذكرة الحمدونية)) (٢/ ١٣٨).

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القَيِّم (٢/ ٣٠٣).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (١/ ٣٢٠).

٢- عدَمُ التَّحلِّي بالعفوِ والصَّفحِ.

٣- عدَمُ القدرةِ على كَظمِ الغَيظِ.

٤- تسميةُ بعضِ الجُهَّالِ الانتِقامَ شجاعةً ورجُولةً وعِزَّةَ نفسٍ وكِبَرَ همَّةٍ، وتَلقيبُه بالألقابِ المحمودةِ غَباوةً وجهلًا؛ حتَّى تَميلَ النَّفْسُ إليه وتَستحسِنَه.

٥- تَعرُّضُ المُنتقِمِ إلى أذًى حقيقيٍّ أوِ افتراضيٍّ مِنَ الشَّخصِ المرادِ الانتِقامُ منه.

٦- غِيابُ العدالةِ، وعدَمُ وجودِ مَن يَأخُذُ للشَّخصِ حقَّه، ممَّا يُلجِئُه إلى الانتقامِ الَّذي بدَوْرِه قد يؤدِّي إلى أن يَأخُذَ أكثَرَ مِن حقِّه.

من الوسائلِ المُعينةِ على تَركِ الانتقامِ[1]:

١- تَذكُّرُ انتِقامِ اللهِ مِن أهلِ مَعاصيهِ.

٢- العفوُ والصَّفحُ.

٣- كظْمُ الغَيظِ.

٤- تَجنُّبُ السُّخريةِ والاستِهزاءِ.

٥- الخوفُ مِن ضَياعِ الزَّمانِ والعُمُرِ، وتَفرُّقِ القلبِ، وفَوتِ المَصالِحِ.

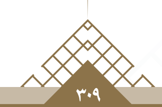
٦- التَّفكيرُ بأنَّ في الانتقامِ زيادةَ شرِّ الخصومةِ.

٧- فراغُ القلبِ مِنَ الاشتغالِ به، والفِكرِ فيه.

٨- الإقبالُ على اللهِ، والإخلاصُ له، وذلك في كلِّ وقتٍ وحِينٍ.

٩- الغضبُ، ولا يأتي إلَّا عِندَ هَيَجانِه.

(١) ((جامع المسائل)) لابن تيمية (١/ ١٧٠).



الحِكَمُ والأمثالُ والشِّعرُ في الانتقام[1]:

- أَلْأَمُ أعمالِ المُقتدِرينَ الانتقامُ.

- ضَغَا مِنِّي وهو ضَغَاء: يُضرَبُ لِمَن لا يَقدِرُ مِنَ الانتقامِ إلَّا على صِياحٍ.

- العفوُ أشدُّ أنواعِ الانتقام.

- وقال الشَّاعرُ:

إذا انتَقَموا أَعْلَنوا أمْرَهُم وإنْ أَنعَموا أنعَموا باكتِتامِ

يَقومُ القَعودُ إذا أَقبَلوا وتَقعُدُ هَيبتُهُم بالقيامِ[2]



(١) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (ص: ٤٩٤)، ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/ ٤٢١)، ((معجم اللُّغة العربية المعاصرة)) لأحمد مختار (١/ ٣٠٩).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٠٣).

البخل والشُّحُّ

معنى البُخلِ والشُّحِّ:

البخل لُغةً: البُخْلُ، والبَخْلُ بالفتح، والبَخَلُ -بفتحتين- والبُخُلُ -بضمَّتينِ-: كلُّه بمعنًى واحدٍ، وهو: إمساكُ المُقتنياتِ عَمَّا لا يَحِقُّ حَبْسُها عنه. وقد بَخِلَ بكذا: أي ضَنَّ بما عِندَه ولم يَجُدْ[1].

البُخل اصطلاحًا: مَنْعُ ما يُطلَبُ ممَّا يُقتَنى، وشرُّه ما كان طالبُه مُستحِقًّا، ولا سيَّما إنْ كان مِن غيرِ مالِ المَسؤولِ[2].

الشُّحُّ لُغةً: البُخلُ مع حِرصٍ. تقولُ: شَحِحْتُ -بالكسر- تَشَحُّ، وشَحَحْتَ أيضًا تَشُحُّ وتَشِحُّ. ورَجُلٌ شَحيحٌ، وقَوْمٌ شِحاحٌ وأَشِحَّةٌ[3].

الشُّحُّ اصطلاحًا: البُخلُ بأداءِ الحقوقِ، والحِرصُ على ما ليس له[4]. أو الإفراطُ في الحِرصِ على الشَّيءِ[5].

ذَمُّ البخلِ والشُّحِّ في القرآن والسُّنَّة:

- قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

(١) ((المفردات)) للراغب (١/ ١٠٩)، ((مختار الصحاح)) للرازي (١/ ٧٣)، ((المعجم الوسيط)) (١/ ٤١- ٤٢).
(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٥٧).
(٣) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ٣٧٨).
(٤) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٦/ ٢٢٢).
(٥) ((تفسير الطبري)) (٩/ ٢٨٢).



هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)﴾ [آل عمران: ١٨٠]. (أي: يُجعَلُ ما بَخِلوا به طَوقًا في أعناقِهم، يُعذَّبون به)[(١)].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: ٩].

- وعن أَنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه، قال: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ((اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجزِ والكَسَلِ، والجُبنِ والبُخلِ، وضَلَعِ الدَّينِ، وغَلَبةِ الرِّجالِ))[(٢)].

- وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهُما، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((إيَّاكُم والظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَن كان قَبْلَكُم، حَمَلَهُم على أنْ سَفَكوا دِماءَهُم، واستَحَلُّوا مَحارِمَهُم))[(٣)].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ البخل والشُّحِّ:

- قال عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه: (البخلُ جِلْبابُ المَسْكَنةِ، ورُبَّما دَخَل السَّخيُّ بسَخائِه الجنَّةَ)[(٤)].

- وسُئِل الحسَنُ بنُ عليٍّ رَضيَ اللهُ عنهُما عنِ البخلِ، فقال: (هو أن يَرَى الرَّجُلُ ما يُنفِقُه تَلَفًا، وما يُمسِكُه شَرَفًا)[(٥)].

- قال الماوَرْديُّ: (الحِرصُ والشُّحُّ أصلٌ لكلِّ ذَمٍّ، وسببٌ لكلِّ لؤْمٍ؛ لأنَّ الشُّحَّ

(١) ((تفسير السعدي)) (ص: ١٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦٩) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).
(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٣/ ٣١٠).
(٥) ((المصدر السابق)) (٣/ ٢٩٩).

يَمنَعُ مِن أداءِ الحقوقِ، ويَبعَثُ على القطيعةِ والعُقوقِ)[1].

آثارُ البُخلِ والشُّحِّ[2]:

١- الحِرمانُ مِنَ الأجرِ المُترتِّبِ على الإنفاقِ في أبوابِ الخَيرِ.

٢- سببٌ في ضَعفِ الإيمانِ واضْمِحلالِه؛ لِما فيه مِن سوءِ الظَّنِّ باللهِ.

٣- كراهيةُ النَّاسِ له، فهو مَبغوضٌ مَكروهٌ حتَّى مِن أقرَبِ النَّاسِ إليه، كزوجتِه وأبنائِه وأقْربائِه، بل قد يَصِلُ بهمُ الحدُّ إلى أن يَدْعوا عليه، ويَتمَنَّوْا مَوتَه؛ حتَّى يَستَطيعوا التَّنعُّمَ بما حرَمَهم منه مِن أموالٍ.

٤- سببٌ لحِرمانِ الرِّزقِ، فكما أنَّ الإنفاقَ سببٌ في زيادةِ الرِّزقِ وسَعتِه، فإنَّ البخلَ والشُّحَّ سببٌ في تَضييقِه.

٥- الوقوعُ في الإثمِ؛ بسببِ مَنعِه لِما يَجِبُ عليه مِن حقوقٍ وواجباتٍ.

٦- حِرمانُ البخيلِ الشَّحيحِ لنفْسِه ولغيرِه مِن لذائذِ الدُّنيا المباحةِ.

٧- سببٌ لكشفِ عيوبِ المرءِ، وإظهارِها للخلْقِ.

أشدُّ درَجاتِ البخلِ:

قال ابنُ قُدامةَ: (وأَشدُّ دَرجاتِ البُخلِ أنْ يَبخَلَ الإنسانُ على نفْسِه مع الحاجةِ، فكمْ مِن بخيلٍ يُمسِكُ المالَ، ويَمرَضُ فلا يَتداوَى، ويَشتَهي الشَّهوةَ فيَمنَعُه منها البخلُ. فكمْ بيْن مَن يَبخَلُ على نفْسِه مع الحاجةِ، ومَن يُؤْثِرُ على نفْسِه مع الحاجةِ، فالأخلاقُ عطايَا يَضعُها اللهُ عزَّ وجلَّ حيث يَشاءُ)[3].

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٢٤).

(٢) ((التفسير المنير)) للزحيلي (٤/ ١٨٠).

(٣) ((مختصر منهاج القاصدين)) (ص: ٢٦٥).



مِن صُوَر البخل والشُّحِّ:

١- **البُخلُ بالمالِ والمُقتنَياتِ**: وهذا بدَوْرِه يَنقسِمُ إلى: بُخلِ الإنسانِ بمالِه. وبخلِه بمالِ غيرِه على غَيرِه. وبخلِه على نفْسِه بمالِ غيرِه، وهو أقبَحُ الثَّلاثةِ[1].

٢- **البخلُ بالنَّفْسِ**: كمَن يَبخَلُ بنفسِه أن يُقدِّمَها في سبيلِ اللهِ رخيصةً، وذلك تعلُّقًا منه بالدُّنيا وحِرصًا عليها، وكراهيةً للموتِ[2].

٣- **البخلُ بالجاهِ**: فلا يَشفَعُ إنْ طُلِبتْ منه الشَّفاعةُ، ولا يُصلِحُ إن طُلِب منه الصُّلحُ، ولا يَسعَى في حاجةِ الضَّعيفِ والمِسكينِ وذي الحاجةِ.

٤- **البخلُ بالعِلمِ**: وهو مِن أسْوأِ أنواعِ البخلِ وأقبحِها، بحيث يَكتُمُ صاحبُ العِلمِ عِلْمَه عمَّن يَحتاجُه، فلا يُعلِّمُ ولا يَنصَحُ ولا يوَجِّهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ [النساء: ٣٧].

أسبابُ الوُقوعِ في البُخل والشُّحِّ:

١- ضَعفُ إيمانِ البخيلِ، وسوءُ ظنِّه باللهِ.

٢- الظُّلْمُ؛ حيث يَنتجُ عنه تعطيلٌ لحقوقِ الآخَرينَ.

٣- حُبُّ المالِ والتَّعلُّقُ به يورِثُ هذه الصِّفةَ الدَّنيئةَ، والسَّجيَّةَ القَبيحةَ.

٤- ضَعفُ الهِمَّةِ، والزُّهدُ في الذِّكرِ الحسَنِ.

٥- الظَّنُّ بأنَّ البخلَ نوعٌ مِنَ الذَّكاءِ والفِطنةِ والتَّدبيرِ لأمورِ الدُّنيا.

٦- الخوفُ مِنَ المستقبَلِ وما فيه، والهَلَعُ مِنَ الفقرِ الَّذي يَعِدُ به الشَّيطانُ الرَّجيمُ.

---

(١) ((فيض القدير)) للمناوي (٥/ ٤٩٦).

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيِّم (ص: ١١٣-١١٤).

٧- الخوفُ على الأبناءِ وعلى مُستقبَلِهم، فالأبناءُ مَبخَلةٌ مَجْبَنةٌ كما وصَفَهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ.

٨- عدَمُ استِشعارِ ما يَنتظِرُ البخيلَ مِنَ العقوبةِ يومَ القيامةِ.

٩- الغَفلةُ عنِ الأُجورِ المُترتِّبةِ على الإنفاقِ والبَذْلِ والقيامِ بالحقوقِ الواجبةِ.

١٠- طولُ الأملِ، والتَّشبُّثُ بالحياةِ.

الوَسائلُ المُعِينةُ على تَرْكِ البُخلِ والشُّحِّ[١]:

١- أن يُحسِنَ المرءُ الظَّنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ، ولْيَعلَمْ أنَّ اللهَ الَّذي أمَرَه بالإنفاقِ قد تَكفَّلَ له بالزِّيادةِ. وقد قيل: (قِلَّةُ الجُودِ، سوءُ ظنٍّ بالمعبودِ).

٢- الإكثارُ مِنَ الصَّدقةِ، وإنْ كان ذلك ثقيلًا على مَنِ اتَّصَف بهذه الصِّفةِ.

٣- معرفةُ أنَّ الإيحاءَ بالفقرِ والتَّخويفَ منه إنَّما هو وعْدٌ شَيْطانيٌّ، وأنَّ وعْدَ اللهِ هو المغفرةُ للذُّنوبِ، وزيادةُ الفضلِ.

٤- الاستِعاذةُ باللهِ مِنَ البخلِ.

٥- معالَجةُ طولِ الأملِ بالإكثارِ مِن ذِكرِ الموتِ، والنَّظرِ في موتِ الأقرانِ.

٦- التَّأمُّلُ في حالِ البخلاءِ الَّذين تَعِبوا في جمعِ المالِ والحرصِ عليه، ثمَّ ترَكِهم له يَتقاسَمُه الورَثةُ، ورُبَّما استَخدَموه في غيرِ طاعةِ اللهِ؛ فكان وَبالًا عليهِم.

البُخل والشُّحُّ في الأمثالِ والحِكَمِ والشِّعر:

- يُقالُ: أَبْخَلُ مِن صَبيٍّ ومِن كَسع: قالوا: هو رجُلٌ بَلَغ مِن بُخلِه أنَّه كَوَى

(١) ((عدة الصابرين)) لابن القيِّم (٢٢/٦).

اسْتَ كلْبِه حتَّى لا يَنْبَحَ فيَدُلَّ عليه الضَّيفَ[١].

- ويُقالُ: أَبخَلُ مِن ذِي مَعْذِرةٍ: وهذا مَأخوذٌ مِن قَولِهم في مثَلٍ آخرَ: المَعذِرةُ طَرَفٌ مِنَ البخلِ[٢].

- قال بعضُ الحكماءِ: مَن بَرِئَ مِن ثَلاثٍ نالَ ثَلاثًا: مَن بَرِئَ مِنَ السَّرَفِ نال العِزَّ، ومَن برِئَ مِنَ البخلِ نال الشَّرَفَ، ومَن بَرِئَ مِنَ الكِبْرِ نال الكَرامةَ[٣].

- وقال آخَرُ: البخيلُ حارِسُ نِعمتِه، وخازِنُ ورَثتِه[٤].

- قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه:

إِذا جادَتِ الدُّنيا عليكَ فجُدْ بها ... على النَّاسِ طُرًّا إنَّها تَتقلَّبُ

فلا الجُودُ يُفنِيها إذا هيَ أَقبَلَتْ ... ولا البُخلُ يُبقِيها إذا هي تَذهَبُ



(١) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/ ١٢٠).

(٢) ((المصدر السابق)) (١/ ١١٤).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٢٤).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص: ١٨٥).

البُغضُ والكَراهيةُ

معنَى البُغضِ والكَراهيةِ:

البُغضُ لُغةً: نَقيضُ الحُبِّ، وبَغَّضَه اللهُ تعالى للنَّاسِ -بالتَّشديدِ- فأَبغَضُوه. والبِغضةُ -بالكسر- والبغضاءُ: شِدَّةُ البُغضِ. وتَباغَضَ القومُ: أَبغَضَ بعضُهم بعضًا[1].

البُغضُ اصطلاحًا: نُفورُ النَّفْسِ عنِ الشَّيءِ الَّذي يُرغَبُ عنه، وهو ضِدُّ الحُبِّ[2].

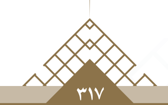
الكَراهية لُغةً: الكَراهيةُ خِلافُ الرِّضا والمَحبَّةِ؛ يُقال: كَرِهتُ الشَّيءَ أَكرَهُه كَراهةً وكَراهيَةً. والكُرْهُ -بالضَّمِّ: المَشقَّةُ. وكرَّهْتُ إليه الشَّيءَ تَكريهًا: نقيضُ حَبَّبْتُه إليه[3].

الكَراهيةُ اصطلاحًا: المكروهُ هو ضِدُّ المحبوبِ، مَأخوذٌ مِنَ الكراهةِ الَّتي هي ضِدُّ المَحبَّةِ[4].

الفَرق بيْنَ الكَراهيةِ والبُغضِ والإباءِ ونُفورِ الطَّبعِ[5]:

الإباءُ هو أن يَمتنِعَ، وقد يَكرَهُ الشَّيءَ مَن لا يَقدِرُ على إبائِه. وقد يَتَّسِعُ بالبُغضِ ما لم يَتَّسِعْ بالكراهةِ، فقيل: أُبغِضُ زَيدًا، أي: أُبغِضُ إكرامَه ونفْعَه، ولا يُقالُ:

(١) ((المخصص)) لابن سيده (٤/ ٨٤)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/ ٥٦).
(٢) ((التوقيف على مهمات التعريف)) للمناوي (ص: ٨١).
(٣) ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٢٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٧٣).
(٤) ((الكليات)) للكفوي (ص: ١٤٠٨).
(٥) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٨، ١٠٤، ٤٥١).



أَكرَهُه، بهذا المعنى... ومع هذا فإنَّ الكراهةَ تُستعمَلُ فيما لا يُستعمَلُ فيه البُغضُ، فيُقالُ: أَكرَهُ هذا الطَّعامَ، ولا يُقالُ: أُبغِضُه.

والكراهةُ ضِدُّ الإرادةِ، ونُفورُ الطَّبعِ ضِدُّ الشَّهوةِ، وقد يُريدُ الإنسانُ شُربَ الدَّواءِ المُرِّ مع نُفورِ طبْعِه منه، ولو كان نُفورُ الطَّبعِ كراهةً لَما اجتَمَع مع الإرادةِ.

النَّهيُ عنِ البُغضِ والكَراهيةِ في القُرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((إيَّاكُم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَروا، وكُونوا -عبادَ اللهِ- إخوانًا))[1].

- وعن الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((دَبَّ إلَيكُم داءُ الأُمَمِ قَبْلَكُم: الحسَدُ والبَغضاءُ، هيَ الحالِقةُ، لا أَقولُ: تَحلِقُ الشَّعَرَ، ولكنْ تَحلِقُ الدِّينَ. والَّذي نَفْسي بيَدِه لا تَدْخُلوا الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنوا، ولا تُؤْمِنوا حتَّى تَحابُّوا، أفلا أُنَبِّئُكُم بما يُثَبِّتُ ذلك لكُم؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم))[2].

أقوال السَّلف والعُلماءِ في الكراهةِ:

- قال بعضُ الصَّحابةِ: (مَن أرادَ فضْلَ العابِدينَ، فلْيُصلِحْ بيْنَ النَّاسِ، ولا يوقِعْ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١٤١٢). قال الترمذي: اختلفوا في روايته. وجود إسناده المنذري في ((التَّرغيب والترهيب)) (٤/ ٣١)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ٣٣)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٥١٠).

بيْنهمُ العَداوةَ والبَغضاءَ)[1].

- وقال ابنُ القَيِّمِ: (البُغضُ والكراهةُ أصلُ كلِّ تركٍ ومَبدؤُه)[2].

- قال الغَزاليُّ: (اعلَمْ أنَّ الأُلْفةَ ثمرةُ حسْنِ الخلُقِ، والتَّفرُّقَ ثمرةُ سوءِ الخلُقِ، فحُسنُ الخلُقِ يوجِبُ التَّحابَّ والتَّآلُفَ والتَّوافُقَ، وسوءُ الخلُقِ يُثمِرُ التَّباغُضَ والتَّحاسُدَ والتَّدابُرَ، ومهْما كان المُثمِرُ مَحمودًا كانت الثَّمرةُ مَحمودةً)[3].

أقسام البَغضاءِ والكراهيَة:

تَنقسِمُ البغضاءُ قِسمَينِ:

الأوَّلُ: مَنهيٌّ عنه، مُحرَّمٌ مذمومٌ، وهو المقصودُ بهذا البحثِ.

الثَّاني: مأمورٌ به، مُثابٌ صاحِبُه، ومِن صوَرِه: بُغضُ الباطلِ وكراهيتُه، وبُغض الكفَّارِ والفُسَّاقِ والمجرمينَ وكراهيتُهم.

آثار البُغضِ والكراهيَة:

- سببٌ في الوقوعِ في الافتراءِ والبُهتانِ على النَّاسِ، والتَّحامُلِ عليهم عِندَ الخُصومةِ.

- يَتولَّدُ عنه الحِقدُ الشَّديدُ للمَبغوضِ.

- يَتسبَّبُ في انتشارِ بعضِ الأمراضِ الاجتماعيَّةِ الخطيرةِ الَّتي تَفتِكُ بالمُجتمَعِ وتُهدِّدُ لُحْمَتَه وتَماسُكَه؛ كانتشارِ الإشاعاتِ المُغرِضةِ، والتَّحاسُدِ والتَّنافُسِ غيرِ المحمودِ.

---

(١) ((تنبيه الغافلين)) للسمرقندي (ص: ٥٢١).

(٢) ((الجواب الكافي)) لابن القَيِّم (ص: ١٩٢).

(٣) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٥٧).



- سببٌ في فُقدانِ الأمنِ والأمانِ في المُجتمَعِ.
- يَتسبَّبُ في فُقدانِ الحُبِّ في المُجتمعِ الواحِدِ، بل في العائلةِ الواحدةِ.
- بسببِه تَضيعُ الثِّقةُ بيْن أفرادِ المُجتمعِ، فلا تَكادُ تَجِدُ أحدًا يَثِقُ في أحدٍ.
- انتِفاءُ العدلِ في المُجتمعِ المُتباغِضِ.
- البُغضُ يَتسبَّبُ إلى سوءِ الخلُقِ.

أسبابُ الوُقوعِ في البُغضِ والكَراهيةِ[1]:

١- الغِيبةُ والنَّميمةُ.

٢- الكذِبُ والغِشُّ.

٣- قسوةُ القلبِ، والغِلظةُ والفَظاظةُ.

٤- الغَيرةُ في غَيرِ مَوضعِها؛ فإنَّها تَتضمَّنُ البُغضَ والكراهةَ.

٥- عدَمُ العدلِ عمومًا سببٌ من أسبابِ البُغضِ.

٦- التَّعدِّي على حقوقِ الإنسانِ بأيِّ نَوعٍ مِنَ أنواعِ التَّعدِّي.

٧- الاستِئثارُ بالمنافعِ، وعدَمُ إعطائِها لِمَن يَستحِقُّها.

٨- الخيانةُ وعدَمُ الأمانةِ.

٩- الكِبْرُ سببٌ قويٌّ مِن أسبابِ البُغضِ؛ فالمتكبِّرُ يُبغِضُ النَّاسَ وهُم يُبغِضونه.

١٠- الحسدُ؛ فهو مِن أكثرِ الأسبابِ الَّتي تُثيرُ البُغضَ بيْن النَّاسِ.

الوسائلُ المُعِينةُ على تجنُّبِ البُغضِ والكراهيةِ:

١- الإحسانُ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

(١) ((الصواعق المرسلة)) لابن القيِّم (٤/ ١٤٩٧).

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٤٣].

٢- الإنصافُ: فبالإنصافِ تُنتزَعُ صِفاتُ الحقدِ والكراهيَةِ؛ لتَحُلَّ مَحلَّها صِفاتُ الاحترامِ والحُبِّ والتَّنافُسِ في الخيراتِ.

٣- المُعاتَبَةُ: فالمُعاتَبَةُ تُنقِّي النُّفوسَ مِنَ الشَّرِّ والكراهيةِ، وتَزيدُ المَحبَّةَ والأُلْفَةَ.

٤- الصَّبرُ: (قال بعضُ الأُدباءِ: بالصَّبرِ على مَواقعِ الكُرهِ تُدرَكُ الحُظوظُ)[1].

٥- البُعدُ عن كلِّ ما مِن شأنِه أنْ يُكدِّرَ الصَّفوَ، ويَشحَنَ النُّفوسَ بالكراهيةِ؛ كالجِدالِ، والشَّتمِ، والغِيبةِ، والنَّميمةِ، والحسدِ، وغَيرِها مِنَ الأَدواءِ والأمراضِ.

٦- الإتيانُ بالوسائلِ الَّتي توطِّدُ العَلاقاتِ، وترسِّخُ الصِّلاتِ، وتُحبِّبُ المؤْمنينَ إلى بعضِهم؛ كإفشاءِ السَّلامِ، والتَّهادي بيْن النَّاسِ، والتَّعاوُنِ، والتَّكافُلِ، وغَيرِها.

٧- البُعدُ عنِ التَّنافُسِ المذمومِ على الدُّنيا الفانيةِ؛ فإنَّه مِن أكبرِ أسبابِ البَغضاءِ والكراهيةِ.

الأمثالُ والشِّعرُ في البُغض والكراهية[2]:

- الحاجةُ مع المَحبَّةِ، خَيرٌ مِنَ الغِنَى مع البِغضةِ.
- الكِبْرُ قائدُ البُغضِ.
- كثرةُ العِتابِ، توجِبُ البَغضاءَ.

وقال الشَّاعرُ:

قضَى اللهُ أنَّ البُغـــضَ يَصرَعُ أهْلَهَ ... وأنَّ على الباغِي تَـــدُور الدَّوائِرُ[3]

(١) ((تسهيل النظر)) للماوردي (ص: ٢٦).

(٢) ((الأدب الصغير)) لابن المقفع (ص: ٣٨)، ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (ص: ٤٤٤)، ((المستطرف في كل فن مستظرف)) للأبشيهي (ص: ٣٧).

(٣) ((السحر الحلال في الحكم والأمثال)) للهاشمي (ص: ٦٨).

التَّجسُّسُ

معنَى التَّجسُّسِ:

التَّجسُّسُ لُغةً: مأخوذٌ مِنَ جَسَّ الخَبَرَ، أي: بحثَ عنه وفحَصَ، والتَّجسُّسُ: التَّفتيشُ عن بواطنِ الأُمورِ، وأكثرُ ما يُقالُ في الشَّرِّ. والجاسُوسُ: العَينُ يَتجَسَّسُ الأخبارَ ثمَّ يَأتي بها، وهو صاحبُ سِرِّ الشَّرِّ، والنَّاموسُ صاحبُ سرِّ الخيرِ[1].

التَّجسُّسُ اصطلاحًا: البَحثُ عنِ العَوْراتِ والمَعايبِ، وكَشْفُ ما ستَرَه النَّاسُ[2].

الفرق بيْن التَّجسُّسِ والتَّحسُّسِ[3]:

التَّحسُّسُ -بالحاءِ-: طلَبُ الشَّيءِ بالحاسَّةِ، والتَّجسُّسُ -بالجيمِ- مِثلُه؛ قيل: مَعناهما واحدٌ. وقيل: التَّجسُّسُ -بالجيم-: البحثُ عن عَوْراتِ النِّساءِ، وبالحاء: الاستماعُ لحَديثِ القَومِ. ويُروى أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما سُئِل عنِ الفرقِ بيْنهُما، فقال: (لا يَبعُدُ أحدُهما عنِ الآخرِ: التَّحسُّسُ في الخَيرِ، والتَّجسُّسُ في الشَّرِّ). وقيل: التَّحسُّسُ -بالحاءِ-: أن تَستمِعَ الأخبارَ بنفْسِك، وبالجيمِ: أن تَتفحَّصَ عنها بغيرِك. وقيل: التَّحسُّسُ -بالحاءِ-: هو طلبُ أخبارِه والفَتشُ عنه؛ شفقةً ونُصحًا واحتياطًا، فتَطيبُ نفْسُه لطِيبِ أخبارِه وحُسنِ حالِه، أو لِيُرفِدَه إنْ كان في أمْرِه خلَلٌ؛ بنُصحٍ واحتياطٍ ومَعونةٍ. والتَّجسُّسُ: أن تُفتِّشَ

(١) انظر ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (١٠/ ٢٤٢)، ((لسان العرب)) لابن منظور(٦/ ٣٨)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي (١٥/ ٤٩٩).

(٢) ((التفسير المنير)) للزحيلي (٢٦/ ٢٤٧).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١١٨)، ((تنبيه الغافلين)) لابن النحاس (ص: ٤٥-٤٦).

عن أخبارٍ مُغطيةٍ مكروهةٍ أن تعلَمَ بها، فتَستخرجَها بفَتشِكَ؛ لهَتكِ السُّتورِ، والكشفِ عنِ العَوْراتِ والمساوي.

ذمُّ التَّجسُّسِ والنَّهيُ عنه في القرآن والسُّنَّة:

- قال تبارَك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

- وقال تعالى وهو يَتحدَّثُ عنِ المنافِقين وعن صِفاتِهم: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إيَّاكُم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولاتَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونوا -عِبادَ اللهِ- إخوانًا))(١).

- وعن أبي بَرْزةَ الأَسْلَميِّ رَضيَ اللهُ عنه، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((يا مَعشَرَ مَن آمَنَ بِلسانِه ولمْ يَدخُلِ الإيمانُ قَلْبَه، لا تَغتابُوا المسْلِمينَ، ولا تَتَّبِعوا عَوْراتِهم؛ فإنَّه مَنِ اتَّبَع عَوْراتِهم يَتَّبعِ اللهُ عَوْرَتَه، ومَن يَتَّبعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ في بَيتِه))(٢).

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ التَّجسُّسِ:

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (١٩٧٧٦). جود إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/ ١٧٥)، وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٨٠): حسن صحيح.

- عن أبي قِلابةَ، أنَّ عُمرَ بنَ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه، حُدِّث (أنَّ أبا مِحجَنٍ الثَّقَفيَّ شَرِب الخَمرَ في بيتِه هو وأصحابُه، فانطَلَق عُمرُ حتَّى دَخَل عليه، فإذا ليس عِندَه إلَّا رجُلٌ واحدٌ، فقال له أبو مِحجَنٍ: يا أميرَ المؤمِنينَ، إنَّ هذا لا يَحِلُّ لك؛ قد نهاك اللهُ عنِ التَّجسُّسِ، فقال عُمرُ: ما يقولُ هذا؟ فقال زَيدُ بنُ ثابتٍ وعبدُ اللهِ بنُ الأَرقَمِ: صَدَقَ يا أميرَ المؤمِنينَ، هذا التَّجسُّسُ. قال: فخَرَج عُمرُ وتَرَكَه)[1].

- وقال قَتادةُ في تفسيرِ قولِه: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾: (هل تَدْرون ما التَّجسُّسُ أوِ التَّجسيسُ؟ هو أن تَتَّبِعَ، أو تَبتغيَ عَيبَ أخيكَ؛ لِتطَّلِعَ على سِرِّه)[2].

آثار التَّجسُّسِ الممنوعِ[3]:

١- التَّجسُّسُ مَظهَرٌ مِن مَظاهِرِ سوءِ الظَّنِّ، وأثرٌ مِن آثارِه، فهو متولِّدٌ عن صفةٍ مذمومةٍ سيِّئةٍ نَهَى عنها الدِّينُ الحنيفُ.

٢- التَّجسُّسُ صورةٌ مِن صوَرِ ضَعفِ الإيمانِ، وضَعفِ التَّديُّنِ، وقِلَّةِ المراقَبةِ، هذا على الجانبِ الدِّينيِّ، أمَّا الأخلاقيُّ والسُّلوكيُّ فهو يدُلُّ على دناءةِ النَّفْسِ وخِسَّتِها، وضَعفِ هِمَّتِها، وانشغالِها بالتَّافهِ مِنَ الأمورِ عن مَعاليها وغاياتِها.

٣- التَّجسُّسُ سبيلٌ إلى قطعِ الصِّلاتِ، وتَقويضِ العَلاقاتِ، وظُهورِ العَداءِ بيْنَ الأَحبَّةِ، وبَثِّ الفُرقةِ بيْنَ الإخوانِ.

٤- التَّجسُّسُ يؤدِّي إلى فسادِ الحياةِ، فتُصبحُ مليئةً بالشُّكوكِ والتَّخوُّفاتِ، فلا يَأمَنُ الإنسانُ على خصوصيَّاتِه مِن أن تَنكشِفَ أو تَظهَرَ للنَّاسِ، بل يعيشُ

---

(١) أخرجه الثعلبي في ((الكشف والبيان)) (٩/ ٨٣).
(٢) ((جامع البيان)) للطبري (٢٢/ ٣٠٤).
(٣) ((التحرير والتنوير)) لمحمد الطاهر بن عاشور (٢٦/ ٢٥٣- ٢٥٤).

المرءُ في حالةٍ مِنَ الشَّكِّ الَّذي لا يَنتهي.

٥- التَّجسُّسُ سبيلٌ إلى الكراهيةِ، ودافعٌ إلى الانتقامِ، فإذا عَلِم شخصٌ ما أنَّ فُلانًا يَتجسَّسُ عليه ويُريدُ أن يَهتِكَ سِتْرَه ويَفضَحَ أمْرَه سعَى هو مِن جانبِه إلى التَّجسُّسِ عليه وفضْحِه وهكذا.

٦- التَّجسُّسُ سبيلٌ إلى إشاعةِ الفاحشةِ بيْن المسْلمينَ، وانتشارِ السُّوءِ بيْنهُم، وذلك بما يَحصُلُ مِن نشرٍ لِما استُتِرَ مِنَ الفضائحِ، وإظهارٍ لِما خَفيَ مِنَ السَّوْءاتِ.

٧- التَّجسُّسُ دَليلٌ بيِّنٌ واضحٌ على سوءِ الطَّويَّةِ، وعلى نِفاقٍ يُعشِّشُ في القلبِ، وأنَّ صاحبَه بعيدٌ عنِ الإيمانِ وإنِ ادَّعاهُ، قَصِيٌّ عنِ التَّقوى وإنْ تَزيَّا بلِباسِها.

٨- أنَّ صاحبَه مُتوعَّدٌ بالفضيحةِ وكَشفِ العورةِ، حتَّى ولو كان في قَعرِ دارِه.

٩- وحسْبُ التَّجسُّسِ سُوءًا أنَّ صاحبَه يُعرِّضُ نفْسَه لغضبِ اللهِ واستِحقاقِ العذابِ الأليمِ، هذا في الآخرةِ، أمَّا في الدُّنيا فيَبقى مكروهًا مَبغوضًا مِنَ النَّاسِ، فهو دائمًا في محلِّ رِيبةٍ، لا يَأنَسون به، ولا يَرتاحون بحضورِه.

مِن صُوَرِ التَّجسُّسِ:

• مِن صوَرِ التَّجسُّسِ الممنوعِ:

- التَّجسُّسُ على بيوتِ المسْلمينَ، والاطِّلاعُ على عَوْراتِهم.

- اقتحامُ البيوتِ والخَلَواتِ بحُجَّةِ ضَبطِ مَن فيها مُتلبِّسينَ بالمعصيةِ، ولا شكَّ أنَّ هذا ممَّا لا يُبيحُه الشَّرعُ ولا يَقْبَلُه.

- التَّقصِّي والبحثُ عن مَعاصٍ وسيِّئاتٍ اقتُرِفَتْ في الماضي، والتَّجسُّسُ على أصحابِها لمعرفتِها.

- استماعُ المرءِ إلى حديثِ قَومٍ وهُم له كارِهونَ.

- التَّجسُّسُ على المسْلمينَ لصالحِ أعداءِ الدِّينِ.

• صوَرُ التَّجسُّسِ المشروع:

- التَّجسُّسُ على أعداءِ الأمَّةِ؛ لمعرفةِ عددِهم وعَتادِهم.

- تَتَبُّعُ المجرمينَ الخَطِرينَ وأهلِ الرِّيَبِ.

- تَفَقُّدُ الوالي لأحوالِ رعيَّتِه؛ لمعرفةِ المظلومينَ والمُحتاجينَ، وتأمينِ احتياجاتِهم؛ إذْ هُم أمانةٌ في عُنُقِ الوالي[1].

أسبابُ التَّجسُّسِ الممنوعِ:

١- الفُضولُ المَحضُ.

٢- قَصدُ الإيذاءِ والفضيحةِ.

٣- سوءُ الظَّنِّ.

٤- الانتقامُ والمعاملةُ بالمِثلِ: وذلك إذا عَلِمَ المُتجسَّسُ عليه أنَّ شخصًا ما يَتتبَّعُ عَوْرتَه ويَتجسَّسُ على خصوصيَّاتِه.

٥- الدَّافعُ الماديُّ: بأن يَكونَ مدفوعًا مِن جهةٍ ما للتَّجسُّسِ والتَّقصِّي بمقابلِ إغراءٍ مادِّيٍّ.

الوسائل المُعِينةُ على ترك التَّجسُّسِ:

١- أن يُراقِبَ اللهَ تبارَك وتعالى قبلَ كلِّ شيءٍ، ويَخشى أليمَ عقابِه، وقوَّةَ انتقامِه.

(١) ((عقوبة الإعدام)) لمحمد بن سعد الغامدي (ص: ٤٦٩).

٢- أن يَترُكَ الإنسانُ فُضولَه وحُبَّه للتَّفتيشِ والاستطلاعِ على الآخَرينَ.

٣- أن يُنمِّيَ في نفْسِه الحرصَ على وَحدةِ المسْلمينَ وتَرابُطِهم، والخوفَ مِن تَفكُّكِهم وتَقطُّعِ الأواصرِ بيْنهم.

٤- أن يَتدبَّرَ الشَّخصُ في النُّصوصِ القرآنيةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ وآثارِ السَّلفِ الَّتي تُحذِّرُ مِن هذه الصِّفةِ؛ فإنَّ في ذلك رادعًا قويًّا، وعلاجًا ناجِعًا.

٥- أن يَعرِفَ أنَّ ما يَفعَلُه هو أذيَّةٌ للمسْلمينَ بكلِّ المقاييسِ، وأنَّ أذيَّتَهُم لا تَجوزُ شرعًا.

٦- أن يَخشى المُتجسِّسُ مِنَ الفضيحةِ الَّتي تَوعَّدَ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ الَّذين يَتتبَّعون عَوْراتِ النَّاسِ، وأنَّ اللهَ سيَفضَحُهم ولو في قعرِ دُورِهم.

التَّجسُّسُ في واحةِ الشِّعرِ:

قال الشَّاعرُ:

لا تَلتمِسْ مِن مَساوي النَّاسِ ما سَتَروا ... فيَهتِكَ النَّاسُ سِترًا مِن مَساويكَا

واذكُرْ مَحاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تَعِبْ أحدًا عَيْبًا بما فيكَا[1]



(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص: ١٢٨).

التَّعسير

معنَى التَّعسيرِ:

التَّعسيرُ لُغةً: مِن العُسْرِ، وهو نقيضُ اليُسْرِ. والعُسْرةُ: قِلَّةُ ذاتِ اليدِ. وكذلك الإِعْسارُ. والعُسْرى: الأُمورُ الَّتي تَعسُرُ ولا تَتيسَّرُ، واليُسْرى: ما استَيْسَرَ منها[1].

التَّعسيرُ اصطلاحًا: أن يُشدِّدَ الإنسانُ على نفْسِه أو غيرِه في أمرِ الدِّينِ؛ بالزِّيادةِ على المشروعِ، أو في أمرِ الدُّنيا؛ بتركِ الأَيسَرِ ما لم يَكُنْ إثمًا[2].

ذمُّ التَّعسيرِ والنَّهيُ عنه من القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ۝٦﴾ [الطلاق: ٦].

قال إسماعيلُ حقِّي رحِمه الله: (فيه مُعاتبةٌ للأمِّ على المُعاسَرةِ، كما تَقولُ لِمَن تَستَقضيه حاجةً فيَتَوانَى: سيَقضيها غيرُك، تُريدُ أن تَبقى غيرَ مَقضيَّةٍ فأنتَ مَلومٌ)[3].

- عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))[4].

---

(١) ((العين)) للفراهيدي (١/ ٣٢٧)، ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (٢/ ٤٨).

(٢) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (٩/ ٤٢٠٩).

(٣) ((تفسير روح البيان)) لإسماعيل حقي (١٠/ ٢٩).

(٤) أخرجه البخاري(٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ التَّعسيرِ:

- ((كان أبو موسى رَضيَ اللهُ عنه يُشَدِّدُ في البولِ، ويَبولُ في قارورةٍ، ويقولُ: إنَّ بَني إسرائيلَ كان إذا أصابَ جِلْدَ أحدِهم بَولٌ قَرَضَه بالمَقاريضِ، فقال حُذَيفةُ رَضيَ اللهُ عنه: لَوَدِدْتُ أنَّ صاحبَكُم لا يُشدِّدُ هذا التَّشديدَ؛ فلقد رأيْتُني أنا ورسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ نَتماشى، فأَتى سُباطةً خَلْفَ حائطٍ، فقامَ كما يَقومُ أحدُكُم، فبالَ، فانتبَذْتُ منه، فأشارَ إليَّ، فجِئتُ، فقُمْتُ عِندَ عَقِبه حتَّى فَرَغَ))[١].

- وقال الضَّحَّاكُ رحِمه اللهُ: (مَن كان ذا عُسْرةٍ فنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرةٍ، وكذلك كلُّ دَينٍ على المسْلمِ، فلا يَحِلُّ لمسْلمٍ له دَينٌ على أخيهِ يَعلَمُ منه عُسْرةً أن يَسجُنَه، ولا يَطلُبَه حتَّى يُيسِّرَه اللهُ عليه)[٢].

- وقال عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحِمه اللهُ: (مَن لم يَكُنْ له إلَّا مَسكَنٌ فهو واللهِ مُعسِرٌ، ممَّن أمَرَ اللهُ بإنظارِه)[٣].

- وقال ابنُ حجَرٍ رحِمه اللهُ: (لا يَتعمَّقُ أحدٌ في الأعمالِ الدِّينيَّةِ ويَترُكُ الرِّفقَ إلَّا عَجَز وانقَطَع فيُغلَبُ)[٤].

مِن صُوَرِ التَّعسيرِ:

١- التَّعسيرُ على المَدِينِ عند تأخُّرِه عن قضاءِ الدَّينِ لعدَمِ مَقدِرتِه، وعدَمُ إنظارِه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٥)، ومسلم (٢٧٣) واللفظ له.
(٢) ((الدر المنثور)) للسيوطي (٢/ ١١٣).
(٣) ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٢/ ٥٥٢).
(٤) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ١١٧).
(٥) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤).



٢- التَّعسيرُ في النَّفقةِ، وهي قلَّةُ إنفاقِ الرَّجُلِ على أهلِه، إذا كان هذا باختِيارِه مع مَقدِرتِه على الإنفاقِ بجُودٍ.

٣- التَّعسيرُ مع الأَجيرِ؛ بعدَمِ إعطائِه حقَّه كاملًا أو ببَخسِه.

٤- التَّعسيرُ على مَن أرادَ النِّكاحَ؛ بالمُغالاةِ في مُهورِ النِّكاحِ، بل واشتراطِ بعضِ الشُّروطِ الخارجةِ عن حدودِ الطَّاقةِ.

٥- التَّعسيرُ على الفَقيرِ والمُحتاجِ؛ كأنْ يَطلُبَ الفقيرُ مِن غنيٍّ شيئًا، فيَطلُبَ منه الغنيُّ قبل ذلك أمورًا عسيرةً يَفعَلُها حتَّى يُجيبَه لِمَطلَبِه.

٦- تعسيرُ وُلاةِ الأمورِ على الرَّعيَّةِ؛ بعدَمِ تلبيةِ حاجاتِهم، أو وضعِ العوائقِ الكثيرةِ للحصولِ على تلك الحاجيَّاتِ.

٧- تعسيرُ المرءِ على غيرِه في الدَّعوةِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ.

٨- تعسيرُ المرءِ على نفْسِه بالأخذِ بأعلى درَجاتِ العبادةِ، وهذا عادةً ما يَعقُبُه فُتورٌ قد يَجعلُ المرءَ يَترُكُ العبادةَ مِن أصلِها.

مَضارُّ التَّعسيرِ:

١- وضعُ بعضِ النَّاسِ في ضِيقٍ وحرجٍ قد يَدفَعُهم إلى بعضِ الأفعالِ المحرَّمةِ؛ لدفعِ ذلك التَّعسيرِ الواقعِ عليهم.

٢- ظهورُ البُغضِ والعداوةِ بيْن المُعسِّرِ والواقعِ عليه ذلك التَّعسيرُ.

٣- نزْعُ أواصرِ المَحبَّةِ والرِّفقِ بيْن النَّاسِ؛ فيُصبِحُ المرءُ لا يبحثُ إلَّا عمَّا يَنفَعُه وحْدَه ولو أَضرَّ بالنَّاسِ أَجمَعينَ.

٤- تَنفيرُ النَّاسِ مِن طريقِ الخيرِ وعبادةِ اللهِ، ودفْعُهم إلى طُرُقِ الشَّيطانِ.

٥- المُغالاةُ في الأخذِ بالعزيمةِ والشِّدَّةِ يَدفَعُ المرءَ إلى إنهاكِ بدنِه وإتعابِه بغيرِ وجْهِ حقٍّ.

٦- أنَّ المُعسِّرَ على نفْسِه لا يَبلُغُ فيما يرجوه، بل يقعُ عادةً فُتورٌ بعد تعسيرِه يَجعلُه يَمتنِعُ مِنَ العبادةِ بالكلِّيَّةِ.

٧- أنَّ كلَّ مُتنطِّعٍ في الدِّينِ يَنقطِعُ.

أسباب الوقوع في التَّعسير:

١- مخالَفةُ هدْيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الآمِرِ بالبُعدِ عنِ التَّعسيرِ.

٢- تزيينُ الشَّيطانِ للمرءِ مِثلَ هذا التَّعسيرِ، وإظهارُ أنَّه أفضلُ النَّاسِ عِندَ ربِّ العالَمينَ.

٣- ضَعفُ الإيمانِ يَجعَلُ المرءَ يوقِعُ التَّعسيرَ على غيرِه لأسبابٍ دُنيويَّةٍ وَضيعةٍ.

٤- ضَعفُ أواصرِ المَحبَّةِ والأُلْفةِ بيْن المسْلمينَ.

٥- قِلَّةُ المُربِّينَ والموجِّهينَ المُخلِصينَ الَّذين يَعلَمون ويؤَصِّلون في النَّاسِ أُصولَ الدِّينِ.

٦- الانهماكُ في الدُّنيا، والإكثارُ مِن جمعِ حُطامِها بغيرِ اعتبارٍ للشَّرعِ الحَنيفِ.

٧- الجهلُ بحقيقةِ الشَّرعِ، فيَعتقِدُ أنَّ الاتِّباعَ بكثرةِ العملِ حتَّى لو كان العملُ لم يُشْرَعْ.

الوسائل المُعِينةُ على ترك التَّعسير:

١- أن يَعلَمَ ذلك المُعسِّرُ على غيرِه أنَّ الأيَّامَ دُوَلٌ؛ يومٌ لك ويومٌ عليك، وقد تَشرَبُ مِنَ الكأسِ نفْسِه الذي سقَيْتَه أخاك.



٢- الاقتصادُ في العبادةِ.

٣- أنْ يُعامِلَ المرءُ غيرَه بما يُحِبُّ أن يُعامِلوه به.

٤- أنَّ مِن مَعالِمِ الجُودِ والكرمِ أن يَدفَعَ المرءُ مالَه لأجلِ نفعِ غيرِه مِن غيرِ أن يَنتظِرَ منهم جزاءً أو شُكورًا، فكيف بمَن يُعطِي ويَعلَمُ أنَّه سيَأخُذُ مالَه لكنَّ مَدِينَه أَعسَرَ، فهو أَوْلى بإنظارِه، بل أَوْلى أن يَضَعَ عنه مِن دَينِه إن لم يُسقِطْ عنه المال.

التَّعسيرُ في واحةِ الشِّعر:

قال الشَّاعرُ:

فإنْ يَكُنِ الرَّحمنُ أعطاك ثَروةً ... فأصبحْتَ ذا يُسرٍ وقد كنتَ ذا عُسرِ

فتابِعْ له حمْدًا وشُكرًا مع الثَّنا ... يَزِدْكَ وتأمَنْ يا أخي مِنَ الفقرِ

وأَخرِجْ لحقِّ اللهِ منها مُبادِرًا ... لِمَن كان ذا فقرٍ قريبٍ وذي عسرِ[1]



(١) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (٣/ ٤٨).

التَّنفير

معنى التَّنفير:

التَّنفيرُ لُغةً: الذَّهابُ والفِرارُ والحِرانُ والشُّرودُ، والنَّفْرُ: التَّفرُّقُ، وأصلُه يَدُلُّ على تَجافٍ وتباعُدٍ؛ يُقالُ: نَفَرَ يَنْفِر نُفورًا ونِفارًا إذا فَرَّ وَذَهَبَ[1].

التَّنفير اصطلاحًا: هو لِقاءُ النَّاسِ أو مُعاملتُهم بالغِلظةِ والشِّدَّةِ ونحوِ ذلك ممَّا يَحمِلُ على النُّفورِ مِنَ الإسلامِ والدِّينِ، والتَّنفيرِ مِن المباحاتِ ومَصالِح الدُّنيا التي ليس فيها إسرافٌ أو تبذيرٌ[2].

ذمُّ التَّنفيرِ والنَّهيُ عنه من القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ لأنَّ هذا يُنفرِّهُم ويُبَغِّضُهم.

- وعن أبي مَسعودٍ الأَنصاريِّ رَضيَ اللهُ عنه قال: ((جاء رجُلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي واللهِ لَأَتأخَّرُ عن صَلاةِ الغَداةِ مِن أجْلِ فُلانٍ؛ ممَّا يُطيلُ بنا فيها، قال: فما رأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قَطُّ أشدَّ غضبًا في مَوعظةٍ منه يومَئذٍ، ثمَّ قال: يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنكم مُنفِّرينَ، فأيُّكم

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٨٣٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٥٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٢٢٧).

(٢) ((نضرة النعيم)) (٩/ ٤٢٩٧).

ما صَلَّى بالنَّاسِ فلْيُوجِزْ؛ فإنَّ فيهِمُ الكَبيرَ والضَّعيفَ وذا الحاجةِ))[1]، يعني: يُنفِّرون النَّاسَ عن دِينِ اللهِ[2].

- عن أبي موسى الأَشعَريِّ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بَعَثَه ومُعاذًا إلى اليمَنِ، فقال: ((يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتَطاوَعَا ولا تَختَلِفَا))[3].

أقوال السَّلف والعلماء في ذمِّ التَّنفير:

١- عن مَعْمَرٍ قال: (إنَّما العِلمُ أن تَسمَعَ بالرُّخصةِ مِن ثِقَةٍ، فأمَّا التَّشديدُ فيُحسِنُه كلُّ أحدٍ)[4].

٢- قال حكيمٌ: (أَفسَدَ النَّاسَ جاهلٌ ناسِكٌ، وعالِمٌ فاجرٌ؛ هذا يَدْعو النَّاسَ إلى جهْلِه بنُسُكِه، وهذا يُنفِّرُ النَّاسَ عن عِلمِه بفِسقِه)[5].

٣- جاء في وصْفِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: أَوسَعُ النَّاسِ صدرًا، وأصْدقُهم قولًا، وأَلْيَنُهم جانبًا، وأكرمُهم عِشرةً، يؤلِّفُ النَّاسَ ولا يُنفِّرُهم، ويُكرِمُ كريمَ كلِّ قَومٍ، ويوليِّهِ عليهِم، يَتفقَّدُ أصحابَه، ويُعطِي كلَّ جليسٍ نصيبَه، حتَّى لا يَحسِبُ جليسُه أحدًا أَكرَمَ عليه منه[6].

من صور التَّنفيرِ المذموم[7]:

(١) أخرجه البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٦).
(٢) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/ ٦١٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).
(٤) ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (١٤٦٨).
(٥) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) للسلمان (٢/ ١٧).
(٦) ((المرجع السابق)) (٥/ ٥٦٦).
(٧) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٦٩)، ((صيد الخاطر)) لابن الجوزي (ص: ٣٥٠)، ((أجنحة المكر الثلاثة)) لحبنكة الميداني (ص: ٤٦-٤٧)، ((الضياء اللامع من الخطب الجوامع)) للعثيمين (٢/ ٢١٥)، ((الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها)) للرحيلي (ص: ١٦٠).

١- المبالَغةُ في أخْذِ النَّاسِ بالدِّينِ، والتَّشدُّدُ فيه، والغُلوُّ في ذلك، وأخْذُهم بالعزائمِ دائمًا، وعدَمُ تَوخِّي الرُّخَصِ تخفيفًا عليهم، مع أنَّ اللهَ تبارَك وتعالى يُحِبُّ أن تؤْتَى رُخَصُه، كما يُحِبُّ أن تؤْتَى عزائمُه.

٢- تَقنيطُ النَّاسِ مِن رحمةِ اللهِ تبارَك وتعالى، وتَيئيسُهم مِنَ التَّوبةِ، وازدِراءُ المذْنِبينَ ونَبْذُهم، وربَّما وصلَ الحالُ للاعتداءِ عليهم بالشَّتمِ والأذيَّةِ البدَنيَّةِ.

٣- الإكثارُ مِن مواعظِ الوعيدِ والتَّخويفِ بالعذابِ والعقابِ، وعدَمُ تذكيرِ النَّاسِ بسَعةِ رحمةِ اللهِ تبارَك وتعالى، وحُسنِ وعْدِه، وفضْلِه العَميمِ، وخَيرِه الجَزيلِ.

٤- مُخاطبةُ النَّاسِ بما لا يَتحمَّلونَه؛ كالاختلافاتِ بيْن الفُقهاءِ وأقوالِ المُتكلِّمينَ في المُعتقَداتِ وغيرِها مِنَ الأمورِ الَّتي قد لا يَستوعبُها البعضُ أو يَفهَمونها على غيرِ فَهمِها الصَّحيحِ.

٥- التَّنفيرُ في دَعوةِ غيرِ المسْلمينَ؛ بحَمْلِهم على جميعِ أمورِ الدِّينِ دَفعةً واحدةً، دون التدرُّجِ معهم بما يُطيقونَ من الفَرائضِ والبُعدِ عنِ المُحرَّماتِ.

٦- التَّنفيرُ مِن النَّصيحةِ؛ كالنَّصيحةِ على الملأِ، وبما يُوغِر الصَّدرَ ويَصُدُّ عن قَبولِ النَّصيحةِ.

٧- تنفيرُ الأطفالِ عن الخَيرِ وأعمالِ الطاعةِ؛ كتنفيرِهم مِن إتيانِ المساجِدِ، والغِلظةِ في تَعليمِهم وتَدريبِهم على الخَيرِ.

٨- إكثارُ تنفيرِ العوامِّ مِن المباحاتِ الدُّنيويَّةِ؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

أنواعُ التنفيرِ:

التنفيرُ القوليُّ: ويكونُ بالكلامِ السيِّئ البَذيء، وكالتخويفِ والترهيبِ أكثرَ

مِن استعمالِ الاطمئنانِ والترغيبِ.

التنفير الفِعلي: ويكونُ بالعَملِ بخُلق مَذمومٍ في المجتمَع، كأنْ يَلقَى الناسَ بغِلظةٍ وشِدَّة، فينفرون منه، أو يَغشَّ ويَخدَعَ ويَكذِبَ ويَصنَعَ أفعالًا تُنافي الإسلامَ والخُلق الحَسَن.

مِن آثار التَّنفير:

١- ترْكُ النَّاسِ التَّمسُّكَ بأحكامِ الدِّينِ، وهجْرُهم للعباداتِ بسببِ التَّنفيرِ، بل قد يَصِلُ بهمُ الحالُ -مع ضَعفِ الإيمانِ- إلى تركِ الدِّينِ بكلِّيَّتِه.

٢- زُهدُ النَّاسِ في تعاليمِ الدِّينِ، وبُعدُهم عنها؛ لتَصوُّرِهم أنَّها تُشدِّدُ عليهم في حياتِهم.

٣- هِجرانُ العامَّةِ لمجالسِ الذِّكرِ والخَيرِ، ولو كانت لأعلَمِ أهلِ الأرضِ.

٤- قُنوطُ النَّاسِ مِن رحمةِ اللهِ تبارَك وتعالى، ويأْسُهم مِن نَوالِ مغفرتِه، وذلك يَحمِلُهم على تركِ الطَّاعةِ، والانخراطِ في المعصيةِ.

٥- يَلحَقُ المُنفِّرَ وِزرُ كلِّ مَن حَمَلَه تنفيرُه على التَّحوُّلِ مِنَ الحقِّ إلى طريقِ الباطلِ.

٦- يُورِثُ كُرهَ المجتمَعِ لصاحِبِها، وإفسادَ ذاتِ البَينِ.

٧- يُوقِعُ صاحبَه وغيرَه في الفِتنةِ.

أسبابُ الوقوع في التَّنفير:

١- قِلةُ العِلم بأصولِ الشريعةِ ومبادئِ الدعوةِ إلى اللهِ تبارَك وتعالى، وعدم الإلمامِ بفقهِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر.

٢- عدمُ مراعاةِ أحوالِ النَّاسِ واختلافِ طبائعِهم.

٣- اغترارُ المنفِّرِ بفِعلِه، وظَنُّه أنَّ ما يَفعلُه هو الصوابُ بعَينِه.

٤- تَعالِي بعضِ المحسوبينَ على الدعوةِ واغترارُهم بأنفسِهم، وظنُّهم أنَّهم خيرٌ مِن غيرهم.

٥- الإكثارُ المُبالَغُ فيه مِن المواعظِ والنُّصحِ؛ مما يدفع إلى النُّفرةِ بسَببِ المَلَلِ والسَّآمةِ.

٦- سوءُ الخُلُق، وجفاءُ الطَّبع.

الوسائل المُعِينة على ترك التَّنفير:

١- التَّأسِّي بطريقةِ رسولِ اللهِ صلى عليه وسلم في دعوته وتأليفِه لقلوبِ النَّاسِ.

٢- أن يَستشعِرَ الدَّاعيةُ حاجةَ النَّاسِ إلى الدَّاعيةِ البصيرِ، الهَيِّنِ اللَّيِّنِ، الَّذي يُقرِّبُهم مِنَ اللهِ، ويُحبِّبُهم إليه.

٣- تواضُعُ الدَّاعيةِ وعدَمُ تَعاليه.

٤- خوفُ الدَّاعيةِ مِن أن يَكونَ سببًا في ضلالِ النَّاسِ وإبعادِهم عنِ الدِّينِ، بسببِ تعامُلِه الفظِّ الغليظِ، وأنَّ ذلك قد يُعرِّضُه لعقابِ اللهِ تبارَك وتعالى وانتقامِه.

٥- أن يُلِمَّ الدُّعاةُ بفِقهِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ، فيَقوموا بهذا الواجبِ على بصيرةٍ وعِلمٍ.

٦- العِلمُ بأنَّ اللهَ هو الهادي، وأنَّك واسطةٌ لنقلِ تلك الهِدايةِ، فإذا امتثَلْتَ أمْرَ اللهِ وأمْرَ رسولِه تَحقَّقَتِ الهدايةُ على يدَيْك، وإلَّا فلا.

الجُبْنُ

معنى الجُبنِ:

الجُبنُ لُغةً: ضِدُّ الشَّجاعةِ، والجَبانُ مِنَ الرِّجالِ: الَّذي يَهابُ التَّقدُّمَ على كلِّ شيءٍ، لَيلًا كان أو نَهارًا[1].

الجُبْن اصطلاحًا: الخوفُ ممَّا لا يَنبغي أن يُخافَ منه[2].

ذمُّ الجُبنِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

- ووصَفَ اللهُ سبحانَه المُنافِقينَ بأنَّهم جُبناءُ، وأنَّهم لا يَصمُدون أمامَ الحروبِ والمعارِكِ، فقال: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٩، ٢٠].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ:

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ٨٤).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص: ٢٣).

((شَرُّ ما في رَجُلٍ شُحٌّ هالِعٌ، وجُبنٌ خالِعٌ))[1]، أي: شُحُّه مُلْقٍ له في الهَلَع، وجُبْنُه قد خَلَع قلْبَه مِن مَكانِه؛ فلا سماحةَ ولا شجاعةَ، ولا نفعَ بمالِه، ولا ببدنِه[2].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الجبن:

- قالت عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: (إنَّ للهِ خلْقًا، قُلوبُهم كقلوبِ الطَّيرِ، كلَّما خَفقَتِ الرِّيحُ خفقَتْ معها، فأُفٍّ للجُبَناءِ، أُفٍّ للجُبناءِ)[3].

- وقال خالدُ بنُ الوليدِ رَضيَ اللهُ عنه: (حضَرْتُ كذا وكذا زَحْفًا في الجاهليَّةِ والإسلامِ، وما في جسدي موضعٌ إلَّا وفيه طَعنةٌ برُمحٍ، أو ضربةٌ بسَيفٍ، وها أنا ذا أَموتُ على فِراشي؛ فلا نامتْ أَعيُنُ الجُبناءِ)[4].

- وقال ابنُ القَيِّم: (والجُبنُ والبُخلُ قَرينانِ؛ لأنَّهما عدَمُ النَّفعِ بالمالِ والبدنِ، وهُمَا مِن أسبابِ الألمِ؛ لأنَّ الجَبانَ تَفوتُه مَحبوباتٌ ومُفرِحاتٌ ومَلْذوذاتٌ عظيمةٌ لا تُنالُ إلَّا بالبَذلِ والشَّجاعةِ، والبخلُ يَحولُ بيْنه دُونَها أيضًا، فهذانِ الخُلُقانِ مِن أعظمِ أسبابِ الآلامِ)[5].

آثارُ الجبنِ ومَضارُّه[6]:

١- إهانةُ النَّفْسِ، وسوءُ العَيشِ، وطمَعُ طبقاتِ الأنذالِ وغَيرِهم.

٢- قِلَّةُ الثَّباتِ والصَّبرِ في المواطنِ الَّتي يَجبُ فيها الثَّباتُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد (٨٠١٠).
صححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود))، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٥/ ١٦٤).

(٢) ((عدة الصابرين)) لابن القَيِّم (ص: ٢٧٥).

(٣) ذكره النويري في ((نهاية الأرب)) (٣/ ٣١٨).

(٤) أخرجه الواقدي في ((المغازي)) (ص: ٨٨٤)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٦/ ٢٧٣).

(٥) ((بدائع الفوائد)) لابن القَيِّم (٢/ ٤٣٣).

(٦) ملخص من كتاب ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص: ١٧٠-١٧١).

٣- أنَّه سببٌ للكَسلِ ومَحبَّةِ الرَّاحةِ اللَّذَينِ هُمَا سببُ كلِّ رذيلةٍ.

٤- سببٌ للرِّضا بكلِّ رذيلةٍ وضَيمٍ.

٥- الدُّخولُ تحتَ كلِّ فضيحةٍ في النَّفْسِ والأهلِ والمالِ.

٦- أنَّ ما يوجِبُه الجُبنُ مِنَ الفِرارِ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ هو مِنَ الكبائرِ الموجِبةِ للنَّارِ.

عِلاج الجُبن:

الجُبنُ له أسبابٌ تَجعلُ الشَّخصَ جبانًا، ويَلزَمُ في علاجِه إزالةُ عِلَّتِه، وعِلَّتُه؛ إمَّا جهلٌ فيَزولُ بالتَّجرِبةِ، وإمَّا ضَعفٌ فيَزولُ بارتكابِ الفعلِ المَخوفِ مرَّةً بعدَ أُخرى، حتَّى يَصيرَ ذلك له عادةً وطبعًا[1].

الأمثال والشِّعرُ في الجُبنِ:

- مِن أمثالِهم في الجُبنِ: (إنَّ الجَبانَ حَتْفُه مِن فَوقِه)

أي: أنَّ حذَرَه وجُبنَه ليس بدافعٍ عنه المَنيَّةَ إذا نَزَل به قَدَرُ اللهِ.

- وقولُهم: (عَصَا الجبانِ أطوَلُ).

قال أبو عُبَيدٍ: (وأَحسَبُه إنَّما يَفعلُ هذا؛ لأنَّه مِن فشَلِه يرَى أنَّ طولَها أشدُّ ترهيبًا لعدُوِّه مِن قِصَرِها)[2].

- قال المُتنبِّي:

وإذا ما خَلَا الجبانُ بأرضٍ طلَبَ الطَّعنَ وحْدَهُ والنِّزالَا[3]

(١) ((مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق)) لابن النحاس (٢/ ٩٥٤) بتصرف.
(٢) ((الأمثال)) لابن سلام (ص: ٣١٦، ٣١٨).
(٣) ((ديوان المتنبي)) (ص: ٤١١).

الجدال والمِراء

معنى الجدلِ والمِراءِ:

الجَدلُ لُغةً: هو اللَّدَدُ في الخُصومةِ، والقدرةُ عليها، ومُقابَلةُ الحُجَّةِ بالحُجَّةِ؛ والمُجادَلةُ: المُناظَرةُ والمُخاصَمةُ؛ وسُمِّيَ بالخُصومةِ لشدَّتِه(١).

الجَدلُ اصطلاحًا: هو المفاوَضةُ على سَبيلِ المُنازَعةِ والمُغالَبةِ(٢).

المِراءُ لُغةً: الجِدالُ، والتَّماري والمُماراةُ: المُجادَلةُ على مذهبِ الشَّكِّ والرِّيبةِ، ويُقالُ للمُناظَرةِ: مُماراةٌ(٣).

المِراءُ اصطلاحًا: هو كَثرةُ المُلاحاةِ للشَّخصِ؛ لبيانِ غلَطِه وإفحامِه، والباعثُ على ذلك التَّرفُّعُ(٤).

ألفاظٌ مُرادِفةٌ للجِدالِ:

المُناظَرةُ: هي تردُّدُ الكلامِ بيْن شخصَينِ يَقصِدُ كلُّ واحدٍ منهما تصحيحَ قَولِه، وإبطالَ قولِ صاحبِه، مع رغبةِ كلٍّ منهما في ظُهورِ الحقِّ.

المُحاوَرةُ: هي المراجعةُ في الكلامِ، ومنه التَّحاوُرُ، أي: التَّجاوُبُ، وهي ضربٌ مِنَ الأدبِ الرَّفيعِ، وأُسلوبٌ مِن أساليبِه(٥).

---

(١) ((مجمل اللُّغة)) لابن فارس (١/ ١٧٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ١٠٥).

(٢) ((المفردات)) للراغب الأصفهاني (ص: ١٨٩).

(٣) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ٢٧٨)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٥٦٩).

(٤) ((التعريفات الاعتقادية)) لسعد آل عبد اللطيف (ص: ٢٦٥).

(٥) ((مناهج الجدل في القرآن الكريم)) لزاهر الألمعي (ص: ٢٥).

الفرق بيْن الجدالِ والمِراءِ والحِجاجِ[1]:

المِراءُ والجِدالُ بمعنًى واحدٍ، غيرَ أنَّ المِراءَ مَذمومٌ؛ لأنَّه مُخاصَمةٌ في الحقِّ بعد ظُهورِه، وليس كذلك الجِدالُ. ولا يَكونُ المِراءُ إلَّا اعتراضًا، بخِلافِ الجِدالِ؛ فإنَّه يَكونُ ابتداءً واعتِراضًا.

والمطلوبُ بالحِجاجِ هو ظُهورُ الحُجَّةِ. والمطلوبُ بالجِدالِ: الرُّجوعُ عنِ المذهبِ.

ذَمُّ الجِدالِ والمِراءِ في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال سبحانَه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ [الحج: ٨].

- وقال جلَّ شأنُه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤]، أي: شديدُ الجدالِ والخُصومةِ والعَداوةِ للمسْلمينَ[2].

- وعن أبي أُمامةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ما ضَلَّ قومٌ بَعدَ هُدًى كانوا علَيهِ إلَّا أُوتُوا الجَدَلَ. ثمَّ قرَأ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ هذهِ الآيةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]))[3].

- وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ:

---

(١) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٥٨- ١٥٩)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٥٦٩).

(٢) ((عمدة القاري)) للعيني (١٨/ ١١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٢٢١٦٤). قال الترمذي: حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٥٦٣٣).

((إنَّ أَبغَضَ الرِّجالِ إلى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ))[1]؛ وذلك لأنَّه لَمَّا كان اللَّدَدُ حاملًا على المَطْلِ بالحقوقِ، والتَّعريجِ بها عن وُجوهِها، واللَّيِّ بها عن مُستحِقِّيها، وظُلْمِ أهْلِها؛ استحَقَّ فاعلُ ذلك بِغضةَ اللهِ وأليمَ عقابِه[2].

أقوال السَّلف والعُلماءِ في ذمِّ الجِدالِ والمِراء:

- عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما قال: (لا تُمارِ أخاك؛ فإنَّ المِراءَ لا تُفهَمُ حِكمتُه، ولا تؤْمَنُ غائِلتُه...)[3].

- وقال ابنُ عُمرَ رَضيَ اللهُ عنهُما: (ولن يُصيبَ رجُلٌ حَقيقةَ الإيمانِ حتَّى يَترُكَ المِراءَ وهو يَعلَمُ أنَّه صادقٌ، ويَترُكَ الكذِبَ في المُزاحةِ)[4].

- وقال مالكُ بنُ أنسٍ: (المِراءُ يُقسِّي القلوبَ، ويورِثُ الضَّغائِنَ)[5].

- وقال مسْلمُ بنُ يَسارٍ: (إيَّاكُم والمِراءَ؛ فإنَّها ساعةُ جهلِ العالِمِ، وبها يَبتغي الشَّيطانُ زَلَّتَه)[6].

أقسام الجِدال:

يَنقسِمُ الجِدالُ إلى قِسمَينِ:

القسمُ الأول: الجِدال المحمود

وهو الَّذي يَقومُ على تَقريرِ الحقِّ وإظهارِه؛ بإقامةِ الأدلَّةِ والبَراهينِ على صِدقِه. وفيه خيرٌ للإسلامِ، وعِزَّةٌ للمسْلمينَ؛ لأنَّ فيه الدَّعوةَ إلى اللهِ، والذَّبَّ عن

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).
(٢) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (٨/ ٢٥٩).
(٣) ((جامع الأصول)) لابن الأثير (٢/ ٧٥٣) (١٢٦٢).
(٤) ((الزهد)) لأحمد بن حنبل (ص: ٢٦٩).
(٥) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١١٧).
(٦) ((أخلاق العلماء)) للآجري (ص: ٥٧).

دينِه، وقد جاءتْ نُصوصٌ تأمُرُ بهذا النَّوعِ مِنَ الجِدالِ، وهي الَّتي تَتعلَّقُ بإظهارِ الحقِّ، والدَّلالةِ عليه، والدَّعوةِ إليه، وتَدفَعُ كلَّ ما يَلحَقُ بالإسلامِ والمسْلمينَ مِن أذًى وإلصاقِ تُهَمٍ باطلةٍ.

القسمُ الثَّاني: الجِدال المذموم

هو الجدالُ الَّذي يقومُ على تقريرِ الباطلِ، وطلَبِ المالِ والجاهِ، ويقومُ على الزُّورِ، وإضاعةِ الحقوقِ، ونَشرِ الشَّهَواتِ والشُّبُهاتِ، والتَّشكيكِ في الغَيبيَّاتِ الَّتي أُمِرْنا بالإيمانِ بها والتَّسليمِ والتَّصديقِ؛ كأخبارِ الوَحيِ، وأسماءِ اللهِ وصِفاتِه، والبعثِ والنُّشورِ والجنَّةِ والنَّارِ.

آثارُ الجِدالِ والمِراءِ غير المَحمودَينِ وأضرارُهما:

- مِن فُضولِ الكلامِ الَّذي يُعابُ عليه صاحبُهما.
- قد يؤدِّي الجدَلُ الباطلِ إلى تكفيرِ الآخَرينَ أو تفسيقِهم.
- تذْكيةُ العداوةِ، وتوريثُ الشِّقاقِ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.
- يَقودانِ صاحبَهما إلى الكذِبِ.
- يؤدِّيانِ إلى إطلاقِ اللسانِ في بَذيءِ الألفاظِ.
- يؤدِّيانِ إلى إنكارِ الحقِّ وردِّه.

مِن آدابِ الجِدالِ المحمودِ:

١- صِدقُ النيَّة في نُصرةِ الحقِّ والدَّعوةِ إلى دِينِ اللهِ تعالى، وتَرْكُ الرِّياءِ والسُّمعةِ وطلَبِ الجاهِ والرِّفعةِ.

٢- التَّحلِّي بالعِلمِ الصَّحيحِ المُستفادِ مِن كِتابِ اللهِ تعالى، ومِن سُنَّةِ رسولِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وما كان عليه سلفُ هذهِ الأُمَّةِ الصَّالحُ.

٣- رَدُّ الاختِلافِ إلى كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ.

٤- تقديمُ النَّقلِ ونُصوصِه على العقلِ وظُنونِه.

٥- التَّحلِّي بالأخلاقِ الإسلاميَّةِ العاليةِ أثناءَ الجِدالِ؛ مِنَ القولِ المُهذَّبِ، واحترامِ الآخَرينَ، وعدَمِ الطَّعنِ في الأشخاصِ أو لَمْزِهم والاستِهزاءِ بهم.

٦- أنَّ تكونَ الغايةُ إظهارَ الحقِّ، وإقناعَ النَّاسِ به، مع الابتعادِ عنِ الباطلِ وتلبيسِه على النَّاسِ.

حِكَمٌ وأمثال وشِعرٌ في الجدال والمِراء[1]:

- المِراءُ لؤْمٌ.

- يُقالُ: لا تُمارِ حَكيمًا ولا سَفيهًا؛ فإنَّ الحكيمَ يَغلِبُك، والسَّفيهَ يؤْذِيك.

- قال لُقمانُ: يا بُنيَّ، مَن لا يَملِكْ لسانَه يَندَمْ، ومَن يُكثِرِ المِراءَ يُشتَمْ، ومَن يُصاحِبْ صاحبَ السُّوءِ لا يَسلَمْ، ومَن يُصاحِبِ الصَّالحَ يَغنَمْ.

- قال العَرْزَميُّ:

نَصحْتُكَ فيما قُلْتُهُ وذَكَرْتُهُ ... وذلك حَقٌّ في المَودَّةِ واجِبُ

لا تَركَنَنَّ إلى المِراءِ فإنَّهُ ... إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وللغَيِّ جالِبُ

(١) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (ص: ٢٩٥)، ((الأمثال المولدة)) للخوارزمي (ص: ١٢٣)، ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/ ١٨).

- وقال زَيدُ بنُ جُندُبٍ الإِياديُّ:

كنَّـــا أُناسًـــا علـــى دِيـــنٍ ففرَّقَنا طُولُ الجِـدالِ وخَلْطُ الجِـدِّ باللَّعِبِ
ما كان أَغنَى رِجالًا ضَلَّ سَـــعْيُهمُ عنِ الجِـدالِ وأَغناهُم عنِ الخُطَبِ[1]



(١) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (١/ ٥٨).

الجَزَع

معنى الجزع:

الجَزَعُ لُغةً: نَقيضُ الصَّبرِ، مصدر جَزَعْتُ الواديَ، إذا قطعته عرضا، وهو انقطاعُ المُنَّةِ عن حَمْلِ ما نَزَل[1].

الجَزَع اصطلاحًا: إظهارُ ما يَلحَقُ المُصابَ مِنَ المَضَضِ والغَمِّ. وقيل: حزنٌ يَصرِفُ الإنسانَ عمَّا هو بصَدَدِه، ويَقطَعُه عنه[2].

الفرق بين الجَزَع والفَزَع ورِقَّة القلبِ[3]:

الفَزَعُ: ما يَعتَري الإنسانَ مِنَ الشَّيءِ المُخيفِ، والجَزَعُ: ممَّا يَعتَري مِنَ الشَّيءِ المؤلِمِ، والفَزَعُ لفظٌ عامٌّ، سواءٌ كان عارِضًا عن أمَارةٍ ودَلالةٍ، أو حاصلًا لا عن ذلك.

والجَزَعُ ضَعفٌ في النَّفْسِ، وخَوفٌ في القلبِ، يَمُدُّه شدَّةُ الطَّمعِ والحرصِ، ويَتولَّدُ مِن ضَعفِ الإيمانِ بالقَدَرِ... أمَّا رِقَّةُ القلبِ فإنَّها مِنَ الرَّحمةِ.

ذمُّ الجزَعِ والنَّهيُ عنه في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى حكايةً عن أهلِ النارِ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١﴾ [إبراهيم: ٢١].

---

(١) ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (١/ ٢٢١)، ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ١١٩٦)، ((مقاييس اللُّغة)) لابن فارس (١/ ٤٥٣).

(٢) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٠٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٩٤-١٩٥).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٣٤)، ((الروح)) لابن القيِّم (ص: ٢٥٠).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

- عن جُندُبِ بنِ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((كان فيمَنْ كان قَبْلَكُم رجُلٌ به جُرْحٌ، فجَزِعَ، فأَخَذَ سِكِّينًا فحَزَّ بها يَدَهُ، فما رَقَأَ الدَّمُ حتَّى ماتَ، قال اللهُ تعالى: بادَرَني عَبْدي بنَفْسِه، حَرَّمْتُ علَيهِ الجَنَّةَ))[١].

أقوالُ السَّلف والعلماءِ في الجَزَع:

- قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه للأَشعَثِ بنِ قَيسٍ: (إنَّك إنْ صَبَرْتَ جرَى عليك القلمُ وأنت مأجورٌ، وإنْ جزِعتَ جرَى عليك القلمُ وأنتَ مأْزورٌ)[٢].

- قال عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ: (ليس الجَزَعُ أنْ تَدمَعَ العَينُ ويَحزَنَ القلبُ، ولكنِ الجَزَعُ القولُ السَّيِّئُ والظَّنُّ السَّيِّئُ)[٣].

- وقال بعضُ الحُكماءِ: (إنْ كنتَ تَجزَعُ على ما فات مِن يدِك، فاجزَعْ على ما لا يَصِلُ إلَيك)[٤].

أقسام الجَزَع:

١- الجَزَع في الخطايا؛ بأن يَجزَعَ الرَّجُلُ إليها.

٢- الجزَع في المصائب: وهو ألَّا يَحتسِبَها العبدُ عِندَ اللهِ ولا يَرجوَ ثَوابَها، ويرَى أنَّه سوءٌ أصابَه، فذلك الجَزَعُ، ويَفعَلُ ذلك وهو مُتجلِّدٌ لا يَبِينُ منه إلَّا الصَّبرُ[٥].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٣) واللفظ له، ومسلم (١١٣).
(٢) ((أدب الدنيا والدِّين)) للماوردي (ص: ٢٨٨).
(٣) ((عدة الصابرين)) لابن القيِّم (ص: ٩٩).
(٤) ((أدب الدنيا والدِّين)) للماوردي (ص: ٢٨٩).
(٥) يُنظر: ((الصبر والثواب)) لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٩).

آثارُ الجزَع ومَضارُّه[1]:

١- الدُّعاءُ على النَّفْسِ.

٢- يورِثُ الحسرةَ.

٣- بقاءُ النَّدامةِ.

٤- فواتُ الأجرِ.

٥- تَضاعُفُ المصيبةِ.

٦- زيادةُ البلاءِ.

مِن صوَرِ الجَزَع:

١- تَمنِّي الموتِ.

٢- ضرْبُ الخُدودِ.

٣- شَقُّ الثِّيابِ.

٤- نَشْرُ الشُّعورِ.

٥- الدُّعاءُ بالوَيلِ والثُّبورِ.

مِن أسبابِ الوُقوعِ في الجَزَع[2]:

١- تَذكُّرُ المصابِ حتَّى لا يَتناساهُ، وتَصوُّرُه حتَّى لا يَعزُبُ عنه، ولا يَجِدُ مِنَ التَّذْكارِ سَلْوةً، ولا يَخلِطُ مع التَّصوُّرِ تعزيةً.

٢- الأسفُ وشِدَّةُ الحسرةِ، فلا يَرَى مِن مُصابِه خَلَفًا، ولا يَجِدُ لمفقودِه بدَلًا؛ فيَزدادُ بالأسفِ وَلَهًا، وبالحسرةِ هَلَعًا.

---

(١) ((فيض القدير)) للمناوي (١/ ٣٣٠).
(٢) ((أدب الدنيا والدِّين)) للماوردي (ص: ٢٩٨).



٣- كثرةُ الشَّكْوى، وبَثُّ الجَزَعِ.

٤- عدَمُ تَوطينِ النَّفْسِ على وُقوعِ المكروهِ.

٥- اليأسُ مِن جَبرِ مُصابِه، وطِلابِه، فيَقترِنُ بحُزنِ الحادثةِ قُنوطُ الإياسِ، فلا يَبقَى معهما صبرٌ، ولا يَتَّسِعُ لهما صدْرٌ.

٦- ضَعفُ الإيمانِ، وعدَمُ الاستعانةِ باللهِ في المصيبةِ.

الوَسائلُ المُعينةُ على تركِ الجَزَعِ[1]:

١- قوَّةُ الإيمانِ.

٢- ذِكرُ اللهِ.

٣- أن يَصبِرَ على ما نَزَل به مِن مَكروهٍ.

٤- تَوقُّعُ حدوثِ المصائبِ.

٥- الرِّضا بالقضاءِ، ومعرفةُ أنَّ المَقدورَ لا حيلةَ في دفْعِه.

٦- العِلمُ بأنَّ الجزَعَ يُشمِتُ الأعداءَ، ويَسوءُ الأصدقاءَ.

٧- العِلمُ بأنَّ الجزَعَ يُغضِبُ اللهَ، ويَسُرُّ الشَّيطانَ.

الأمثال والشِّعرُ في الجَزَع:

- (هذا ولَمَّا تَرَى تِهامةَ): يُضرَبُ مثَلًا للرَّجلِ يَجزَعُ قبل أن يَستحكِمَ ما يَجزَعُ منه[2].

- (مَن جَزِعَ اليومَ مِنَ الشَّرِّ ظَلَمَ): يُضرَبُ عِندَ صلاحِ الأمرِ بعد فسادِه، أي:

(١) ((زاد المعاد)) لابن القيِّم (٤/ ١٩٢)، بتصرف.

(٢) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (٢/ ٣٦٤).

لا شرَّ يُجزَعُ منه اليَومَ[1].

- قال الإمامُ الشَّافعيُّ رحِمه اللهُ:

دَعِ الأيَّـــامَ تَفعَـــلُ مـــا تَشـــاءُ ... وطِبْ نَفْسًـــا إذا حَكَـــمَ القَضاءُ

ولا تَجـــزَعْ لحادثـــةِ اللَّيالـــي ... فمـــا لحـــوادثِ الدُّنيـــا بَقـــاءُ

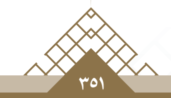
ورِزْقُـــكَ ليـــس يَنقُصُـــهُ التَّأنِّي ... وليـــس يَزيدُ فـــي الـــرِّزقِ العَناءُ

ولا حُـــزْنٌ يَـــدومُ ولا سُـــرورُ ... ولا بـــؤْسٌ عليـــك ولا رَخـــاءُ[2]



(١) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (٢/ ٣١٨).

(٢) ((صيد الأفكار)) للقاضي المهدي (١/ ١٤٧).



الجفاء

معنى الجَفاء:

الجفاء لُغةً: أصلُ الجَفاءِ يدلُّ على نُبُوِّ الشَّيءِ عنِ الشَّيءِ. والجَفاءُ: خِلافُ البِرِّ، والجُفاءُ: ما نفاهُ السَّيلُ، ومنه اشتِقاقُ الجَفاءِ[1].

الجَفاءُ اصطلاحًا: الغِلَظُ في العِشرةِ، والخُرقُ في المعامَلةِ، وترْكُ الرِّفقِ في الأمورِ[2].

ذمُّ الجَفاءِ والنَّهيُ عنه من القرآن الكريم والسُّنَّة:

- قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ يَمتَنُّ اللهُ على رسولِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بما أَودَعَ في قلبِه مِنَ الرَّحمةِ والعطفِ على المؤمِنينَ، وأنَّه لو كان مُتَّصِفًا بالجَفاءِ والغِلظةِ وقَسوةِ القلبِ لن يَجِدَ ممن حَوْلَه أحدًا.

- عن أبي مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((الإيمانُ هاهنا -وأشارَ بيدِه إلى اليمَنِ-، والجَفاءُ وغِلَظُ القُلوبِ في الفَدَّادِينَ، عِندَ أُصولِ أَذنابِ الإبِلِ، حيثُ يَطلُعُ قَرْنُ الشَّيطانِ في رَبيعةَ ومُضَرَ))[3].

---

(١) ((مقاييس اللُّغة)) لابن فارس (١/ ٤٦٥)، ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/ ٢٨٠، ٢٨١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/ ١٤٧).

(٢) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ١٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٧)، ومسلم (٥١).

- وعن أبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((الحَياءُ مِنَ الإيمانِ، والإيمانُ في الجَنَّةِ، والبَذاءُ مِنَ الجَفاءِ، والجَفاءُ في النَّارِ))[1].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الجَفاء:

- قال مالكُ بنُ أنسٍ: (ما قَلَّتِ الآثارُ في قَومٍ إلَّا كثُرَتْ فيهِمُ الأهواءُ، وإذا قَلَّتِ العلماءُ ظَهَر في النَّاسِ الجَفاءُ)[2].

- وقال سُفيانُ الثَّوْريُّ: (وإيَّاك ومُجالَسةَ أهلِ الجَفاءِ، ولا تَصحَبْ إلَّا مؤْمِنًا، ولا يَأكُلْ طعامَك إلَّا تَقيٌّ، ولا تُصاحِبِ الفاجرَ ولا تُجالِسْهُ)[3].

- وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال: (أربعةٌ تُعَدُّ مِنَ الجَفاءِ: دخولُ الرَّجلِ المسجدَ يُصلِّي في مؤخَّرِه ويَدَعُ أن يَتقدَّمَ في مُقدَّمِه؛ ويَمُرُّ الرَّجُلُ بيْن يدَيِ الرَّجلِ وهو يُصلِّي؛ ومَسْحُ الرَّجلِ جبهتَه قبلَ أن يَقضيَ صَلاتَه؛ ومؤاكَلةُ الرَّجلِ مع غيرِ أهلِ دينِه)[4].

- قال يحيى بنُ مُعاذٍ رحِمه اللهُ: (حقيقةُ المَحبَّةِ لا يَزيدُها البِرُّ، ولا يَنقُصُها الجَفاءُ)[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٤)، وابن حبان (٥٧٠٤)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٥٠٥٥). قال البخاري في ((العلل الكبير)) (٣١٥): محفوظ. وصححه الحاكم في ((المستدرك)) (١/ ١١٨) وقال: على شرط الشيخين. والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤١٨٤).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في ((الفقيه والمتفقه)) (١/ ٣٨٣) عن ابن أبي أويس.

(٣) أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٧/ ٤٧).

(٤) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/ ٤٢) (٩٣٨٠).

(٥) ذكره الراغب الأصفهاني في ((محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء)) (٢/ ٤١١).

من صوَرِ الجَفاء[1]:

١- جَفاءُ العبدِ مع ربِّه، وهو مَوْلاهُ والمُطَّلِعُ عليه.

٢- الجَفاءُ مع نَبيِّه، ومِن ذلك أنَّه لا يُصلِّي عليه إذا ذُكِر عِندَه.

٣- الجَفاءُ مع الوالدَينِ، بالتَّأفُّفِ وغِلَظِ القولِ لهما، أو قَطعِهِما ونَحوِه، وهذا مِن أعظَمِ الجَفاءِ وأشَدِّه، بل هو العقوقُ بعَيْنِه.

٤- جَفاءُ الرَّجلِ مع زوجتِه وأبنائِه.

٥- الجَفاءُ مع الصَّديقِ لأيِّ سببٍ كائنٍ مِنَ الأسبابِ.

٦- الجَفاءُ مع مَن أحسَنوا إليك وأعانُوك عِندَ حاجتِك.

آثارُ الجَفاءِ:

١- التَّنافُرُ بيْن النَّاسِ، خاصَّةً إذا كان هذا هو الأصلَ في التَّعامُلِ بيْنهم.

٢- أن يُحرَمَ الجافي مِن إعانةِ النَّاسِ له عِندَ الشَّدائدِ.

٣- توعُّدُه بالعقوبةِ الأُخرويَّةِ بالعذابِ في النَّارِ.

٤- غيابُ الصَّديقِ المؤانِسِ عِندَ الوَحشةِ.

٥- ابتعادُ النَّاسِ عنه في المعاملاتِ؛ إذْ إنَّه نَفَّرهُم مِن مُخالَطتِه.

أسباب الوقوع في الجَفاء:

١- ضَعفُ الإيمانِ، وقلَّةُ العِلمِ.

٢- تزيينُ الشَّيطانِ له بأنَّ هذا الفعلَ هو مِنَ القوَّةِ الَّتي يَنبغي تَعاهُدُها مع الآخَرينَ.

---

(١) ((عدة الصابرين)) لابن القيِّم (١/ ٥٠).

٣- الحسدُ قد يولِّدُ الجفاءَ بيْن المتحاسِدينَ، ويوسِّعُ النَّفْرةَ بيْنهم.

٤- الاهتمامُ بالمنفعةِ الفرديَّةِ، ولو أدَّتْ إلى أضرارٍ جماعيَّةٍ.

٥- انعدامُ شَعيرةِ النُّصحِ والتَّوجيهِ لِمَن اتَّصَف بهذهِ الصِّفةِ، والمُعاتبةِ بالحُسنى حتَّى يَرْعَويَ.

٦- أن يَتربَّى الشَّخصُ على هذه الصِّفةِ منذُ الصِّغَرِ، أو يَكتسِبَها مِنَ المُجتمَعِ الَّذي حَوْلَه؛ فيَنشأَ عليها، وتَتجذَّرَ فيه، فيَصعُبَ عليه تَرْكُها.

٧- الكِبْرُ الَّذي يَقَعُ في قلوبِ بعضِ الجُفاةِ، ويَدفَعُهم إلى أن يُعامِلوا النَّاسَ بالجَفاءِ.

الوسائل المُعِينةُ على ترك الجفاء:

١- التَّزوُّدُ بالإيمانِ، والتَّضلُّعُ مِنَ العِلمِ النَّافعِ؛ فإنَّهما كَفيلانِ بترقيقِ الطَّبعِ، وتحسينِ الخُلُقِ.

٢- أن يَقتديَ بسيِّدِ الخلْقِ أَجمعينَ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في كيفيَّةِ مُعامَلتِه للنَّاسِ، وحِرصِه عليهم، ورِفقِه بهم.

٣- الاختلاطُ بالنَّاسِ، والصَّبرُ على أذاهُم سببٌ آخَرُ لتركِ هذا الخُلُقِ، وكلَّما بَعُدَ الإنسانُ عنِ النَّاسِ وتَجمُّعاتِهم غَلُظَ طَبْعُه، وقَسى قلبُه.

٤- التَّناصُحُ بيْن الإخوانِ، والعِتابُ بيْنهم بالحُسنى كَفيلٌ بأن يُهذِّبَ الجَفاءَ.

٥- أن يَعلَمَ مَن ابتُليَ بهذا الخلُقِ أنَّه قد يُعرِّضُ نفْسَه للعقوبةِ والعذابِ إن داومَ على سوءِ الخلُقِ وقَسوةِ القلبِ.

٦- أن يَعلَمَ أنَّه مُتَّصِفٌ ببعضِ صفاتِ الجبَّارينَ الَّذين يُبغِضُهمُ اللهُ تبارَك وتعالى.

الصَّبرُ على الجَفاءِ:

١- صَبرٌ عمَّن يَقدِرُ عليك ولا تَقدِرُ عليه.

٢- وصبرٌ عمَّن تَقدِرُ عليه ولا يَقدِرُ عليك.

٣- وصبرٌ عمَّن لا تَقدِرُ عليه ولا يَقدِرُ عليك.

فالأوَّلُ ذُلٌّ ومَهانةٌ، وليس مِنَ الفضائلِ، والرَّأيُ لِمَن خَشيَ ما هو أشدُّ ممَّا يَصبِرُ عليه المُتارَكةُ والمُباعَدةُ. والثَّاني: فضلٌ وبِرٌّ، وهو الحِلمُ على الحقيقةِ، وهو الَّذي يوصَفُ به الفُضلاءُ. والثَّالثُ يَنقسِمُ قِسمَينِ:

١- إمَّا أن يَكونَ الجَفاءُ ممَّن لم يَقَعْ منه إلَّا على سبيلِ الغلطِ، ويَعلَمُ قُبحَ ما أَتى به، ويَندَمُ عليه، فالصَّبرُ عليه فضلٌ وفرضٌ، وهو حِلمٌ على الحقيقةِ.

٢- وأمَّا مَن كان لا يَدري مِقدارَ نفْسِه ويَظُنُّ أنَّ لها حقًّا يَستطيلُ به فلا يَندَمُ على ما سلَفَ منه، فالصَّبرُ عليه ذُلٌّ للصَّابرِ، وإفسادٌ للمَصبورِ عليه؛ لأنَّه يَزيدُ استِشراءً، والمُقارَضةُ له سُخفٌ، والصَّوابُ إعلامُه بأنَّه كان ممْكنًا أن يَنتصِرَ منه، وأنَّه إنَّما تَرَك ذلك استِرذالًا له فقط، وصيانةً عن مراجعتِه، ولا يُزادُ على ذلك، وأمَّا جَفاءُ السِّفلةِ فليس جزاؤُه إلَّا النَّكالَ وحْدَه[١].

الجَفاءُ في الأمثالِ[٢]:

- مَن جَعَل لنفْسِه مِن حُسنِ الظَّنِّ بإخوانِه نصيبًا، أراح قلْبَه.

- مَن تَحلَّى بالوفاءِ، وتَخلَّى عنِ الجَفاءِ، فذلك مِن إخوانِ الصَّفاءِ.

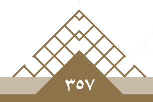
---

(١) ((الأخلاق والسير في مداواة النفوس)) لابن حزم (ص: ٢٦- ٢٧).

(٢) ((تنبيه الغافلين)) للسمرقندي (ص: ٣٧١)، ((غرر الخصائص الواضحة)) للوطواط (ص: ٤٢)، ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (ص: ٧).

- وقيل لبعضِ الحُكماءِ: أَوْصِني بشيءٍ. قال: لا تَجْفُ ربَّك، ولا تَجفُ الخَلْقَ، ولا تَجفُ نفْسَك؛ أمَّا الجَفاءُ بربِّك فأن تَشتغِلَ بخدمةِ غَيرِه مِنَ المَخلوقين، وأمَّا الجَفاءُ مع الخَلقِ فأن تَذكُرَهم عِندَ النَّاسِ بسُوءٍ، وأمَّا الجَفاءُ مع النَّفْسِ فأن تَتهاوَنَ بفرائضِ اللهِ تعالى.





الحسد

معنى الحسد:

الحسدُ لُغةً: حسَدَه يَحسُدُه: أي: تَمنَّى أن تَتحوَّلَ إليه نِعمتُه وفضيلتُه، أو يُسلَبَهُما[1].

الحسد اصطلاحًا: تَمنِّي زَوالِ نعمةِ المحسودِ إلى الحاسدِ[2].

الفرق بيْن الحَسدِ والعَينِ والغِبْطة والمنافسة والمسابقة[3]:

العَينُ نظرٌ باستِحسانٍ قد يَشوبُه شيءٌ مِنَ الحسدِ، ويَكونُ النَّاظرُ خبيثَ الطَّبعِ.

الغِبطةُ تَمَنٍّ للحصولِ على نعمةٍ مِثلِ الَّتي أَعجبَتْه، مِن غيرِ تَمنٍّ لزَوالِها عن صاحبِها.

المنافسةُ في اللُّغةِ مُشتقَّةٌ مِنَ النَّفاسةِ، والَّذي يدُلُّ على إباحةِ المُنافَسةِ قولُه تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]، وإنَّما المُسابَقةُ عِندَ خَوفِ الفَوتِ؛ وهو كالعبدَينِ يَتسابَقانِ إلى خدمةِ مَولاهُما، إذْ يَجزَعُ كلُّ واحدٍ أن يَسبِقَه صاحبُه فيَحظى عِندَ مَولاهُ بمنزلةٍ لا يَحظَى هو بها.

ذمُّ الحسد والنَّهيُ عنه في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ

---

(١) ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (ص: ٢٧٧).

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٨٧).

(٣) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٩٠)، ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (٢/ ٤٤٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/ ٣٥٩).

إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق: ١ - ٥].

- وقال سبحانَه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤].

- عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال: ((لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونوا -عِبادَ اللهِ- إخوانًا))(١).

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الحَسدِ:

- قال مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ رَضيَ اللهُ عنهُما: (كلُّ النَّاسِ أستطيعُ أن أُرضيَه، إلَّا حاسدَ نِعمةٍ؛ فإنَّه لا يُرضِيه إلَّا زَوالُها)(٢).

- وقال ابنُ سِيرينَ: (ما حَسَدْتُ أحدًا على شيءٍ مِن أمْرِ الدُّنيا؛ لأنَّه إنْ كان مِن أهلِ الجنَّةِ فكيف أَحسُدُه على الدُّنيا وهي حقيرةٌ في الجنَّةِ؟! وإنْ كان مِن أهلِ النَّارِ فكيف أَحسُدُه على أمرِ الدُّنيا وهو يَصيرُ إلى النَّارِ؟!)(٣).

- وقال الحسَنُ البَصريُّ: (ما رأيْتُ ظالِمًا أَشْبَهَ بمَظلومٍ مِن حاسدٍ؛ نفَسٌ دائمٌ، وحزنٌ لازِمٌ، وغَمٌّ لا يَنفَدُ)(٤).

أقسامُ الحَسدِ:

١- حسدٌ يُخفِيه ولا يُرتِّبُ عليه أَذًى بوجْهٍ ما؛ لا بقلبِه ولا بلسانِه ولا بيَدِه، بل يَجِدُ في قلْبِه شيئًا مِن ذلك، ولا يُعاجِلُ أخاهُ إلَّا بما يُحِبُّ اللهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه الدِّينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (٣/ ٥٠)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٥٩/ ٢٠٠).

(٣) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٨٩).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/ ١٧٠).



٢- تَمنِّي استِصحابِ عدَمِ النِّعمةِ، فهو يَكرَهُ أن يُحْدِثَ اللهُ لعبدِه نعمةً، بل يُحِبُّ أن يَبقى على حالِه؛ مِن جهلِه، أو فَقرِه، أو ضَعفِه، أو شَتاتِ قلبِه عنِ اللهِ، أو قلَّةِ دِينِه.

٣- حسدُ الغِبطةِ؛ وهو تَمنِّي أن يَكونَ له مِثلُ حالِ المحسودِ، مِن غيرِ أن تَزولَ النِّعمةُ عنه، فهذا لا بأسَ به، ولا يُعابُ صاحبُه، بل هذا قريبٌ مِنَ المُنافَسةِ[1].

٤- أن يَشتهيَ لنفْسِه مِثلَها، فإنْ لم تَحصُلْ فلا يُحِبُّ زَوالَها عنه، وهذا هو المَعْفُوُّ عنه إنْ كان في الدُّنيا، والمَندوبُ إليه إنْ كان في الدِّينِ[2].

مساوي الحَسدِ:

١- الحسدُ حسَراتٌ وسَقامٌ في الجسدِ.

٢- انخفاضُ المنزلةِ، وانحطاطُ المرتبةِ؛ لانحرافِ النَّاسِ عنه، ونُفورِهم منه، وقد قيل في مَنثورِ الحِكَمِ: الحَسودُ لا يَسودُ.

٣- مَقْتُ النَّاسِ له، حتى لا يَجِدَ فيهم مُحِبًّا، وعداوتُهم له، حتى لا يرَى فيهم وَليًّا، فيَصيرَ بالعداوةِ مأثورًا، وبالمَقتِ مَزجورًا.

٤- إسخاطُ اللهِ تعالى في مُعارَضتِه، واجتِناءُ الأوزارِ في مُخالَفتِه؛ إذْ ليس يرَى قَضاءَ اللهِ عدْلًا، ولا لِنِعَمِه مِنَ النَّاسِ أهلًا[3].

أسبابُ الوقوعِ في الحَسدِ[4]:

١- العداوةُ والبَغضاءُ.

---

(١) ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (٢/ ٢٣٧) بتصرف.
(٢) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٩٢) بتصرف.
(٣) ((أدب الدنيا والدِّين)) للماوردي (١/ ٢٧٣-٢٧٤) بتصرف.
(٤) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٩٢-١٩٤) بتصرف.

٢- التَّعزُّزُ: وهو أن يَثقُلَ عليه أن يترفَّعَ عليه غيرُه.

٣- التَّعجُّبُ: فيَجزَعُ الحاسدُ مِن أن يَتفضَّلَ عليه مَن هو مِثلُه في الخِلقةِ، لا عن قصدِ تَكبُّرٍ، وطلبِ رياسةٍ، وتَقدُّمِ عداوةٍ، أو سببٍ آخَرَ مِن سائرِ الأسبابِ.

٤- الخوفُ مِن فَوتِ المقاصدِ.

٥- الكِبْرُ.

٦- حُبُّ الرِّياسةِ، وطلَبُ الجاهِ.

٧- خُبثُ النَّفْسِ، وشُحُّها بالخيرِ لعبادِ اللهِ تعالى.

من الوسائل المُعِينة على تَرْك الحَسدِ:

١- أن يَتَّبِعَ أمْرَ اللهِ جلَّ وعلا، فيَترُكَ ما نهاهُ اللهُ عنه مِنَ الحسدِ، ويَقهَرَ نفْسَه عن هذا الظُّلْمِ.

٢- الرِّضا بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، والتَّسليمُ لحُكْمِه، فهو الَّذي يُعطي النِّعَمَ ويَسلُبُها.

٣- التَّفكُّرُ في نتائجِ الحسدِ، والنَّظرُ في عَواقِبه الوَخيمةِ عليه وعلى مَن حَوْلَه.

٤- أن يَحذَرَ نُفورَ النَّاسِ منه، وبُعدَهم عنه، وبُغضَهم له.

٥- أن يَعمَلَ بنقيضِ ما يَأمُرُه به الحسدُ.

٦- أن يَصرِفَ شهوةَ قلبِه في مَرضاةِ اللهِ تعالى[1].

الوسائل المُعِينة على دفع شرِّ الحاسد عن المحسود[2]:

١- التَّعوُّذُ باللهِ تعالى مِن شرِّه، واللُّجوءُ والتَّحصُّنُ به، واللهُ تعالى سميعٌ

(١) انظر ((أدب الدنيا والدِّين)) للماوردي (١/ ٢٦٩-٢٧٠)، ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٩٦-١٩٩)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: ٤١٥).

(٢) ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (ص: ٢٣٨-٢٤٥) بتصرف.

لاستِعاذتِه، عليمٌ بما يَستعيذُ منه.

٢- تقوَى اللهِ، وحِفظُه عِندَ أمْرِه ونَهيِه؛ فمَنِ اتَّقى اللهَ تَولَّى اللهُ حِفظَه، ولَمْ يَكِلْهُ إلى غيرِه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٣- الصَّبرُ على عدُوِّه، وألَّا يُقاتِلَه، ولا يَشكوَه، ولا يُحدِّثَ نفْسَه بأذاهُ أصلًا، فما نُصِرَ إنسانٌ على حاسِدِه وعدُوِّه بمِثلِ الصَّبرِ عليه، والتَّوكُّلِ على اللهِ.

٤- فراغُ القلبِ مِنَ الاشتغالِ به والفِكرِ فيه، وأن يَقصِدَ أن يَمحوَهُ مِن بالِه كلَّما خَطَر له.

٥- الإقبالُ على اللهِ، والإخلاصُ له، وجعْلُ مَحبَّتِه وتَرَضِّيهِ والإنابةِ إليه في محلِّ خواطِرِ نفْسِه وأمانيها.

٦- تجريدُ التَّوبةِ إلى اللهِ مِنَ الذُّنوبِ.

٧- الصَّدقةُ والإحسانُ ما أَمكَنَه؛ فإنَّ لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفعِ البلاءِ، ودفعِ العَينِ وشرِّ الحاسدِ.

٨- إطفاءُ نارِ الحاسدِ والباغي والمؤْذي بالإحسانِ إليه.

نماذجُ من الحُسَّاد:

- **حسدُ إبليسَ:**

خلَقَ اللهُ جلَّ وعلا آدمَ -عليه السَّلامُ- وشرَّفَه وكرَّمَه، وأمَرَ الملائكةَ بالسُّجودِ له، ولكنَّ إبليسَ تكبَّرَ وبَغى وحسَدَه على هذه المَنزِلةِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١١، ١٢]، قال قَتادةُ: (حسَدَ عدُوُّ اللهِ إبليسُ آدَمَ -عليه السَّلامُ- ما أعطاهُ مِنَ

الكرامةِ، وقال: أنا ناريٌّ، وهذا طِينيٌّ)[١]، وقال ابن عطيَّةَ: (أوَّلُ ما عُصيَ اللهُ بالحسدِ، وظَهَر ذلك مِن إبليسَ)[٢].

• حَسدُ قابيلَ لأخيه هابيلَ:

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٢٧ – ٣٠]. قال سراجُ الدِّينِ ابنُ عادلٍ: (وأيضًا فإنَّ آدَمَ -عليه السَّلامُ- لَمَّا بُعِث إلى أولادِه كانوا مُسلِمينَ مُطيعينَ، ولم يَحدُثْ بيْنهمُ اختلافٌ في الدِّينِ، إلى أن قَتَل قابيلُ هابيلَ؛ بسببِ الحسدِ والبَغيِ)[٣].

• حسدُ إخوةِ يوسفَ:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف: ٧ – ٩]. قال الماوَرْديُّ: (كان يعقوبُ قد كَلِف بهما؛ لموتِ أُمِّهما، وزاد في المُراعاةِ لهما، فذلك سببُ حسَدِهم لهُما، وكان شديدَ الحُبِّ ليوسفَ، فكان الحسدُ له أكثَرَ، ثمَّ رأى الرُّؤيا فصار الحسدُ له أشَدَّ)[٤].

(١) ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٢٣١).
(٢) ((المحرر الوجيز)) (٣/ ٤٦٩).
(٣) ((اللباب في علوم الكتاب)) (٣/ ٥٠١).
(٤) ((النكت والعيون)) (٣/ ٩).



- حَسدُ اليهودِ والنَّصارى:

بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ أهلَ الكِتابِ الَّذين كَفَروا بمحمَّدٍ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ حسَدُوه على ما آتاهُ اللهُ مِن فضلِه، حتَّى إنَّهم زَعَموا أنَّ كفَّارَ مكَّةَ أَهْدى مِنَ المؤْمِنينَ برسالةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)﴾ [النساء: ٥١ - ٥٤].

الحَسدُ في كَلامِ البُلغاءِ والحُكماءِ والشُّعراءِ:

- سُئِل بعضُ الحُكماءِ: أيُّ أعدائِك لا تُحِبُّ أن يَعودَ لك صَديقًا؟ قال: (الحاسدُ الَّذي لا يَرُدُّه إلى مَودَّتي إلَّا زَوالُ نِعمتي)[1].

- وقيل: (مِن صِغَرِ الهِمَّةِ، الحسدُ للصَّديقِ على النِّعمةِ)[2].

- وقيل: (مِن علاماتِ الحاسدِ أن يَتملَّقَ إذا شَهِد، ويَغتابَ إذا غاب، ويَشمَتَ بالمُصيبةِ إذا نزلَتْ)[3].

- قال محمودٌ الوَرَّاقُ:

أعطيْتُ كلَّ النَّاسِ مِن نفْسي الرِّضا ... إلَّا الحَسودَ فإنَّه أعْياني

(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/ ١٧١).
(٢) ((سراج الملوك)) للطرطوشي (ص: ٥٨).
(٣) ((روح البيان)) لإسماعيل حقي (٢/ ٥١).

لا أنَّ لـــي ذنْبًــا لدَيـــهِ عَلِمْتُـــه إلَّا تَظاهُـــرَ نِعمـــةِ الرَّحمـــنِ
يَطْوي على حَنَقٍ حَشـــاهُ لِأنْ رأى عِندي كمـــالَ غِنًى وفضْـــلَ بيانِ
مـــا إنْ أرَى يرضيـــهِ إلَّا ذِلَّتـــي وذهـــابُ أَمْوالي وقطْعُ لِســـاني[1]



(١) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (٤/ ٥٧٤).

الحِقد

معنى الحقد:

الحِقدُ لُغةً: الحِقْدُ: الضِّغْنُ، وإمساكُ العَداوةِ في القَلبِ والتَّربُّصُ، والجمعُ: أَحْقادٌ[1].

الحِقدُ اصطلاحًا: سُوءُ الظَّنِّ في القَلبِ على الخلائقِ لأجْلِ العداوةِ[2]، وإضمارُ الشَّرِّ إلى وقتِ إمكانِ الفُرصةِ[3].

الفرق بيْن المَوجِدةِ والحِقد:

الوَجْدُ: الإحساسُ بالمؤلِمِ، والعِلمُ به، وتحرُّكُ النَّفْسِ في رفْعِه؛ فهو كمالٌ.

وأمَّا الحِقدُ فهو إضمارُ الشَّرِّ، وتَوقُّعُه كلَّ وقتٍ فيمَن وَجَدْتَ عليه، فلا يُزايلُ القلبَ أثَرُه.

وفرْقٌ آخَرُ: وهو أنَّ المَوجِدةَ لِما يَنالُكَ منه، والحِقدَ لِما يَنالُه منك، فالمَوجِدةُ وَجْدُ ما نالَك مِن أذاهُ[4].

ذمُّ الحِقدِ في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٤٦٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ١٥٤).
(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٩١).
(٣) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٣٣).
(٤) ((الروح)) لابن القيِّم (ص: ٢٥١).

ﭐلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

- وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٧، ٤٨].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهُما قال: ((قيل: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أَفضَلُ؟ قال: كلُّ مَخْمُومِ القلبِ صَدُوقِ اللِّسانِ، قيل: صَدوقُ اللِّسانِ نَعرِفُه، فما مَخْمومُ القلبِ؟ قال: هو التَّقيُّ النَّقيُّ، لا إثمَ فيه ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حَسَدَ))[1].

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في ذمِّ الحقد:

- قال زَيدُ بنُ أَسلَمَ رحِمه اللهُ: (دُخِل على أبي دُجانةَ وهو مريضٌ، وكان وجْهُه يَتهلَّلُ، فقيل له: ما لِوَجهِك يَتهلَّلُ؟ فقال: ما مِن عمَلِ شَيءٍ أَوثَقُ عِندي مِنَ اثنتَينِ: كنتُ لا أتكلَّمُ فيما لا يَعنيني، أمَّا الأخرى فكان قلْبي للمُسلِمينَ سليمًا)[2].

- وقال ابنُ حجَرٍ الهَيْتَميُّ: (الحسدُ مِن نتائجِ الحِقدِ، والحِقدُ مِن نتائجِ الغضَبِ)[3].

- وقال ابنُ حِبَّانَ: (الحِقدُ أصلُ الشَّرِّ، ومَن أَضمَرَ الشَّرَّ في قلبِه أَنبَتَ له نباتًا مُرًّا مَذاقُه، نَماؤُه الغَيظُ، وثمرتُه النَّدمُ)[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦٦٠٤).
صحح إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/ ٣٣)، والبوصيري في ((زوائد ابن ماجه)) (٢/ ٣٢٥)، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/ ١٨)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤٢١٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٥٥٧)، وابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص: ٩٥).

(٣) ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) (١/ ٨٣).

(٤) ((روضة العقلاء)) (ص: ١٣٤).

آثارُ الحِقدِ ومَضارُّه:

١ – (الحِقدُ يُثمِرُ الحسدَ، وهو أن يَحمِلَك الحقدُ على أن تتمنَّى زَوالَ النِّعمةِ عنه، فتَغتمَّ بنعمةٍ إنْ أَصابَها، وتُسَرَّ بمصيبةٍ إنْ نزَلَتْ به.

٢ – الهِجرانُ والمُقاطَعةُ، والإعراضُ عنِ الحاقدِ استِصغارًا له.

٣ – التَّكلُّمُ فيه بما لا يَحِلُّ؛ مِن كذِبٍ، وغِيبةٍ، وإفشاءِ سرٍّ، وهَتكِ سِترٍ، وغيرِه)[١].

٤ – الحقدُ مِن مَظاهرِ دُنُوِّ الهمَّةِ، فهو لا يَصدُرُ مِنَ النُّبلاءِ، ولا يَليقُ بالعقلاءِ[٢].

٥ – يُنبِتُ سوءَ الظَّنِّ، وتَتبُّعَ العَوْراتِ، والهَمزَ واللَّمزَ، والغِيبةَ والنَّميمةَ.

٦ – جَحْدُ الحقِّ، وعدَمُ اتِّباعِه.

وسائلُ علاجِ الحقدِ:

١ – الدُّعاءُ.

٢ – سلامةُ الصَّدرِ.

٣ – التَّواضُعُ.

٤ – تنميةُ رابطِ الأُخوَّةِ الإيمانيَّةِ؛ فإنَّ الأُخوَّةَ الإيمانيَّةَ والغِلَّ لا يَجتمِعانِ في قلبٍ واحدٍ.

٥ – مِلْءُ القلبِ بالمحبَّةِ وإرادةِ الخيرِ للآخَرينَ.

٦ – اعتذارُ المرءِ لأَخيهِ.

٧ – تقديمُ الهَديَّةِ.

---

(١) انظر ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٨١).

(٢) ((الهمة العالية)) لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص: ٥٥).

٨- ترْكُ الغضبِ الَّذي هو سببٌ للأحقادِ.

أسبابُ الحقدِ:

١- المُماراةُ والمُنافَسةُ.

٢- الخُصومةُ.

٣- المُزاحُ الَّذي يَخرُجُ عن حدِّه يَغرِسُ الحِقدَ في القلوبِ.

٤- الكراهيَةُ الشَّديدةُ إلى حدِّ البُغضِ العَنيفِ.

٥- الرَّغبةُ بالانتقامِ، وبإنزالِ السُّوءِ بمَن يَكرَهُه الحاقدُ[١].

أحوالُ المَحقودِ عليه:

أحدُها: أن يَستوفيَ حقَّه الَّذي يَستحِقُّه مِن غيرِ زيادةٍ أو نُقصانٍ، وهو العدلُ.

الثَّاني: أن يُحسِنَ إليه بالعفوِ والصِّلةِ، وذلك هو الفضلُ.

الثَّالثُ: أن يَظلِمَه بما لا يَستحِقُّه، وذلك هو الجَورُ، وهو اختيارُ الأراذلِ، والثَّاني هو اختيارُ الصِّدِّيقينَ، والأوَّلُ هو مُنتهى درَجاتِ الصَّالحينَ[٢].

الحِكَمُ والأمثال والشِّعرُ في الحِقدِ:

- أَحقَدُ مِن جَمَلٍ. العربُ تَصِفُ البَعيرَ بالحِقدِ وغِلظةِ الكَبِدِ[٣].

- ظاهِرُ العِتابِ خيرٌ مِن باطنِ الحِقدِ[٤].

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/ ٧٢٣).

(٢) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/ ١٨١).

(٣) ((المستقصى من أمثال العرب)) للزمخشري (١/ ٦٩).

(٤) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص: ٣٧).

- ويُقالُ: ثلاثةٌ لا يَهنأُ لصاحبِها عَيشٌ: الحِقدُ، والحسدُ، وسوءُ الخُلُقِ[1].

- قال الشَّاعرُ:

الحِقــدُ داءٌ دَفيــنٌ ليــس يَحمِلُهُ		إلَّا جَهــولٌ مَليءُ النَّفْــسِ بالعِلَلِ

ما لــي ولِلحِقدِ يُشــقيني وأَحمِلُهُ		إنِّــي إذنْ لغَبــيٌّ فاقــدُ الحِيَــلِ

سـلامةُ الصَّدرِ أَهنأُ لـي وأَرحَبُ لي		ومَركِـبُ المَجْدِ أَحْلى لـي مِنَ الزَّلَلِ



(١) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص: ٢٢١).

الخُبث

معنى الخبث:

الخُبْثُ لُغةً: الخَبيثُ ضِدُّ الطَّيِّبِ مِنَ الرِّزقِ والولَدِ والنَّاسِ. وخَبُثَ الرَّجلُ خُبثًا فهو خَبيثٌ، أي: خَبٌّ رَديءٌ... والمُخْبِثُ: الَّذي يُعلِّمُ النَّاسَ الخُبثَ[1].

الخُبثُ اصطلاحًا: إضمارُ الشَّرِّ للغيرِ، وإظهارُ الخيرِ له، واستِعمالُ المكرِ والخديعةِ في المُعامَلاتِ[2].

الحَثُّ على سَلامةِ الصَّدرِ، وذَمُّ الخُبثِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى مُثْنِيًا على المؤمِنينَ الَّذين جاؤُوا مِن بعدِ المُهاجِرينَ والأنصارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

- قال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((المؤمِنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[3].

ما قيل في ذمِّ الخُبثِ:

- قال أبو الدَّرْداءِ رَضيَ اللهُ عنه: (ما لكُم عِبادَ اللهِ لا تَحابُّون وأنتم إخوانٌ على الدِّين؟! ما فرَّق بيْن أهوائِكم إلَّا خُبثُ سرائِرِكُم)[4].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/ ١٤١).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤) من حديث أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه. حسنه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٧٩٠).

(٤) أخرجه بنحوه ابن أبي الدنيا في ((ذم الدنيا)) (٤٢٧).

- وقال ابنُ جَماعةَ الكِنانيُّ: (لا يَصِحُّ العِلمُ الَّذي هو عبادةُ القلبِ إلَّا بطهارتِه عن خُبثِ الصِّفاتِ، وحدَثِ مَساوي الأخلاقِ ورَديئِها)[1].

- وقيل: (مَن طابتْ نفْسُه طابَ عمَلُه، ومَن خبُثَتْ نفْسُه خَبُث عمَلُه)[2].

آثارُ الخُبثِ ومَضارُّه:

١- الخُبثُ سببٌ لبَذاءةِ اللِّسانِ والفُحشِ.

٢- الخُبثُ سببٌ للحسدِ.

٣- خبيثُ النَّفْسِ لا يُحِبُّ الخيرَ لغيرِه، فيَكرَهُ لهمُ الخيرَ، ويُحِبُّ لهمُ الشَّرَّ والأذَى.

٤- الخُبثُ سببٌ للعَداواتِ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

٥- خبيثُ النَّفْسِ ليس له راحةُ البالِ، فهو مَهمومٌ مَغمومٌ دائمًا.

٦- الخبيثُ منشغِلٌ بتَتبُّعِ عَوْراتِ النَّاسِ وأخطائِهم.

الوَسائلُ المُعِينةُ على التَّخلُّصِ مِن خُبثِ النَّفْسِ:

١- الدُّعاءُ له بأن يَرفَعَ اللهُ عنه هذا الخلُقَ السَّيِّئَ.

٢- الرَّغبةُ في الأجرِ والثَّوابِ الَّذي يَحصُلُ بسببِ سلامةِ الصَّدرِ.

٣- أن يُجاهِدَ نفْسَه على أن يَكونَ نَقيَّ القلبِ.

٤- صَومُ ثلاثةِ أيَّامٍ مِن كلِّ شهرٍ:

قال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ((صَومُ شَهرِ الصَّبرِ، وثلاثةُ أيَّامٍ مِن كلِّ شهرٍ،

(١) ((تذكرة السامع والمتكلم)) لابن جماعة الكناني (ص: ٣٤).

(٢) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٨٧).

يُذهِبْنَ وَحَرَ الصَّدرِ))[1].

٥- التَّربيةُ منذُ الصِّغَرِ على حُبِّ الخيرِ للنَّاسِ.

٦- مُصاحَبةُ أهلِ الخيرِ، وذَوي الأخلاقِ الفاضلةِ.

الخُبثُ في مَضرِبِ الأمثالِ والشِّعر:

- فُلانٌ عُصارةُ لُؤْمٍ، في قَرارةِ خُبثٍ.
- ويُقالُ: هو في الخُبثِ كالذِّئبِ وَقَع في المِعْزَى[2].
- قال الشَّاعرُ:

لَمَّا بــدَا لي منكُم خُبثُ أَنفُسِــكُم ... ولم يَكُــنْ لجِراحي فيكمُ آســي

أَزْمَعْتُ يَأسًــا مُبينًا مِــن نَوالِكمُ ... ولن تَرَى طــاردًا للحُــرِّ كالْيَاسِ



(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٧٧)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٧٧٩٠).
حسنه ابن حجر في ((موافقة الخبر الخبر)) (٢/ ٥٥).

(٢) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/ ٢٨٣).



الخِداع

معنى الخداع:

الخِداعُ لُغةً: خَدَعَه يَخْدَعُه خَدْعًا، وخِداعًا، أي: خَتَلَه وأَرادَ به المَكروهَ مِن حيثُ لا يَعلَمُ، والخَدْعُ: إظهارُ خِلافَ ما تُخفيه[1].

الخِداعُ اصطلاحًا: الاحتيالُ والمُراوَغةُ، بإظهارِ الخيرِ مع إبطانِ خِلافِه؛ ليَحصُلَ مقصودُ المُخادِعِ[2].

الفرق بيْن الخِداعِ والغُرور والكَيد[3]:

الغُرورُ إيهامٌ يَحمِلُ الإنسانَ على فِعلِ ما يَضُرُّه. والخِداعُ: أن يَستُرَ عنه وجْهَ الصَّوابِ، فيوقِعَه في مَكروهٍ.

والكَيدُ لا يَكونُ إلَّا بعد تدبُّرٍ وفِكْرٍ ونظرٍ. وقيل: الكَيدُ اسمٌ لفعلِ المكروهِ بالغيرِ قَهرًا، والخديعةُ: اسمٌ لفعلِ المكروهِ بالغيرِ مِن غيرِ قَهرٍ، بل بأنْ يُريَه بأنَّه يَنفَعُه، ومنه الخُديعةُ في المُعامَلةِ. والخِداعُ إظهارُ ما يُبطِنُ خِلافَه؛ أرادَ اجتِلابَ نفْعٍ أو دفْعَ ضُرٍّ، ولا يَقتَضي أن يَكونَ بعد تَدبُّرٍ ونظرٍ وفِكْرٍ.

ذمُّ الخِداعِ والنَّهيُ عنه من القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ١٦٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/ ٦٣).

(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيِّم (١/ ٣٤٠).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٥٨، ٣٨٣).

يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ [البقرة: ٩].

- وقال تعالى مُخاطِبًا نبيَّه والمؤْمِنينَ حتَّى يَكونوا يَقِظينَ مِن خِداعِ الأعداءِ لهم: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال: ٦٢].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((المُؤْمِنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجِرُ خَبٌّ لَئيمٌ))[1].

أقوال السَّلف والعُلماءِ في ذمِّ الخِداع:

- قال أيُّوبُ رحِمه اللهُ: (يُخادِعونَ اللهَ كأنَّما يُخادِعونَ آدَميًّا، لو أَتَوُا الأمرَ عِيانًا كان أَهْوَنَ عليَّ)[2].

- وقال ابنُ أبي أَوْفى: (النَّاجِشُ آكِلُ رِبًا خائِنٌ، وهو خِداعٌ باطلٌ لا يَحِلُّ)[3].

أقسامُ الخِداع:

يَنقسِمُ الخِداعُ إلى قِسمَينِ: خِداعٍ محمودٍ، وخِداعٍ مَذمومٍ؛ فإنْ كان بحقٍّ فهو مَحمودٌ، وإنْ كان بباطلٍ فهو مَذمومٌ. ومِنَ النَّوعِ المَحمودِ: قَولُه صلَّى اللهُ تعالى علَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ: ((الحَرْبُ خَدْعةٌ))[4].

ومِنَ النَّوعِ المَذمومِ: قَولُه في حديثِ عِياضِ بنِ حمارٍ رَضيَ اللهُ عنه، الَّذي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، وأحمد (٩١٠٧) من حديث أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه.
حسنه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث (٦٩٦٤). قال ابن حجر في ((تغليق التعليق)) (٥/ ٢٦٤): قال وكيع في مصنفه: ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بهذا.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث (٢١٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩).

رواه مسلمٌ في صحيحه: ((أهْلُ النَّارِ خَمسةٌ... ذَكَر مِنهُم رجُلًا لا يُصبِحُ ولا يُمْسي إلَّا وهو يُخادِعُك عن أهْلِك ومالِكَ)).

وقَولُه تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة: ٩]، وقَولُه تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢].

مِن صوَرِ الخِداعِ المذموم:

١- خِداعُ المُنافِقينَ للنَّاس؛ بإظهارِهم للإسلامِ، وإبطانِهم للكفرِ.

٢- الخِداعُ في المُعامَلاتِ الماليةِ؛ كالبَيعِ والشِّراءِ.

٣- خِداعُ الرَّعيَّةِ للرَّاعي؛ بمَدحِه وإطرائِه بما ليس فيه.

٤- خِداعُ الرَّاعي للرَّعيَّةِ؛ بظُلمِهم، وبعدَمِ إعطائِهم ما يَستحِقُّونه.

٥- خِداعُ المُرائينَ بالأعمالِ؛ فهُم يُشابِهون المُنافِقينَ في عمَلِهم لأجْلِ النَّاسِ.

٦- خِداعُ الصَّديقِ؛ لإلحاقِ المَضرَّةِ به.

٧- خِداعُ العُمَّالِ؛ بعدَمِ إعطائِهم أجْرَهمُ المُتَّفَقَ عليه، أو تكليفِهم مِنَ الأعمالِ فوقَ طاقتِهم.

الوسائل المُعِينةُ على ترك الخِداع:

١- إخلاصُ العَملِ للهِ جلَّ وعلا.

٢- التَّربيةُ على الأخلاقِ الفاضلةِ، والالتزامُ بأحكامِ الشَّرعِ الحَنيفِ.

٣- الثِّقةُ باللهِ، واستِشعارُ مُراقبتِه.

٤- القَناعةُ بما رُزِق المرءُ.

٥- مُجالَسةُ الرُّفقةِ الصَّالحةِ.

٦- مُعاقَبةُ مَن يُخادِعُ؛ لِرَدعِه عن ذلك.

الخِداعُ في الأمثال والشِّعر:

- قولُهم: فُلانٌ يُقَرِّدُ فُلانًا؛ إذا خادَعَه مُتَلطِّفًا، وأصلُه: الرَّجُلُ يَجيءُ إلى الإبلِ لَيلًا؛ لِيَرْكبَ منها بَعِيرًا، فيَخافُ أن يَرْغُوَ، فيَنْزِعُ منه القُرادَ -وهو دُوَيْبَةٌ مَعروفةٌ تَعَضُّ الإبلَ- حتى يَستأْنِسَ إليه، ثمَّ يَخْطِمُه[1].

- وقولُهم: ترَكَ الخِداعَ، مَن كشَفَ القِناعَ[2].

- وقولُهم: أَخدَعُ مِن ضَبٍّ[3].

- قال الشاعرُ:

قُلْ لِلَّذي لستُ أَدْري مِن تَلَوُّنِه ... أناصِحٌ أَمْ على غِشٍّ يُداجِيني
إنِّي لَأُكثِرُ ممَّا سُمْتَني عجَبًا ... يَدٌ تَشُجُّ وأُخرى مِنكَ تَأْسُوني
تَغْتابُني عِندَ أَقوامٍ وتَمدَحُني ... في آخَرينَ وكلٌّ عنكَ يَأْتيني
هذانِ أمْرانِ شَتَّى بَوْنِ بينَهما ... فاكفُفْ لسانَكَ عن ذَمِّي وتَزْييني[4]



(١) ((الأمثال)) لابن سلام (١/ ١٢)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٩/ ٢٧).
(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٧/ ١١٩).
(٣) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ١٦٥).
(٤) ((الصداقة والصديق)) لأبي حيان التوحيدي (ص: ١٩٨).



الخِذلان

معنى الخِذلان:

الخِذلانُ لُغةً: خَذَلَهُ خِذْلانًا، إذا ترَكَ عَوْنَه ونُصرتَه. والتَّخذيلُ: حَمْلُ الرَّجُلِ على خِذلانِ صاحبِه، وتَثبيطُه عن نُصرتِه. والخاذِلُ: المُنهزِمُ[1].

الخِذلان اصطلاحًا: تَرْكُ مَن يُظَنُّ به أن يَنصُرَ نُصرَتَه، وتَرْكُ العونِ والإغاثةِ[2].

ذمُّ الخِذلانِ والتَّحذيرُ منه في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((المُسْلمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يَخذُلُه، ولا يَحقِرُه))[3].

- وعن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: سمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يقولُ: ((لا يَزالُ مِن أُمَّتي أُمَّةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم ولا مَن

(١) ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (٧/ ١٤٠)، ((الصحاح)) للجوهري (٤/ ١٦٨٣)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٢٠٢).

(٢) ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٧٧)، ((فتح القدير)) للشوكاني (١/ ٤٥١) و(٤/ ٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

خالَفَهُم، حتَّى يَأتيَهُم أمْرُ اللهِ وهُم على ذلك))[1].

أقوال السَّلفِ والعُلماءِ في الخِذلان:

- قيل لمحمَّدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ: ما علامةُ الخِذلانِ؟ قال: (أن يَستقبِحَ الرَّجُلُ ما كان عِنده حسَنًا، ويَستحسِنَ ما كان عِندَه قبيحًا)[2].

- وقال عليُّ بنُ عبيدةَ: (العقلُ والهوَى ضِدَّانِ، فمؤيِّدُ العقلِ التَّوفيقُ، وقَرينُ الهوَى الخِذلانُ، والنَّفْسُ بيْنهُما، فأيُّهُما ظَفِر كانتْ في حَيِّزِه)[3].

- وقال ابنُ القيِّمِ: (قال بعضُ العارِفينَ: أَجمَعَ العارِفونَ على أنَّ التَّوفيقَ أن لا يَكِلَك اللهُ إلى نفْسِك، وأَجمَعوا على أنَّ الخِذلانَ أن يُخلِّيَ بيْنك وبيْن نفْسِك)[4].

آثار الخِذلانِ ومَضارُّه:

١- انتشارُ عدْوَى الأنانيةِ وحُبِّ الذَّاتِ.

٢- إيثارُ الرَّاحةِ، وتقديمُ المصلحةِ الخاصَّةِ على المصلحةِ العامَّةِ.

٣- انعدامُ الشَّهامةِ، ونَجدةِ المَلهوفِ، وإغاثةِ المَنكوبِ.

٤- انقطاعُ عُرَى الأُخوَّةِ بيْن المسْلمينَ.

٥- الخِذلانُ مِن أسبابِ الهزيمةِ.

٦- الخِذلانُ عارٌ يقَعُ على صاحبِه.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).
(٢) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٢/ ١٩٩).
(٣) ((تسهيل النظر)) للماوردي (ص: ١٤).
(٤) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيِّم (١/ ١٣٢).



من صوَرِ الخِذلان:

١- خِذلانُ المظلومِ مع القدرةِ على نُصرتِه[1].

٢- خِذلانُ الظَّالمِ بعدَمِ نُصحِه بالتَّوقُّفِ عن ظُلمِه.

٣- خِذلانُ المسْلمينَ في الجهادِ، وعدَمُ نُصرتِهم، وهذه صِفةٌ مِن صِفاتِ المُنافِقينَ.

من أسباب الوقوعِ في الخِذلان:

١- البُعدُ عن خِلالِ الإيمانِ.

٢- الاستعانةُ بغيرِ اللهِ.

٣- طاعةُ الكافرينَ والمُنافِقينَ.

٤- مُفارَقةُ الإخوةِ في اللهِ.

٥- الرُّكونُ إلى الظَّالِمينَ.

٦- التَّكالُبُ على الدُّنيا، وكراهيةُ الموتِ، والإغراقُ في اللَّهوِ وطلَبِ الرَّاحةِ.

٧- العُجبُ.

٨- الجُبنُ، وسوءُ الرَّأيِ.

٩- عدَمُ الرِّضا بالقضاءِ والقَدَرِ.

من الوسائل المُعينةِ على اجتناب أسباب الخِذلان:

١- الإحسانُ إلى النَّاسِ بكلِّ صوَرِه.

٢- الاستعانةُ باللهِ.

---

(١) ((الزواجر)) للهيتمي (٢/ ١٨٩).

٣- عدَمُ العُجبِ، وإظهارُ الذِّلَّةِ والافتقارِ للهِ.

٤- الرِّضا بالقضاءِ والقدَرِ، وعدَمُ الخوفِ مِنَ القيامِ بواجبِ النُّصرةِ.

٥- صِلةُ الأرحامِ والقَرابةِ.

الحِكَمُ والأمثال والشِّعرُ في الخِذلان:

- إنَّ مع الكثرةِ تَخاذُلًا، ومع القلَّةِ تَماسُكًا.

يعني: في كثرةِ الجَيشِ وقِلَّتِه[1].

- مَن فازَ بفُلانٍ، فازَ بالسَّهمِ الأَخيَبِ.

لِمَن يُخذَلُ في وقتِ الحاجةِ[2].

- قال عبد العَنبريُّ:

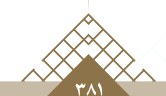
إذا مـــا أَرادَ اللـــهُ ذُلَّ قَبيلـــةٍ		رَماهَا بتَشـــتيتِ الهَوَى والتَّخاذُلِ[3]



(١) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/ ٦١).

(٢) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٧/ ١٤٤).

(٣) ((صيد الأفكار)) للقاضي حسين المهدي (٢/ ١٣٦).



الخيانة

معنى الخيانة:

الخِيانةُ لُغةً: نقيضُ الأمانةِ، والخَوْنُ أنْ يُؤْتَمنَ الإنسانُ فلا يَنْصَحُ[1].

الخيانة اصطلاحًا: مخالَفةُ الحقِّ بنقضِ العهدِ في السِّرِّ، وهي شاملةٌ لجميعِ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ. وقيل: هي الاستِبدادُ بما يؤْتَمنُ الإنسانُ عليه مِنَ الأموالِ والأعراضِ والحُرَمِ، وتَملُّكُ ما يُستَودَعُ، ومُجاحَدةُ مُودِعِه[2].

الفَرقُ بيْنَ الخِيانةِ والسَّرِقةِ والنِّفاقِ[3]:

الخائنُ الَّذي ائتُمِنَ فأخَذَ. والسَّارقُ مَن سرَقَك سِرًّا بأيِّ وجْهٍ كان، يُقالُ: كلُّ خائنٍ سارِقٌ، وليس كلُّ سارِقٍ خائنًا. والغاصِبُ: الَّذي جاهَرَك ولم يَستَتِرْ، والقطعُ في السَّرِقةِ دُون الخيانةِ والغَصبِ.

والخِيانةُ والنِّفاقُ واحدٌ، إلَّا أنَّ الخِيانةَ تُقالُ اعتِبارًا بالعهدِ والأمانةِ، والنِّفاقَ يُقالُ اعتبارًا بالدِّينِ.

ذمُّ الخِيانةِ والتَّحذيرُ منها في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

---

(١) ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٠٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ١٤٤).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (٣١)، ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (٨/ ٢٢٩).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٠٥).

- وقال سُبحانَه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

- عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهُما، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((أَربَعٌ مَن كُنَّ فيهِ كان مُنافِقًا خالِصًا، ومَن كانتْ فيهِ خَصلةٌ مِنهُنَّ كانتْ فيه خَصلةٌ مِنَ النِّفاقِ حتَّى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّث كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ))[1].

أقوال السَّلف والعلماءِ في الخِيانة[2]:

- عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه، قال: (إذا كانت في البيتِ خِيانةٌ، ذهبَتْ منه البَرَكةُ).

- وعن خالدٍ الرَّبَعيِّ قال: كان يُقالُ: (إنَّ مِن أَجدَرِ الأعمالِ أن لا تؤخَّرَ عُقوبتُه أو يُعجَّلَ عقوبتُه: الأمانةَ تُخانُ، والرَّحِمَ تُقطَعُ، والإحسانَ يُكفَرُ).

- وعن مُجاهِدٍ، قال: (المَكرُ والخَديعةُ والخِيانةُ في النَّارِ، وليس مِن أخلاقِ المؤْمِنِ المَكرُ ولا الخِيانةُ).

آثارُ الخيانةِ ومَضارُّها:

١- تُسخِطُ اللهَ عزَّ وجلَّ على العبدِ.

٢- داءٌ وَبيلٌ إذا استَشرَى بالإنسانِ جرَّدَه مِن إنسانيَّتِه، وجَعَله وَحشًا يَهيمُ وراءَ مَلذَّاتِه.

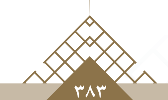
٣- طريقٌ موصِلٌ إلى العارِ في الدُّنيا، والنَّارِ في الآخرةِ.

٤- أسوأُ ما يُبطِنُ الإنسانُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٨).

(٢) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (٧١، ٧٢، ١٥٥).



٥- انتشارُ الخيانةِ في المجتمعِ مِن علاماتِ اضمحلالِه.

٦- انتشارُ الغُلولِ والرِّشوةِ والمَطْلِ والغِشِّ؛ لأنَّها كلَّها مِنَ الخيانةِ[١].

٧- فِقدانُ الثِّقةِ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

٨- تَفكُّكِ أواصِرِ المَحبَّةِ والتَّعاوُنِ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

٩- أنَّها تُسبِّبُ المَهانةَ والذُّلَّ لصاحِبِها.

مِن صوَرِ الخيانةِ[٢]:

١- خِيانةُ اللهِ ورسولِه.

٢- خِيانةُ النَّفْسِ، بأنْ يَرتكِبَ مِنَ الذُّنوبِ ما لا يَطَّلِعُ عليه إلَّا اللهُ، ويَخونَ به أمْرَ اللهِ تعالى بألَّا يَفعَلِ.

٣- خِيانةُ النَّاسِ، وهي أنواعٌ؛ في المالِ: وتَتمثَّلُ في أكلِ المالِ الَّذي يؤْتَمَنُ عليه الإنسانُ. وإفشاءُ السِّرِّ. والخيانةُ في النَّصيحةِ.

٤- الخيانةُ الزَّوجيَّةُ بالسَّرِقةِ والزِّنا.

أوجُهُ وُرودِ الخيانةِ في القرآنِ الكريمِ:

وردتِ الخيانةُ في القرآنِ الكريمِ على خمسةِ أوجُهٍ:

الأوَّلُ: في الدِّينِ والدِّيانةِ: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الثَّاني: في المالِ والنِّعمةِ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥].

الثَّالثُ: في الشَّرعِ والسُّنَّةِ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ [الأنفال: ٧١]، أي: إنْ تَركوا الأمانةَ في السُّنَّةِ فقد ترَكُوها في الفريضةِ.

---

(١) من ١- ٦ من كتاب ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (١٠/ ٤٤٧٩).

(٢) ((أخلاق المنافقين)) ليعقوب المليجي (ص: ٨٤). بتصرف.

الرَّابعُ: الخيانةُ بمعنَى الزِّنا: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢] أي: الزَّانينَ.

الخامسُ: بمعنَى نَقْضِ العهدِ والبَيْعةِ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً ﴾ [الأنفال: ٥٨] أي: نَقْضَ عهدٍ(١).

الخِيانة مِن صفات اليهود:

(وصَفَ اللهُ اليهودَ إلَّا قليلًا منهم بأنَّهم أهلُ خِيانةٍ؛ فقال تعالى لرسولِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلًا مِّنۡهُمۡ ...﴾ [المائدة: ١٣].

فهذه الآيةُ تدُلُّ على أنَّ الخِيانةَ مِنَ الصِّفاتِ الَّتي تَبرُزُ في اليهودِ بيْن حينٍ وآخَرَ؛ فالخِيانةُ شأْنُهم ودَيْدَنُهم، وطريقتُهم في مُعامَلةِ النَّاسِ.

فمِن خيانتِهم: مُحاولَتُهمُ اغتيالَ الرَّسولِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وقد كان بيْنه وبيْنَهم عهدُ أمانٍ.

ومِن خيانتِهم: تواطُؤُهم مع الأحزابِ، وقد كان بيْنَهم وبيْن الرَّسولِ عهدٌ وأمانٌ)(٢).

الخيانة في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعرُ:

أَخلِقْ بمَن رَضيَ الخيانةَ شِيمةً ... أن لا يُرى إلَّا صَريعَ حَوادثِ

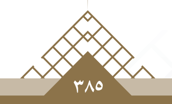
ما زالَتِ الأَرْزاءُ تُلْحِقُ بُؤْسَها ... أبدًا بغادِرِ ذِمَّةٍ أو ناكِثِ(٣)

---

(١) ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (٢/ ١٥٢).

(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/ ٦١٤).

(٣) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٦٤).



الذُّلُّ

تعريف الذُّلِّ:

الذُّلُّ لُغةً: مِن ذَلَّ وخَشَع، واستَكانَ وخَضَع، واستَخذَى وضَرَع، واتَّقَى واتَّضَع، وبَخَعَ وخَنَعَ، وامتَهَنَ واستَسلَمَ[1].

الذُّلُّ اصطلاحًا: الذُّلُّ والذِّلَّة: الضَّعْفِ عن المقاومة، وخَضوعٌ في النَّفْسِ واستِكانةٌ، مِن جَرَّاءِ العَجزِ عنِ الدَّفعِ[2].

الفَرْقُ بيْن الذُّلِّ وبعضِ الصِّفات[3]:

• الفرق بيْن الذُّلِّ والخِزيِ:

الخِزْيُ: ذُلٌّ مع افتِضاحٍ، وقيل: هو الانقِماعُ؛ لقُبحِ الفعلِ، والخَزايةُ: الاستِحياءُ؛ لأنَّه انقماعٌ عنِ الشَّيءِ؛ لِما فيه مِنَ العَيبِ. قال ابنُ دَرَسْتَويهِ: الخِزْيُ: الإقامةُ على السُّوءِ، خَزِيَ يَخزَى خِزْيًا، وإذا استَحْيَا مِن سوءِ فِعلِه أو فُعِل به قيل: خَزِيَ يَخْزَى خَزايةً؛ لأنَّهما في معنًى واحدٍ، وليس ذلك بشيءٍ؛ لأنَّ الإقامةَ على السُّوءِ والاستِحياءَ مِنَ السُّوءِ ليسا بمعنًى واحدٍ.

• الفرق بيْن الإذلالِ والإهانة:

إذلالُ الرَّجُلِ للرَّجُلِ: أن يَجعَلَه مُنقادًا على الكُرهِ، أو في حُكمِ المُنقادِ. والإذلالُ

(١) ((الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة)) لابن مالكٍ الطائي (١/ ١٢٥).

(٢) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٥١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ١١٩).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٤٨-٢٥١).

لا يَكونُ إلَّا مِن الأعلى للأدْنى. والإهانة الهَوانُ؛ مَأخوذٌ مِن تَهوينِ القَدْرِ، وأنْ يُجعَلَ هذا المرءُ صَغيرَ الأمرِ لا يُبالَى به. والاستِهانةُ تَكونُ مِنَ النَّظيرِ للنَّظيرِ.

ذَمُّ الذُّلِّ في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾ [البقرة: ٦١].

- وقال سبحانَه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)﴾ [الأعراف: ١٥٢].

- وعن تَميمٍ الدَّاريِّ رَضيَ اللهُ عنه، قال: سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقول: ((لَيبلُغنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يَترُكُ اللهُ بَيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخَلَه اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذَليلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفرَ)). وكان تَميمٌ الدَّاريُّ رَضيَ اللهُ عنه يقولُ: (قد عرَفْتُ ذلك في أهلِ بَيْتي؛ لقد أَصابَ مَن أَسلَمَ مِنهمُ الخَيرُ والشَّرفُ والعِزُّ، ولقد أصابَ مَن كان منهم كافرًا الذُّلُّ والصَّغارُ والجِزيةُ)[1].

أقسامُ الذُّلِّ:

يَنقسِمُ الذُّلُّ إلى محمودٍ ومذمومٍ:

الذُّلُّ المَذمومُ:

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧) واللفظ له، والطبراني (٢/ ٥٨) (١٢٨٠).
صححه الحاكم على شرط الشيخين في ((المستدرك)) (٤/ ٤٧٧)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦/ ١٧): رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في ((تحذير الساجد)) (١٥٨): على شرط مسلم وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

وهو التَّذلُّلُ لغيرِ اللهِ على وجْهِ الهَوانِ والضَّعفِ والصَّغارِ والانكسارِ والذِّلَّةِ.

الذُّلّ المحمودُ:

قال الرَّاغبُ الأَصفَهانيُّ: (الذُّلُّ متى كان مِن جهةِ الإنسانِ نفْسِه لنفْسِه فمحمودٌ؛ نحوَ قَولِه تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤])[1].

ويَشمَلُ الذُّلَّ المحمودُ:

١- الذُّلَّ للهِ سُبحانَه وتعالى: وهذا الذُّلُّ عنوانُ العِزِّ والشَّرفِ والنَّصرِ في الدُّنيا والآخرةِ.

٢- الذُّلَّ للمؤْمِنينَ: وهو بمعنَى التَّراحُمِ والتَّواضُعِ والعَطفِ، وليس بمعنَى التَّذلُّلِ والانكسارِ على وجْهِ الضَّعفِ والخَوَرِ.

٣- الذُّلَّ للوالِدَينِ: قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

الآثار السَّلبيَّةُ للذُّلِّ:

١- ضَعفُ النَّفْسِ وهَوانُها.

٢- الاستِضعافُ مِنَ الآخَرينَ، والاحتِقارُ، والاستِهانةُ بالذَّليلِ.

٣- لُحوقُ الخِزيِ والعارِ بالإنسانِ الذَّليلِ والأمَّةِ الذَّليلةِ.

٤- ضَياعُ الحقوقِ.

٥- حُدوثُ التَّنافُرِ والوَحشةِ والتَّباغُضِ.

٦- تَغلُّبُ الأعداءِ، والهزيمةُ.

---

(١) ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٣٠).

٧- ضَعفُ الإرادةِ، والتَّخلُّفُ عنِ الرُّقيِّ والرِّيادةِ.

أسبابُ الوقوعِ في الذُّلِّ:

١- استِمراءُ المعاصي، وتَسويفُ التَّوبةِ.

٢- الإشراكُ باللهِ تعالى، والابتِداعُ في الدِّينِ.

٣- مُحارَبةُ اللهِ ورسولِه، ومُخالَفةُ أمْرِهما.

٤- النِّفاقُ، والاعتِزازُ بغيرِ اللهِ سبحانَه وتعالى.

٥- الكِبْرُ والأَنَفةُ عن قَبولِ الحقِّ.

٦- اتِّباعُ الهوَى.

٧- مُفارَقةُ جماعةِ المسْلمينَ.

٨- ترْكُ الجِهادِ، وحُبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموتِ.

٩- البخلُ، وشُيوعُ الرِّبا، وأكْلُ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ.

١٠- التَّحزُّبُ والتَّفرُّقُ وتَنافُرُ القلوبِ.

من الوسائلِ المُعينةِ على التَّخلُّصِ مِنَ الذُّلِّ:

١- الإيمانُ باللهِ، والمُداوَمةُ على العملِ الصَّالحِ.

٢- الاعتزازُ باللهِ، والتَّمسُّكُ بدِينِه، وتطبيقُ شريعتِه.

٣- الدُّعاءُ بارتفاعِ الذُّلِّ، وحُصولِ العِزِّ.

٤- مُوالاةُ اللهِ ورسولِه وصالحِ المؤْمنينَ.

٥- مُخالَفةُ هوَى النَّفْسِ.

٦- القَناعةُ والزُّهدُ في الدُّنيا.

٧- الاعتصامُ بحبلِ اللهِ، ونَبذِ الخِلافاتِ.

٨- الأخذُ بالأسبابِ المادِّيَّةِ والمَعْنويَّةِ للعِزِّ والقوَّةِ.

أقوالٌ وأمثالٌ وشِعرٌ في الذُّلِّ:

- قال الحكيمُ: (مَنِ اعتزَّ بمَخلوقٍ ذَلَّ)[١].

- كان جَملًا فاستَنْوَقَ. أي: صارَ ناقةً.

- ذُلٌّ لو أَجِدُ ناصرًا[٢].

- وقال المتنبي:

وإلَّا تَمُتْ تحتَ السُّيوفِ مُكرَّمًا تَمُتْ وتُقاسي الذُّلَّ غيرَ مُكرَّمِ[٣]



(١) ((معاني الأخبار)) للكلاباذي (١/ ١٣٦).

(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/ ٣٢). وتقديرُ المثلِ: هذا ذُلٌّ لو أَجِدُ ناصرًا لَمَا قَبِلْتُه. يُنظر: ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/ ٢٨٠).

(٣) ((العود الهندي)) للسقاف (١/ ٤١٦).

السُّخرية والاستِهزاء

معنى السُّخريةِ والاستِهزاء:

السُّخريةُ لُغةً: الاستهزاءُ، مَصدرُ سَخِرَ منه وبه، أي: هَزِئَ به(١).

السُّخريةُ اصطلاحًا: استِزراءُ العَقلِ معنًى. وقيل: الاستِهانةُ والتَّحقيرُ، والتَّنبيهُ على العُيوبِ والنَّقائصِ، على وجْهٍ يُضحَكُ منه، وقد يَكونُ ذلك بالمُحاكاةِ في القولِ والفعلِ، وقد يَكونُ بالإشارةِ والإيماءِ(٢).

الاستِهزاءُ لُغةً: مَصدَرُ قَولِهم: استَهزَأَ يَستهزِئُ، أي: سَخِر منه(٣).

الاستِهزاءُ اصطلاحًا: السُّخريةُ؛ وهو حَمْلُ الأقوالِ والأفعالِ على الهَزلِ واللَّعِبِ، لا على الجِدِّ والحَقيقةِ، فالَّذي يَسخَرُ بالنَّاسِ هو الَّذي يَذُمُّ صِفاتِهم وأفعالِهم ذمًّا يُخرِجُها عن درجةِ الاعتِبارِ(٤).

الفَرقُ بين الاستِهزاء والسُّخريةِ وبعضِ الصِّفات(٥):

• الفَرقُ بينَ الاستِهزاء والسُّخرية:

الاستِهزاءُ يقعُ مِن غيرِ أن يَسبِقَ مِنَ الإنسانِ فِعلٌ يُستهزَأُ به مِن أجْلِه. والسُّخْرُ: يدُلُّ على فِعلٍ يَسبِقُ مِنَ المَسخورِ منه.

---

(١) ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (٧/ ٧٧)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/ ٣٥٢).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (ص: ١٩٢)، ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ١٩٢).

(٣) ((تاج العروس)) للزبيدي (١/ ٥٠٩) بتصرف يسير.

(٤) ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٦/ ٢٢).

(٥) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٠، ٢٧٥، ٤٩٣).



• الفرق بين السُّخريةِ واللَّعِب:

أنَّ في السُّخريةِ: خَديعةً واستِنقاصًا لِمَن يُسخَرُ به، ولا يَكونُ إلَّا بذِي حياةٍ. وأمَّا اللَّعِبُ: فقد يَكونُ بجَمادٍ؛ ولذلك أَسنَدَ سُبحانَه السُّخريةَ إلى الكفَّارِ بالنِّسبةِ إلى الأنبياءِ، كقولِه سُبحانَه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾ [هود: ٣٨].

• الفرق بين المُزاحِ والاستِهزاء:

أنَّ المُزاحَ لا يقتَضي تحقيرَ مَن يُمازِحُه، ولا اعتِقادَ ذلك، ألا ترَى أنَّ التَّابِعَ يُمازِحُ المَتبوعَ مِنَ الرُّؤساءِ والملوكِ ولا يَقتَضي ذلك تَحقيرَهم ولا اعتقادَ تحقيرِهم، ولكنْ يَقتَضي الاستِئناسَ بهم. والاستِهزاءُ: يَقتَضي تحقيرَ المُستهزَأ به، واعتقادَ تَحقيرِه.

النَّهيُ عن السُّخريةِ والاستِهزاءِ في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

- وقال سُبحانَه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤﴾ [الهمزة: ١ - ٤].

- عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالت: قلْتُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((حَسْبُكَ مِن صَفيَّةَ كذا وكذا. تعني: قصيرةً. فقال: لقد قُلْتِ كَلِمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البَحرِ لَمَزَجَتْهُ. قالتْ: وحكَيْتُ له إنسانًا، فقال: ما أُحِبُّ أنِّي حكَيْتُ إنسانًا وأنَّ لي كذا وكذا))[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢).

=

- وعن ابنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه، ((أنَّه كان يَجتَني سِواكًا مِنَ الأَراكِ، وكان دقيقَ السَّاقَينِ، فجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُه، فضَحِك القومُ منه، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: مِمَّ تَضحَكونَ؟ قالوا: يا نَبيَّ اللهِ، مِن دِقَّةِ ساقَيهِ، فقال: والَّذي نفْسي بيَدِه، لَهُما أثقَلُ في المِيزانِ مِن أُحُدٍ))[1].

أقوال السَّلف والعلماءِ في السُّخرية والاستِهزاء:

- عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: (لو سَخِرْتُ مِن كلبٍ، لخَشيتُ أن أكونَ كلبًا، وإنِّي لأَكرَهُ أن أرَى الرَّجُلَ فارِغًا ليس في عمَلِ آخرةٍ ولا دُنيا)[2].

- وقال أبو موسى الأَشعَريُّ رَضيَ اللهُ عنه: (لو رأيْتُ رجُلًا يَرضَعُ شاةً في الطَّريقِ فسَخِرْتُ منه، خِفْتُ أن لا أَموتَ حتَّى أَرضَعَها)[3].

- وقال القُرطُبيُّ: (مَن لَقَّب أخاهُ أو سَخِر منه فهو فاسقٌ)[4].

- وقال السَّفَّارينيُّ: (إنَّ كلَّ مَنِ افتَخَر على إخوانِه، واحتَقَر أحدًا مِن أقرانِه وأَخدانِه، أو سَخِرَ أو استَهزأَ بأحدٍ مِنَ المؤْمِنين؛ فقد باءَ بالإثمِ والوِزرِ المُبين)[5].

آثار السُّخريةِ ومَضارُّها[6]:

= صححه ابن دقيق العيد في ((الاقتراح)) (١١٨)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٧٥).

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٠٦٩).

قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/ ٢٩٢): رجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((المسند)) (٦/ ٣٩)، وصححه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٢٧٥٠) بطرقه الكثيرة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٥٧٠٤)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٣٣/ ١٧٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٢٦٠٥٧).

(٤) ((تفسير القرطبي)) (١٦/ ٣٢٨).

(٥) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (ص: ١٣٤).

(٦) مستفاد من كتاب ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٢٢٣).

١- تُقطِّعُ الرَّوابطَ الاجتماعيَّةَ القائمةَ على الأُخوَّةِ والتَّوادِّ والتَّراحُمِ.

٢- تَبذُرُ بُذورَ العَداوةِ والبَغضاءِ.

٣- تولِّدُ الرَّغبةَ بالانتقامِ.

٤- مَن يَسخَرْ بالنَّاسِ يُعرِّضْ نفْسَه لغضبِ اللهِ.

٥- السُّخريةُ مِنَ المسْلمِ قد تؤدِّي به إلى خُسرانِ حسناتِه في الآخِرةِ.

٦- السُّخريةُ تُفقِدُ السَّاخرَ الوَقارَ، وتُسقِطُ عنه المُروءةَ.

مِن صُوَر السُّخرية والاستِهزاء:

١- الهَمزُ واللَّمزُ.

٢- التَّنابُزُ بالألقابِ.

٣- التَّعييرُ والتَّهكُّمُ.

أسبابُ السُّخرية والاستِهزاء[١]:

١- الكِبْرُ الَّذي يُلازِمُه بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاسِ.

٢- الرَّغبةُ بتحطيمِ مكانةِ الآخَرينَ.

٣- التَّسليةُ والضَّحِكُ على حسابِ آلامِ الآخَرينَ.

٤- الاستِهانةُ بأقوالِ الآخَرينَ وأعمالِهم، أو خِلقتِهم، أو طَبائِعِهم، أو أُسَرِهم، أو أنسابِهم، إلى غيرِ ذلك.

٥- الفراغُ، وحُبُّ إضحاكِ الآخَرينَ.

---

(١) مستفاد من كتاب ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٢٢٣).

السَّفهُ والحُمقُ

معنى السَّفهِ:

السَّفَهُ لُغةً: ضِدُّ الحِلمِ، وأصْلُه: الخِفَّةُ والحركةُ. وتَسفَّهْتُ فُلانًا عن مالِه، إذا خدَعْتَه عنه[1].

السَّفهُ اصطلاحًا: نَقيضُ الحِلمِ، وهو سُرعةُ الغضبِ، والطَّيشُ مِن يسيرِ الأمورِ، والمُبادَرةُ في البَطشِ، والإيقاعِ بالمؤْذي، والسَّرفُ في العقوبةِ، وإظهارُ الجَزَعِ مِن أَدْنى ضرَرٍ، والسَّبُّ الفاحشُ[2].

الحُمقُ لُغةً: قِلَّةُ العقلِ[3].

الحُمقُ اصطلاحًا: وضْعُ الشَّيءِ في غيرِ مَوضِعِه، مع العِلمِ بقُبحِه[4].

الفرق بين السَّفه والحمق وبعضِ الصِّفات[5]:

- **الفَرْق بينَ الحُمقِ والجَهلِ:**

وفيه وجْهانِ: أحدُهما: أنَّ الأحمقَ هو الَّذي يَتصوَّرُ المُمتنِعَ بصورةِ المُمكِنِ، والجاهلَ هو الَّذي لا يَعرِفُ المُمتنِعَ مِنَ المُمكِنِ. والوجْهُ الثَّاني: أنَّ الأحمقَ

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٢٣٤-٢٢٣٥).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٢٩).

(٣) ((الصحاح)) للجوهري (٤/ ١٤٦٤-١٤٦٥).

(٤) ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٤٤٢).

(٥) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٧٨)، ((تسهيل النظر)) للماوردي (ص: ٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ١٠٢١).

هو الَّذي يَعرِفُ الصَّوابَ ولا يَعمَلُ به، والجاهلَ هو الَّذي لا يَعرِفُ الصَّوابَ، ولو عرَفَه لعمِلَ به.

- **الفرق بين السَّفه والطَّيشِ:**

السَّفَهُ: نقيضُ الحِكمةِ، ويُستعارُ في الكلامِ القَبيحِ، فيُقالُ: سَفِهَ عليه؛ إذا أَسمَعَه القَبيحَ، ويُقالُ للجاهِلِ: سَفيهٌ. والطَّيشُ: خِفَّةٌ معها خطَأٌ في الفعلِ.

ذمُّ السَّفهِ والحُمقِ والنَّهيُ عنهما في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

- قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٤٠].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إنَّها ستَأْتي على النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعةٌ، يُصَدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصَّادِقُ، ويؤْتَمَنُ فيها الخائِنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأَمينُ، ويَنطِقُ فيها الرُّوَيْبِضةُ. قيل: وما الرُّوَيْبِضةُ؟ قال: السَّفِيهُ يَتكلَّمُ في أَمْرِ العامَّةِ))[1].

أقوال السَّلف والعلماءِ في السَّفه والحُمق:

- عن مجاهِدٍ قال: (كنتُ عِندَ ابنِ عبَّاسٍ، فجاءَه رجُلٌ فقال: إنَّه طَلَّقَ امرأتَه ثلاثًا، فسَكَتَ حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سيَرُدُّها إليه، فقال: يَنطلِقُ أحدُكُم فيركَبُ الأُحموقةَ ثمَّ يقولُ: يا ابنَ عبَّاسٍ، يا ابنَ عبَّاسٍ! إنَّ الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٧٩١٢).
صحح إسناده الحاكم في ((المستدرك)) (٤/ ٥٥٧)، وجود إسناده ابنُ كثيرٍ في ((نهاية البداية والنهاية)) (١/ ٢١٤)، وحسن إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٥/ ٣٧) وقال: ومتنه صحيح.

[الطلاق: ٢]، وإنَّك لم تَتَّقِ اللهَ، فلا أَجِدُ لك مَخرَجًا، عصَيْتَ ربَّك، وبانتْ منك امرأتُك)[١].

- عن يُسَيْرِ بنِ عَمرٍو -وكان قد أدرَك الصَّحابةَ-، قال: (اهجُرِ الأحمقَ؛ فليس للأحمقِ خَيرٌ مِن هِجرانِه)[٢].

أقسام السَّفهِ:

١- سَفَهٌ في الأمورِ الدُّنيويَّةِ، وهو التَّصرُّفُ في الأموالِ بالتَّبذيرِ والإسرافِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

٢- سفَهٌ في الدِّينِ، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، والمرادُ بالسَّفهاءِ هنا: الكُفَّارُ والمنافِقونَ. وقال سُبحانَه على لسانِ الجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ [الجن: ٤].

من علاماتِ السَّفيهِ:

١- الشُّحُّ.

٢- سُوءُ الخلُقِ.

٣- كَثرةُ طلَبِ الحوائجِ إلى النَّاسِ[٣].

٤- إنفاقُ المالِ على وجْهِ التَّبذيرِ، وفيما لا يَنبَغي.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٩٧)، والبيهقي (١٥٣٣٨).
صحح إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (٩/ ٢٧٥)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢١٩٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في ((روضة العقلاء)) (ص: ١١٨).

(٣) ((مجمع الأمثال)) للنيسابوري (٢/ ٤٥٩).



٥- الفُحشُ وبَذاءةُ اللِّسانِ.

من علامات الأحمق:

١- التَّخلُّقُ بالعجَلةِ والخِفَّةِ والجَفاءِ والغُرورِ والفُجورِ.

٢- التَّخلُّقُ بالجهلِ والتَّواني والخيانةِ والظُّلمِ والضَّياعِ.

٣- التَّخلُّقُ بالتَّفريطِ والغفلةِ.

٤- التَّخلُّقُ بالخُيلاءِ والفُجرِ والمَكرِ.

آثار الحمق ومَضارُّه:

١- الأحمقُ يَتوهَّمُ أنَّه أَعقلُ النَّاسِ.

٢- الأحمقُ مُبغَّضٌ في النَّاسِ.

٣- الأحمقُ مجهولٌ في الدُّنيا.

٤- الأحمقُ غيرُ مَرْضيِّ العملِ، ولا محمودِ الأمرِ عِندَ اللهِ وعِندَ الصَّالحينَ[١].

٥- الحَمقَى عِباداتُهم عاداتٌ[٢].

٦- الحُمقُ داءٌ لا شفاءَ له[٣].

٧- السَّفهُ والحُمقُ دليلٌ على سوءِ الخلُقِ.

٨- السَّفهُ والحُمقُ مِن خَوارمِ المروءةِ.

٩- السَّفيهُ يَقعُ في الغِيبةِ وأعراضِ النَّاسِ.

---

(١) انظر ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ١٢٣).

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/ ١٦٤).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٢٠٢).

١٠- السَّفيهُ بذِيءُ اللِّسانِ.

أسباب الوقوع في السَّفهِ والحُمق:

١- الكِبْرُ والعُجبُ.

٢- جهْلُ عُيوبِ النَّفْسِ.

٣- العُجبُ بالمالِ.

٤- سوءُ الخلُقِ.

الوسائل المُعِينةُ على ترك السَّفهِ والحمق:

١- التَّحلِّي بالحِلمِ.

٢- التَّواضُعُ والانكسارُ.

٣- الاعتدالُ والتَّأنِّي في الأمورِ، ومنها:

أ- التَّأنِّي في الجوابِ.

ب- عدَمُ الإفراطِ في الضَّحِكِ.

ج- عدَمُ الاختلاطِ بالأشرارِ.

د- احترامُ الأخيارِ[1].

الحِكَم والأمثالُ والشِّعر في السَّفه والحمق[2]:

- عدُوُّ الرَّجُلِ حُمْقُه، وصديقُه عقلُه.

- مُعاداةُ العاقلِ خيرٌ مِن مُصادقةِ الأحمقِ.

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ١١٩) بتصرف يسير.

(٢) ((الأمثال)) لابن سلام (ص: ١٢٥).



- قال وهْبٌ: (مَكتوبٌ في الحكمةِ: قَصْرُ السَّفهِ النَّصَبُ، وقَصرُ الحِلمِ الرَّاحةُ، وقَصرُ الصَّبرِ الظَّفَرُ. وقَصرُ الشَّيءِ وقُصاراهُ: غايتُه وثمَرتُه)[1].

- قال دِعْبِلٌ الخُزاعيُّ:

عَداوةُ العاقِلِ خيرٌ إذا ... حصَّلْتَها مِن خُلَّةِ الأحمقِ

لأنَّ ذا العقلِ إذا لم يَزَعْ ... عن حِلمِه استَحْيَى فلمْ يَخرَقِ

ولن ترَى الأحمقَ يُبقي على ... دِينٍ ولا وُدٍّ ولا يَتَّقِي[2]



(١) ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص: ٩٥).

(٢) ((صيد الأفكار)) للقاضي المهدي (١/ ٦٠).

سوء الظَّنّ

معنى سوءِ الظَّنِّ:

السُّوءُ لُغةً: ساءَه يَسوؤُه سوءًا وسَواءً: فَعَل به ما يكرَه، نَقيضُ: سَرَّهُ[1].

الظَّنُّ لُغَةً: ظَنَنْتُ ذلك وظَننته ظَنًّا: اتَّهمْتُه. والظِّنَّةُ: التُّهَمةُ. والظَّنِينُ: المُتَّهَمُ الَّذي تُظَنُّ به التُّهَمةُ[2].

سُوءُ الظَّنِّ اصطلاحًا: عدَمُ الثِّقةِ بمَن هو لها أهْلٌ. وقيل: التُّهَمةُ والتَّخوُّنُ للأهلِ والأقاربِ والنَّاسِ في غيرِ محلِّه[3].

الفرق بين سوءِ الظَّنِّ وبعضِ الصِّفات[4]:

• الفرق بين سوء الظَّنِّ والاحترازِ:

أنَّ المُحترِزَ يَكونُ مع التَّأهُّبِ والاستِعدادِ وأخْذِ الأسبابِ الَّتي بها يَنجو مِنَ المَكروهِ... وأمَّا سوءُ الظَّنِّ فهو امتِلاءُ قلبِه بالظُّنونِ السَّيِّئةِ بالنَّاسِ حتَّى يَطفَحَ على لسانِه وجَوارِحِه، فهُم معه أبدًا في الهَمزِ واللَّمزِ والطَّعنِ والعَيبِ والبُغضِ.

• الفرق بين الفِراسة وسوءِ الظَّنِّ:

أنَّ الفِراسةَ ما تَوسَّمْتَه مِن أخيكَ؛ بدليلٍ يَظهَرُ لك، أو شاهدٍ يَبدُو منه، أو

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٩٥- ٩٦) بتصرف يسير.

(٢) ((المصدر السابق)) (١٣/ ٢٧٣).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوَرْدي (١/ ١٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٧/ ٣٧٧).

(٤) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/ ٣٧١)، ((الروح)) لابن القيم (١/ ٢٣٧- ٢٣٨) بتصرف.

علامةٍ تَشهَدُها فيه، فتَتفرَّسُ مِن ذلك فيه، ولا تَنطِقُ به إنْ كان سوءًا، ولا تُظهِرُه ولا تَحكُمُ عليه ولا تَقطَعُ به فتَأثَمُ، وسوءَ الظَّنِّ ما ظَنَنْتَه مِن سوءِ رأيِك فيه، أو لأجلِ حِقدٍ في نفْسِك عليه، أو لسوءِ نيَّةٍ تكونُ، أو خُبثِ حالٍ فيك، تَعرِفُها مِن نفْسِك فتَحمِلُ حالَ أخيك عليها وتَقِيسُه بك، فهذا هو سوءُ الظَّنِّ والإثمُ.

ذمُّ سوءِ الظَّنِّ والنَّهيُ عنه في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال سُبحانَه في ذمِّ سوءِ الظَّنِّ بمَن ظاهِرُه العدالةُ مِنَ المسْلمينَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((إيَّاكُم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ))[١].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في ذمِّ سوءِ الظَّنِّ[٢]:

- قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه: (إذا استَوْلى الصَّلاحُ على الزَّمانِ وأهْلِه، ثمَّ أساءَ رجُلٌ الظَّنَّ برجُلٍ لم تَظهَرْ منه خِزيةٌ؛ فقد ظَلَم).

- وقال الغَزاليُّ: (سوءُ الظَّنِّ غِيبةٌ بالقلبِ).

- وقال الخَطَّابيُّ: (الظَّنُّ مَنشأُ أكثَرِ الكذِبِ).

الآثارُ السَّيِّئةُ لسوءِ الظَّنِّ:

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) يُنظر: ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ١٧٧)، ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٣/ ٢٥٧)، ((عمدة القاري)) للعيني (٢٣/ ٢٣٢).

١- سببٌ للوقوعِ في الشِّركِ والبدعةِ والضَّلالِ.

٢- صِفةُ مَن لا يُحبُّهمُ اللهُ تعالى.

٣- سببٌ في استِحقاقِ لعنةِ اللهِ وغضَبِه.

٤- يورِثُ الإنسانَ الأخلاقَ السَّيِّئةَ.

٥- مَن أَساءَ الظَّنَّ أساءَ العملَ.

٦- سببٌ في وجودِ الأحقادِ والعداوةِ.

مِن صُوَرِ سوءِ الظَّنِّ:

لسوءِ الظَّنِّ صوَرٌ عديدةٌ في شتَّى أقسامِه، لا يُمكِنُ حصْرُها؛ فكلُّ النَّاسِ -إلَّا مَن رحِمَ اللهُ- واقعٌ فيها.

قال ابنُ القَيِّمِ: (أكثَرُ الخلْقِ، بل كلُّهم إلَّا مَن شاءَ اللهُ، يَظنُّونَ باللهِ غيرَ الحقِّ ظَنَّ السَّوءِ؛ فإنَّ غالِبَ بَني آدمَ يَعتقِدُ أنَّه مَبخوسُ الحقِّ، ناقصُ الحظِّ، وأنَّه يَستحِقُّ فَوقَ ما أَعطاهُ اللهُ، ولسانُ حالِه يَقولُ: ظَلَمَني ربِّي ومنَعَني ما أَستحِقُّه! ونفْسُه تَشهَدُ عليه بذلك، وهو بلسانِه يُنكِرُه، ولا يَتجاسَرُ على التَّصريحِ به، ومَن فَتَّشَ نفْسَه وتَغلْغَلَ في معرفةِ دفائِنِها وطَواياها رأى ذلك فيها كامِنًا كُمونَ النَّارِ في الزِّنادِ، فاقدَحْ زِنادَ مَن شِئتَ يُنبِئْكَ شَرارُه عمَّا في زِنادِه، ولو فتَّشْتَ مَن فتَّشْتَه لرأيتَ عِندَه تَعتُّبًا على القدَرِ، ومَلامةً له، واقتراحًا عليه خِلافَ ما جرَى به، وأنَّه كان يَنبَغي أن يَكونَ كذا وكذا، فمُستقِلٌّ ومُستكثِرٌ، وفتِّشْ نفْسَك هل أنت سالمٌ مِن ذلك... فليَعتَنِ اللَّبيبُ النَّاصحُ لنفْسِه بهذا الموضعِ)[1].

---

(١) ((زاد المعاد في هدي خير العباد)) لابن القيم (٣/ ٢١١).

أسباب الوقوعِ في سوء الظَّنِّ[1]:

١- الجهلُ، وسوءُ القصدِ والفَهمِ.

٢- اتِّباعُ الهوَى، وتعميمُ الأحكامِ على النَّاسِ.

٣- مُصاحَبةُ أهلِ الفِسقِ والفجورِ.

٤- الحُضورُ في مواطنِ التُّهَمِ والرِّيَبِ.

٥- الحِقدُ والحسدُ على المَظنونِ به.

٦- الإسرافُ في الغَيرةِ.

الوسائل المُعِينة على ترك سوء الظَّنِّ[2]:

١- الاستعاذةُ باللهِ، والتَّوقُّفُ عنِ الاسترسالِ في الظُّنونِ.

٢- معرفةُ أسماءِ اللهِ وصِفاتِه على منهجِ السَّلفِ الصَّالحِ.

٣- الخوفُ مِن عقوبةِ مَن يُسيءُ الظَّنَّ.

٤- سوءُ الظَّنِّ بالنَّفْسِ، واتِّهامُها بالتَّقصيرِ.

٥- المداومةُ على مُحاسَبةِ النَّفْسِ، والاستِغفارِ.

٦- معرفةُ حُكمِ سوءِ الظَّنِّ بالمسْلمِ.

٧- تركُ التَّحقُّقِ مِنَ الظُّنونِ السَّيِّئةِ.

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البُستي (١/ ١٠٠)، ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/ ٣٧١)، ((إحياء علوم الدين)) لأبي حامد الغزالي (٢/ ١١٩)، ((ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث)) لمحمد عبد الحكيم (١/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) ((زاد المعاد في هدي خير العباد)) لابن القيم (٣/ ٢٠٦-٢١١).

سوء الظَّنِّ في واحة الشِّعر:

قال أبو الطَّيِّبِ:

إذا ساءَ فِعلُ المرءِ ســـاءتْ ظُنونُهُ	وصَـــدَّقَ ما يَعتـــادُهُ مِـــن تَوهُّمِ
وعـــادَى مُحبِّيـــهِ بقـــولِ عِداتِهِ	وأَصبَحَ في لَيـلٍ مِنَ الشَّـكِّ مُظْلِمِ[1]



(١) ((العزلة)) للخطابي (ص: ٣١).

الشَّماتة

معنى الشَّماتة:

الشَّماتةُ لُغةً: الفرح بِبَليَّةِ العدُوِّ[1].

الشَّماتةُ اصطلاحًا: الفرَحُ ببَليَّةِ مَن تُعاديهِ ويُعاديكَ[2]. وقيل: سرورُ النَّفْسِ بما يُصيبُ غيرَها مِنَ الأضرارِ، وإنَّما تَحصُلُ مِنَ العداوةِ والحسدِ[3].

ذمُّ الشَّماتةِ والنَّهيُ عنها في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠].

- وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وهذا الفرح شماتة، والحسد والشماتة متلازمان[4].

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، ((أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ كان يَتعوَّذُ مِن سُوءِ القَضاءِ، ومِن دَرَكِ الشَّقاءِ، ومِن شَماتةِ الأعداءِ، ومِن جَهدِ البَلاءِ)). قال عَمرٌو في حديثِه: قال سُفيانُ: أشُكُّ أنِّي زِدتُ واحدةً منها[5].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الشَّماتة:

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ٣٦٦).

(٢) ((المفردات)) للراغب (١/ ٥٥٢).

(٣) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (٨/ ٢٩٩).

(٤) ((تفسير الرازي)) (٣/ ٢١٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧) واللفظ له.

- عن عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: (ما رأيْتُ ظالِمًا أَشبَهَ بمَظلومٍ مِنَ الحاسدِ؛ غَمٌّ دائمٌ، ونفَسٌ مُتتابِعٌ). وقيل: (إذا رأى الحاسدُ نعمةً بُهِتَ، وإذا رأى عَثْرةً شَمِتَ)[1].

- وقال ابنُ سِيرينَ: (عَيَّرْتُ رجُلًا بالإفلاسِ، فأفلسْتُ). قال ابنُ الجَوزيِّ: و(مِثلُ هذا كثيرٌ، وما نزلَتْ بي آفةٌ ولا غَمٌّ ولا ضِيقُ صدْرٍ إلَّا بزَلَلٍ أَعرِفُه، حتَّى يُمكِنُني أن أقولَ: هذا بالشَّيءِ الفُلانيِّ، وربَّما تأوَّلْتُ تأويلًا فيه بُعدٌ فأرَى العُقوبةَ)[2].

آثارُ الشَّماتةِ ومَضارُّها:

١- الشَّماتةُ بالتَّعييرِ بالذَّنبِ أَعظَمُ مِن ارْتِكابِ الذَّنْبِ[3].

٢- الشَّامتُ قد تَنعكِسُ المُصيبةُ عليه[4].

٣- الشَّماتةُ تُربِّي الحقدَ والحسدَ والعداوةَ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

٤- الشَّماتةُ لها تأثيرٌ سلبيٌّ على الفردِ والمُجتمَعِ.

٥- الشَّماتةُ بالمصيبةِ تؤدِّي إلى العداوةِ والبغضاءِ.

أسباب الوقوع في آفة الشَّماتة:

١- الابتعادُ عن منهجِ الرَّسولِ الكريمِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ.

٢- ضَعفُ الإيمانِ.

٣- حُبُّ التَّشفِّي في النَّاسِ.

٤- الفرحُ بمصائبِ النَّاسِ.

٥- نِسيانُ الآخرةِ.

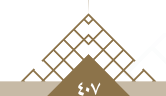
---

(١) ((بريقة محمودية)) لأبي سعيد الخادمي (٣/ ٣٦٥).

(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/ ٣٤١).

(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ١٧٧).

(٤) ((بريقة محمودية)) للخادمي (٣/ ٣٧٨).



٦- حُبُّ الدُّنيا، والتَّعلُّقُ بها.

٧- تَعاظُمُ العداوةِ المُفْضيةِ إلى استحلالِ ما حرَّمَه اللهُ سُبحانَه[١].

٨- الحقدُ والكراهيةُ[٢].

الوسائل المُعِينة على ترك الشَّماتة:

١- التَّقرُّبُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بالطَّاعاتِ، وفِعلِ الخَيراتِ.

٢- اتِّباعُ منهجِ الرَّسولِ الكريمِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ.

٣- الحزنُ على مصائبِ النَّاسِ.

٤- تَذكُّرُ الآخرةِ، واليقينُ بأنَّ الدُّنيا زائلةٌ.

٥- حُبُّ الخيرِ للنَّاسِ.

٦- عدَمُ التَّعلُّقِ بالدُّنيا.

شماتة المُنافِقينَ بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وأصحابِه:

- في غزوةِ أُحُدٍ أظهَرَ اليهودُ والمُنافِقونَ الشَّماتةَ بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وأصحابِه: فحينما وصَلَ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ المدينةَ -بعد غزوةِ أُحُدٍ- أظهَرَ المُنافقونَ واليهودُ الشَّماتةَ والسُّرورَ، وصارُوا يُظهِرون أقبَحَ القولِ، ومنه: ما محمَّدٌ إلَّا طالبُ مُلكٍ، ما أُصيبَ بمِثلِ هذا نبيٌّ قطُّ؛ أُصيبَ في بدَنِه وأُصيبَ في أصحابِه! ويَقولونَ: لو كان مَن قُتِل منكُم عِندَنا ما قُتِل. واستَأذَنَه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ عُمرُ في قتلِ هؤلاءِ المُنافِقينَ، فقال: أليس يُظهِرونَ شَهادةَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ؟ قال: بلى، ولكنْ تَعوُّذًا مِنَ السَّيفِ، فقد بانَ

---

(١) ((تحفة الذاكرين)) للشوكاني (ص: ٤٤٣).

(٢) يُنظر: ((أخلاق المنافقين)) ليعقوب المليجي (ص: ٧٦).

أمْرُهم، وأبدَى اللهُ تعالى أَضغانَهم، فقال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: نُهيتُ عن قَتلِ مَن أَظهَرَ ذلك، وصار ابنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلولَ -لعَنَه اللهُ- يوبِّخُ ابنَه عبدَ اللهِ رَضيَ اللهُ تعالى عنه، وقد أَثبَتَتْه الجِراحةُ، فقال له ابنُه: الَّذي صَنَع اللهُ لرسولِه والمسْلمينَ خَيرٌ[1].

أقوال وأمثال وشِعرٌ في الشَّماتة:

- الشَّماتةُ لؤْمٌ[2].

- أنتَ أجدْتَ طبْخَه فاحْسِ وذُقْ: يُضرَبُ في الشَّماتةِ بالجاني على نفْسِه[3].

- وقال أَكثَمُ بنُ صَيْفيٍّ: (ليس مِنَ الكرمِ أن يَشمَتَ الرَّجُلُ بصاحبِه إذا زَلَّتْ به النَّعلُ، أو نَزَل به أمْرٌ)[4].

- قال نَهْشَلُ بنُ حَرِّي:

ومَن يَـرَ بالأقـوامِ يَومًـا يَرَوْنَهُ ... مَعـرَّةَ يـومٍ لا تُـوازَى كواكِبُه

فقُلْ لِلَّذي يُبدي الشَّـماتةَ جاهِلًا ... سـيأتيكَ كأسٌ أنتَ لا بُدَّ شـارِبُه



(١) ((السيرة الحلبية)) لعلي بن إبراهيم الحلبي (٢/ ٥٤٩).

(٢) ((المستقصى في أمثال العرب)) للزمخشري (١/ ٣٢٧).

(٣) ((المصدر السابق)) (١/ ٣٧٩).

(٤) ((الأمثال)) لابن سلام (١/ ٢٩).



الطَّمَع

معنى الطَّمع:

الطَّمَعُ لُغةً: طَمِعَ طَمَعًا فهو طامِعٌ، وأَطْمَعَه غيرُه، وإنَّه لطَمِعٌ: حريصٌ[1].

الطَّمَعُ اصطلاحًا: نُزوعُ النَّفْسِ إلى الشَّيءِ؛ شَهوةً له. وقيل: ذُلٌّ يَنشأُ مِنَ الحرصِ والبَطالةِ والجهلِ بحكمةِ الباري[2].

الفرق بين الطَّمعِ وبعضِ الصِّفات[3]:

• الفرق بين الحِرْص والطَّمع:

قيل: الحِرصُ أشدُّ الطَّمَعِ.

• الفرق بين الأمَل والطَّمَع:

قيل: أكثَرُ ما يُستعمَلُ الأملُ فيما يُستبعَدُ حُصولُه؛ فإنَّ مَن عَزَم على سفرٍ إلى بلدٍ بعيدٍ يقولُ: (أَمَّلْتُ الوُصولَ إليه) ولا يقولُ: (طَمِعتُ) إلَّا إذا قرُبَ منه؛ فإنَّ الطَّمعَ لا يَكونُ إلَّا فيما قرُبَ حُصولُه. وقد يَكونُ الأملُ بمعنَى الطَّمعِ.

• الفرق بين الرَّجاء والطَّمع:

أنَّ الرَّجاءَ هو الظَّنُّ بوُقوعِ الخيرِ الَّذي يَعتري صاحبَه الشَّكُّ فيه، إلَّا أنَّ ظَنَّه فيه أَغلَبُ، وليس هو مِن قَبيلِ العِلمِ... والطَّمعَ ما يَكونُ مِن غيرِ سببٍ يَدْعو

(١) ((كتاب العين)) للخليل (٢/ ٢٧).

(٢) ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٢٤)، ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٢٢٨).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٧٣، ٢٤٨).

إليه، فإذا طَمِعتَ في الشَّيءِ فكأنَّك حدَّثْتَ نفْسَك به مِن غيرِ أن يَكونَ هناك سببٌ يَدْعو إليه.

ذمُّ الطَّمعِ في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]. أي: لا تأخُذوا طمَعًا قليلًا وتَكتُموا اسمَ اللهِ، وذلك الثَّمنُ هو الطَّمَعُ[١].

- وقال جلَّ في عُلاهُ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]. أي: ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: بسائقِ الطَّمعِ والحِرصِ وحُبِّ التَّكاثُرِ بالأموالِ الَّتي تَمِيلُ بذَوِيها إلى الباطلِ إن لم يَتولَّهمُ اللهُ بلُطفِه[٢].

- عن كعبِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((ما ذِئْبانِ أُرسِلَا في غنَمٍ، بأفسَدَ لها مِن حِرصِ المَرءِ على المالِ والشَّرفِ لدِينِه))[٣]. أي: (أنَّ حِرصَ المرءِ علَيهِما أكثَرُ فسادًا لدِينِه المُشبَّهِ بالغَنمِ؛ لضَعفِه، بجَنبِ حِرصِه مِن إفسادِ الذِّئبَينِ للغَنَمِ)[٤].

- عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((مَن غزَا في سبيلِ اللهِ ولم يَنْوِ إلَّا عِقالًا، فلَهُ ما نَوَى))[٥].

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن أبي حاتم (١/ ٩٧).

(٢) ((بيان المعاني)) للعاني (١/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٧٩٤). قال الترمذي: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٣٧٦).

(٤) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للقاري (٨/ ٣٢٤٣).

(٥) أخرجه النسائي (٣١٣٨)، وأحمد (٢٢٦٩٢).

صححه الشوكاني في ((الفتح الرباني)) (١٢/ ٦٢٣٣)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٣١٣٨).

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الطَّمع:

- قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (تَعلمَنَّ أنَّ الطَّمَعَ فَقرٌ، وأنَّ اليأسَ غِنًى)[1].

- وقال عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه: (أَكثَرُ مَصارعِ العُقولِ تحتَ بُروقِ المَطامِعِ)[2].

- وقال الحسَنُ البَصريُّ: (صَلاحُ الدِّينِ الورَعُ، وفَسادُه الطَّمَعُ)[3].

أنواع الطَّمع:

الأوَّل: الطَّمَعُ المحمودُ: كالطَّمعِ في طلَبِ مغفرةِ اللهِ للإنسانِ، والطَّمعِ في دخولِ الجنَّةِ، والطَّمعِ في كرمِ اللهِ تعالى.

الثَّاني: الطَّمعُ المذمومُ: كالطَّمعِ في طلبِ الدُّنيا وجمْعِ المالِ، والطَّمعِ في سُلطةٍ أو مَنصِبٍ، والطَّمعِ في المأكلِ والمَشرَبِ والمَلذَّاتِ.

آثارُ الطَّمعِ ومَضارُّه:

١- يَنتشِرُ في المُجتمَعِ، ويُصبِحُ خلُقًا مُتوارَثًا بيْن النَّاسِ.

٢- الانشغالُ الدَّائمُ، والتَّعَبُ الَّذي لا يَنقطِعُ.

٣- انعِدامُ مَبدأِ البَذْلِ والتَّضحيةِ والإيثارِ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

٤- دليلٌ على سوءِ الظَّنِّ باللهِ تعالى.

٥- دليلٌ على ضَعفِ الثِّقةِ باللهِ، وقِلَّةِ الإيمانِ.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (١/ ٣٥٤)، ووكيع في ((الزهد)) (ص: ٤٢٦)، وأحمد في ((الزهد)) (ص: ٩٧).

(٢) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص: ٨٣).

(٣) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للقاري (٨/ ٣٣٠٤).

٦- طريقٌ موصِلٌ إلى النَّارِ.

٧- يَجعَلُ صاحبَه حقيرًا في عُيونِ الآخَرينَ.

الأسباب المؤدِّية إلى الطَّمع:

١- الجهلُ بالآثارِ السَّيِّئةِ للطَّمَعِ.

٢- حُبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموتِ.

٣- ضَعفُ الإيمانِ.

٤- عدَمُ الاهتِمامِ بتزكيةِ النَّفْسِ وتهذيبِها.

٥- الانجرافُ وراءَ المُغرياتِ؛ مِن أموالٍ، ومَناصبَ، وغيرِها.

٦- مُجالَسةُ أهلِ الطَّمعِ ومُصاحبَتُهم.

٧- نُشوءُ الفردِ في مُجتمَعٍ فاسدٍ غيرِ مُلتزمٍ بتعاليمِ الدِّينِ الحَنيفِ.

الوسائل المُعِينة على ترك الطَّمع:

١- الاهتمامُ بتهذيبِ النَّفْسِ وتَرويضِها على الصَّبرِ في الطَّاعاتِ.

٢- التَّأمُّلُ في العواقبِ الوَخيمةِ الَّتي تَنتُجُ عنِ الطَّمعِ.

٣- التَّأمُّلُ في نِعَمِ اللهِ الكثيرةِ والمُختلِفةِ، وشُكرُه عليها.

٤- التَّحلِّي بالورَعِ عِندَ المَيلِ إلى الطَّمعِ.

٥- التَّسليمُ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه.

٦- الطَّمعُ في الجنَّةِ وما عِندَ اللهِ مِن نعيمٍ في الدَّارِ الآخِرةِ.



٧- اللُّجوءُ إلى اللهِ، والاستِعانةُ به في الابتعادِ عنِ الطَّمعِ.

حِكَمٌ وأمثال وشِعرٌ في الطَّمع:

- هو أَطمَعُ مِن أَشعَبَ[١].
- قَطَع أعناقَ الرِّجالِ المَطامعُ.
- عَتودٌ عِندَ الفَزَعِ، ذِئبٌ عِندَ الطَّمَعِ[٢].
- قال الشَّاعِرُ:

يا وَيحَ مَن جَعَل المَطامِعَ قائدًا ... يَقتادُهُ نَحوَ الرَّدَى بزِمامِ
مَن كان قائِدُهُ المَطامِعَ لم يَفُزْ ... يومًا بعَيشِ مَسَرَّةٍ وسَلامِ[٣]



(١) ((الزاهر في معاني كلمات الناس)) للأنباري (٢/ ٢١٦).
(٢) ((القناعة والتعفف)) لابن أبي الدنيا (ص: ٧٩).
(٣) ((بيان المعاني)) لعبد القادر العاني (٤/ ٤٦٦).

الظُّلْمُ

معنَى الظُّلْمِ:

الظُّلْمُ لُغةً: وضْعُ الشَّيءِ في غيرِ مَوضعِه؛ يقال: ظَلَمَه يَظلِمُه ظَلْمًا وظُلْمًا ومَظلِمةً[1].

الظُّلْمُ اصطلاحًا: وضْعُ الشَّيءِ في غيرِ مَوضعِه المُختَصِّ به؛ إمَّا بنُقصانٍ أو بزيادةٍ؛ وإمَّا بعُدولٍ عن وقتِه أو مَكانِه. وقيل: هو عِبارةٌ عنِ التَّعدِّي عنِ الحقِّ إلى الباطلِ، وهو الجَورُ. وقيل: هو التَّصرُّفُ في مُلكِ الغيرِ، ومُجاوَزةُ الحدِّ[2].

الفَرْقُ بَيْنَ الظُّلْمِ ومُترادفاتِه (الجَوْر - الهَضْم)[3]:

الجَورُ خِلافُ الاستقامةِ في الحُكمِ. والظُّلمُ ضرَرٌ لا يُستحقُّ ولا يُعقِبُ عِوضًا، سواءٌ كان مِن سُلطانٍ أو حاكمٍ أو غيرِهما.

والهَضمُ نُقصانُ بعضِ الحقِّ، ولا يُقالُ لِمَن أُخِذ جميعُ حقِّه: قد هُضِم، والظُّلمُ يَكونُ في البعضِ والكُلِّ، وفي القرآنِ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]، أي: لا يُمنَعُ حقَّه ولا بعضَ حقِّه. وأصلُ الهَضمِ في العربيَّةِ: النُّقصانُ، ومنه قيل للمُنخفضِ مِنَ الأرضِ: هَضْمٌ، والجمعُ: أَهضامٌ.

---

(١) ((المصباح المنير)) للفيومي (ص: ١٤٦).

(٢) ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٣٧)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٨٦).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٨٥، ٥٥٧).

النَّهيُ عن الظُّلم في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١﴾ [غافر: ٣١]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨].

- وقال تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٤٢﴾ [سبأ: ٤٢]، وقال اللهُ تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر: ١٨].

- عن أبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه قال: ((قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: قال اللهُ تبارَك وتعالى: يا عِبادِي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسي، وجَعَلْتُه بيْنكُم مُحَرَّمًا؛ فلا تَظالَمُوا...))[1].

- وعن جابرٍ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أَهلَكَ مَن كان قَبلَكُم، حَمَلَهُم على أن سَفَكوا دِماءَهُم، واستَحَلُّوا مَحارِمَهُم))[2].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الظُّلم:

- قال معاويةُ رَضيَ اللهُ عنه: (إنِّي لَأَستَحي أن أَظلِمَ مَن لا يَجِدُ عليَّ ناصرًا إلَّا اللهَ)[3].

- وقال رجُلٌ عند أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه: (إنَّ الظَّالمَ لا يَظلِمُ إلَّا نفْسَه، فقال أبو هُرَيرةَ: كذَبْتَ، والَّذي نفْسُ أبي هُرَيرةَ بيَدِه، إنَّ الحُبارَى لَتموتُ في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/ ٣٠).

وَكْرِها مِن ظُلْمِ الظَّالمِ)[1].

- (وكَتَب إلى عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحِمه اللهُ بعضُ عُمَّالِه يَستأذِنُه في تحصينِ مَدينتِه، فكتب إليه: حَصِّنْها بالعدلِ، ونَقِّ طُرُقَها مِنَ الظُّلْمِ)[2].

آثارُ الظُّلْمِ ومَضارُّه:

١- الظَّالمُ مَصروفٌ عنِ الهِدايةِ.

٢- الظَّالمُ لا يُفلِحُ أبدًا.

٣- الظَّالمُ عليه اللَّعنةُ مِنَ اللهِ.

٤- الظَّالمُ يُحرَمُ مِنَ الشَّفاعةِ.

٥- تُصيبُه دَعوةُ المَظلومِ ولا تُخطِئُه.

٦- بالظُّلْمِ يَرتفِعُ الأمنُ.

٧- الظُّلمُ سببٌ للبلاءِ والعِقابِ.

٨- تُوعِّدَ الظَّالمُ بدُخولِ النَّارِ.

مِن صُوَرِ الظُّلمِ:

أ- ظُلمُ العبدِ نفْسَه

١- أَعظَمُه: الشِّركُ باللهِ.

٢- التَّعدِّي على حدودِ اللهِ.

٣- الصَّدُّ عن مساجِدِ اللهِ أن يُذكَرَ فيها اسمُه.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((العقوبات)) (٢٦٩)، والطَّبَريُّ في ((التفسير)) (١٧/ ٢٣١).

(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/ ٣١).



٤- كَتْمُ الشَّهادةِ.

٥- الإعراضُ عن آياتِ اللهِ بتعطيلِ أحكامِها.

٦- الكذِبُ على اللهِ.

ب - ظُلمُ العِبادِ بعضِهم لبعضٍ:

ويَنقسِمُ إلى ظُلمٍ قَوليٍّ، وظُلمٍ فِعليٍّ:

مِن صوَرِ الظُّلمِ القَوليِّ:

التَّعرُّضُ إلى النَّاسِ بالغِيبةِ، والنَّميمةِ، والسِّبابِ والشَّتمِ، والاحتِقارِ، والتَّنابُزِ بالألقابِ، والسُّخريةِ والاستِهزاءِ، والقذفِ والاتِّهامِ بالباطِلِ... وغيرِها.

مِن صوَرِ الظُّلمِ الفِعليِّ:

١- القتلُ بغيرِ حقٍّ.

٢- الظُّلمُ الواقعُ على المسْلمينَ بسببِ دِينِهم، الَّذين قُتِّلوا، وشُرِّدوا، وسُجِنوا.

٣- أخْذُ أرضِ الغَيرِ أو شيءٍ منها.

٤- الظُّلمُ الواقعُ في الأُسَرِ؛ مِثلُ: ظُلمِ الأولادِ لوالِدِيهم بعُقوقِهما، وظُلمِ الأزواجِ لزَوجاتِهم في حقِّهِنَّ، وظُلمِ الزَّوجاتِ لأزواجِهِنَّ في تَقصيرِهِنَّ في حقِّهم، وظُلمِ البناتِ بعَضلِهِنَّ عنِ الزَّواجِ، والدُّعاءِ على الأولادِ، والقَسوةِ في التَّعامُلِ معهم، وتَفضيلِ بعضِ الأولادِ على بعضٍ.

٥- ظُلمُ أصحابِ الوِلاياتِ والمَناصبِ؛ مِثلُ: نَبذِ كِتابِ اللهِ، وتَحكيمِ القَوانينِ الوَضعيَّةِ، وعدَمِ إعطاءِ الرَّعيَّةِ حقوقَهم، وتقديمِ شخصٍ في وظيفةٍ ما وهناك أُناسٌ أَكفأُ منه وأَقدَرُ على العملِ.

٦- ظُلمُ العُمَّالِ؛ مِثلُ: أن يَعمَلَ له عمَلًا ولا يُعطيَه أجْرَه، أو أن يَبخَسَه حقوقَه، أو أن يؤخِّرَها عن وقتِها، أو تكليفِه بأُمورٍ غيرِ ما اتُّفِقَ عليها معه، أو بأمورٍ لم تَجرِ العادةُ بتكليفِ مِثلِه بها...

٧- أكْلُ مالِ الغيرِ بغيرِ حقٍّ؛ مِثلُ: أكْلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ، وأكْلِ أموالِ الضُّعفاءِ كاليَتامى، وأكْلِ الرِّبا، والسَّرِقةِ، والرِّشوةِ، والغِشِّ في المُعامَلاتِ، والمَيْسِرِ.

ردُّ المَظالِم:

مَنِ ابتُليَ بشيءٍ مِنَ الظُّلمِ والتَّسلُّطِ على النَّاسِ؛ سواءٌ كان بأخذِ مالٍ، أو بغيرِه مِن أنواعِ الظُّلمِ، فلْيَتحلَّلْ منه في هذه الدُّنيا الفانيةِ؛ فليس في الآخِرةِ دِينارٌ ولا دِرهمٌ، وإنَّما هو عمَلٌ صالحٌ يؤخَذُ منه بقَدْرِ مَظلِمتِه ويُعطَى للمظلومِ، وإنْ لم يَكُنْ له عمَلٌ صالحٌ أُخِذ مِن سَيِّئاتِ المظلومِ وحمَلَها الظَّالمُ؛ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ((مَن كانت له مَظلِمةٌ لأحدٍ مِن عِرضِه أو شَيءٍ، فلْيتحَلَّلْه منه اليومَ قبل ألَّا يكونَ دِينارٌ ولا دِرهمٌ؛ إن كان له عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقَدرِ مَظلِمتِه، وإنْ لم تكُنْ له حَسَناتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئاتِ صاحِبِه فحُمِلَ عليه))[1].

قصَّةٌ في الظُّلمِ... عِبَرٌ وعِظاتٌ:

قصَّةُ سعيدِ بن زَيدٍ رَضيَ اللهُ عنه؛ ففي الصحيح: ((أنَّ أَرْوَى بِنتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ على سعيدِ بنِ زَيدٍ أنَّه أَخَذ شيئًا مِن أرضِها، فخاصَمَتْهُ إلى مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ. فقال سعيدٌ: أنا كنتُ آخُذُ مِن أرضِها شيئًا بعد الَّذي سمِعتُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟! قال: وما سمِعتَ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسلَّمَ؟ قال سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: مَن أَخَذَ شِبرًا مِنَ الأرضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضينَ. فقال له مَرْوانُ: لا أَسأَلُكَ بَيِّنةً بعدَ هذا. فقال: اللَّهمَّ إنْ كانت كاذِبةً فعَمِّ بصَرَها، واقتُلْها في أرضِها. قال: فما ماتتْ حتَّى ذَهَب بصَرُها، ثمَّ بيْنَا هي تمشي في أرضِها إذْ وقَعَتْ في حُفرةٍ فماتتْ))[1].

الظُّلمُ في واحة الشِّعر:

قال أبو العَتاهِيةِ:

أمَــا واللـــهِ إنَّ الظُّلْـــمَ لُؤْمٌ ... ومــا زالَ المُســيءُ هــو الظَّلومُ

إلــى دَيَّانِ يَــومِ الدِّيــنِ نَمضي ... وعِنــدَ اللـــهِ تَجتمِــعُ الخُصومُ

ســتَعلَمُ في الحســابِ إذا الْتَقَيْنا ... غدًا عِنــدَ الإلــهِ مَنِ المَلُــومُ[2]



(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠) واللفظ له.

(٢) ((ديوان أبي العتاهية)) (ص: ٣٩٨).

العُجْبُ

معنَى العُجبِ:

العُجبُ لُغةً: الزَّهْوُ والكِبْرُ. وقيل: العُجبُ: فَضْلةٌ مِنَ الحُمْقِ صرَفها صاحبُها إلى العُجبِ[1].

العُجبُ اصطلاحًا: تَصوُّرُ استِحقاقِ الشَّخصِ رُتبةً لا يَكونُ مُستحِقًّا لها[2].

وقيل: هو استِعظامُ النِّعمةِ، والرُّكونُ إليها، مع نِسيانِ إضافتِها إلى المُنعِمِ[3].

الفرقُ بيْنَ العُجبِ ومرادفاتِه (الكِبْرِ والإدْلالِ)[4]:

الكِبْرُ يَستَدعي مُتكبَّرًا عليه ومُتكبَّرًا به، وبه يَنفصِلُ الكِبْرُ عنِ العُجبِ؛ فإنَّ العُجبَ لا يَستَدعي غيرَ المُعجِبِ، بل لو لم يُخلَقِ الإنسانُ إلَّا وحْدَه تُصوِّرَ أن يَكونَ مُعجبًا، ولا يُتصوَّرُ أن يَكونَ مُتكبِّرًا إلَّا أن يَكونَ مع غيرِه. والمُعجَبُ يُصدِّقُ نفْسَه فيما يَظُنُّ بها وَهْمًا، والتَّائِهُ يُصدِّقُها قَطْعًا.

والإدلالُ معنًى زائدٌ في العُجْبِ، وهو أن يُعجَبَ بعمَلِه أو عِلمِه، فيرَى أنَّ له عِندَ اللهِ قَدْرًا عظيمًا قدِ استَحقَّ به الثَّوابَ على عملِه، فإنْ رجَا المغفرةَ مع الخوفِ لم يَكُنْ إدلالًا، وإنْ زايَلَ الخَوفُ ذلك فهو إدلالٌ.

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٥٨٢)، و((تاج العروس)) للزَّبيدي (٣/ ٣١٨).
(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٤٧).
(٣) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ٣٧١).
(٤) ((الرعاية لحقوق الله)) للمحاسبي (ص: ٣٤٣-٣٤٤)، ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ٣٤١)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي (٣/ ٣١٨).

ذمُّ العُجْب والنَّهيُ عنه في القرآن والسُّنَّة:

- قال اللهُ تبارَك وتعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥].

- وقال اللهُ تبارَك وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٧، ٣٨].

- عَن أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((بينما رجلٌ يَمشي في حُلَّةٍ، تُعجبُه نفسُه، مُرَجِّلٌ جُمَّتَه، إذ خَسَفَ اللهُ به، فهو يَتجَلْجَلُ إلى يومِ القيامةِ))[1].

- وعن أنسٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لو لمْ تُذْنِبوا، لخَشِيتُ عليكم ما هو أكبَرُ منه؛ العُجبُ))[2].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ العُجب:

- قالت عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: (لَبِستُ مرَّةً دِرعًا جديدًا، فجَعلْتُ أنظُرُ إليه، وأَعجَبُ به، فقال أبو بكرٍ رَضيَ اللهُ عنه: أمَا عَلِمْتِ أنَّ العبدَ إذا دَخَلَه العُجبُ بزينةِ الدُّنيا مَقَتَه ربُّه حتَّى يُفارِقَ تلك الزِّينةَ؟ قالت: فنزَعْتُه فتصَدَّقْتُ به. فقال أبو بكرٍ رَضيَ اللهُ عنه: عسى ذلكَ أنْ يُكفِّرَ عنكِ)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) أخرجه البزار كما في ((الترغيب والترهيب)) للمنذري (٣/ ٣٥٨)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (١٤٤٧).

جوَّد إسناده المنذري، وحسنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٢٩٢١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/ ٣٧).

- وقال عُمرُ رَضيَ اللهُ عنه: (أَخوَفُ ما أَخافُ علَيكُم أن تَهلِكوا فيه ثلاثُ خِلالٍ: شُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفْسِه)[1].

- وقال أبو وَهبٍ المَروزيُّ: (سألْتُ ابنَ المبارَكِ: ما الكِبْرُ؟ قال: أنْ تَزدَريَ النَّاسَ. فسألْتُه عنِ العُجبِ؟ قال: أن تَرَى أنَّ عِندَك شيئًا ليس عِندَ غيرِك، لا أَعلَمُ في المُصلِّينَ شيئًا شَرًّا مِنَ العُجبِ)[2].

آثار العُجبِ:

١- أنَّه يَدْعو إلى الكِبْرِ؛ لأنَّه أحدُ أسبابِه[3].

٢- أنَّه يتولَّدُ عنه الكثيرُ مِنَ الأخلاقِ السَّيِّئةِ، والصِّفاتِ الرَّديئةِ؛ كالتِّيهِ، وازدِراءِ الآخَرينَ[4].

٣- يَدْعو إلى إهمالِ الذُّنوبِ ونِسيانِها، فلا يُحْدِثُ العبدُ بعد ذلك تَوبةً[5].

٤- يَجعلُ العبدَ يَستعظِمُ أعمالَه وطاعاتِه، ويَمُنُّ على اللهِ بِفعلِها.

٥- يَدْعو العبدَ إلى الاغترارِ بنفْسِه وبرأيِه، ويأمَنُ مَكْرَ اللهِ وعذابَه، ويَظُنُّ أنَّه عِندَ اللهِ بمكانٍ، ولا يَسمَعُ نُصحَ ناصحٍ، ولا وَعْظَ واعِظٍ.

٦- يَمنعُه من سؤالِ أهلِ العِلمِ.

٧- يُفتِّرُه عنِ السَّعيِ؛ لظَنِّه أنَّه قد فازَ، وأنَّه قدِ استَغنَى، وهو الهلاكُ الصَّريحُ[6].

(١) أخرجه ابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (١/ ٥٦٨) (٩٦٠).

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٨/ ٤٠٧).

(٣) ((الرعاية في حقوق الله)) للمحاسبي (ص ٣٣٧).

(٤) ((غذاء الألباب شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (٢/ ٢٢٣).

(٥) ((الرعاية في حقوق الله)) للمحاسبي (ص: ٣٣٧).

(٦) ((البحر الرائق في الزهد والرقائق)) لأحمد فريد (ص: ١٥٣) بتصرف.

مِن صُوَرِ العُجبِ:

١-الإعجابُ بالعقلِ الرَّاجحِ، والذَّكاءِ[1].

٢- الإعجابُ بالعِلمِ، وغزارتِه، والتَّفوُّقِ على الأقرانِ فيه.

٣-الإعجابُ بالشَّجاعةِ، والإقدامِ، والقوَّةِ، والبأسِ.

٤-الإعجابُ بجمالِ الصُّورةِ، وحُسنِ المَظهرِ.

٥-الإعجابُ بالجاهِ والمَنصبِ، والرِّئاسةِ والتَّصدُّرِ، والمالِ والغِنَى.

٦- الإعجابُ بالعبادةِ والطَّاعةِ.

٧-الإعجابُ بما يُقدِّمُه مِن خَيرٍ ومنفعةٍ للنَّاسِ.

٨- الإعجابُ بالنَّسَبِ والشَّرفِ، أوِ العَشيرةِ والقبيلةِ.

٩- الإعجابُ بكثرةِ الأبناءِ.

أسبابُ العُجبِ[2]:

١-جهْلُ المرءِ بحقيقةِ نفْسِه، وغفلتُه عنها.

٢-المدحُ والثَّناءُ والإطراءُ في الوجهِ.

٣-مقارَنتُه لنفْسِه بمَن هو دُونَه في العملِ والفضلِ، واعتِقادُه أنَّ النَّاسَ هَلْكَى بالذُّنوبِ والمعاصي، وأنَّه على خيرٍ كبيرٍ إذا قورِنَ بغيرِه.

٤-النَّشأةُ والتَّربيةُ؛ فقد يَنشأُ الإنسانُ في بيئةٍ غَلَب عليها طَبعُ العُجبِ والكِبْرِ، فيأخُذُ هذا الطَّبعَ منها، ويَتأثَّرُ بمُحيطِه ومَن حَوْلَه.

---

(١) ((البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار)) لابن المرتضى (٦/ ٤٩١).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٣٩)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ١٩٢)، ((آفات على الطريق)) لسيد محمد نوح (١/ ١١٨-١٢١).

٦-الاغتِرارُ بالنِّعمةِ، والرُّكونُ إليها، مع نِسيانِ ذِكرِ المُنعِمِ تبارَك وتعالى.

٧-تَولِّي المناصبِ القياديَّةِ؛ مِن سُلطةٍ، أو قضاءٍ، أو إدارةٍ، أو إشرافٍ، وغيرِ ذلك مِنَ المسؤوليَّاتِ.

علاماتُ العُجبِ:

١- تزكيةُ النَّفْسِ، والرَّفعُ مِن شأنِها.

٢- عدَمُ سماعِ النَّصيحةِ، والاستِعصاءُ على التَّوجيهِ والإرشادِ.

٣- الفرَحُ بسماعِ عُيوبِ الآخَرينَ، خاصَّةً الأقرانَ.

٤- ردُّ الحقِّ، والتَّرفُّعُ عنِ الاستجابةِ لداعِيه.

٥- احتِقارُ النَّاسِ، وتَصعيرُ الخَدِّ لهم.

٦- الاستِنكافُ عنِ استِشارةِ العُقلاءِ والفُضلاءِ.

٧- الاختيالُ والتَّبختُرُ في المَشيِ.

٨- استِعظامُ الطَّاعةِ واستِكثارُها، والمِنَّةُ على اللهِ بها.

٩- المُباهاةُ بالعِلمِ، والتَّفاخُرُ به، وجعْلُه وسيلةً للمُماراةِ والجَدَلِ.

الوسائلُ المُعِينةُ على تركِ العُجبِ:

يَتكلَّمُ الإمامُ ابنُ حزمٍ رحِمه اللهُ عن علاجِ العُجبِ، فيَجعلُ له علاجًا عامًّا يَتداوَى به كلُّ مَن أُصيبَ بهذا الدَّاءِ العُضالِ، والآفةِ القاتلةِ، وهذا العلاجُ يَكمُنُ في التَّفكُّرِ في عُيوبِ النَّفْسِ، والنَّظرِ إلى نقْصِها وضَعفِها، فيَقولُ رحِمه اللهُ تعالى: (مَنِ امتُحِن بالعُجبِ فلْيُفكِّرْ في عُيوبِه: فإنْ أُعجِبَ بفضائِلِه فلْيُفتِّشْ ما فيه مِنَ الأخلاقِ الدَّنيَّةِ، فإنْ خَفِيتْ عليه عُيوبُه جملةً حتَّى يَظُنَّ أنَّه لا عَيبَ

فيه، فلْيَعلَمْ أنَّه مصيبةٌ للأبدِ، وأنَّه أتمُّ النَّاسِ نقصًا، وأَعظمُهم عيوبًا، وأَضعفُهم تمييزًا... فلْيَتدارَكْ نفْسَه بالبحثِ عن عيوبِه، والاشتِغالِ بذلك عنِ الإعجابِ بها وعن عُيوبِ غيرِه الَّتي لا تَضُرُّه لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ...

ثمَّ تقولُ للمُعجَبِ: ارجِعْ إلى نفْسِك، فإذا مَيَّزْتَ عُيوبَها فقد داوَيْتَ عُجبَك، ولا تُميِّلْ [توازن] بيْن نفْسِك وبيْن مَن هو أَكثَرُ منها عيوبًا فَتَستسهِلَ الرَّذائلَ، وتَكونَ مقلِّدًا لأهلِ الشَّرِّ)[1].

العُجب عند الحكماء والأدباء والشُّعراء:

- قال ابنُ المُقفَّعِ: (العُجبُ آفةُ العقلِ)[2].
- وقال فيلسوفٌ: (العُجبُ فضيلةٌ يراها صاحبُها في غيرِه، فيَدَّعيها لنفْسِه)[3].
- وقيل: (العُجبُ أَكذَبُ، ومعرفةُ الرَّجُلِ نفْسَه أَصوَبُ)[4].
- قال أحدُ الشُّعراءِ:

يــا مَن غَلا فــي العُجــبِ والتِّيهِ	وغَــــــرَّهُ طــــولُ تَــمــادِيــه
أَمْـلَــى لـك الـلـهُ فـبـارَزْتَـهُ	ولـم تَخَـفْ غِــبَّ مَعاصِيه[5]



(١) ((رسائل ابن حزم)) (١/ ٣٨٧).
(٢) ((الأدب الصغير والأدب الكبير)) لابن المقفع (ص: ٣٥).
(٣) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان (١/ ٢٠٠).
(٤) ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (ص: ٤٤٤).
(٥) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (١٩/ ٢٤٦).

العُدوان

معنَى العُدوان:

العُدوانُ لُغةً: الظُّلْمُ الصُّرَاحُ، وقد عَدا عليه، وتَعَدَّى عليه، واعْتَدى كلُّه بمعنًى[1].

العُدوانُ اصطلاحًا: الظُّلْمُ المُتعدِّي إلى الغيرِ، أو: مُجاوَزةُ الحدِّ في الذُّنوبِ[2].

الفرقُ بين العُدوان وبعضِ الصِّفات[3]:

• الفَرقُ بين العُدوان والطُّغيان:

الطُّغيانُ: هو تجاوُزُ الحدِّ الَّذي كان عليه مِن قَبلُ. والعُدوانُ: تجاوُزُ المِقدارِ المأمورِ به بالانتهاءِ إليه والوُقوفِ عِندَه.

• الفَرقُ بين العُدوانِ والبَغيِ:

العُدوانُ: تجاوُزُ المِقدارِ المأمورِ به بالانتهاءِ إليه والوُقوفِ عِندَه... والبَغيُ: طلَبُ تَجاوُزِ قدْرِ الاستِحقاقِ، تَجاوَزَه أو لم يَتجاوَزْه، ويُستعمَلُ في المُتكبِّرِ.

• الفَرقُ بين العُدوان والظُّلْم:

وقد يُفرَّقُ بيْن الظُّلمِ والعُدوانِ بأنَّ الظُّلْمَ ما كان بغيرِ حقٍّ بالكلِّيَّةِ. وأمَّا العُدوانُ فهو مُجاوَزةُ الحدودِ وتَعدِّيها فيما أصْلُه مُباحٌ.

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٤٢١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ٣١).

(٢) ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/ ٦٤).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٤)، ((شرح حديث لبيك)) لابن رجب (ص: ١٠٣).

ذمُّ العدوانِ والنَّهيُ عنه في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

- وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢﴾ [المائدة: ٦٢].

- عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: ((أَتى النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أُناسٌ مِنَ اليهودِ، فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسمِ. قال: وعلَيكُم. قالت عائشةُ: قُلْتُ: بل عليكُمُ السَّامُ والذَّامُ. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: يا عائشةُ، لا تَكوني فاحشةً. فقالت: ما سمِعتَ ما قالوا؟ فقال: أوَلَيس قد رَدَدْتُ عليهِمُ الَّذي قالوا؟ قُلْتُ: وعلَيكُم))[1]. (والفُحشُ: عُدوانُ الجوابِ)[2].

- عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: ((جاء رجلٌ إلى رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يُريدُ أخْذَ مالي؟ قال: فلا تُعْطِه مالَك. قال: أرأيتَ إن قاتَلَني؟ قال: قاتِلْه. قال: أرأيتَ إن قتَلَني؟ قال: فأنت شَهيدٌ. قال: أرأيتَ إن قتَلْتُه؟ قال: هو في النَّارِ))[3].

أقوال السَّلف والعلماءِ في العُدوان:

- عن أَيُّوبَ قال: (مَرَّ ابنُ عُمرَ برجُلٍ يَكيلُ كَيلًا، كأنَّه يَعتَدي فيه، فقال له: وَيْحَك، ما هذا؟! فقال له: أمَرَ اللهُ بالوفاءِ. قال ابنُ عُمرَ: ونَهى عنِ العُدوانِ)[4].

- عنِ الرَّبيعِ قال: (سمِعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: أَنفعُ الذَّخائرِ التَّقوى، وأضَرُّها

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠١)، ومسلم (٢١٦٥).
(٢) ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (ص: ٦٠٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٠).
(٤) أخرجه عبدالرزاق في ((المصنف)) (٨/ ٦٧).

العُدوانُ)[1].

- كَتَب الفضلُ بنُ يحيى إلى عاملٍ له: (بِئسَ الزَّادُ إلى المَعادِ: العُدوانُ على العِبادِ)[2].

أقسام العُدوان:

القِسمُ الأوَّلُ: على سبيلِ الابتِداءِ، وهو العُداونُ المُحرَّمُ.

والقِسمُ الثَّاني: على سبيلِ المُجازاةِ، وهو العُدوانُ الجائزِ.

آثارُ العُدوانِ ومَضارُّه:

١- العُدوانُ سَببٌ للعقوبةِ العاجلةِ في الدُّنيا.

٢- تُوعِّدَ المُعتدي بدُخولِ النَّارِ.

٣- المُعتدي بعيدٌ عن محبَّةِ اللهِ والقُربِ منه.

مِن صوَرِ العُدوان:

١- قتْلُ النَّفْسِ بغيرِ حقٍّ.

٢- أكلُ مالِ الغيرِ بغيرِ حقٍّ.

٣- العُدوانُ في القولِ.

٤- العُدوانُ على الأعراضِ.

٥- العُدوانُ في الطُّهورِ.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٩/ ١٢٣)، والبيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (١/ ٤١٥).

(٢) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٣/ ١٧٧).

٦- العُدوانُ في الدُّعاءِ.

أسباب الوقوعِ في العُدوان:

١- مخالَفةُ أوامرِ اللهِ.

٢- اتِّباعُ الهوى.

٣- تكذيبُ الرُّسُلِ ومُخالَفتُهم.

٤- الغفلةُ عنِ الموتِ.

٥- لَعِبُ المَيسِرِ سببٌ للعداوةِ بيْنَ النَّاسِ.

٦- الكراهيةُ والبغضاءُ.

الوسائل المُعِينة على ترك العُدوان:

١- طاعةُ أوامرِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

٢- البُعدُ عنِ الهوَى، وزَلَّاتِ النَّفْسِ.

٣- تَذكُّرُ الموتِ والعاقبةِ.

٤- التَّضرُّعُ والدُّعاءُ.

٥- البُعدُ عنِ الوَساوسِ في جميعِ الأمورِ.

٦- البُعدُ عنِ المنافَسةِ غيرِ الشَّريفةِ.

٧- تَجنُّبُ الكراهيةِ والحقدِ والحسدِ.

٨- الشُّعورُ بالأُخوَّةِ الإسلاميَّةِ، ووضْعُها نُصبَ الأعيُنِ.

الحِكَم والأمثالُ والشِّعر في العُدوان:

- أَعدَى مِنَ الحيَّةِ.

- وأَعدَى مِنَ الذِّئبِ[1].

- وقيل: مَن طال عُدْوانُه؛ زالَ سُلطانُه.

- وقيل: مَن جَمَح به العُدوانُ، جَنَح عليه الإخوانُ[2].

- وقال عبدُاللهِ بنُ عليٍّ آل عبدِ القادرِ:

ونادَ مُنادٍ باغيَ الخيرِ أَقبَلَنْ ... ويا باغيَ العُدوانِ لا تَنسَ عُقْباهُ

- وقال ابنُ وَكيعٍ التِّنِّيسيُّ:

لا تَجمَعِ الإثمَ مع البُهتانِ ... وكُنْ على خَوفٍ مِنَ العُدوانِ[3]



(١) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (٢/ ٦٦).
(٢) ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٣/ ٣١١).
(٣) ((يتيمة الدهر)) للثعالبي (١/ ٤٣٨).

الغَدْرُ

معنَى الغدرِ:

الغَدرُ لُغةً: الإخلالُ بالشَّيءِ وترْكُه، وهو ضِدُّ الوفاءِ بالعهدِ[1].

الغَدرُ اصطلاحًا: نقْضُ العهدِ، والإخلالُ بالشَّيءِ وترْكُه[2].

الفَرقُ بينَ المكرِ والغَدرِ:

أنَّ الغدرَ: نقْضُ العهدِ الَّذي يَجِبُ الوفاءُ به. والمكرَ: قد يكونُ ابتِداءً مِن غيرِ عقدٍ[3].

ذمُّ الغدرِ والنَّهيُ عنه في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١].

- قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

- عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((لِكُلِّ غادِرٌ لِواءٌ يومَ القيامةِ، يُقالُ: هذهِ غَدْرةُ فُلانٍ))[4].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهُما، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((أَربَعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافِقًا خالِصًا، ومَن كانتْ فيه خَصلةٌ مِنهُنَّ

(١) ((تاج العروس)) للزبيدي (١٣/ ٢٠٣).
(٢) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٢٥٠).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٠٨-٥٠٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٦) واللفظ له.

كانتْ فيه خَصلةٌ مِنَ النِّفاقِ حتَّى يَدَعَها: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا وَعَدَ أَخلَفَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ))[1].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الغدر:

- قال عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه: (الغَدرُ مَكرٌ، والمَكرُ كُفرٌ)[2].

- قال ابنُ حزمٍ: (الغَدرُ، وهو الَّذي لا يَحتمِلُه أحدٌ، ولا يُغضِي عليه كريمٌ، وهو المَسلاةُ حقًّا ولا يُلامُ السَّالي عنه على أيِّ وجْهٍ كان، ناسيًا أو مُتصبِّرًا، بلِ اللَّائِمةُ لاحِقةٌ لِمَن صَبَر عليه)[3].

- قال الأَبشِيهيُّ: (وكم أَوقَعَ القدَرُ في المَهالِك مِن غادِر، وضاقتْ عليه مِن مَوارِدِ الهَلَكاتِ فَسيحاتُ المَصادِر، وطَوَّقَه غَدْرُه طَوقَ خِزيٍ فهو على فَكِّه غيرُ قادِر)[4].

آثارُ الغدرِ ومَضارُّه:

أوَّلًا: آثارُه على المُتلبِّسينَ به

١- الغَوايةُ والضَّلالُ.

٢- قَسوةُ القلبِ.

٣- ضَياعُ المُروءةِ، وذَهابُ الهَيبةِ، وتَسليطُ الأعداءِ.

٤- تَحمُّلُ الجزاءِ المُترتِّبِ على الغدرِ.

٥- براءةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ مِن أهلِ الغدرِ.

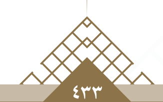
---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٩) واللفظ له، ومسلم (٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في ((التفسير)) (١٧/ ٤٣).

(٣) ((طوق الحمامة)) لابن حزم (ص: ٢٥٣).

(٤) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص: ٢١٦).



٦- حُلولُ اللَّعنةِ على الغادرِ، مِنَ اللهِ، والملائكةِ، والنَّاسِ أَجمَعينَ.

٧- الانتِظامُ في سِلكِ المُنافِقينَ.

٨- الفَضيحةُ على رُؤوسِ الأشهادِ.

ثانيًا: آثارُه على العملِ الإسلاميِّ

١- القطيعةُ والفُرقةُ.

٢- طُولُ الطَّريقِ، وكثرةُ التَّكاليفِ.

أسباب الوقوعِ في الغدر:

١- تحميلُ الإنسانِ نفْسَه مِنَ الأعمالِ أكثَرَ ممَّا تُطيقُ.

٢- حُبُّ الكفَّارِ وموالاتُهم.

٣- صُحبةُ الَّذين اشتُهِروا بالغدرِ.

٤- ضَعفُ الإيمانِ باللهِ.

٥- عدَمُ التَّأمُّلِ في العواقبِ الوَخيمةِ للغدرِ.

٦- اللَّهثُ وراءَ الدُّنيا ومَلذَّاتِها.

٧- نشأةُ الفردِ في أُسرةٍ غيرِ ملتزِمةٍ بآدابِ الشَّرعِ الحكيمِ.

الوسائل المُعِينةُ على ترك الغدر:

١- إخلاصُ الإيمانِ للهِ سُبحانَه وتعالى، وتقويتُه.

٢- أن لا يُحمِّلَ الإنسانُ نفْسَه مِنَ الأعمالِ ما لا تُطيقُ.

٣- التَّأمُّلُ في الآثارِ الوَخيمةِ للغدرِ على الفردِ والمُجتمَعِ.

٤- تدبُّرُ الآياتِ القرآنيَّةِ الَّتي حذَّرَتْ مِنَ الغدرِ وعدَمِ الوفاءِ.

٥- ترْكُ الطَّمعِ واللَّهثِ وراءَ الدُّنيا.

٦- مجاهَدةُ النَّفْسِ، وتربيتُها على التَّحلِّي بالوفاءِ والصِّدقِ.

٧- البُعدُ عن أصدقاءِ السُّوءِ، ومُجالَسةُ أهلِ الصَّلاحِ.

غدْرُ اليهودِ بالمسْلمين:

بعدما أُبرِمتْ وثيقةٌ بيْن الرَّسولِ واليهودِ بعد الهجرةِ، وتَقوَّتْ دولةُ الإسلامِ وتَجذَّرَتْ، بدأ اليهودُ يَتحيَّنون الفُرَصَ للغدرِ بالمسْلمينَ، فكان أوَّلَ مَن غدَرَ منهم: بَنو قَيْنُقاعَ؛ عِندَما اعتَدْوا على حجابِ امرأةٍ مسْلمةٍ في سُوقِهم، وكَشَفوا عن عَوْرتِها، وعِندَها حاصَرَهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بجيشٍ مِنَ المسْلمينَ، حتَّى أَجْلاهُم عنِ المدينةِ، وأَبعَدَهم إلى بلادِ الشَّامِ؛ جزاءَ غَدرِهم وخيانتِهم للعهدِ.

ثمَّ تلاهُم في الغدرِ بنو النَّضيرِ؛ عِندَما دَبَّروا مؤامرةً لاغتيالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ وهو جالسٌ في دُورِهم يُكلِّمُهم ويَتحدَّثُ إليهم، فدَبَّروا خُطَّةً لإلقاءِ صخرةٍ عليه مِن أعلى السَّطحِ، فكَشَف اللهُ له أمْرَهُم، فحاصَرَهم بجيشٍ مِنَ المسْلمينَ، حتَّى تمَّ إجلاؤُهم إلى بلادِ الشَّامِ كذلك.

وأخيرًا كان الغدرُ الأكبرُ مِن بَني قُرَيظةَ يومَ الأحزابِ؛ حيث تَجمَّعَ على المسْلمينَ سائرُ طوائفِ الشِّركِ مِنَ القبائلِ العربيَّةِ، فلمَّا رأى اليهودُ الضِّيقَ والحرَجَ قد استبَدَّ بالمسْلمينَ اهتَبَلوها فُرصةً، وأَعلَنوا نقْضَ العهدِ، والالتِحامَ

مع المشركينَ، وكَشَف اللهُ مكْرَهم، ثمَّ بعد أنِ انهَزَم الأحزابُ تَفرَّغَ لهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وأدَّبَ بهم مَن خَلْفَهم، وكانتْ نَهايتُهم أن قُتِل مُقاتِلَتُهم، وسُبِيَتْ ذَراريُّهم وأموالُهم[1].

حِكَمٌ وأمثال وشِعرٌ في الغدر[2]:

- الوفاءُ مِن شِيَمِ الكرامِ، والغدرُ مِن هِمَمِ اللِّئامِ.
- لا تَلبَسْ ثيابَك على الغدرِ: وتُقالُ في الحثِّ على الوفاءِ ومَدْحِه.
- قالوا: (الغالبُ بالغدرِ مَغلول، والنَّاكِثُ للعهدِ مَمْقوتٌ مَخْذول).
- وقالوا: (الغدرُ ضامِنُ العَثرةِ، قاطعٌ ليدِ النُّصرةِ).
- وقال ثابتُ قُطْنَةَ:

لا تَحسَبَنَّ الغَدرَ حَزمًا فرُبَّما ... تَرقَّتْ بهِ الأقدامُ يَومًا فزَلَّتِ[3]



(١) ((حوار الحضارات)) لموسى إبراهيم الإبراهيم، (ص: ١٩٢-١٩٣) نقلًا عن سيرة ابن هشام. بتصرف.

(٢) ((محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء)) للراغب (١/ ٣٥١)، ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٦٤).

(٣) ((تاريخ الطبري)) (٦/ ٤٥٩).

الغِشُّ

معنَى الغِشِّ:

الغِشُّ لُغةً: نقيضُ النُّصحِ. وغَشَّه يَغُشُّه غِشًّا: لم يَمحَضْه النُّصحَ، وأَظهَرَ له خِلافَ ما أَضمَرَه[1].

الغِشُّ اصطلاحًا: كَتْمُ كلِّ ما لو عَلِمَه المُبتاعُ كَرِهَه. وقيل: أن يَعلَمَ ذُو السِّلعةِ مِن نحوِ بائعٍ أو مُشترٍ فيها شيئًا لو اطَّلَع عليه مُريدُ أَخْذِها ما أَخَذَها بذلك المُقابِلِ[2].

ذمُّ الغِشِّ والنَّهيُ عنه في القرآن والسُّنَّة:

- ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

قال الماوَرْديُّ: (في الغِلِّ وجْهانِ: أحدُهما: الغِشُّ، قاله مُقاتِلٌ. الثَّاني: العَداوةُ، قاله الأَعمَشُ)[3].

- قولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

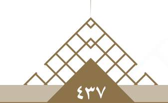
قال المَراغي: (أمانةَ العبدِ مع النَّاسِ، ومِن ذلك ردُّ الوَدائعِ إلى أربابِها، وعدَمُ الغِشِّ، وحِفظُ السِّرِّ، ونحوُ ذلك)[4].

(١) ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٣٦٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/ ٣٢٣)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١٧/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) ((الذخيرة)) للقرافي (٥/ ١٧٢)، ((الزواجر)) للهيتمي (١/ ٣٩٦).

(٣) ((النكت والعيون)) (٥/ ٥٠٧).

(٤) ((تفسير المراغي)) (٥/ ٧٠).



- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ مرَّ على صُبْرةِ طعامٍ، فأدخَلَ يدَه فيها، فنالَتْ أصابعُه بَلَلًا، فقال: ((ما هذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟ قال: أصابَتْهُ السَّماءُ يا رسولَ اللهِ. قال: أفلا جَعَلْتَه فوقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النَّاسُ؟ مَن غَشَّ فليس مِنِّي))[1].

- وقال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في حديثِ مَعقِلِ بنِ يَسارٍ رَضيَ اللهُ عنه: ((ما مِن عَبدٍ يَستَرعِيهِ اللهُ رَعيَّةً، يَموتُ يَومَ يَموتُ وهو غاشٌّ لرَعيَّتِه؛ إلَّا حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجنَّةَ))[2].

أقوال السَّلف والعُلماءِ في ذمِّ الغِشِّ:

- قال ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما: (لا يَزالُ الرَّجلُ يَزدادُ في صِحَّةِ رأيِه ما نَصَح لمُستشيرِه، فإذا غَشَّه سَلَبَه اللهُ نُصحَه ورأيَه)[3].

- (وكان جَريرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنه إذا قامَ إلى السِّلعةِ يَبيعُها بَصَّر عُيوبَها، ثمَّ خَيَّرَه، وقال: إنْ شِئتَ فخُذْ، وإنْ شِئتَ فاتْرُكْ. فقيل له: إنَّك إذا فعَلْتَ مِثلَ هذا لم يَنفَذْ لك بَيعٌ، فقال: إنَّا بايَعْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ على النُّصحِ لكلِّ مُسْلمٍ)[4].

- وقال ابنُ حجَرٍ الهَيتَميُّ: (ولهذه القبائحِ -أي: الغِشِّ- الَّتي ارتَكَبها التُّجَّارُ والمُتسبِّبونَ وأربابُ الحِرَفِ والبضائعِ سَلَّط اللهُ عليهِمُ الظَّلَمةَ، فأَخَذوا أموالَهم، وهَتَكوا حَريمَهم، بل وسَلَّط عليهِمُ الكفَّارَ فأَسَرُوهم واستَعبَدوهم، وأَذاقوهُمُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢١١).

(٤) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى- متمم الصَّحابة)) (ص: ٨٠٣)، والطبراني (٢/ ٣٥٩) (٢٥١٠).

العذابَ والهَوانَ ألوانًا)[1].

مِن أنواعِ الغِشِّ وصوَرِه:

١- الغِشُّ في البيعِ والشِّراءِ وغيرِها مِنَ المعامَلاتِ الماليَّةِ.

٢- غِشُّ الرَّاعي للرَّعيَّةِ، وغِشُّ الرَّعيَّةِ للرَّاعي.

٣- الغِشُّ في القولِ؛ وذلك عِندَ إدلاءِ الشَّاهِدِ بالشَّهادةِ، فيَشهَدُ بشَهادةٍ فيها زُورٌ وبُهتانٌ وكذِبٌ.

٤- الغِشُّ في النَّصيحةِ؛ بعدَمِ الصِّدقِ والإخلاصِ فيها.

٥- الغِشُّ في تَعلُّمِ العِلمِ.

٦- عدَمُ الوفاءِ بالعقودِ.

آثار الغِشِّ ومَضارُّه:

١- بَراءةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ مِن مرتكِبِ جريمةِ الغِشِّ.

٢- الغاشُّ بعيدٌ عنِ النَّاسِ، بعيدٌ عنِ اللهِ.

٣- الغاشُّ في عِدادِ المُنافِقينَ.

٤- الغاشُّ قليلُ التَّحصيلِ، دَنيءُ الهِمَّةِ.

٥- الغاشُّ مُتهاوِنٌ بنظرِ اللهِ إليه.

٦- الغاشُّ مرتكِبٌ كبيرةً مِنَ الكبائرِ المُحرَّمةِ.

٧- الغاشُّ مَمحوقُ البرَكةِ.

٨- الغِشُّ خيانةٌ للأمانةِ الَّتي كُلِّف الإنسانُ بحَمْلِها.

---

(١) ((الزواجر)) (١/ ٤٠٠).

٩- الغِشُّ دليلُ ضَعفِ الإيمانِ.

١٠- الغِشُّ سببٌ مِن أسبابِ الفُرقةِ بيْن المسْلمينَ.

الأسباب المؤدِّيَة إلى الغشِّ:

١- ضَعفُ الإيمانِ باللهِ، وقلَّةُ الخَوفِ منه.

٢- جهلُ الفردِ بحُرمةِ الغِشِّ، وأنَّه مِنَ الكبائرِ.

٣- عدَمُ الإخلاصِ للهِ في العملِ.

٤- اللَّهثُ وراءَ الدُّنيا وجَمعِ الأموالِ مِن أيِّ طريقٍ كان.

٥- عدَمُ تطبيقِ الأحكامِ لمُعاقَبةِ مُرتكِبي جريمةِ الغشِّ.

٦- الرُّفقةُ السَّيِّئةُ.

٧- التَّربيةُ غيرُ السَّليمةِ، الَّتي تَتنافَى مع الأخلاقِ والآدابِ الإسلاميَّةِ.

٨- انعدامُ القناعةِ بما قَسَم اللهُ.

٩- عدَمُ تَذكُّرِ الموتِ والدَّارِ الآخِرةِ.

الأسباب المُعِينة على ترك الغشِّ:

١- الابتهالُ والتَّضرُّعُ إلى اللهِ بالدُّعاءِ بأن يُغنيَه اللهُ بحلالِه عن حرامِه.

٢- إخلاصُ العملِ للهِ جلَّ وعَلا.

٣- تفعيلُ فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ.

٤- تربيةُ الفردِ على الالتزامِ بأحكامِ الشَّرعِ الحَنيفِ وآدابِه.

٥- تقويةُ الثِّقةِ باللهِ، واستِشعارُ مُراقبتِه.

٦- زيارةُ القبورِ، وتَذكُّرُ الموتِ واليَومِ الآخِرِ.

٧- الصَّبرُ في تحصيلِ الرِّزقِ الحلالِ بالوسائلِ المُباحةِ.

٨- مُجالَسةُ الرُّفقةِ الصَّالحةِ.

موقفٌ تَربويٌّ:

عن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، عن أبيه، عن جدِّه أَسلَمَ، قال: (بَيْنَا أنا مع عُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه وهو يَعُسُّ المدينةَ، إذْ عَيِيَ، فاتَّكأَ إلى جانبِ جِدارٍ في جَوفِ اللَّيلِ، فإذا امرأةٌ تقولُ لابنتِها: يا ابْنَتاه، قُومي إلى ذلك اللَّبَنِ فامْذُقيهِ بالماءِ. فقالتْ لها: يا أُمَّاهُ، أوَ ما عَلِمْتِ ما كان مِن عَزمةِ أميرِ المؤْمِنينَ اليَومَ؟ قالتْ: وما كان مِن عَزمتِه يا بُنيَّةُ؟ قالت: إنَّه أمَرَ مُناديَه فنادَى: أن لا يُشابَ اللَّبَنُ بالماءِ. فقالت لها: يا بُنيَّةُ، قُومي إلى ذلك اللَّبَنِ فامْذُقيهِ بالماءِ؛ فإنَّك بموضعٍ لا يَراكِ عُمرُ ولا مُنادي عُمرَ، فقالتِ الصَّبيَّةُ لأُمِّها: يا أُمَّتاهُ، واللهِ ما كنتُ لأُطيعَه في المَلأِ وأَعصيَه في الخَلاءِ)[1].

الغشُّ في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعرُ:

وذُو الغِشِّ مَرهوبٌ وذُو النُّصحِ آمِنٌ ... وذُو الطَّيشُ مَدْحوضٌ وذُو الحَقِّ يَفلُجُ

وذُو الصِّدقِ لا يرتابُ والعدلُ قائمٌ ... على طُرُقاتِ الحــقِّ والغَبنُ أَعوَجُ



(١) أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٧٠/ ٢٥٣).

الغضب

معنَى الغضبِ:

الغضبُ لُغةً: ضِدُّ الرِّضَا، والغَضْبةُ: الصَّخرةُ الصُّلْبةُ. قالوا: ومنه اشتُقَّ الغَضَبُ؛ لأنَّه اشتِدادُ السُّخطِ[1].

الغضبُ اصطلاحًا: غَلَيانُ دَمِ القلبِ؛ طلَبًا لدفعِ المؤْذي عندَ خشيةِ وُقوعِه، أو طلبًا للانتقامِ ممَّن حصَل له منه الأذى بعدَ وُقوعِه[2].

الفَرْقُ بينَ الغَضَبِ وبَعضِ الصِّفاتِ[3]:

• الفرقُ بين الغضبِ والسُّخط:

أنَّ الغضبَ يَكونُ مِنَ الصَّغيرِ على الكبيرِ، ومِنَ الكبيرِ على الصَّغيرِ. والسُّخطَ لا يَكونُ إلَّا مِنَ الكبيرِ على الصَّغيرِ، يُقالُ: سَخِطَ الأميرُ على الحاجبِ، ولا يُقالُ: سَخِط الحاجبُ على الأميرِ. ويُستعمَلُ الغضبُ فيهما. والسُّخطُ إذا عدَّيْتَه بنفْسِه فهو خِلافُ الرِّضا، يُقالُ: رَضِيَه وسَخِطَه، وإذا عدَّيْتَه بعلى فهو بمعنَى الغضبِ.

• الفرقُ بين الغضبِ والغَيظ:

أنَّ الإنسانَ يَجوزُ أن يَغتاظَ مِن نفْسِه، ولا يَجوزُ أن يَغضَبَ عليها؛ وذلك أنَّ الغضبَ إرادةُ الضَّررِ للمغضوبِ عليه، ولا يَجوزُ أن يُريدَ الإنسانُ الضَّررَ لنفْسِه،

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٢٨)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٦٤٨)، ((تاج العروس)) لمرتضى الزبيدي (٣/ ٤٨٥)، .

(٢) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/ ٣٩٦).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٥٤، ٣٨٦، ٣٩١).

والغَيظُ يَقرُبُ مِن بابِ الغَمِّ.

النَّهيُ عن الغضبِ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ:

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، ((أنَّ رجُلًا قال للنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: أَوْصِني، قال: لا تَغضَبْ. فرَدَّدَ مِرارًا، قال: لا تَغضَبْ))[1].

- وعن سُلَيمانَ بنِ صُرَدٍ رَضيَ اللهُ عنه، قال: ((استَبَّ رجُلانِ عِندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ ونحنُ عِندَه جلوسٌ، وأحدُهما يَسُبُّ صاحبَه مُغضَبًا قد احمَرَّ وجْهُه، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: إنِّي لَأَعلَمُ كَلِمةً لو قالها لذَهَب عنه ما يَجِدُ؛ لو قال: أَعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ. فقالوا للرَّجلِ: ألَا تَسمَعُ ما يَقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ؟ قال: إنِّي لستُ بمَجنونٍ))[2].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الغضب[3]:

- قال عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: (قد أفلَحَ مَن عُصِمَ مِنَ الهوَى، والغضبِ، والطَّمعِ).

- وقال الحسَنُ: (أربعٌ مَن كُنَّ فيه عصَمَه اللهُ مِنَ الشَّيطانِ، وحرَّمه على النَّارِ: مَن مَلَك نفْسَه عِندَ الرَّغبةِ، والرَّهبةِ، والشَّهوةِ، والغضبِ).

- وقال جعفرُ بنُ محمَّدٍ: (الغضبُ مِفتاحُ كلِّ شرٍّ).

أقسامُ الغضبِ:

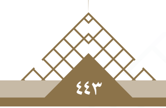
١- **الغضبُ المَذمومُ**: الَّذي نُهيَ عنه وذُمَّ في الأحاديثِ الَّتي وردَتْ، وهو خُلقٌ سَيِّئٌ؛ (لأنَّه يُخرِجُ العقلَ والدِّينَ مِن سياستِهما، فلا يَبقى للإنسانِ مع ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦١٠).

(٣) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/ ٣٦٣، ٣٦٨).



نظَرٌ ولا فِكرٌ ولا اختيارٌ)[1].

٢- **الغضبُ المحمودُ:** يَكونُ للهِ عزَّ وجلَّ عِندَما تُنتهَكُ حُرُماتُه، والغضبُ على أعدائِه مِنَ الكفَّارِ والمُنافِقينَ والطُّغاةِ والمُتجبِّرينَ.

آثارُ الغضبِ المَذمومِ ومَضارُّه:

(ومِن آثارِ هذا الغضبِ في الظَّاهِرِ: تَغيُّرُ اللَّونِ، وشِدَّةُ رِعدةِ الأطرافِ، وخروجُ الأفعالِ عنِ الانتظامِ، واضطرابُ الحركةِ والكلامِ، حتَّى يَظهَرَ الزَّبَدُ على الأشداقِ، وتَشتَدَّ حُمرةُ الأحداقِ، وتَنقلِبَ المَناخِرُ، وتَستحيلَ الخِلقةُ، ولو يرَى الغضبانُ في حالِ غضبِه صورةَ نفْسِه لسَكَن غضبُه؛ حياءً مِن قُبحِ صورتِه لاستِحالةِ خِلقتِه، وقُبحُ باطنِه أعظَمُ مِن قُبحِ ظاهِرِه؛ فإنَّ الظَّاهرَ عُنوانُ الباطنِ، إذْ قُبْحُ ذاك إنَّما نشأَ عن قُبحِ هذا، فتَغيُّرُ الظَّاهِرِ ثمرةُ تَغيُّرِ الباطنِ. هذا أثَرُه في الجسدِ.

وأمَّا أثَرُه في اللِّسانِ: فانطلاقُه بالقبائحِ؛ كالشَّتمِ، والفُحشِ، وغَيرِهما ممَّا يَستحِي منه ذَوُو العقولِ مُطْلقًا، وقائلُه عِندَ فُتورِ غضبِه، على أنَّه لا يَنتظِمُ كلامُه، بل يَتخبَّطُ نَظْمُه، ويَضْطَرِبُ لفظُه.

وأمَّا أثَرُه في الأعضاءِ: فالضَّربُ فما فَوقَه إلى القتلِ عند التَّمكُّنِ، فإنْ عَجَز عنِ التَّشفِّي رَجَع غضبُه عليه فمَزَّقَ ثَوبَه، وضَرَب نفْسَه وغيرَه، حتَّى الحيوانَ والجِمادَ بالكسرِ وغيرِه، وعَدَا عَدْوَ الوالِهِ السَّكرانِ، والمَجنونِ الحَيرانِ، وربَّما سَقَط وعَجَز عنِ الحركةِ، واعتَراهُ مِثلُ الغَشيةِ؛ لشدَّةِ استيلاءِ الغضبِ عليه.

وأمَّا أثَرُه في القلبِ: فالحقدُ على المغضوبِ عليه وحسَدُه، وإظهارُ الشَّماتةِ بمَساءتِه، والحُزنُ بسُرورِه، والعزمُ على إفشاءِ سِرِّه، وهَتكِ سِترِه، والاستِهزاءُ

(١) ((مختصر منهاج القاصدين)) لابن قدامة (ص: ٢٣٢).

به، وغيرُ ذلك مِنَ القبائحِ)[1].

نماذجُ مِن هدي النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والسَّلف عند الغضب:

- يُحدِّثُ هِندُ ابنُ أبي هالةَ رَضيَ اللهُ عنه عن صِفاتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فيَذكُرُ مِن صِفاتِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أنَّه: ((... لا تُغضِبُه الدُّنيا وما كان لها، وإذا تُعوطيَ الحقَّ لم يَعرِفْهُ أحد، ولم يَقُمْ لغضبِه شَيءٌ حتَّى يَنتصِرَ له، ولا يَغضَبُ لنفْسِه ولا يَنتصِرُ لها...))[2].

- رُويَ أنَّ رجُلًا قال لعُمرَ رَضيَ اللهُ عنه: (هِيْ يا ابنَ الخَطَّابِ! فواللهِ ما تُعطينا الجَزْلَ، ولا تَحكُمُ بيننا بالعَدلِ! فغَضِبَ عُمَرُ حتى هَمَّ به، فقال له الحُرُّ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله تعالى قال لنبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإنَّ هذا من الجاهِلينَ. واللهِ ما جاوَزَها عُمَرُ حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتابِ اللهِ)[3].

- (غَضِب يومًا عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، فقال له ابنُه عبدُ الملِكِ -رحِمهُما اللهُ-: أنتَ يا أميرَ المؤمِنينَ مع ما أعطاكَ اللهُ وفضَّلَك به تَغضَبُ هذا الغَضبَ؟ فقال

---

(١) ((الزواجر)) لابن حجر الهيتمي (١/ ٩٥) بتصرف.

(٢) أخرجه الطبراني (٢٢/ ١٥٥) (٤١٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٣٦٢).

قال ابن حبان في ((الثقات)) (٢/ ١٤٥): إسناده ليس له في القلب وقع. وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/ ٤٤٢)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/ ٢٧٦): فيه من لم يسم. وضعفه جدًّا الألباني في ((مختصر الشمائل)) (٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

له: أوَ ما تَغضَبُ يا عبدَ المَلِكِ؟ فقال عبدُ المَلِكِ: وما يُغْني عنِّي سَعةُ جَوفي إذا لم أَرْدُدْ فيه؟!)[١].

أسباب الغضب:

(العُجبُ، والافتخارُ، والمِراءُ، واللَّجاجُ، والمُزاحُ، والتِّيهُ، والضَّيمُ، والاستِهزاءُ، وطلَبُ ما فيه التَّنافُسُ، والتَّحاسُدُ، وشهوةُ الانتقامِ)[٢]، (والمُضادَّةُ، والغَدرُ، وشدَّةُ الحرصِ على فُضولِ المالِ والجاهِ، وهذه أخلاقٌ رَديئةٌ مَذمومةٌ شرعًا)[٣].

علاج الغضب:

١- الوُضوءُ.

٢- القُعودُ إنْ كان قائمًا، والاضْطِجاعُ إن كان قاعدًا[٤].

٣- أن يَلتزِمَ بوصيَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ في ذلك: ((لا تَغضَبْ))[٥].

٤- أن يَضبِطَ النَّفْسَ عنِ الاندفاعِ عند الغضبِ.

٥- الاستعاذةُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ[٦].

٦- السُّكوتُ.

ذمُّ الغَضبِ في واحةِ الشِّعر:

(١) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/ ٣٦٦).
(٢) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٣٤٦).
(٣) ((مختصر منهاج القاصدين)) لابن قدامة (ص: ٢٣٣).
(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٢/ ٢٦١).
(٥) أخرجه البخاري (٦١١٦).
(٦) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٢/ ٤٦٣).

قال الشَّاعرُ:

ولـــم أَرَ فضْلًا تَـــمَّ إلَّا بشِـــيمةٍ ولم أَرَ عقلًا صَـــحَّ إلَّا على الأدبِ

ولم أَرَ في الأعـــداءِ حين اختَبَرْتُهُم عدُوًّا العقلِ المرءِ أَعْدَى مِنَ الغضبِ[1]



(١) ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) للبستي (ص: ١٣٩).

الغِيبة

معنَى الغِيبةِ:

الغِيبةُ لُغةً: الوَقيعةُ في النَّاسِ، واغْتابَه اغْتِيابًا: وَقَعَ فيه[1].

الغِيبةُ اصطلاحًا: ذِكرُ المرءِ بما يَكرَهُه بظَهرِ الغَيبِ. وقيل: التكلُّمُ خَلْفَ إنسانٍ مَستورٍ بما يَغُمُّه لو سَمِعه، فإنْ كان صِدقًا سُمِّيَ غِيبةً، وإنْ كان كَذِبًا سمِّيَ بُهتانًا[2].

الفَرْقُ بيْن الغِيبةِ وبعضِ الصِّفاتِ[3]:

• الفرقُ بيْن الغِيبةِ والإفكِ والبُهتانِ:

الغِيبةُ هي أن تَقولَ في أخيكَ ما هو فيه. وأمَّا الإفكُ فأن تَقولَ فيه ما بَلَغَك عنه. وأمَّا البُهتانُ فأن تَقولَ فيه ما ليس فيه.

• الفرقُ بيْن الغِيبةِ والنَّميمةِ والغَمزِ واللَّمزِ:

الغِيبةُ: ذِكرُ الإنسانِ في غَيبتِه بما يَكرَهُ. والنَّميمةُ: نقْلُ حالِ شخصٍ لغيرِه على جِهةِ الإفسادِ بغيرِ رِضاهُ، سواءٌ كان بعِلمِه أمْ بغيرِ عِلمِه؛ لِما فيها مِن مَفسدةِ إلقاءِ البَغضاءِ بيْن النَّاسِ؛ فامتازَتِ النَّميمةُ بقصدِ الإفسادِ، ولا يُشترَطُ ذلك في الغِيبةِ. ويُستثنَى منها أنَّ فُلانًا يَقصِدُ قتْلَك في موضعِ كذا، أو يأخُذُ مالَك في وقتِ كذا،

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٠٣).

(٢) ((الصحاح)) للجوهري (١/ ١٩٦)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٦٩).

(٣) ((تفسير القرطبي)) (١٦/ ٣٣٥)، ((الذخيرة)) للقرافي (ص: ٢٤١)، ((تطهير العيبة من دنس الغيبة)) لابن حجر الهيتمي (ص: ٤٥).

ونحوُ ذلك؛ لأنَّه مِنَ النَّصيحةِ الواجبةِ.

والغَمزُ: أن تَعيبَ الإنسانَ بحُضورِه. واللَّمزُ بغَيبتِه. وقيل بالعكسِ.

ذمُّ الغِيبةِ والنَّهيُ عنها في القُرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [الهمزة: ١]. يعني: الطَّعَّانَ المُغتابَ الَّذي إذا غاب عنه الرَّجلُ اغتابه مِن خَلْفِه[١].

- وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالت: قُلْتُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: حَسْبُكَ مِن صَفيَّةَ كذا وكذا -تعني: قصيرةً-، فقال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لقد قُلْتِ كَلِمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البَحرِ لَمَزَجَتْه))[٢].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الغِيبةِ:

- قال ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما: (اذكُرْ أخاكَ إذا غاب عنك بما تُحِبُّ أن يَذكُرَك به، ودَعْ منه ما تُحِبُّ أن يَدَعَ منك)[٣].

- وعن عَمرِو بنِ العاصِ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّه مَرَّ على بَغلٍ مَيِّتٍ، فقال لبعضِ أصحابِه: (لَأَنْ يَأكُلَ الرَّجُلُ مِن هذا حتَّى يَملأَ بطنَه، خيرٌ له مِن أن يَأكُلَ لحمَ

(١) ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٤/ ٨٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢).

صححه ابن دقيق العيد في ((الاقتراح)) (١١٨)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٧٥).

(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه الأندلسي (٢/ ٣٣٥-٣٣٦)، بتصرف.

رجُلٍ مسْلمٍ)[1].

- وعن محمَّدِ بنِ سِيرينَ أنَّه قال: (إنَّ أَكثَرَ النَّاسِ خَطايَا أَكثرُهُم ذِكرًا لخطايا النَّاسِ)[2].

أقسام الغِيبة:

١- **الغِيبةُ المُحرَّمةُ**: وهي ذِكرُك أخاكَ المُسْلمَ في غَيبتِه بما يَكرَهُ، بعَيبٍ فيه مَخفيٍّ، سواءٌ عِبتَه بشيءٍ في خِلقتِه أو خُلقِه، في دِينِه أو دُنياهُ، ولا شكَّ أنَّه مُحرَّمٌ في الكِتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ؛ للأدلَّةِ الواردةِ سلَفًا في هذا البابِ.

٢- **الغِيبةُ الواجبةُ**: هي الغِيبةُ الَّتي بها يَحصُلُ للفردِ نجاةٌ ممَّا لا يُحمَدُ عُقباهُ أو مُصيبةٍ كانت مُحتملةَ الوُقوعِ به، مِثلُ الَّتي تُطلَبُ للنَّصيحةِ عندَ الإقبالِ على الزَّواجِ لمعرفةِ حالِ الزَّوجِ، أو كأنْ يَقولَ شخصٌ لآخَرَ مُحذِّرًا له مِن شخصٍ شرِّيرٍ: إنَّ فُلانًا يُريدُ قتْلَك في المكانِ الفُلانيِّ، أو يُريدُ سَرِقةَ مالِكَ في السَّاعةِ الفُلانيَّةِ، وهذا مِن بابِ النَّصيحةِ.

٣- **الغِيبةُ المُباحةُ**: (الغِيبةُ تُباحُ لغرَضٍ صحيحٍ شَرعيٍّ لا يُمكِنُ الوُصولُ إليه إلَّا بها، وهو ستَّةُ أبوابٍ:

الأوَّلُ: التَّظلُّمُ إلى السُّلطانِ والقاضي وغيرِهما ممَّا له ولايةٌ أو قدرةٌ على إنصافِه مِن ظالِمِه، فيَقولُ: ظَلَمَني فُلانٌ كذا.

الثَّاني: الاستِعانةُ على تغييرِ المُنكَرِ، ورَدِّ العاصي إلى الصَّوابِ، فيَقولُ لمَن يَرجو قُدرتَه على إزالةِ المُنكَرِ: فُلانٌ يَعمَلُ كذا، فازْجُرْهُ عنه.

---

(١) ((الترغيب والترهيب)) للمنذري (٣/ ٣٢٩).

(٢) ((المجالسة وجواهر العلم)) للدِّينَوري (٦/ ٨٦).

الثَّالثُ: الاستِفتاءُ، فيَقولُ: للمُفتي: ظَلَمَني أبي أو أخي أو زَوْجي أو فُلانٌ بكذا.

الرَّابعُ: تحذيرُ المسْلمينَ مِنَ الشَّرِّ، ونصيحتُهم.

الخامسُ: أن يَكونَ مُجاهِرًا بفِسقِه أو بِدعتِه، كالمُجاهِرِ بشُربِ الخَمرِ ومُصادَرةِ النَّاسِ وأخْذِ المَكسِ وغَيرِها.

السَّادسُ: التَّعريفُ، فإذا كان الإنسانُ معروفًا بلقَبٍ، كالأعمشِ، والأعرجِ، والأصَمِّ، والأعمى، والأحوَلِ، ونحوِ ذلك مِنَ الألقابِ، جازَ تعريفُهم بذلك، ويَحرُمُ إطلاقُه على جهةِ التَّنقيصِ)[1].

أضرارُ الغِيبةِ على الفرد والمُجتمَعِ:

• أضرارُها على الفرد:

١- الغِيبةُ تَزيدُ في رصيدِ السَّيِّئاتِ، وتَنقُصُ مِن رصيدِ الحسناتِ.

٢- صاحبُ الغِيبةِ مُفلِسٌ يومَ القيامةِ.

٣- الغِيبةُ تُسبِّبُ هَجْرَ صاحبِها.

٤- الغِيبةُ تَجرَحُ الصَّومَ.

٥- يَتتبَّعُ اللهُ عَورةَ المُغتابِ، ويَفضَحُه ولو في جَوفِ بيْتِه.

٦- المُغتابُونَ هُم في عِدادِ أهلِ النَّارِ.

٧- الغِيبةُ أَنتَنُ مِنَ الجِيفةِ.

• أضرارُها على المُجتمَعِ:

١- كشْفُ عَوْراتِ الآخَرينَ، ونَشرُ عُيوبِهم، والاستِهانةُ بها.

---

(١) ((رياض الصالحين)) للنووي (٢/ ١٨٢) بتصرف.

٢- الغِيبةُ تؤدِّي إلى الغِيبةِ، أي: أنَّ مِن اغتِيبَ قد يَدفَعُه غضبُه إلى غِيبةِ مَن اغتابَه، وبهذا تَنتشِرُ هذه الصِّفةُ الذَّميمةُ، وتُصبِحُ مرَضًا عُضالًا، يَصعُبُ استِئصالُه.

٣- نَشرُ الحقدِ والحسدِ والكراهيةِ والبَغضاءِ بيْن أفرادِ المُجتمَعِ.

٤- إفسادُ المَودَّاتِ، وقطْعُ أواصِرِ الأُخوَّةِ الإيمانيَّةِ، ومَلْءُ القلوبِ بالضَّغائنِ والعَداواتِ.

أسبابُ الوُقوعِ في الغِيبةِ:

١- كراهيتُه الباطنةُ لِمَن يَغتابُ، مع عدَمِ رغبتِه بإظهارِ كراهيتِه؛ لئلَّا تَتحوَّلَ إلى عداوةٍ ظاهرةٍ.

٢- المنافَسةُ الَّتي ولَّدَتْ حسدًا، والحَسودُ لا يُحِبُّ أن يُعرَفَ عنه الحسدُ.

٣- الرَّغبةُ بأن يُبرِّرَ المُغتابُ في نظَرِ النَّاسِ ما عَرَفوه عنه مِن مَعايبَ وقَبائحَ، فإذا ذَكَر أمامَهم مَن يَحترِمونه بأنَّ له مِنَ العيوبِ والقبائحِ مِثلَ عُيوبِه وقبائِحِه، خَفَّ إنكارُهم عليه)[1].

٤- تَشفِّي الغيظِ؛ بأنْ يَجريَ مِن إنسانٍ في حقِّ آخَرَ سببٌ يُهيِّجُ غَيظَه، فكلَّما هاجَ غضبُه تَشفَّى بغِيبةِ صاحبِه.

٥- موافَقةُ الأقرانِ، ومُجامَلةُ الرُّفقاءِ، ومُساعدتُهم على الغِيبةِ، فإنَّه يَخشى إنْ أَنكَرَ عليهم أن يَستثقِلوه.

٦- إرادةُ رفْعِ نفْسِه بتَنقيصِ غيرِه، فيَقولُ: فُلانٌ جاهلٌ، وفَهمُه رَكيكٌ!

٧- اللَّعِبُ والهَزلُ، فيَذكُرُ غيرَه بما يُضحَكُ له على سبيلِ المُحاكاةِ.

(١) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبدالرحمن حبنكة الميداني (ص: ٢٣١).

٨- كثرةُ الفراغِ، والشُّعورُ بالملَلِ والسَّأمِ، فيَشتغِلُ بالنَّاسِ وأعراضِهم وعُيوبِهم.

فوائدُ تركِ الغِيبة:

١- تاركُ الغِيبةِ مِن أفضلِ المسْلمينَ.

٢- تركُ الغِيبةِ يُدخِلُ الجنَّةَ.

٣- قَطعُ الغِيبةِ مِن علاماتِ التَّوبةِ[1].

الوسائل المُعِينة على ترك الغِيبة:

١- التَّقرُّبُ إلى اللهِ سُبحانَه وتعالى بكثرةِ الأعمالِ الصَّالحةِ، وتقديمِ رِضاهُ على رِضَا المَخلوقينَ.

٢- زيادةُ رصيدِ الإيمانِ، وتَقويتُه بالعِلمِ النَّافعِ، والعملِ الصَّالحِ.

٣- أن يَنشغِلَ الإنسانُ بالبحثِ عن عُيوبِه.

٤- اختيارُ الصُّحبةِ الصَّالحةِ.

٥- التَّربيةُ على الآدابِ والتَّعاليمِ الإسلاميَّةِ.

٦- استغلالُ وقتِ الفراغِ، بما يَنفَعُ الفردَ ويُقوِّي إيمانَه.

٧- قناعةُ الإنسانِ بما رَزَقَه اللهُ، وشُكرُه على هذه النِّعَمِ.

٨- أن يَضعَ الإنسانُ نفْسَه مكانَ الشَّخصِ الَّذي اغتِيبَ؛ لِيَجدَ أنَّه لن يَرضى هذا لنفْسِه.

٩- كَظمُ الغَيظِ، والصَّبرُ على الغضبِ.

---

(١) ((المجالسة وجواهر العلم)) للدِّينَوري (٤/ ١٩٧).

الغِيبة في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعرُ:

لا تَهْتِكَنْ مِن مَساوي النَّاسِ ما سَترُوا ... فيَهتِكَ اللهُ سِتْرًا مِن مَساوِيكَا

واذكُرْ محَاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تَعِبْ أحدًا منهُم بما فِيكَا[1]



(١) ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) للبستي (ص: ١٢٨).

الفُتور

معنَى الفُتورِ:

الفُتورُ لُغةً: الانكسارُ والضَّعفُ، يُقالُ: فَتَرَ يَفتُرُ فُتورًا وفُتارًا؛ سَكَن بعد حِدَّةٍ، ولانَ بعد شدَّةٍ[1].

الفُتورُ اصطلاحًا: هو الكسلُ والتَّراخي، والتَّباطُؤُ بعد الجِدِّ والنَّشاطِ والحَيويَّةِ[2].

ذمُّ الفتورِ في القرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى عن الملائكةِ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]، أي: لا يَلحَقُهمُ الفُتورُ والكَلالُ[3].

- وقال تعالى عن موسى عليه السَّلامُ: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾ [طه: ٤٢-٤٣]. الوَنَى: الفُتورُ والتَّقصيرُ[4].

- وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ كان يَتعوَّذُ ويَقولُ: ((اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنَ الكسَلِ والهَرَمِ، والمَأْثَمِ والمَغرَمِ))[5].

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في الفُتورِ:

- قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (المدحَ يوجِبُ الفُتورَ، ويورِثُ الكِبْرَ

(١) انظر ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٤٣)، و((تاج العروس)) للزبيدي (١٣/ ٢٩٣).
(٢) انظر ((الفتور المظاهر الأسباب العلاج)) لناصر العمر (ص: ٢٢).
(٣) ((غرائب القرآن)) للنيسابوري (٥/ ٩).
(٤) ((الكشاف)) للزمخشري (٣/ ٦٥).
(٥) أخرجه البخاري (٦٣٦٨) واللفظ له، ومسلم (٥٨٩).

والعُجبَ)[1].

- وقال ابنُ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: (لا تُغالِبوا هذا اللَّيلَ؛ فإنَّكُم لن تُطيقوهُ، فإذا نَعَسَ أحدُكُم فلْيَنصرِفْ إلى فِراشِه؛ فإنَّه أَسلَمُ له)[2].

- و(قال بعضُ السَّلفِ: العملُ على المَخافةِ قد يُغيِّرُه الرَّجاءُ، والعملُ على المَحبَّةِ لا يَدخُلُه الفُتورُ)[3].

أقسام الفُتورِ:

١- كسَلٌ وفُتورٌ عامٌّ في جميعِ الطَّاعاتِ، مع كُرهٍ لها، وعدَمِ رَغبةٍ فيها، وهذه حالُ المُنافِقينَ؛ فإنَّهم من أشدِّ النَّاسِ كسلًا وفُتورًا ونُفورًا.

٢- كسَلٌ وفُتورٌ في بعضِ الطَّاعاتِ، يُصاحِبُه عدَمُ رغبةٍ فيها دُونَ كُرهٍ لها، أو ضَعفٌ في الرَّغبةِ مع وُجودِها، وهذه حالُ كثيرٍ مِن فُسَّاقِ المسْلمينَ وأصحابِ الشَّهواتِ.

٣- كسلٌ وفُتورٌ عامٌّ سببُه بدَنيٌّ لا قلبيٌّ؛ فتَجِدُ عِندَه الرَّغبةَ في العبادةِ، والمَحبَّةَ للقيامِ بها، وقد يَحزَنُ إذا فاتَتْهُ، ولكنَّه مُستمِرٌّ في كسلِه وفُتورِه، فقد تَمُرُّ عليه اللَّيالي وهو يريدُ قيامَ اللَّيلِ، ولكنَّه لا يَفعَلُ مع استيقاظِه وانتباهِه، وهذه حالُ كثيرٍ مِنَ المسْلمينَ الَّذين يُصابون بهذا الدَّاءِ، ومنهم أُناسٌ صالِحونَ، وآخَرونُ مِن أصحابِ الشَّهوةِ والفِسقِ.

---

(١) ذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدين)) (٣/ ١٦٠).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في ((المصنف)) (٤٢٢٣)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٥٧٠٨)، والطبراني (٩/ ١١٠) (٨٥٥٤) واللفظ له.
قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢/ ٢٦٣): رجاله رجال الصحيح.

(٣) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/ ٣٤١).

٤- كسلٌ وفُتورٌ عارضٌ يَشعُرُ به الإنسانُ بيْن حينٍ وآخَرَ، ولكنَّه لا يَستمِرُّ معه، ولا تَطولُ مدَّتُه، ولا يوقِعُ في معصيةٍ، ولا يُخرِجُ عن طاعةٍ. وهذا لا يَسلَمُ منه أحدٌ، إلَّا أنَّ النَّاسَ يَتفاوتونَ فيه أيضًا، وسببُه غالبًا أمْرٌ عارِضٌ؛ كتعَبٍ أو انشغالٍ أو مرَضٍ ونحوِها[1].

آثار الفتور:

١- يدُلُّ على ضَعفِ الهِمَّةِ.

٢- التَّثاقُلُ في العباداتِ.

٣- التَّعرُّضُ للأزماتِ النَّفْسيَّةِ والاجتِماعيَّةِ.

٤- يؤدِّي به إلى تركِ بعضِ الفرائضِ.

٥- عاقبتُه تكونُ سيِّئةً إذا لم يَتُبْ.

٦- تأثُّرُ مَن حَوْلَه به، وخاصَّةً إذا كان قُدوةً لغيرِه.

٧- فواتُ المصالحِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ.

مِن صُوَرِ الفُتورِ:

١- قسوةُ القلبِ.

٢- أن يَتكاسَلَ عنِ الطَّاعةِ.

٣- الابتعادُ عنِ الجليسِ الصَّالحِ.

٤- (ضياعُ الوقتِ، وعدَمُ الإفادةِ منه.

٥- عدَمُ الاستعدادِ للالتزامِ بشيءٍ، والتَّهرُّبُ مِن كلِّ عملٍ جِدِّيٍّ.

(١) انظر ((الفتور)) لناصر العمر (ص: ٢٤).

٦- الفَوْضَويَّةُ في العملِ.

٧- خِدَاعُ النَّفْسِ؛ بالانشغالِ وهو فارغٌ)[١].

٨- عدَمُ الغضبِ إذا انتُهِكَتْ مَحارِمُ اللهِ[٢].

٩- عدَمُ الشُّعورِ بالمسؤوليَّةِ[٣].

أسباب الفتور:

١- الغفلةُ عن ذِكرِ اللهِ.

٢- التَّشدُّدُ في العبادةِ.

٣- الاقتِداءُ بالأشخاصِ، والتَّعلُّقُ بهم.

٤- التَّعلُّقُ بالدُّنيا وزينتِها.

٥- قلَّةُ تَذكُّرِ الموتِ والدَّارِ الآخرةِ.

٦- الضَّعفُ في التَّربيةِ[٤].

وسائل علاجِ الفُتور:

١- الدُّعاءُ بالثَّباتِ على الدِّينِ.

٢- ذكرُ اللهِ، معَ الالتزامِ بأذكارِ الصَّباحِ والمساءِ.

٣- الرُّفقةُ الصَّالحةُ.

٤- كثرةُ الاستغفارِ.

---

(١) ((الفتور)) لناصر العمر (ص: ٣٩).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ١٦٩).

(٣) ((الفتور)) لناصر العمر (ص: ٣٧).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص: ٧١).

٥- الإكثارُ مِنَ النَّوافلِ.

٦- العِظَةُ مِن خاتمةِ مَن أصابَه الفُتورُ.

٧- التَّفكُّرُ في يومِ القيامةِ.



الفُجور

معنَى الفُجور:

الفُجورُ لُغةً: الفِسْق والكَذِب. وأصْلُه المَيلُ. والفاجِرُ: المائِلُ[1].

الفُجورُ اصطلاحًا: الانبعاثُ في المعاصي بغيرِ اكتراثٍ. وقيل: اسمٌ جامعٌ لكلِّ شرٍّ، أي: المَيلِ إلى الفسادِ، والانطلاقِ إلى المعاصي[2].

الفرقُ بيْنَ الفِسقِ والفُجور:

الفِسقُ هو الخروجُ مِن طاعةِ اللهِ بكبيرةٍ، والفُجورُ: الانبعاثُ في المعاصي والتَّوسُّعُ فيها[3].

ذمُّ الفجور والنَّهيُ عنه في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)﴾ [ص: ٢٨].

- وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

- وعن عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((علَيكُم بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يَهْدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدي إلى الجنَّةِ،

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٣٤).
(٢) ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٤١٣).
(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٩٧).

وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصدُقُ ويَتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ صِدِّيقًا. وإيَّاكُم والكذِبَ؛ فإنَّ الكذِبَ يَهْدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفُجورَ يَهْدي إلى النَّارِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَكذِبُ ويَتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذَّابًا))[1].

- عن أنسٍ رَضيَ اللهُ عنه، قال: ((كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا اجتَهَدَ لأحدٍ في الدُّعاءِ قال: جَعَلَ اللهُ عليكُم صَلاةَ قومٍ أبرارٍ، يَقومونَ اللَّيلَ ويَصومونَ النَّهار، لَيْسوا بأَثَمَةٍ ولا فُجَّار))[2].

مَضارُّ الفجور:

١- الفُجورُ مِنَ الطُّرقِ الموصِلةِ إلى النَّارِ.

٢- الفُجورُ دليلٌ على خِسَّةِ النَّفْسِ ودناءَتِها.

٣- الفُجورُ خلُقٌ يَدْعو لكراهيةِ صاحبِه.

٤- تَداعياتُ الفُجورِ قد تُلحِقُ الأذَى بالأفرادِ والمُجتمَعِ.

أقوال السَّلف والعلماءِ في الفجور:

١- قال الحسَنُ بنُ عليٍّ رَضيَ اللهُ عنهُما: (أَكيَسُ الكَيْسِ التُّقَى، وأَحمَقُ الحُمقِ الفُجورُ)[3].

٢- وعنِ ابنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه موقوفًا: (إنَّ المؤْمِنَ يَرَى ذُنوبَه كأنَّه قاعدٌ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه عبد بن حميد في ((المسند)) (١٣٥٨)، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ١٨٧)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٢/ ٣٤)، والضياء في ((الأحاديث المختارة)) (١٧٠٠). صحح إسناده على شرط مسلم البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٦/ ٤٤٠)، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١٨١٠)، وصحح الحديث الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٩٧).

(٣) ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (ص: ٣٠).

تحتَ جبَلٍ يَخافُ أن يَقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يرَى ذُنوبَه كذُبابٍ مَرَّ على أنفِه فقال به هكذا) أي: بيَدِه فذَبَّهُ عنه[1].

٣- وعن سُفيانَ قال: كان يُقالُ: (تَعوَّذُوا باللهِ مِن فِتنةِ العابدِ الجاهلِ، وفِتنةِ العالِمِ الفاجرِ؛ فإنَّ فِتنتَهما فِتنةُ كلِّ مَفتونٍ)[2].

أسباب الوقوع في الفجور:

١- هَشاشةُ الإيمانِ في قلبِ الموصوفِ بالفُجورِ.

٢- قد تُسبِّبُ بعضُ الظواهِرِ الاجتماعيَّةِ الوُقوعَ في الفجورِ؛ كأنْ يَكونَ المُجتمَعُ مُجتمَعًا غيرَ منضبِطٍ بضوابطِ الشَّرعِ، وقد تكونُ التَّنشئةُ والتَّربيةُ هي السَّببَ في ظهورِ هذه الظَّاهرةِ.

٣- غيابُ فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عن المُنكَرِ.

٤- التَّساهُلُ بالمعاصي الصَّغيرةِ، واستِمراؤُها.

الوسائل المُعِينةُ على اجتِناب الفُجورِ:

١- تقوَى اللهِ عزَّ وجلَّ.

٢- قيامُ فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عن المُنكَرِ، والاحتِسابِ على الفُجَّارِ.

٣- استِخدامُ الهَديِ النَّبويِّ في التَّعامُلِ مع هؤلاء الفُجَّارِ؛ مِن مُناصحتِهم، وهَجرِهم، وتَجنُّبِهم.

أقوالٌ وأمثالٌ وشِعْرٌ في الفُجور:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٧/ ٣٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٨٩٦).

- كان يُقالُ: (اثنانِ لا يَجتمِعانِ: القُنوعُ، والحسدُ. واثنانِ لا يَفترِقانِ أبدًا: الحِرصُ، والفُجورُ)[1].

- (خيرُ الدُّنيا والآخرةِ في خَصلتَينِ: التُّقى والغِنَى. وشرُّ الدُّنيا والآخرةِ في خَصلتَينِ: الفُجورِ، والفقرِ)[2].

- وقال بعضُ أهلِ الأدبِ: (عَشْرُ خِصالٍ تُزْري، ومنها تَتفرَّعُ النَّذالةُ: الحسَبُ الرَّديءُ، والخلُقُ الدَّنيءُ، وقلَّةُ العقلِ، وسوءُ الفعلِ، ودناءةُ النَّفْسِ، والجُبنُ، والبُخلُ، والفُجورُ، والكذِبُ، والغِشُّ للنَّاسِ والوَقيعةُ فيهم)[3].

- قال زيدُ بنُ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ رَضيَ اللهُ تعالى عنه:

ألم تعلَمْ بأنَّ اللهَ أفنَى ... رِجالًا كان شأنَهُمُ الفُجورُ

- وقال مَرْوانُ بنُ الحَكَمِ:

وللشَّرِّ أهلٌ يُعرَفونَ بسَلبِهِم ... تُشيرُ إليهم بالفُجورِ الأصابعُ[4]



(١) ((البصائر والذخائر)) للتوحيدي (٩/ ١٣٢).
(٢) ((نثر الدر في المحاضرات)) للآبي (٤/ ١٣٦)، ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (١/ ٦٢).
(٣) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (١/ ٢٠٣).
(٤) ((تعليق من أمالي ابن دريد)) لابن دريد الأزدي (ص: ١٣٦).

الفُحشُ والبَذاءة

معنَى الفُحشِ والبذاءة:

الفُحشُ لُغةً: كلُّ شيءٍ جاوَزَ حدَّهُ فهو فاحشٌ[1]، والفُحشُ والفَحشاءُ والفاحِشةُ: القبيحُ مِنَ القولِ والفعلِ، وجَمْعُها: الفواحِشُ[2].

الفُحشُ اصطلاحًا: ما يَكرَهُه الطَّبعُ مِن رذائلِ الأعمالِ الظَّاهرةِ، كما يُنكِرُه العقلُ، ويَستخبِثُه الشَّرعُ؛ فيَتَّفِقُ في حُكمِه آياتُ اللهِ الثَّلاثُ، مِنَ الشَّرعِ والعقلِ والطَّبعِ، وبذلك يَفحُشُ الفعلُ[3].

البَذاءةُ لُغةً: الفُحشُ. وفُلانٌ بَذِيُّ اللِّسانِ، والمرأةُ بَذِيَّةٌ... مِنَ البَذاءِ، وهو الكلامُ القبيحُ[4].

البَذاءةُ اصطلاحًا: التَّعبيرُ عنِ الأمورِ المُستقبَحةِ، بالعِباراتِ الصَّريحةِ[5].

الفرقُ بيْنَ الفُحشِ والقُبحِ والشَّتمِ[6]:

الفاحشُ: الشَّديدُ القُبحِ، ويُستعمَلُ القُبحُ في الصُّوَرِ، فيُقالُ: القِردُ قبيحُ الصُّورةِ، ولا يُقالُ: فاحِشُ الصُّورةِ، ويُقالُ: هو فاحشُ القُبحِ، وهو فاحشُ الطُّولِ، وكلُّ

(١) ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٢٣٤).
(٢) ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/ ٣٢٥).
(٣) ((التوقيف على مهمات التعريف)) للمناوي (ص: ٢٥٧).
(٤) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/ ٦٩).
(٥) ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٤٣).
(٦) ((مفيد العلوم ومبيد الهموم)) للخوارزمي (ص: ٢٢٥)، ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٦٧).

شيءٍ جاوَزَ حدَّ الاعتدالِ مُجاوَزةً شديدةً فهو فاحشٌ، وليس كذلك القبيحُ.

والفُحشُ أن يُعبِّرَ عنِ المُباشَرةِ بعِبارةٍ قبيحةٍ، والشَّتمُ أن يَنسِبَ واحدًا إلى ذلك.

ذمُّ الفُحشِ والبَذاءةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال سُبحانَه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: ١٤٨].

- وقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ليس المؤمِنُ بالطَّعَّانِ، ولا اللَّعَّانِ، ولا الفاحِشِ، ولا البَذيءِ))(١).

- وعن أبي الدَّرْداءِ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((ما شَيءٌ أثقَلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القِيامةِ مِن خُلُقٍ حَسَنٍ، وإنَّ اللهَ لَيُبغِضُ الفاحِشَ البَذيءَ))(٢).

أقوالُ السَّلفِ والعلماءِ في ذمِّ الفُحشِ والبَذاءةِ(٣):

- قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: (ألْأَمُ خُلُقِ المؤمِنِ: الفُحشُ).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٧٧)، وابن حبان (١٩٢). قال الترمذي: حسن غريب. وصححه على شرط الشيخين الحاكم في ((المستدرك)) (١/ ٥٧)، وصحح إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (ص: ١٠١٠).

(٢) أخرجه من طرق أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢) واللفظ له.
قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٠٠٢).

(٣) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص: ٨٩، ١٨٥).

- وعن عَونِ بنِ عبدِ اللهِ رحِمه اللهُ قال: (ألَا إنَّ الفُحشَ والبَذاءَ مِنَ النِّفاقِ، وهُنَّ ممَّا يَزِدْنَ في الدُّنيا ويَنقُصْنَ في الآخِرةِ، وما يَنقُصْنَ في الآخِرةِ أكثَرُ ممَّا يَزِدْنَ في الدُّنيا).

- وقال الأَحنَفُ بنُ قَيسٍ رحِمه اللهُ: (أوَلَا أُخبِرُكم بأدوَأِ الدَّاءِ؟ اللِّسانُ البَذيءُ، والخُلُقُ الدَّنيءُ).

آثارُ الفُحشِ والبَذاءِ ومَضارُّهُما:

١- فاعِلُ الفُحشِ أو قائلُه يَستحِقُّ العُقوبةَ مِنَ اللهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

٢- يَتحاشاهُ النَّاسُ؛ خوفًا مِن شرِّ لسانِه.

٣- البَذاءُ والفُحشُ مِن علاماتِ النِّفاقِ.

٤- ليس مِن صِفاتِ المؤمِنِ الكاملِ الإيمانِ الفُحشُ والبَذاءُ.

٥- الفاحِشُ المُتفحِّشُ يُبغِضُه اللهُ.

٦- الفاحِشُ يَكونُ بعيدًا مِنَ اللهِ، ومِنَ النَّاسِ.

الوسائل المُعِينةُ على تَركِ الفحشِ والبَذاءةِ:

١- أن يُكثِرَ مِن ذِكرِ اللهِ تعالى.

٢- أن يَلزَمَ الصَّمتَ.

٣- تعويدُ اللِّسانِ على الكلامِ الجميلِ.

٤- أن يَتجنَّبَ في عباراتِه الألفاظَ المُستقبَحةَ وإنْ كانت صِدقًا، ويَكْني بدلًا عنها[1].

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٨٤).

٥- أن لا يَتحدَّثَ فيما لا يَعنِيه.

٦- أن لا يَعتادَ لَعْنَ الدَّوابِّ والأماكنِ.

٧- التَّخلُّقُ بخُلقِ الحياءِ.

٨- مُصاحَبةُ الأخيارِ ومُجالَستُهم.

الأسبابُ الجالِبةُ للفُحشِ والبَذاءَة[1]:

١- الخُبثُ واللُّؤمُ.

٢- قصْدُ الإيذاءِ.

٣- الاعتيادُ على مُخالَطةِ الفُسَّاقِ.

ذَمُّ الفُحشِ والبَذاءةِ في الشِّعر:

قال طَلحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ:

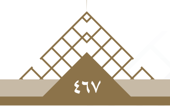
فلا تَعجَلْ على أحدٍ بظُلْمٍ ... فإنَّ الظُّلْمَ مَرتَعُهُ وَخيمُ

ولا تُفْحِشْ وإنْ مُلِّئْتَ غَيظًا ... على أحدٍ فإنَّ الفُحشَ لُومُ[2]



(١) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٨٤)، ((آفات اللسان)) لإبراهيم المشوخي (ص: ١٠٨- ١٠٩).

(٢) ((الحلم)) لابن أبي الدنيا (ص: ٧٣).



القَسوةُ والغِلظةُ والفَظاظة

معنَى القَسوةِ والغِلظةِ والفَظاظةِ:

القَسوةُ لُغةً: الصَّلابةُ في كلِّ شيءٍ. وقَسَا قلبُه قَسوةً وقَساوةً وقَساءً، وهي غِلَظُ القلبِ وشدَّتُه[1].

القَسوةُ اصطلاحًا: ذَهابُ اللِّينِ والرَّحمةِ والخُشوعِ منه[2].

الغِلظةُ لُغةً: الغِلَظُ ضِدُّ الرِّقَّةِ في الخُلقِ والطَّبعِ والفعلِ والمَنطِقِ والعَيشِ[3].

الغِلظةُ اصطلاحًا: قَساوةُ القلبِ، وقلَّةُ إشفاقِه، وعدَمُ انفعالِه للخيرِ[4].

الفَظاظةُ لُغةً: رجُلٌ فَظٌّ ذُو فَظاظةٍ: أي: فيه غِلَظٌ في مَنطقِه وتَجهُّمٌ، والفَظاظةُ والفَظَظُ: خُشونةُ الكلامِ[5].

الفَظاظةُ اصطلاحًا: الفَظُّ: الغليظُ الجانبِ، السَّيِّئُ الخُلقِ، القاسي الخَشِنُ الكلامِ[6].

الفَرْقُ بين الغِلظةِ والفَظاظةِ وبعضِ الصِّفاتِ[7]:

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/ ١٨٠).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((المصدر السابق)) (٧/ ٤٤٩).

(٤) ((فتح القدير)) للشوكاني (١/ ٤٥١).

(٥) ((العين)) للخليل (٨/ ١٥٣).

(٦) ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (ص: ٦٩٧).

(٧) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٢٩)، ((طلبة الطلبة)) للنسفي (٣/ ٣١٦)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (ص: ٣٤٠)، ((تفسير الرازي)) (٩/ ٤٠٧)، ((تفسير ابن عبد السلام)) لعز الدين ابن عبد السلام (ص: ٦٩٧)، ((الروح)) لابن القيم (١/ ٢٤١).

• الفَرْقُ بين الغِلظة والفَظاظة:

يرَى البعضُ أنَّهما بمعنًى واحدٍ، كما قال العِزُّ بنُ عبدِالسَّلامِ.

ويرَى آخَرونَ أنَّهما يَختلِفانِ مِن وُجوهٍ:

أنَّ الفَظاظةَ في القولِ، والغِلظةَ في الفعلِ، كما قال ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما.

الفَظُّ: هو سيِّئُ الخلُقِ، وغليظُ القلبِ: هو الَّذي لا يَتأثَّرُ قلبُه عن شيءٍ.

الفَظاظةُ: خشونةُ القلبِ، والغِلظةُ: قَسوةُ القلبِ.

• الفَرقُ بين القَسوةِ والصَّلابة:

القَسوةُ: تُستعمَلُ فيما لا يَقبَلُ العلاجَ؛ ولهذا يوصَفُ بها القلبُ وإنْ لم يَكُنْ صُلبًا.

ذَمُّ القَسوةِ والغِلظةِ والفَظاظةِ في القُرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٧٤].

- قال السَّعديُّ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ ﴾ أي: اشتَدَّت وغلُظَتْ، فلمْ تؤثِّرْ فيها الموعظةُ[1].

- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- عن أبي مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: أشارَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ بيدِه نحوَ اليَمنِ، وقال: ((الإيمانُ هاهُنا -مرَّتَينِ-، ألَا وإنَّ القَسوةَ وغِلَظَ القُلوبِ في

(١) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) للسعدي (ص: ٥٥).

الفَدَّادينَ -حيث يَطلُعُ قَرْنَا الشَّيطانِ- ربيعةَ ومُضَرَ))[1].

- وعن حارثةَ بنِ وَهبٍ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّه سمِع النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم يقولُ: ((ألَا أَدُلُّكم على أهلِ الجنَّةِ؟ كلُّ ضَعيفٍ مُتضَعِّفٍ، لو أَقسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ. وقال: أهلُ النَّارِ كلُّ جَوَّاظٍ عُتُلٍّ مُستكبِرٍ))[2].

- قال ابنُ عُثيمينَ: (فالعُتُلُّ: الشَّديدُ الغليظُ، الَّذي لا يَلِينُ للحقِّ، ولا للخَلقِ)[3].

من أقوال السَّلف والعلماءِ في القسوة:

- قال مالكُ بنُ دينارٍ: (أَربَعٌ مِن علمِ الشَّقاوةِ: قَسوةُ القلبِ، وجُمودُ العَينِ، وطولُ الأملِ، والحِرصُ على الدُّنيا)[4].

- وقال حُذيفةُ المَرْعَشيُّ: (ما ابتُليَ أحدٌ بمصيبةٍ أَعظَمَ عليه مِن قسوةِ قلبِه)[5].

- وقال ابنُ القَيِّم: (ما ضُرِب عبدٌ بعقوبةٍ أَعظَمَ مِن قسوةِ القلبِ، والبُعدِ عنِ اللهِ، خُلِقَتِ النَّارُ لإذابةِ القلوبِ القاسيةِ، أَبعَدُ القلوبِ مِنَ اللهِ القلبُ القاسي)[6].

ما يُباحُ مِنَ القسوة والغِلظةِ والفَظاظة[7]:

١- في الجهادِ.

٢- مُجادَلَةُ الظَّالمِ المُعتدِي مِن أهلِ الكِتابِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠٢)، ومسلم (٥١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٥٧)، ومسلم (٢٨٥٣).
(٣) ((كتب ورسائل ابن عثيمين)) مجالس شهر رمضان (ص: ١٥٥).
(٤) ((الزهد وصفة الزاهدين)) لابن الأعرابي (١/ ٤٧).
(٥) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم (١٠/ ١٦٨).
(٦) ((الفوائد)) لابن القيم (١/ ٩٧).
(٧) بتصرف من: ((الأذكار)) للنووي (١/ ٢٨٠)، ((من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين)) لفضل إلهي (ص: ١٨٠).

٣- مُخاطَبةُ المرأةِ للأجانبِ للضَّرورةِ.

٤- عِندَ إقامةِ الحدودِ.

٥- عند ظهورِ العِنادِ والاستِهزاءِ بالدِّينِ.

٦- عند بُدورِ مُخالَفةِ الشَّرعِ لدَى مَن لا يُتوقَّعُ منه ذلك.

علاماتُ قَسوةِ القَلبِ والغِلظةِ[(١)]:

١- عدَمُ التَّأثُّرِ بالقرآنِ الكريمِ.

٢- جُمودُ العَينِ، وقلَّةُ دمْعِها مِن خشيةِ اللهِ.

٣- عدَمُ الاعتبارِ بالموتِ، والضَّحِكُ عِندَ القبورِ.

٤- الكِبْرُ، وعدَمُ قَبولِ الحقِّ؛ (إذِ القلبُ القاسي لا يَقبَلُ الحقَّ وإنْ كثُرَتْ دَلائلُه)[(٢)].

٥- عدَمُ الاهتمامِ بما يُصيبُ الآخَرينَ مِن أذًى، والسَّعادةُ بذلك.

آثار قسوةِ القلب والغِلظةِ والفَظاظةِ[(٣)]:

١- تحريفُ الكَلِمِ عن مَواضِعِه، وذلك مِن سوءِ الفَهمِ وسوءِ القصدِ، وكِلاهما ناشئٌ عن قسوةِ القلبِ.

٢- نِسيانُ ما ذُكِّر به، وهو ترْكُ ما أُمِر به عِلمًا وعمَلًا.

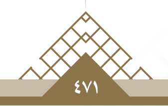
٣- زَوالُ النِّعَمِ، ونزولُ المصائبِ والنِّقَمِ والهلاكِ.

٤- القلبُ القاسي أضعفُ القلوبِ إيمانًا، وأسرعُها قَبولًا للشُّبهاتِ، ووُقوعًا

(١) يُنظر: ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٤/ ٤٨٤)، ((فيض القدير)) للمناوي (١/ ١٢٢) و(٤/ ٤٨٢).

(٢) ((فيض القدير)) للمناوي (١/ ١٢٢).

(٣) انظر ((شفاء العليل)) لابن القيم (١/ ١٠٦).



في الفِتنةِ والضَّلالِ.

٥- سببٌ في الضَّلالِ، واستحقاقِ لعنةِ اللهِ وسَخطِه وعِقابِه.

٦- الفُتورُ عنِ الطَّاعةِ، والوُقوعُ في المُحرَّماتِ، وترْكُ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ.

٧- الوَحشةُ، والخوفُ الدَّائمُ، وعُبوسُ الوجهِ، والكآبةُ.

٨- التَّنافُرُ بيْن القلوبِ، وشُيوعُ الكراهيةِ والبغضاءِ.

أسبابُ قسوةِ القلبِ والغِلظةِ والفَظاظةِ[1]:

١- الغفلةُ عن ذِكرِ اللهِ، وتدبُّرِ القرآنِ، والتَّأمُّلِ في آياتِه الكَونيَّةِ.

٢- كثرةُ المعاصي.

٣- التَّفريطُ في الفرائضِ، وانتِهاكُ المُحرَّماتِ.

٤- الانشغالُ بالدُّنيا، والانهماكُ في طلَبِها والمُنافَسةِ عليها.

٥- طولُ الأملِ والتَّمنِّي.

٦- التَّوسُّعُ المَذمومُ في المباحاتِ.

٧- كثرةُ مُخالَطةِ النَّاسِ في غيرِ مَصلحةٍ.

٨- عدَمُ الرَّحمةِ بالخَلقِ، والإحسانِ إليهم.

الوَسائلُ المُعِينةُ على التَّخلُّصِ مِن قَسوةِ القَلبِ والغِلظةِ والفَظاظةِ:

١- الدُّعاءُ.

٢- قراءةُ القرآنِ، وتَدبُّرُ آياتِه.

---

(١) يُنظر: ((إحياء علوم الدين)) لأبي حامد الغزالي، ((عمدة القاري)) للعيني (١٥/ ٢٧٤)، ((فيض القدير)) للمناوي (٥/ ٤١٧)، ((بريقة محمودية)) لأبي سعيد الخادمي (٤/ ٩٧).

٣- الإكثارُ مِن ذِكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

٤- الإكثارُ مِنَ الاستغفارِ والتَّوبةِ.

٥- تَذكُّرُ الموتِ، وزيارةُ القبورِ.

٦- مُصاحَبةُ الصَّالِحينَ، ومُجالَستُهم، وقراءةُ سِيَرِ السَّلفِ الصَّالحِ.

٧- الإحسانُ إلى الضُّعفاءِ.

قَصصٌ في القَسوة والغِلظةِ والفَظاظة:

- (كان الرَّبيعُ بنُ خُثَيمٍ إذا وَجَد في قلْبِه قَسوةً أتَى منزلَ صديقٍ له قد مات في اللَّيلِ، فنادى: يا فُلانُ بنُ فُلانٍ، يا فُلانُ بنُ فُلانٍ، ثمَّ يقولُ: لَيْتَ شِعري، ما فعَلْتَ؟ وما فُعِل بك؟ ثمَّ يَبكي حتَّى تَسيلَ دُموعُه، فيُعرَفُ ذاك فيه إلى مِثلِها)[١].

- وقال مالكٌ: (كان محمَّدُ بنُ المُنكدِرِ سيِّدَ القرَّاءِ، وكان كثيرَ البُكاءِ عند الحديثِ، وكنتُ إذا وجَدْتُ مِن نفْسي قَسوةً آتِيهِ فأَنظُرُ إليه، فأتَّعِظُ به)[٢].

القَسوة والغِلظةُ والفَظاظةُ في واحةِ الشِّعر:

قال الشَّاعرُ في عدَمِ الشُّكرِ على الإحسانِ والإنعامِ:

ومَن لـم يَشـكُرِ النَّعمـاءَ فَظٌّ ... غليـظُ الطَّبعِ لـم يَنفَعْـهُ وَعْظُ
لأنَّ الشُّـكرَ للإنعـامِ حِفـظُ ... ولم يَفُـتِ الفَتى بالعجـزِ حَظُّ[٣]



(١) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (٧/ ١٩).
(٢) ((التمهيد)) لابن عبد البر (١٢/ ٢٢٢).
(٣) ((حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر)) لعبد الرزاق البيطار (ص: ١٢٩١).

الكِبْرُ

معنَى الكِبرِ:

الكِبْرُ لُغةً: مِنَ التَّكبُّرِ، وقيل: الكِبْرُ اسمٌ مِن كَبُرَ الأمرُ والذَّنْبُ كُبرًا؛ إذا عَظُمَ. والكِبْرُ والكبرياءُ: العَظَمةُ، وكابَرْتُه مُكابَرةً: غالبْتُه مُغالَبةً وعانَدْتُه[1].

الكِبرُ اصطلاحًا: استِعظامُ الإنسانِ نفْسَه، واستِحسانُ ما فيه مِنَ الفضائلِ، والاستِهانةُ بالنَّاسِ، واستِصغارُهم، والتَّرفُّعُ على مَن يَجِبُ التَّواضُعُ له[2].

الفَرقُ بينَ الكِبرِ ومُرادفاتِه (الزَّهو-الكبرياء-الجَبَروت والجَبْريَّة)[3]:

الكِبْرُ: إظهارُ عِظَمِ الشَّأنِ، وهو فينا خاصَّةً رفْعُ النَّفْسِ فوقَ الاستِحقاقِ، والزَّهوُ على ما يَقتَضيهِ الاستعمالُ: رفْعُ شيءٍ إيَّاها؛ مِن مالٍ أو جاهٍ وما أَشبَهَ ذلك.

والكِبرياء العِزُّ والمُلكُ، وليست مِنَ الكِبرِ في شيءٍ، وأمَّا التَّكبُّرُ فهو إظهارُ الكِبْرِ. والجَبْريَّةُ أَبلَغُ مِنَ الكِبْرِ، وكذلك الجَبَروتُ؛ ويدُلُّ على هذا فَخامةُ لَفْظِها، وفخامةُ اللَّفظِ تدُلُّ على فخامةِ المعنى فيما يَجري هذا المَجرَى.

ذمُّ الكِبْرِ والنَّهيُ عنه في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال اللهُ تعالى مبيِّنًا سببَ امتناعِ إبليسَ عنِ السُّجودِ لآدمَ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

---

(١) ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٥٢٣).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) للجاحظ (ص: ٣٢).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ١٥٤ - ١٥٥، ٤٤٥).

- قال اللهُ تبارَك وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف: ١٤٦].

- عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، قال: ((لا يَدخُلُ الجَنَّةَ مَن كان في قَلبِه مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ. فقال رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أن يَكونَ ثَوبُه حسَنًا، ونَعْلُه حسَنةً؟ قال: إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ))(١).

- عن حارثةَ بنِ وَهْبٍ الخُزاعيِّ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((ألا أُخبِرُكُم بأهلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضعيفٍ مُتضاعِفٍ؛ لو أَقسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ. ألَا أُخبِرُكُم بأهلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبِرٍ))(٢).

أقوال السَّلف والعلماءِ في الكِبْرِ والمتكبِّرينَ:

- قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (إنَّ العبدَ إذا تواضَعَ للهِ رفَعَ اللهُ حَكَمتَه، وقال له: انتعِشْ نَعَشَكُ الله، فهو في نفْسِه حقيرٌ، وفي أَعيُنِ النَّاسِ كبيرٌ، وإذا تكبَّرَ وعَتَا وَهَصَهُ اللهُ إلى الأرضِ، وقال له: اخسَأْ خَسَأَكَ اللهُ، فهو في نفْسِه كبيرٌ، وفي أَعيُنِ النَّاسِ حقيرٌ، حتَّى يَكونَ عِندَهم أَحقَرَ مِنَ الخِنزيرِ)(٣).

- وقال الأحنفُ بنُ قيسٍ: (عجَبًا لابنِ آدَمَ يَتكبَّرُ وقد خرَجَ مِن مَجرَى البَولِ

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٤٤٦١)، وأبو داود في ((الزهد)) (ص: ٨٥). صحح إسناده موقوفًا ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (٨٨).

مرَّتَينِ!)[1].

- وقال محمَّدُ بنُ الحُسينِ بنِ عليٍّ: (ما دَخَل قلْبَ امرئٍ شيءٌ مِنَ الكِبْرِ قطُّ إلَّا نَقَص مِن عقلِه بقَدْرِ ما دَخَل مِن ذلك، قَلَّ أو كَثُرَ)[2].

أقسام الكِبْرِ:

يَنقسِمُ الكِبرُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ، بعضُها أشدُّ مِن بعضٍ، وإن كانت كلُّها مذمومةً عِندَ اللهِ ورسولِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ والنَّاسِ جميعًا:

القسمُ الأولُ: الكبرُ على اللهِ تعالى: وهو أفحَشُ أنوَاعِ الكِبْرِ. كتكبُّرِ فِرعونَ ونُمْرُودَ؛ حيثُ استَنكَفَا أن يَكونَا عَبدَينِ له تعالى، وادَّعَيَا الرُّبوبيَّةَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، أيْ: صاغِرينَ. ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ الآيةَ [النساء: ١٧٢].

القسمُ الثَّاني: الكبرُ على رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: بأنْ يَمتنِعَ مِنَ الانقيادِ له تكبُّرًا، جهلًا وعِنادًا، كما حكَى اللهُ ذلك عن كُفَّارِ مكَّةَ وغَيرِهم مِنَ الأُمَمِ.

القسمُ الثَّالث: الكبرُ على العِبادِ: بأنْ يَستعظِمَ نفْسَه، ويَحتقِرَ غيرَه ويَزدَريَه، فيَأبَى على الانقيادِ له، أو يَترفَّعَ علَيهِ، ويَأنَفَ مِن مُساواتِه[3].

مِن آثارِ الكِبرِ وأضرارِه:

١- الحِرمانُ مِنَ النَّظرِ والاعتبارِ.

٢- القلقُ والاضطِرابُ النَّفْسيُّ.

٣- الملازمةُ للعيوبِ والنَّقائصِ.

---

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ٣٣٨).

(٢) ((المصدر السابق)) (٣/ ٣٣٩).

(٣) ((الزواجر)) للهيتمي (١/ ١١٨).

٤- الحِرمانُ مِنَ الجنَّةِ، واستِحقاقُ العذابِ في النَّارِ.

٥- قلَّةُ كسبِ الأنصارِ، بل والفُرقةُ والتَّمزُّقُ، والشُّعورُ بالعُزلةِ.

٦- الحِرمانُ مِنَ العَونِ والتَّأييدِ الإلهيِّ[1].

أسبابُ الكِبْرِ:

١- سببٌ في المُتكبِّرِ: وهو العُجبُ؛ فهو يورِثُ الكِبرَ الباطنَ، والكِبْرُ يُثمِرُ التَّكبُّرَ الظَّاهرَ في الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ.

٢- وسببٌ في المُتكبَّرِ عليه: وهو الحِقدُ والحسدُ.

٣- وسببٌ فيما يَتعلَّقُ بغيرهما: وهو الرِّياءُ[2].

بماذا يكونُ التَّكبُّرُ؟

(اعلَمْ أنَّه لا يَتكبَّرُ إلَّا مَنِ استَعظَمَ نفْسَه، ولا يَستَعظِمُها إلَّا وهو يَعتقِدُ لها صِفةً مِن صِفاتِ الكمالِ، وجِماعُ ذلك يَرجِعُ إلى كمالٍ دِينيٍّ أو دُنيويٍّ، فالدِّينيُّ هو العِلمُ والعمَلُ، والدُّنيويُّ هو النَّسَبُ والجَمالُ والقوَّةُ والمالُ وكثرةُ الأنصارِ، فهذه سَبعةُ أسبابٍ)[3].

الوسائلُ المُعِينةُ على تركِ الكِبْرِ:

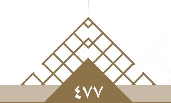
١- تَذكيرُ النَّفْسِ بالعواقبِ والآثارِ المُترتِّبةِ على التَّكبُّرِ، سواءٌ كانت عواقِبَ ذاتيَّةً أو مُتَّصِلةً بالعملِ الإسلاميِّ، وسواءٌ كانت دُنيويَّةً أو أُخرويَّةً.

٢- عيادةُ المَرضى، ومُشاهَدةُ المُحتضَرينَ وأهلِ البلاءِ، وتَشييعُ الجنائزِ،

(١) ((آفات على الطريق)) لسيد محمد نوح (١/ ١٧٥) بتصرف.

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي بتصرف (٣/ ٣٥٣).

(٣) ((المصدر السابق)) (٣/ ٣٤٧).



وزيارةُ القبورِ.

٣- الانسلاخُ مِن صُحبةِ المُتكبِّرينَ، والارتماءُ في أحضانِ المُتواضِعين المُخْبِتينَ.

٤- مُجالَسةُ ضِعافِ النَّاسِ وفُقرائِهم، وذَوي العاهاتِ منهم.

٥- التَّفكُّرُ في النَّفْسِ، وفي الكَونِ، بل وفي كلِّ النِّعَمِ الَّتي تُحيطُ به مِن أعلاهُ إلى أَدناهُ.

٦- النَّظرُ في سِيَرِ المُتكبِّرينَ وأخبارِهم، كيف كانوا؟ وإلى أيِّ شيءٍ صارُوا؟

٧- التماسُ العُذرِ لِمَن تَعالَى وتَطاوَلَ عليهم بسُخريةٍ أو استِهزاءٍ.

أقوالُ الأدباءِ والشُّعراءِ في ذَمِّ الكِبرِ والمُتكبِّرينَ:

- الكِبْرُ قائدُ البُغضِ.
- التَّعزُّزُ بالتَّكبُّرِ ذُلٌّ[1].
- وكان يُقالُ: مَن عرَف حقَّ أخيهِ دامَ له إخاؤُه، ومَن تكبَّرَ على النَّاسِ ورَجا أن يَكونَ له صديقٌ فقد غَرَّ نفْسَه.
- قال الشَّاعرُ:

كَمْ جاهِلٍ مُتواضِعٍ ... سَتَرَ التَّواضُعُ جَهْلَهُ

ومُمَيَّزٍ في عِلمِه ... هدَمَ التَّكبُّرُ فضْلَهُ

فدَعِ التَّكبُّرَ ما حَييتَ ... ولا تُصاحِبْ أهْلَهُ

فالكِبرُ عَيبٌ للفَتَى ... أبدًا يُقَبِّحُ فِعلَهُ[2]

(١) ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (ص: ٤٤٤-٤٤٥).

(٢) ((معجم الأدباء)) لياقوت الحموي (٢/ ٥١٨).

الكَذِب

معنَى الكَذِبِ:

الكذِبُ لُغةً: نقيضُ الصِّدْقِ. تَقولُ: كذَّبتُ الرَّجُلَ؛ إذا نَسبْتَه إلى الكذِبِ. وأَكْذَبْتُه؛ إذا أَخبَرْتَ أنَّ الَّذي يُحدِّثُ به كَذِبٌ[1].

الكذِبُ اصطلاحًا: الإخبارُ بالشَّيءِ على خِلافِ ما هو علَيهِ، سواءٌ كان عمْدًا أمْ خطأً[2].

الفرقُ بيْن الكذِبِ وبعضِ الألفاظِ المترادِفةِ (الافتِراء والبُهتان - الإفك)[3]:

الكذِبُ: هو عدَمُ مُطابقةِ الخبرِ للواقعِ، أو لاعتِقادِ المُخبِرِ لهُما على خِلافٍ في ذلك.

والافتراءُ: أَخَصُّ منه؛ لأنَّه الكذِبُ في حقِّ الغيرِ بما لا يَرتَضيه، بخِلافِ الكذِبِ؛ فإنَّه قد يَكونُ في حقِّ المُتكلِّمِ نفْسِه، وأيضًا قد يَحسُنُ الكذِبُ على بعضِ الوُجوهِ؛ كالكذِبِ في الحربِ، وإصلاحِ ذاتِ البَينِ، وعِدَةِ الزَّوجةِ، بخِلافِ الافتِراءِ. وأمَّا البُهتانُ: فهو الكذِبُ الَّذي يواجَهُ به صاحِبُه على وجهِ المُكابَرةِ له.

والإفكُ: هو الكذِبُ الفاحشُ القُبحِ؛ مِثلُ الكذِبِ على اللهِ ورسولِه، أو على القرآنِ، ومِثلُ قذْفِ المُحصَنةِ، وغيرِ ذلك ممَّا يَفحُشُ قُبحُه. وجاء في القُرآنِ على

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٧٠٤) بتصرف.

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ٢٠١).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٤٩- ٤٥٠).



هذا الوجْهِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ [الجاثية: ٧]. والكذِبُ: اسمٌ موضوعٌ للخبرِ الَّذي لا مُخبرَ له على ما هو به، وسواءٌ كان الكذِبُ فاحِشَ القُبحِ أو غيرَ فاحشِ القُبحِ.

ذمُّ الكذب في القرآن والسُّنَّة:

- قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥].

- وقال سُبحانَه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ [الجاثية: ٧].

(أي: كذَّابٍ في مَقالِه، أَثيمٍ في فِعالِه)[(١)].

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، قال: ((آيةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ))[(٢)].

أقوال السَّلف والعلماءِ في الكذب:

- قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (لَأَنْ يَضعَني الصِّدقُ -وقَلَّما يَضَعُ- أَحَبُّ إليَّ مِن أن يَرفَعَني الكذِبُ، وقَلَّما يفعَلُ)[(٣)].

- وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: (أَعظَمُ الخَطايا الكذِبُ، ومَن يَعفُ يَعفُ اللهُ عنه)[(٤)].

- وكان ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما يقولُ: (الكذِبُ فُجورٌ، والنَّميمةُ سِحرٌ، فمَن كَذَب فقد فَجَر، ومَن نَمَّ فقد سَحَر)[(٥)].

---

(١) ((تفسير السعدي)) (ص: ٧٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (١/ ٢٦٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في ((الحلية)) (١/ ١٣٨).

(٥) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٢/ ٣١).

- وقال ابنُ القَيِّم: ((إيَّاكَ والكذِبَ؛ فإنَّه يُفسِدُ عليك تَصوُّرَ المعلوماتِ على ما هي عليه، ويُفسِدُ عليك تَصويرَها وتعليمَها للنَّاسِ))[1].

ما يُباحُ مِنَ الكذِبِ:

الأصلُ في الكذِبِ عدَمُ الجوازِ؛ لكنْ هنالك حالاتٌ يُباحُ فيها الكذِبُ، وهي كالآتي:

١- ((في الحربِ؛ لأنَّ الحربَ خَدْعةٌ، ومُقتَضياتُها تَستَدعي التَّمويهَ على الأعداءِ، وإيهامَهم بأشياءَ قد لا تكونُ موجودةً، واستِعمالَ أساليبِ الحربِ النَّفسيَّةِ ما أَمكَنَ، ولكنْ بصورةٍ ذكيَّةٍ لَبِقةٍ.

٢- في الصُّلحِ بيْن المُتخاصمَينِ؛ حيث إنَّ ذلك يَستَدعي أحيانًا أن يُحاوِلَ المُصلِحُ تبريرَ أعمالِ كلِّ طرَفٍ وأقوالَه بما يُحقِّقُ التَّقارُبَ، ويُزيلُ أسبابَ الشِّقاقِ، وأحيانًا يَنسِبُ إلى كلٍّ مِنَ الأقوالِ الحسنةِ في حقِّ صاحبِه ما لم يَقُلْهُ، ويَنفي عنه بعضَ ما قاله؛ وهو ما يَعوقُ الصُّلحَ ويَزيدُ شُقَّةَ الخلافِ والخِصامِ.

٣- في الحياةِ الزَّوجيَّةِ؛ حيث يحتاجُ الأمرُ أحيانًا إلى أن تَكذِبَ الزَّوجةُ على زَوجِها، أو يَكذِبَ الزَّوجُ على زَوجتِه، ويُخفي كلٌّ منهما عنِ الآخَرِ ما مِن شأنِه أن يوغِرَ الصُّدورَ، أو يولِّدَ النُّفورَ، أو يُثيرَ الفِتَنَ والنِّزاعَ والشِّقاقَ بيْن الزَّوجينِ، كما يَجوزُ أن يَزُفَّ كلٌّ منهما للآخَرِ مِن معسولِ القولِ ما يَزيدُ الحُبَّ، ويَسُرُّ النَّفْسَ، ويُجمِّلُ الحياةَ بينهما، وإن كان ما يُقالُ كذِبًا؛ لأنَّ هذا الرِّباطَ الخطيرَ يَستحِقُّ أن يُهتَمَّ به غايةَ الاهتمامِ، وأن يُبذَلَ الجُهدُ الكافي ليَظَلَّ قويًّا جميلًا مُثمِرًا))[2].

(١) ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ١٣٥).
(٢) ((الرائد دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (٣/ ٢٦٤).

آثار الكذِبِ ومَضارُّه:

١- الكذِبُ وسيلةٌ لدمارِ صاحبِه أُمَمًا وأفرادًا.

٢- الكذب سراب يقرب البعيد ويبعد القريب.

٣- الكذِبُ يُذهِبُ المُروءةَ والجَمالَ والبَهاءَ.

٤- الكاذِبُ مُهانٌ ذليلٌ.

٥- الأُمَمُ الَّتي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ لاقَتْ مصيرَها مِنَ الدَّمارِ والهلاكِ.

٦- يورِثُ فَسادَ الدِّينِ والدُّنيا.

٧- دليلٌ على خِسَّةِ النَّفْسِ ودناءتِها.

٨- احتِقارُ النَّاسِ له، وبُعْدُهم عنه[1].

من صوَرِ الكذِبِ[2]:

١- الكذِبُ على اللهِ تعالى ورسولِه، وهذا أَعظَمُ أنواعِ الكذِبِ.

٢- الكذِبُ على النَّاسِ.

٣- الكذِبُ في الحديثِ بيْن النَّاسِ.

٤- كذِبُ الحُكَّامِ على الشُّعوبِ.

٥- الكذِبُ لإضحاكِ النَّاسِ.

٦- الكذِبُ على الأولادِ.

٧- شَهادةُ الزُّورِ.

٨- كذِبُ التَّاجرِ في بيانِ سِلعتِه.

---

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة من الباحثين (١١/ ٥٤٣٠).

(٢) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٦/١٥٦-١٥٨) بتصرف، ((الكذب مظاهره - علاجه)) لمحمد الحمد.

أسباب الوقوعِ في الكذب:

- اجتِلابُ النَّفعِ، واستِدفاعُ الضُّرِّ.

- أن يؤْثِرَ أن يَكونَ حديثُه مُستعذَبًا، وكلامُه مُستظرَفًا، فلا يَجِدُ صِدقًا يَعذُبُ ولا حديثًا يُستظرَفُ، فيَستحلي الكذِبَ الَّذي ليستْ غرائبُه مُعوِزةً، ولا طَرائفُه مُعجِزةً.

- أن يَقصِدَ بالكذِبِ التَّشفِّيَ مِن عدوِّه، فيَسِمَه بقبائحَ يَختَرِعُها عليه، ويَصِفَه بفضائحَ يَنسِبُها إليه.

- أن تَكونَ دَواعي الكذِبِ قد ترادَفَتْ عليه حتَّى أَلِفَها، فصار الكذِبُ له عادةً، ونفْسُه إليه مُنقادَةً[1].

الأمثال والحِكَمُ والشِّعرُ في الكذب:

- عِندَ النَّوَى يَكذِبُك الصَّادقُ: يُضرَبُ مثَلًا للرَّجلِ يُعرَفُ بالصِّدقِ ثمَّ يَحتاجُ إلى الكذِبِ[2].

- قيل في مَنثورِ الحِكَمِ: (الكَذَّابُ لِصٌّ؛ لأنَّ اللِّصَّ يَسرِقُ مالَك، والكذَّابَ يَسرِقُ عقلَك)[3].

قال الشَّاعرُ:

لا يَكــذِبُ المرءُ إلَّا مِــن مَهانَتِهِ ... أو عادةِ السُّــوءِ أو مِن قِلَّةِ الأدبِ

لَعَضُّ جيفــةِ كلْبٍ خيــرُ رائحةٍ ... مِـن كَذبةِ المرءِ في جِـدٍّ وفي لَعِبِ[4]

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٦٤).
(٢) ((جمهرة الأمثال)) للعسكري (٢/ ٣٥).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٦١).
(٤) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص: ٢٥٨).



الكسَل

معنَى الكسلِ:

الكسَلُ لُغةً: التَّثاقُلُ عمَّا لا يَنبَغي أن يُتثاقَلَ عنه[1].

الكسَلُ اصطلاحًا: التَّثاقُلُ والتَّراخي عمَّا يَنبَغي مع القُدرةِ، أو هو عدَمُ انبعاثِ النَّفْسِ لفعلِ الخيرِ[2].

الفرق بين العجْزِ والكسَلِ:

الكسَلُ: تركُ الشَّيءِ مع القدرةِ على الأخذِ في عمَلِه، و**العَجْزُ**: عدَمُ القُدرةِ[3].

ذمُّ الكَسلِ في القرآنِ والسُّنَّة:

- قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

أي: تكاسَلْتُم، ومِلْتُم إلى الأرضِ والدَّعةِ والسُّكونِ فيها[4].

---

(١) ((العين)) للخليل (٥/ ٣١٠)، ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (١٠/ ٣٧)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٥٨٧).

(٢) ((زاد المسير في علم التفسير)) لابن الجوزي (١/ ٤٨٩)، ((فيض القدير)) للمناوي (٢/ ١٥٤).

(٣) ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/ ٣٦).

(٤) ((تفسير السعدي)) (١/ ٣٣٧).

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، أن رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قال: ((يَعقِدُ الشَّيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكُم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ، يَضرِبُ كلَّ عُقْدةٍ: علَيكَ لَيلٌ طويلٌ فارْقُدْ. فإنِ استيقَظَ فذكَرَ اللهَ انحلَّتْ عُقْدةٌ، فإنْ توضَّأَ انحلَّتْ عُقْدةٌ، فإنْ صلَّى انحلَّتْ عُقْدةٌ؛ فأصبَحَ نَشيطًا طَيِّبَ النَّفسِ، وإلَّا أصبَحَ خبيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ))[1].

- عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه، قال: كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يقولُ: ((اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنَ العَجْزِ، والكسَلِ، والجُبنِ، والهَرَمِ، والبُخلِ، وأَعوذُ بك مِن عذابِ القبرِ، ومِن فِتنةِ المَحْيَا والمماتِ))[2].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ الكسل:

- قال الخلوتي: (قيل: مَن دام كسَلُه؛ خابَ أمَلُه)[3].

- ويقولُ ابنُ القَيِّمِ: (إذا جَنَّ اللَّيلُ وقَع الحربُ بيْن النَّومِ والسَّهَرِ، فكان الشَّوقُ والخَوفُ في مُقدِّمةِ عسكرِ اليَقظةِ، وصار الكسَلُ والتَّواني في كتيبةِ الغفلةِ، فإذا حَمَل الغَريمُ حملةً صادقةً هَزَم جُنودَ الفُتورِ والنَّومِ؛ فحَصَل الظَّفَرُ والغنيمةُ، فما يَطلُعُ الفَجرُ إلَّا وقد قُسِمَتِ السُّهْمانُ وما عِندَ النَّائمينَ خَبَرٌ)[4].

- قال عبدُ العزيزِ السَّلمان: (وقد قيل: الكسَلُ مَزلَقةُ الرِّبحِ، وآفةُ الصَّنائعِ، وأَرَضةُ البضائعِ، وإذا رَقَدَتِ النَّفْسُ في فِراشِ الكسلِ استغرقَها نَومُ الغفلةِ عن صالحِ العملِ)[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٢).

(٢) البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٣) ((روح البيان)) (٣/ ٤٤٨).

(٤) ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (٣/ ٢٣٢).

(٥) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (٣/ ٣٥).

أقسام الكسَل[1]:

١- كسَلٌ وفُتورٌ عامٌّ في جميعِ الطَّاعاتِ، مع كُرهٍ لها، وعدَمِ رغبةٍ فيها، وهذه حالُ المُنافِقينَ؛ فإنَّهم مِن أشدِّ النَّاسِ كسَلًا وفُتورًا ونُفورًا.

٢- كسَلٌ وفُتورٌ في بعضِ الطَّاعاتِ، يُصاحِبُه عدَمُ رغبةٍ فيها، دُونَ كُرهٍ لها، أو ضَعفٍ في الرَّغبةِ مع وُجودِها، وهذه حالُ كثيرٍ مِن فُسَّاقِ المسْلمينَ وأصحابِ الشَّهواتِ.

٣- كسَلٌ وفُتورٌ عامٌّ سببُه بدَنيٌّ لا قلْبيٌّ؛ فتَجِدُ عِندَه الرَّغبةَ في العبادةِ، والمَحبَّةَ للقيامِ بها، وقد يَحزَنُ إذا فاتَتْهُ، ولكنَّه مُستمِرٌّ في كسَلِه وفُتورِه، وهذه حالُ كثيرٍ مِنَ المسْلمينَ الَّذين يُصابُون بهذا الدَّاءِ، ومنهم أُناسٌ صالِحونَ، وآخَرونُ مِن أصحابِ الشَّهوةِ والفِسقِ.

٤- كسَلٌ وفُتورٌ عارضٌ يَشعُرُ به الإنسانُ بيْن حينٍ وآخَرَ، ولكنَّه لا يَستمِرُّ معه، ولا تَطولُ مُدَّتُه، ولا يوقِعُ في معصيةٍ، ولا يُخرِجُ عن طاعةٍ. وهذا لا يَسلَمُ منه أحدٌ، إلَّا أنَّ النَّاسَ يَتفاوَتونَ فيه أيضًا، وسببُه -غالبًا- أمْرٌ عارضٌ؛ كتَعَبٍ أوِ انشغالٍ أو مرَضٍ ونحوِها.

مَضارُّ الكسل:

١- التَّكاسُلُ عنِ العِباداتِ والطَّاعاتِ، مع ضَعفٍ وثِقلٍ أثناءَ أدائِها.

٢- الشُّعورُ بقسوةِ القلبِ وخُشونتِه، فلم يَعُدْ يَتأثَّرُ بالقرآنِ والمواعظِ، ورانتْ عليه الذُّنوبُ والمعاصي.

٣- عدَمُ استشعارِ المسؤوليَّةِ المُلْقاةِ على عاتِقِه، والتَّساهُلُ والتَّهاوُنُ بالأمانةِ

(١) هذه الأقسام من كتاب ((الفتور)) للدكتور ناصر العمر (ص: ٢٣- ٢٦) باختصار.

الَّتي حمَّلَه اللهُ إيَّاها.

٤- كثرةُ الكلامِ دُونَ عمَلٍ يُفيدُ الأمَّةَ، ويَنفَعُ الأجيالَ.

٥- ضَياعُ الوقتِ وعدَمُ الإفادةِ منه، وتقديمُ غيرِ المُهِمِّ على المُهِمِّ، والشُّعورُ بالفراغِ الرُّوحيِّ والوَقْتيِّ، وعدَمُ البَركةِ في الأوقاتِ.

٦- عدَمُ الاستعدادِ للالتزامِ بشيءٍ، والتَّهرُّبُ مِن كلِّ عمَلٍ جِدِّيٍّ؛ خَوفًا مِن أن يَعودَ إلى حياتِه الأُولى.

أسباب الوقوع في الكسل:

١- النِّفاقُ يورِثُ الكسَلَ في العبادةِ لا مَحالةَ، كما سَبَق ذِكرُ ذلك في الآياتِ.

٢- التَّسويفُ: وهو داءٌ عُضالٌ، ومرَضٌ قَتَّالٌ، إذ إنَّ (سوف) جندٌ مِن جنودِ إبليسَ.

٣- شِبَعُ البطنِ.

٤- عدَمُ الذِّكرِ، والوُضوءِ، والصَّلاةِ عِندَ الاستِيقاظِ.

٥- فَتحُ الفَمِ عِندَ التَّثاؤُبِ، وعدَمُ دفْعِه.

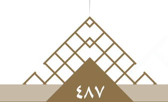
٦- التَّواكُلُ؛ وذلك بسببِ فَهمِ بعضِ النَّاسِ أنَّه لا حاجةَ للعملِ، لأنَّ قَدَرَ اللهِ ماضٍ سواءٌ عَمِل أمْ لم يَعمَلْ، فأدَّى بهم هذا التَّواكُلُ إلى العَجزِ والكسلِ.

٧- السَّهرُ باللَّيلِ يوجِبُ الكسَلَ بالنَّهارِ عمَّا تَجِبُ الحقوقُ فيه مِنَ الطَّاعاتِ ومَصالحِ الدُّنيا والدِّينِ[1].

٨- حُبُّ الرَّاحةِ والدَّعةِ، وإيثارُ البَطالةِ.

---

(١) ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (٢/ ٦١٢).



الوسائل المُعِينة على ترك الكسل:

١- اللُّجوءُ إلى اللهِ بالاستِعاذةِ، كما ورد عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنَ العَجزِ والكسَلِ))(١).

٢- اتِّباعُ الوَسَطيَّةِ؛ فإنَّ الوَسطيَّةَ مَنهجُ حياةٍ؛ لذا وُصِفَتْ بها الأمَّةُ.

٣- المُسارَعةُ إلى الخيراتِ، والمُسابَقةُ إليها.

٤- مُجالَسةُ أربابِ الجِدِّ والسَّعيِ.

٥- النَّظرُ في سِيَرِ المُجتهِدينَ الَّذين يَعرِفون قيمةَ العِلمِ النَّافِعِ والعملِ الصَّالحِ والوقتِ(٢).

٦- يُعَوِّدُ في بعضِ النَّهارِ المَشيَ والحركةَ والرِّياضةَ؛ حتَّى لا يَغلِبَ عليه الكسَلُ(٣).

الكسل في واحة الشِّعر:

قال أبو بكرٍ الخُوارِزْميُّ:

لا تَصحَبِ الكَسْلانَ في حالاتِه ... كَمْ صالحٍ بفسادِ آخَرَ يَفسُدُ

عَدْوى البَليدِ إلى الجَليدِ سريعةٌ ... والجَمرُ يوضَعُ في الرَّمادِ فيَخمُدُ(٤)



(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس بن مالك رَضيَ اللهُ عنه.

(٢) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (٣/ ٣٤).

(٣) ((موعظة المؤمنين)) لجمال الدين القاسمي (١/ ١٨٥).

(٤) ((روح البيان)) لإسماعيل حقي الخلوتي (٣/ ٤٤٩).

اللُّؤم

معنَى اللُّؤم:

اللُّؤمُ لُغةً: لَؤُمَ الرَّجلُ -بالضَّمِّ- لُؤْمًا... قال ابنُ دُرَيدٍ: أَلأَمَ الرَّجلُ إلْئامًا؛ إذا صَنَع ما يَدْعوه النَّاسُ عليه لئيمًا، قال: والمِلْآمُ: الَّذي يُعذِرُ اللِّئامَ[1].

اللُّؤمُ اصطلاحًا: الشُّحُّ ودَناءةُ النَّفْسِ مع المَهانةِ، واللُّؤمُ ضِدُّ الكرمِ[2].

الفَرقُ بيْن اللُّؤمِ والبُخل:

اللَّئيمُ عند العربِ: الشَّحيحُ، المَهينُ النَّفْسِ، الخَسيسُ الآباءِ، فإنْ كان الرَّجُلُ شحيحًا ولم تَجتمِعْ فيه هذه الخِصالُ قيل له: بخيلٌ، ولم يُقَلْ له: لَئيمٌ. يُقالُ لكلِّ لئيمٍ: بخيلٌ، ولا يُقالُ لكلِّ بخيلٍ لئيمٌ، والعامَّةُ تُخطِئُ فيهما فتُسوِّي بينهما[3].

ذمُّ اللؤمِ والنَّهيُ عنه في القرآنِ والسُّنَّة:

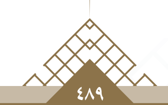
- قال اللهُ تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾ [القلم: ١٣].

قال الماوَرْديُّ: (وفيه تسعةُ أوجُهٍ... الوجْهُ الثَّامنُ: هو الفاحشُ اللَّئيمُ، قاله مَعمَرٌ)[4].

- عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ قال:

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٥/ ٢٠٢٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٥٣٠).
(٢) انظر ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٥٦٠).
(٣) ((الزاهر)) لأبي بكر الأنباري (٢/ ٥٨).
(٤) ((تفسير الماوَرْديِّ)) (٦/ ٦٤).



((المؤْمِنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجِرُ خَبٌّ لَئيمٌ))[1].

قال الخَطَّابيُّ: (... إنَّ الفاجرَ مَن كانت عادتُه الخَبَّ والدَّهاءَ والوُغولَ في معرفةِ الشَّرِّ، وليس ذلك منه عقْلًا، لكنَّه خَبٌّ ولُؤْمٌ)[2].

- عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رَضيَ اللهُ عنه قال: سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يقولُ: ((... رحمةُ اللهِ علَيْنا وعلى موسى، لولا أنَّه عَجِلَ لرأى العَجَب... فانطَلَقَا حتَّى إذا أتَيَا أهلَ قريةٍ لِئامًا))[3].

قال القُرطُبيُّ: (والمرادُ به هنا: أنَّهما سَألَا الضِّيافةَ؛ بدليلِ قَولِه تعالى: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]؛ فاستَحقَّ أهلُ القريةِ أن يُذَمُّوا ويُنسَبوا إلى اللُّؤمِ كما وصَفَهم بذلك نبيُّنا صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ)[4].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ اللُّؤمِ:

- كان زيدُ بنُ أَسلَمَ يقولُ: (يا ابنَ آدَمَ، أمَرَك ربُّك أن تكونَ كريمًا وتَدخُلَ الجنَّةَ، ونهاك أن تكونَ لئيمًا وتَدخُلَ النَّارَ)[5].

- وقال الشَّافعيُّ: (طُبِع ابنُ آدَمَ على اللُّؤمِ، فمِن شَأنِه أن يَتقرَّبَ ممَّن يَتباعَدُ منه، ويَتباعَدَ ممَّن يَتقرَّبُ منه)[6].

- وقال ابنُ القَيِّمِ: (مَن لم يَعرِفِ الطَّريقَ إلى ربِّه ولم يَتعرَّفْها، فهذا هو اللَّئيمُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، وأحمد (٩١٠٧).
وثق رجال إسناده الشَّوكانيُّ في ((الفتح الرباني)) (١١/ ٥٥٠٧)، وحسن الحديث الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٧٩٠).
(٢) ((معالم السنن)) للخطابي (٤/ ١٠٨).
(٣) حديث طويل أخرجه مسلم (٢٣٨٠).
(٤) ((المفهم)) للقرطبي (٦/ ٢٠٧).
(٥) أخرجه أبو بكر الدينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (٧/ ٤٤).
(٦) ((الزهد الكبير)) للبيهقي (ص: ١٠٥).

الَّذي قال اللهُ تعالى فيه: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨])[1].

آثار اللُّؤمِ ومَضارُّه[2]:

١- أنَّ لِئامَ النَّاسِ أبطؤُهم مودَّةً، وأسرعُهم عَداوةً.

٢- اللَّئيمُ لا يَقضي الحاجةَ ديانةً ولا مُروءةً، وإنَّما يَقضيها إذا قَضاها طلَبًا للذِّكرِ والمَحمَدةِ في النَّاسِ.

٣- اللِّئامُ أصبَرُ النَّاسِ في طاعةِ أهوائِهم وشَهَواتِهم، وأقلُّ النَّاسِ صبرًا في طاعةِ ربِّهم.

٤- اتِّباعُ الهَفَواتِ، والإعراضُ عنِ الحسَناتِ.

٥- اللُّؤمُ يؤدِّي إلى الفُحشِ والسَّبِّ وبَذاءةِ اللِّسانِ.

٦- اللَّئيمُ رَقيقُ المُروءةِ.

٧- اللُّؤمُ يَسوقُ الإنسانَ إلى أخبَثِ المَطامعِ.

مِن صُوَرِ اللُّؤمِ[3]:

١- ظُلْمُ القَرابةِ.

٢- السَّبُّ وبَذاءةُ اللِّسانِ.

٣- البُخلُ.

---

(١) ((طريق الهجرتين)) لابن القيم (ص: ١٧٧).

(٢) ((المجالسة وجواهر العلم)) لأحمد بن مروان الدينوري (٤/ ٤٥٢)، ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ١٧٤، ٢٤٩)، ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ١٩٣)، ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/ ٢٣١) و(٣/ ١٢١)، ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص: ٥٢-٥٣).

(٣) ((أدب الكاتب)) لابن قتيبة (ص: ٣٠)، ((العقد الفريد)) لابن عبدربه (٧/ ٢٢٧)، ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ١٩٤)، ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ١٣٢، ١٥٧).

٤- إفشاءُ السِّرِّ.

٥- النَّميمةُ ولو بالصِّدقِ.

٦- التَّطفيلُ، وهو التَّعرُّضُ للطَّعامِ مِن غيرِ أنْ يُدعَى إليه.

٧- كُفرُ النِّعمةِ.

أسباب الوقوعِ في اللُّؤم[1]:

١- مُعاشَرةُ اللِّئامِ.

٢- الحسدُ، والبُخلُ، والكَذِبُ، والغِيبةُ.

٣- ضَعفُ الحَياءِ.

٤- التَّعامُلُ بالخديعةِ.

٥- طاعةُ الشَّيطانِ، واتِّباعُ الأهواءِ والشَّهواتِ.

الوسائل المُعِينة على ترك اللُّؤم:

١- مُصاحَبةُ الكِرامِ[2].

٢- قضاءُ حوائجِ النَّاسِ ديانةً ومُروءةً[3].

الأمثال والشِّعرُ في اللُّؤم[4]:

- أَلْأَمُ مِنَ ابنِ قَرْصَعٍ: هو رجُلٌ بمِنًى كان مُتعالِمًا باللُّؤمِ.

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٥٨، ٧٣)، ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص: ٥٢-٥٣)، ((صيد الأفكار)) للقاضي حسين المهدي (١/ ٦٠٤).

(٢) ((صيد الأفكار)) للقاضي حسين المهدي (١/ ٦٠٩).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص: ٢٤٩).

(٤) ((المستقصى)) للزمخشري (١/ ٢٩٨).

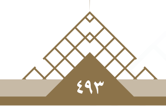
- أَلْأَمُ مِن أَسلَمَ: هو أَسلَمُ بنُ زُرعةَ، جَبَى أهلَ خُراسانَ جِبايةً لم يَجْبِها أحدٌ، ثمَّ بَلَغَه أنَّ الفُرسَ كانت تَضَعُ في فَمِ الميتِ دِرهمًا، فنَبَش القبورَ واستَخرجَ الدَّراهمَ.

- قال الشَّاعرُ:

رأَيْتُ الحقَّ يَعرِفُه الكريمُ ... لصاحِبِه ويُنكِرُه اللَّئيمُ
إذا كان الفتَى حسَنًا كريمًا ... فكُلُّ فِعالِه حسَنٌ كريمُ
إذا أَلْفَيْتَه سَمجًا لئيمًا ... فكلُّ فِعالِه سَمجٌ لَئيمُ[1]



(١) ((صيد الأفكار)) للقاضي حسين المهدي (١/ ٦٠٤).



المَكرُ والكَيدُ

معنَى المَكرِ والكَيدِ:

المَكرُ لُغةً: الاحتيالُ والخديعةُ[1].

المَكرُ اصطلاحًا: ما يَقصِدُ فاعِلُه في باطِنِه خِلافَ ما يَقتَضِيه ظاهِرُه[2].

الكَيدُ لُغةً: الخُبْثُ والمَكْرُ، وكذَلِكَ المكايَدةُ. وكلُّ شيءٍ تُعالِجُه فأنت تَكيدُه[3].

الكَيدُ اصطلاحًا: إرادةُ مَضرَّةِ الغَيرِ خُفْيةً[4].

الفرق بيْن المَكرِ والكَيدِ والحِيَلِ والغَدْرِ[5]:

المَكرُ مِثلُ الكَيدِ في أنَّه لا يَكونُ إلَّا مع تدبُّرٍ وفِكرٍ، إلَّا أنَّ الكَيدَ أقوى مِنَ المَكرِ.

أنَّ مِنَ الحِيَلِ ما ليس بمَكرٍ، وهو أن يُقدِّرَ نَفعَ الغيرِ لا مِن وجْهِه، فيُسمَّى ذلك حيلةً مع كَونِه نَفعًا، والمَكرُ لا يكونُ نَفعًا.

والمكرُ تقديرُ ضرَرِ الغيرِ مِن غيرِ أن يَعلَمَ به، وسواءٌ كان مِن وجْهِه أو لا. والحيلةُ لا تَكونُ مِن غيرِ وجْهِه، وسمَّى اللهُ تعالى ما توعَّدَ به الكفَّارَ مَكرًا في قولِه تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]؛

---

(١) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٨١٩).

(٢) ((معجم مقاليد العلوم)) للسيوطي (ص: ٢٠٧).

(٣) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٥٣٣)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ٣٨٣).

(٤) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ٢٢٧).

(٥) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٢٥٩- ٢٦٠، ٥٠٩).

وذلك أنَّ الماكِرَ يُنزِلُ المَكروهَ بالمَمكورِ به حيث لا يَعلَمُ، فلمَّا كان هذا سبيلَ ما تَوعَّدَهم به مِنَ العذابِ سَمَّاهُ مَكرًا.

والغَدرُ نَقضُ العهدِ الَّذي يَجِبُ الوفاءُ به. والمَكرُ: قد يَكونُ ابتِداءً مِن غيرِ عَقدٍ.

ذمُّ المكرِ والكَيدِ في القرآنِ والسُّنَّةِ:

- قال سُبحانَه: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٣].

- وقال سُبحانَه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: ٥].

- وعن عائشةَ بِنتِ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، قالت: سمِعتُ سعدًا رَضيَ اللهُ عنه قال: سمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ((لا يَكيدُ أهْلَ المَدينةِ أحدٌ إلَّا انماعَ كما يَنماعُ المِلحُ في الماءِ))(١).

قال العَينيُّ: (الَّذي يَكيدُ أهلَ المدينةِ يُذيبُه اللهُ تعالى في النَّارِ ذَوبَ الرَّصاصِ، ولا يَستحِقُّ هذا ذاك العَذابَ إلَّا عن ارتكابِه إثمًا عظيمًا)(٢).

أقوالُ السَّلفِ والعُلماءِ في ذمِّ المَكرِ والكَيد:

- قال محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ: (ثلاثُ خِصالٍ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البَغيُ، والنَّكْثُ، والمَكرُ. وقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٧)، ومسلم (١٣٨٧).

(٢) ((عمدة القاري)) للعيني (١٠/ ٢٤١).

ﱡٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﱠ [يونس: ٢٣]، ﱡفَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ ﱠ [الفتح: ١٠])[1].

- وقال ابنُ القَيِّم: (في قصَّةِ يوسفَ عليه السَّلامُ تَنبيهٌ على أنَّ مَن كاد غَيرَه كَيدًا مُحرَّمًا فإنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى لا بدَّ أن يَكيدَه، وأنَّه لا بدَّ أن يَكيدَ للمظلومِ إذا صَبَر على كَيدِ كائِدِه وتَلطَّفَ به)[2].

أقسام المكرِ[3]:

المَكرُ يَنقسِمُ إلى محمودٍ ومَذمومٍ؛ فإنَّ حقيقتَه إظهارُ أمْرٍ وإخفاءُ خِلافِه؛ ليَتوصَّلَ به إلى مُرادِه؛ فمِنَ المحمودِ: مَكْرُه تعالى بأهلِ المَكرِ؛ مقابَلةً لهم بفِعلِهم، وجزاءً لهم بجِنسِ عمَلِهم؛ قال تعالى: ﱡوَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ﱠ [الأنفال: ٣٠]، وقال تعالى: ﱡوَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ﱠ [النمل: ٥٠]، وكما يُفعَلُ بالصَّبيِّ إذا امتنَع مِن تَعلُّمِ خير. ومِنَ المذمومِ -وهو الأشهرُ عِندَ النَّاسِ والأكثرُ-، وذلك أن يَقصِدَ فاعلُه إنزالَ مَكروهٍ بالمَخدوعِ.

أقسام الكَيدِ[4]:

ويَنقسِمُ الكَيدُ أيضًا إلى قِسمَينِ:

١- محمود: وهو ما قُصِد به الخَيرُ.

٢- مذموم: وهو ما قُصِد به الشَّرُّ.

---

(١) ((ذمُّ البغي)) لابن أبي الدنيا (١/ ٨٨).

(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/ ١١٩).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب (ص: ٢٥٥)، ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ٣٨٨).

(٤) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ٣٨٨).

وسائل النَّجاةِ من كيد الكائدين:

١- الصَّبرُ والتَّقوى.

٢- إخفاءُ النِّعمةِ الَّتي رزَقَك اللهُ بها عن أَعيُنِ الحاسِدينَ.

٣- دعاءُ اللهِ عزَّ وجلَّ بصِدقٍ وإخلاصٍ.

٤- التَّوكُّلُ على اللهِ عزَّ وجلَّ.

الحِكَم والأمثالُ والشِّعرُ في المكر:

- امكُرْ وأنتَ في الحديدِ![1].

- رُبَّ حيلة، كانت على صاحبِها وَبيلة.

- قال تَقيُّ الدِّينِ الهِلاليُّ:

وليس يَحِيقُ المَكرُ إلَّا بأهْلِهِ ... وحافرُ بئرِ الغدرِ يَسقُطُ في البِئرِ
وكم حافرٍ لَحدًا لِيَدفِنَ غَيرَهُ ... على نفْسِه قد جُرَّ في ذلك الحَفرِ
وكم رائشٍ سَهمًا ليَصطادَ غَيرَهُ ... أُصيبَ بذاكَ السَّهمِ في ثُغرةِ النَّحرِ[2]



(١) ((الأمثال)) لابن سلام (ص: ١٠٢).
(٢) ((أتوعد سنات الرسول بمحوها)) لمحمد تقي الدين الهلالي (ص: ٢٣).



نقْض العَهد

معنَى نقْضِ العَهد:

النَّقضُ لُغةً: النُّونُ والقافُ والضادُ أصلٌ صحيحٌ، يدُلُّ على نَكثِ شيءٍ[١]، يُقالُ: نَقضَ البناءَ والحَبلَ والعهدَ[٢].

النَّقضُ اصطلاحًا: إفسادُ ما أَبرَمْتَه مِن بناءٍ أو حَبلٍ أو عهدٍ[٣].

العهدُ لُغةً: الوَصيَّةُ والأمانُ والمَوثِقُ والذِّمَّةُ، ومنه قيل للحَربيِّ يَدخُلُ بالأمانِ: ذُو عهدٍ، ومُعاهَدٌ[٤].

العَهدُ اصطلاحًا: حِفظُ الشَّيءِ ومُراعاتُه حالًا بعد حالٍ. هذا أصْلُه، ثمَّ استُخدِمَ في المَوثِقِ الَّذي يَلزَمُ مراعاتُه[٥].

الفَرقُ بينَ العَهدِ والوَعدِ:

العهدُ ما يَكونُ مِنَ الجانبَينِ، وأمَّا ما يَكونُ مِن جانبٍ فوعْدٌ، ونقْضُه خُلفُ وعدٍ[٦].

الفرق بين النَّقضِ والخِيانةِ:

الخيانةُ تَقتَضي نقضَ العهدِ سِرًّا، أمَّا النَّقضُ فإنَّه يَكونُ سِرًّا وجَهرًا، ومِن

(١) ((مقاييس اللُّغة)) لابن فارس (٥/ ٤٧٠).
(٢) ((الصحاح تاج اللُّغة)) للجوهري (٣/ ١١١٠).
(٣) ((تفسير القرطبي)) (١/ ٢٤٦).
(٤) ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٥١٥)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٤٣٥).
(٥) ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٥٩).
(٦) ((بريقة محمودية)) للخادمي (٢/ ٢٨١).

ثَمَّ يَكونُ النَّقضُ أعَمَّ مِنَ الخيانةِ، ويُرادِفُه الغَدرُ، وضِدُّ الخيانةِ: الأمانةُ، وضِدُّ النَّقضِ: الإبرامُ[1].

النَّهيُ عن نقضِ العهد في القرآن والسُّنَّة:

- قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧].

قال السَّعديُّ: (وهذا يَعُمُّ العهدَ الَّذي بيْنهم وبيْنه، والَّذي بيْنهم وبيْن عِبادِه الَّذي أكَّدَه عليهم بالمواثيقِ الثَّقيلةِ والإلزاماتِ)[2].

- قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((خَمسٌ بخَمسٍ، قيل: يا رسولَ اللهِ، وما خَمسٌ بخَمسٍ؟ قال: ما نَقَضَ قَومٌ العَهدَ إلَّا سَلَّطَ اللهُ علَيهِم عَدُوَّهُم، وما حَكَموا بغيرِ ما أَنزَلَ اللهُ إلَّا فَشَا فيهِمُ الفَقرُ، وما ظَهَرَتِ الفاحشةُ فيهم إلَّا فَشَا فيهِمُ المَوتُ، ولا طَفَّفُوا الكَيلَ إلَّا مُنِعوا النَّباتَ وأُخِذوا بالسِّنينَ، ولا مَنَعوا الزَّكاةَ إلَّا حُبِسَ عنهُمُ المَطرُ))[3].

أقوالُ العلماءِ في ذمِّ نقْض العَهد:

- قال ابنُ حجَرٍ: (كان عاقبةُ نقْضِ قُرَيشٍ العهدَ مع خُزاعةَ حُلفاءِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أنْ غَزاهمُ المُسْلمونَ حتَّى فَتَحوا مكَّةَ، واضْطُرُّوا إلى طلبِ الأمانِ، وصارُوا بعد العِزَّةِ والقوَّةِ في غاية الوَهنِ، إلى أن دَخَلوا في الإسلامِ، وأكثَرُهم لذلك كارِهٌ)[4].

---

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة باحثين (١١/ ٥٦٣٣).

(٢) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) (ص: ٤٧).

(٣) أخرجه الطبراني (١١/ ٤٥) (١٠٩٩٢).
حسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٣٢٤٠).

(٤) ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/ ٢٨٥).

آثار نقضِ العهد:

١- كُفْرُ مَن نقَضَ عهْدَ اللهِ.

٢- الخُسرانُ عاقبةُ مَن نَكَثَ بعهْدِه، ونَقَض مِيثاقَه.

٣- اللَّعنُ وقسوةُ القلوبِ والطَّبعُ عليها.

٤- الإغراءُ بالعداوةِ والبغضاءِ.

٥- الجنايةُ على النَّفْسِ.

مِن صُوَر نقضِ العهدِ:

١- نقْضُ العهدِ الَّذي وصَّى اللهُ به خلْقَه؛ مِن فِعلِ ما يُحِبُّه اللهُ ويَرضاهُ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، وترْكِ ما لا يُحِبُّه اللهُ ولا يَرضاهُ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، والَّذي تَضمَّنَتْه كُتُبه المُنزَّلةُ، وبلَّغَه رُسُله عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومعنَى نقْضِ هذا العهدِ: ترْكُ العملِ به.

٢- نقضُ العهدِ الَّذي للإمامِ ونائبِه على المسْلمينَ؛ مِن وُجوبِ الطَّاعةِ في المعروفِ، ونُصرةِ دِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ، دُونَ مُبرِّرٍ شرعيٍّ يَقتَضي ذلك.

٣- نقضُ العهدِ الَّذي أَعطاهُ الشَّارعُ الحكيمُ للكفَّارِ غيرِ المُحارِبينَ مِن أهلِ الذِّمَّةِ والمُستأمَنينَ، وكذلك المُعاهِدينَ، دُونَ مُبرِّرٍ شَرعيٍّ يَقتضي ذلك؛ قال صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((ألَا مَن قتَل نَفْسًا مُعاهِدةً لهُ ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رَسولِه فقد أَخفَرَ بِذِمَّةِ اللهِ فلا يَرَحْ رائحةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها لَتُوجَدُ مِن مَسيرةِ سَبْعينَ خَريفًا))[1].

٤- نقضُ الحكَّامِ والوُلاةِ عهْدَ اللهِ؛ بعدَمِ تطبيقِهم لشَرعِه والسَّيرِ على مَنهجِه.

(١) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، وابن ماجه (٢٦٨٧).
قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (١٤٠٣).

أسباب الوقوعِ في نقض العهد:

١- ضَعفُ الإيمانِ باللهِ.

٢- النِّسيانُ.

٣- الحِرصُ على المصالحِ الدُّنيويَّةِ.

٤- طولُ الأمدِ قد يَتسبَّبُ في نقضِ العهدِ، كما حصل مع قَومِ موسى عليه السَّلامُ.

٥- عدَمُ وفاءِ الطَّرفِ الآخَرِ بالعهدِ.

٦- خَوفُ الإنسانِ مِن غيرِ خالِقِه، وتعظيمُه.

الوسائل المُعِينةُ على ترك نقض العهد:

١- إخلاصُ الإيمانِ للهِ سُبحانَه وتعالى، وتَقويتُه.

٢- تأمُّلُ الآثارِ السَّيِّئةِ لنقضِ العهدِ على الفردِ والمُجتمَعِ.

٣- تَحلِّي أفرادِ المُجتمَعِ بالوفاءِ بالعهدِ.

٤- تأمُّلُ الآياتِ القُرآنيَّةِ الَّتي حذَّرَتْ مِن نقضِ العهدِ والميثاقِ.

٥- ترْكُ الطَّمَعِ واللَّهثِ وراءَ الدُّنيا.

٦- مُجاهَدةُ النَّفْسِ وتربيتُها على التَّحلِّي بالوفاءِ بالعهدِ.

حِكَمٌ وشِعرٌ في نقض العهد[1]:

- قالوا: مَن نقَضَ عهْدَه، ومَنَع رِفْدَه، فلا خيرَ عِندَه.
- وقالوا: الغالِبُ بالغدرِ مَغلولٌ، والنَّاكِثُ للعهدِ مَمقوتٌ مَخذولٌ.

---

(١) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٦٤).

- قال الشَّاعرُ:

نَقـــضُ العهـــدِ خائِـــسٌ بالأمانِ	مُـستـحِـلٌّ مَــحــارِمَ الـرَّحـمـنِ
ســـلَبَتْنا الوفـــاءَ والحِلـــمَ طَوعًا	فـاعـتَـلَـيْـنـا بـه بَـنـو مَـــروانِ
لَيْتَني كنـــتُ فيهم حسَـــبَ العَيـ	ـــشِ طَليقًا أَجُرُّ حَبـــلَ الأماني
كلُّ عَتـــبٍ تُعيرُنيـــهِ اللَّيالـــي	فبِسَـــيفي جَنَيْتُـــه ولِســـاني[1]



(١) ((أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم)) للصولي (ص: ٣٠٨).

النَّميمة

معنَى النَّميمة:

النَّميمةُ لُغةً: الإغراءُ، وتَزيينُ الكَلامِ بالكذِبِ. ويُقالُ للنَّمَّامِ: القَتَّاتُ، يُقالُ: قَتَّ؛ إذا مشَى بالنَّميمةِ، ونَمَّامٌ مُبالَغةٌ[1].

النَّميمةُ اصطلاحًا: نَقْلُ الحديثِ ورَفْعُه مِن قَومٍ إلى قومٍ على جهةِ الإفْسادِ والشَّرِّ. وقيل: إفشاءُ السِّرِّ، وهَتْكُ السِّترِ عمَّا يُكرَهُ كَشْفُه[2].

الفرق بيْن القَتَّاتِ والنَّمَّام:

القَتَّاتُ والنَّمَّامُ بمعنًى واحدٍ. وقيل: النَّمَّامُ الَّذي يَكونُ مع جماعةٍ يَتحدَّثون حديثًا فيَنِمُّ عليهم. والقَتَّاتُ: الَّذي يَتسمَّعُ عليهم وهُم لا يَعلَمونَ ثمَّ يَنِمُّ[3].

ذمُّ النميمة والنَّهيُ عنها في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٠ - ١٣].

- وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١].

قال مُقاتِلٌ: (فأمَّا «الهُمَزةُ» فالَّذي يَنِمُّ الكلامَ إلى النَّاسِ، وهو النَّمَّامُ)[4].

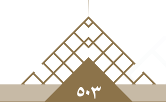
---

(١) ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ٢٥٦)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٦٢٦).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ١٥٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٥٩٢).

(٣) ((الترغيب والترهيب)) للمنذري (٣/ ٣٢٣).

(٤) ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٤/ ٨٣٩).



- وعن حُذَيفةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((لا يَدخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ))[1]، وفي روايةٍ: ((قَتَّاتٌ))[2].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما قال: ((مَرَّ النَّبيُّ -صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ- بقبرَينِ، فقال: إنَّهُما لَيُعذَّبانِ، وما يُعذَّبانِ في كَبيرٍ؛ أمَّا أحَدُهُما: فكان لا يَستَتِرُ مِنَ البَولِ، وأمَّا الآخَرُ: فكان يَمشِي بالنَّميمةِ. فأخَذَ جَريدةً رَطْبةً، فشَقَّها نِصفَينِ، فغَرَزَ في كُلِّ قَبرٍ واحِدةً، فقالُوا: يا رسولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هذا؟ قال: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهُما ما لَمْ يَيْبَسَا))[3].

أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ النَّميمة:

- قال رجُلٌ لعُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: (يا أميرَ المؤْمِنينَ، احذَرْ قاتِلَ الثَّلاثةِ، قال: وَيْلَك، مَن قاتِلُ الثَّلاثةِ؟! قال: الرَّجُلُ يأتي الإمامَ بالحديثِ الكذِبِ، فيَقتُلُ الإمامُ ذلك الرَّجُلَ بحديثِ هذا الكذَّابِ؛ ليَكونَ قد قتَلَ نفْسَه، وصاحِبَه، وإمامَه)[4].

- وقال الحسَنُ: (مَن نَمَّ إليك، نَمَّ عليك)[5].

- ويُقالُ: (عمَلُ النَّمَّامِ أَضرُّ مِن عمَلِ الشَّيطانِ؛ فإنَّ عمَلَ الشَّيطانِ بالوَسوسةِ، وعمَلَ النَّمَّامِ بالمواجَهةِ)[6].

- وقيل: (النَّميمةُ مِنَ الخِصالِ الذَّميمةِ، تدُلُّ على نفْسٍ سقيمةٍ، وطبيعةٍ لئيمةٍ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) أخرجه الخرائطي في ((مساوئ الأخلاق)) (ص: ١٠٧)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ٢٨٩) (١٦٦٧٧).

(٥) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ١٥٦).

(٦) ((الزواجر)) لابن حجر الهيتمي(٢/ ٥٧١).

مَشغوفةٍ بهَتكِ الأستارِ، وكَشفِ الأسرارِ)[١].

أقسام النَّميمة:

١- النَّميمةُ المُحرَّمة:

وهي الَّتي يَكونُ الكلامُ فيها سلبيًّا يُلحِقُ الضَّررَ بالآخَرينَ، وذلك بذِكرِ أسرارِهمُ الخاصَّةِ، وسَرْدِ فضائحِهم ومَساويهِم.

٢- النَّميمةُ الواجبة:

وهي الَّتي تَكونُ للتَّحذيرِ مِن شرٍّ واقعٍ على إنسانٍ ما، فيُخبِرُ بذلك الشَّرِّ؛ ليَحذَرَه.

٣- النَّميمةُ المباحة:

قال ابنُ كثيرٍ وهو يَتحدَّثُ عنِ النَّميمةِ: (فأمَّا إذا كانت على وجهِ الإصلاحِ بيْن النَّاسِ وائْتِلافِ كلِمةِ المسْلمينِ، كما جاء في الحديثِ: ((ليس بالكذَّابِ مَن يَنِمُّ خَيرًا))[٢]، أو يَكونُ على وجهِ التَّخذيلِ والتَّفريقِ بيْن جُموعِ الكفرةِ، فهذا أمْرٌ مطلوبٌ، كما جاء في الحديث: ((الحَربُ خَدْعةٌ))[٣])[٤].

أسباب الوقوع في النَّميمة:

١- أن يَنشأَ الفردُ في بيئةٍ دَأْبُها النَّميمةُ والوقيعةُ بيْن النَّاسِ، فيُحاكيها ويَتأثَّرُ بها.

---

(١) ((بريقة محمودية)) لأبي سعيد الخادمي (٣/ ١٩٣).

(٢) أخرجه بمعناه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) من حديث أم كلثوم بنت عقبة رَضيَ اللهُ عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضيَ اللهُ عنهما.

(٤) ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٣٧١).

٢- الإساءةُ للآخرينَ، وإيقاعُ الإيذاءِ بهم، وهذه شهوةُ العُدوانيَّةِ في قلوبِ الأشرارِ.

٣- التَّظاهُرُ بمحبَّةِ المَحكيِّ له، وكسْبِ وُدِّه.

٤- الخوضُ في الباطلِ، وفُضولِ الحديثِ؛ للتَّرويحِ عنِ النَّفْسِ.

٥- إقامةُ روابطَ اجتماعيَّةٍ مع الآخرينَ، لكنَّها بطريقةٍ سلْبيَّةٍ على حسابِ سُمعةِ الآخَرينِ.

٦- عدَمُ رَدعِ النَّمَّامِ وزَجْرِه، بل استِحسانُ عمَلِه ومُسايرتُه.

٧- وُجودُ الفراغِ في حياةِ الفردِ، فيَشغَلُ وقْتَه بالحديثِ عن الآخَرينَ وذِكرِ مَساويهِم.

٨- الغضبُ للانتقامِ مِن شخصٍ ما، وتشويهِ سُمعتِه.

٩- تَتبُّعُ عَوْراتِ النَّاسِ، وحُبُّ الاطِّلاعِ عليها.

١٠- العملُ لصالحِ أفرادٍ أو جِهاتٍ مَشبوهةٍ.

١١- ضَعفُ الإيمانِ في قلبِ النَّمَّامِ، وعدَمُ الخَوفِ مِنَ اللهِ، ونِسيانُ عذابِ القبرِ وعذابِ النَّارِ.

١٢- جهلُ النَّمَّامِ بالعواقبِ السَّيِّئةِ للنَّميمةِ الَّتي تَعودُ على الفردِ والمُجتمَعِ.

١٣- الحسدُ للآخَرينَ، وعدَمُ حُبِّ الخيرِ لهم.

آثارُ النَّميمةِ ومَضارُّها:

١- طريقٌ مُوصلٌ إلى النَّارِ.

٢- تُذْكي نارَ العداوةِ بيْن المُتآلِفينَ.

٣- تؤذي وتَضرُّ، وتؤلِمُ، وتَجلِبُ الخِصامَ والنُّفورَ.

٤- تدُلُّ على سوءِ الخاتمةِ، وتَمسَخُ حُسنَ الصُّورةِ.

٥- عُنوانُ الدَّناءةِ، والجُبنِ، والضَّعفِ، والدَّسِّ، والكَيدِ، والمَلَقِ، والنِّفاقِ.

٦- مُزيلةٌ كلَّ مَحبَّةٍ، ومُبعِدةٌ كلَّ مَودَّةٍ وتآلُفٍ وتآخٍ[١].

٧- عارٌ على قائِلِها وسامِعِها.

٨- تَحمِلُ على التَّجسُّسِ، وتَتبُّعِ أخبارِ الآخَرينَ.

٩- تؤدِّي إلى قَطعِ أرزاقِ الآخَرينَ.

١٠- تُفرِّقُ وتُمزِّقُ المُجتمَعاتِ المُلتئِمةَ.

فوائد تركِ النَّميمة:

- تاركُ النَّميمةِ مِن أفضلِ المسْلمينَ؛ عن أبي موسى رَضيَ اللهُ عنه قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ المسْلمينَ أفضَلُ؟ قال: ((مَن سَلِمَ المُسْلمونَ مِن لِسانِهِ ويَدِه))[٢].

- تركُ النَّميمةِ يُدخِلُ الجنَّةَ؛ عن سهلِ بنِ سعدٍ رَضيَ اللهُ عنه، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال: ((مَن يَضمَنْ لي ما بيْن لَحْيَيْهِ، وما بيْن رِجْلَيهِ؛ أَضمَنْ لهُ الجَنَّةَ))[٣].

علاج النَّميمة:

١- توعيةُ النَّمَّامِ بخطورةِ النَّميمةِ.

٢- استِشعارُ عَظَمةِ هذه المعصيةِ، وأنَّها مِنَ الكبائرِ.

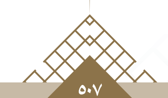
٣- حِفظُ اللِّسانِ عنِ النَّميمةِ، وعدَمُ تَتبُّعِ عَوْراتِ الآخَرينَ.

---

(١) ((نضرة النعيم)) لمجموعة مؤلفين (١١/ ٥٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).



٤- تَصوُّرُ خطرِ المُصيبةِ الَّتي يَقترِفُها؛ بإفسادِه للقلوبِ، وتَفريقِه بيْن الأَحِبَّةِ.

٥- التَّقرُّبُ إلى اللهِ سُبحانَه وتعالى بكثرةِ الأعمالِ الصَّالحةِ، وتقديمِ رِضاهُ على رِضَا المَخلوقينَ.

٦- استشعارُ الفردِ أنَّ حِفظَ اللِّسانِ عنِ النَّميمةِ يَكونُ سببًا في دُخولِه الجنَّةَ.

٧- تقويةُ الإيمانِ بالعِلمِ النَّافعِ، والعملِ الصَّالحِ.

٨- عدَمُ السَّماعِ لكلامِ النَّمَّامِ الَّذي يَنِمُّ به عنِ الآخَرينَ.

٩- تربيةُ الفردِ تربيةً إسلاميَّةً سليمةً، قائمةً على الآدابِ والتَّعاليمِ الإسلاميَّةِ.

١٠- إحراجُ النَّمَّامِ بأن يُطلَبَ منه ذِكرُ مَحاسنِ الَّذي وقعتْ عليه النَّميمةُ.

حِكَمٌ وأمثال وشِعرٌ في النَّميمة[١]:

- في المثل: (النَّميمةُ أُرْثَةُ العَداوةِ).
- وقيل في مَنثورِ الحِكَمِ: (النَّميمةُ سيفٌ قاتلٌ).
- وقال بعضُ الأدباءِ: (لم يَمشِ ماشٍ، شرٌّ مِن واشٍ).
- وقال بعضُ الحكماءِ: (السَّاعي بيْن مَنزلتَينِ قَبيحتَينِ: إمَّا أن يكونَ صدَقَ؛ فقد خان الأمانةَ، وإمَّا أن يَكونَ قد كَذَبَ؛ فخالَفَ المُروءةَ).

قال أحدُ الشُّعراءِ:

تَنـحَّ عـنِ النَّميمـةِ واجتَنِبْهـا ... فـإنَّ النَّـمَّ يُحبِـطُ كلَّ أجْـرِ

يُثيـرُ أخـو النَّميمـةِ كلَّ شـرٍّ ... ويَكشِـفُ للخلائـقِ كلَّ سِـرِّ

ويَقتُـلُ نفْسَـهُ وسِـواهُ ظُلْمًـا ... وليـس النَّمُّ مِـن أفعـالِ حُرِّ[٢]

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٩٣)، ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص: ٢٦٨).

(٢) ((موارد الظمآن)) لعبد العزيز السلمان (٥/ ١٠).

الوَهْن

معنى الوَهْنِ:

الوَهْنُ لُغةً: وَهَنَ العَظْمُ يَهِنُ وَهْنًا، أي: ضَعُفَ[1].

الوَهنُ اصطلاحًا: الضَّعفُ في العَملِ. وقيل: الضَّعفُ مِن حيثُ الخَلْقُ والخُلُقُ[2].

الفَرْقُ بيْن الضَّعفِ والوَهْنِ:

الضَّعفُ ضِدُّ القوَّةِ، وهو مِن فِعلِ اللهِ تعالى، كما أنَّ القوَّةِ مِن فِعلِ اللهِ، تَقولُ: خَلَقَه اللهُ ضعيفًا، أو: خَلَقَه قويًّا، والوَهنُ: هو أن يَفعلَ الإنسانُ فِعلَ الضَّعيفِ، تَقولُ: وَهَنَ في الأمرِ يَهِنُ وَهْنًا، وهو واهِنٌ؛ إذا أَخَذَ فيه أخْذَ الضَّعيفِ[3].

ذمُّ الوَهنِ والنَّهيُ عنه في القُرآنِ والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩].

- عن ثَوبانَ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: ((يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَداعَى عليكُم، كما تَداعَى الأَكَلةُ إلى قَصعَتِها. فقال قائلٌ:

---

(١) ((تهذيب اللُّغة)) للأزهري (٢/ ٣٧٧)، ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٢٩٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٤٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/ ٤٥٣).

(٢) ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ١٦١٧).

(٣) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٣٣١).

ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومَئِذٍ؟ قال: بل أنتُم يومَئِذٍ كثيرٌ، ولكنَّكُم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ، ولَيَنزِعَنَّ اللهُ مِن صُدورِ عدُوِّكُمُ المَهابةَ مِنكُم، ولَيَقذِفَنَّ اللهُ في قُلوبِكمُ الوَهْنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ، وما الوَهنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا، وكَراهيةُ المَوتِ))[1].

أسباب الوَهنِ:

١- ضَعفُ الإيمانِ؛ فهو سببٌ لاستِمراءِ الهَوانِ، والرِّضا بالذُّلِّ.

٢- حُبُّ الدُّنيا، والتَّعلُّقُ بها، والحِرصُ عليها، والانغماسُ في مَلذَّاتِها وشَهواتِها.

٣- كراهيةُ الموتِ؛ حِرصًا على أيِّ حياةٍ كانت، حتَّى لو غُمِستْ بذُلٍّ، وكُسِيَتْ بعارٍ.

٤- التَّنازُعُ والاختِلافُ سببٌ قويٌّ مِن أسبابِ بثِّ الوَهنِ والضَّعفِ في قلبِ الأُمَّةِ.

٥- التَّربيةُ السَّيِّئةُ، والتَّنشئةُ غيرُ السَّويَّةِ.

٦- اليأسُ مِنَ الوضعِ المَريرِ الَّذي تَعيشُه الأُمَّةُ، والقُنوطُ مِن واقِعِها مِنَ الأسبابِ الَّتي تؤدِّي إلى وَهْنِ العَزائمِ، وضَعفِ الهِمَمِ.

٧- مُصاحَبةُ المُخذِّلينَ، والاستِماعُ للمُرجِفينَ.

أضرارُ الوَهنِ:

١- سببٌ مِن أسبابِ التَّعرُّضِ لبُغضِ اللهِ سُبحانَه وتعالى، وبُغضِ رسولِه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ.

٢- سببٌ لتَسلُّطِ العدُوِّ على الأمَّةِ، وتَكالُبِه عليها، وإذلالِها، ونَهبِ خَيراتِها،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) واللفظ له، وأحمد (٢٢٣٩٧).
صححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٢٩٧).

والتَّعرُّضِ لمُقدَّساتِها.

٣- الوَهنُ يَقتُلُ الغَيرةَ، ويُهوِّنُ أمْرَها، ويُسهِّلُ هَتكَ الأعراضِ، واغتِصابَ الحقوقِ، والتَّعدِّي على الحُرَمِ والأموالِ.

٤- سببٌ في ضياعِ الأمَّةِ، وتَشرذُمِها، وذَهابِ رِيحِها، وتَفرُّقِ أبنائِها، واختِلافِ قادتِها.

٥- الوَهنُ سببٌ لدمارِ الأرضِ، وخرابِ المَعمورةِ، وإهلاكِ الحَرثِ والنَّسلِ؛ وذلك بسببِ تَسلُّطِ المُتجبِّرينَ وطُغيانِهم.

علاج الوَهنِ:

١- تقويةُ الإيمانِ وزيادتُه؛ فالإيمانُ جَذوةٌ تَتَّقِدُ في قلبِ المؤْمِنِ؛ فتَطرُدُ منه الوَهنَ، وتشُدُّ مِن عَزمِه وعزيمتِه.

٢- الزُّهدُ في الدُّنيا، وعدَمُ التَّعلُّقِ بها، والتَّزوُّدُ منها بزادِ المسافرِ؛ فذلك حريٌّ أن يُقوِّيَ القلبَ، ويُبعِدَ عنه الوَهنَ.

٣- التَّرحيبُ بالموتِ، والإقبالُ عليه إذا كان دفاعًا عن الدِّينِ، وذَبًّا عن حِياضِه، وحمايةً لبَيضتِه.

٤- عدَمُ استعجالِ النَّصرِ والتَّمكينِ، والصَّبرُ على الابتلاءِ، واليقينُ بنَصرِ اللهِ وإعزازِه لجُندِه، وتمكينِه لأوليائِه.

٥- مُقارنةُ الحالِ عِندَ الإصابةِ والابتلاءِ بأحوالِ الأعداءِ، ومعرفةُ أنَّ ما أصاب المسْلمينَ مِنَ الألمِ قد أصاب الأعداءَ مِثلُه، إلَّا أنَّ المؤْمِنينَ عِندَ تَساويهم مع أعدائِهم في درجةِ الألمِ، يَتمتَّعونَ بقوَّةِ إيمانِهم، ونُبلِ مَسلكِهم، وانتظارِ الظَّفَرِ أوِ الجنَّةِ؛ قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

٦- اليقينُ بعُلُوِّ هذا الدِّينِ؛ عُلُوًّا بنُصرةِ اللهِ له، وتمكينِه لأهْلِه.

أقوالٌ وأمثالٌ عن الوَهن:

- يُقالُ: (لا تَخلِطْ يقينَك بالشَّكِّ؛ فيَفسُدَ عليك العَزمُ، ولا توقِفْ عمَلَك على الشَّكِّ؛ فيَدخُلَ عليك الوَهنُ)[١].

- ومِن أمثالِهم في الواهِنِ الضَّعيفِ قولُهم: (ما لَه بُذْمٌ. وما لَه صَيُّورٌ. وما لَه أُكْلٌ؛ أيْ: ليس له رأيٌ ولا قوَّةٌ)[٢].

- (رأسُ اللَّئيمِ يَحتمِلُ الوَهنَ، ولا يَحتمِلُ الدَّهنَ)[٣].



(١) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (١/ ٣٨٠).

(٢) ((الأمثال لابن سلام)) (١/ ٢١).

(٣) ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (١/ ٦٢).

اليأس والقُنوط

معنَى اليأسِ والقُنوط:

اليأسُ لُغةً: القُنوطُ. وقيل: اليأسُ نَقيضُ الرَّجاءِ. أو: قطْعُ الأملِ[1].

اليأسُ اصطلاحًا: انقطاعُ الطَّمعِ مِنَ الشَّيءِ[2].

القُنوطُ لُغةً: اليأْسُ مِنَ الخيرِ. وقيل: أَشدُّ اليأسِ مِنَ الشَّيءِ. والقُنُوطُ -بالضَّمِّ-: المَصدَرُ[3].

القُنوطُ اصطلاحًا: اليأسُ مِنَ الرَّحمةِ[4].

الفَرقُ بيْنَ اليأس والخَيبة:

الخَيبةُ لا تَكونُ إلَّا بعد أملٍ؛ لأنَّها امتِناعُ نَيلِ ما أُمِّلَ. واليأسُ: قد يَكونُ قبلَ الأملِ، وقد يَكونُ بَعدَه[5].

ذمُّ اليأس والقُنوطِ في القرآن والسُّنَّة:

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) ((جمهرة اللُّغة)) لابن دريد (١/ ٢٣٨) بتصرف يسير، ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، ((القاموس المحيط)) للفيروزابادي (١/ ٥٨٢).

(٢) ((معجم الفرووق اللغوية)) للعسكري (ص: ٤٣٦).

(٣) انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/ ٣٨٦).

(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص: ٢٧٥).

(٥) انظر ((الفروق اللغوية)) للعسكري (١/ ٢٤٥)، ((النكت والعيون)) للماوَرْديّ (١/ ٤٢٢).

- وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩].

- عن ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه قال: ((إنَّ رجُلًا قال: يا رسولَ اللهِ، ما الكبائرُ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والإياسُ مِن رَوحِ اللهِ، والقُنوطُ مِن رَحمةِ اللهِ))[1].

من أقوال السَّلف والعلماءِ في ذمِّ اليأسِ والقُنوط:

- قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه: (الفَقيهُ حقُّ الفقيهِ: مَن لم يُقنِّطِ النَّاسَ مِن رحمةِ اللهِ، ولم يُرخِّصْ لهم في معاصي اللهِ، ولم يؤَمِّنْهم مِن عذابِ اللهِ)[2].

- وقال ابنُ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: (الهلاكُ في اثنتَينِ: القُنوطِ، والعُجبِ)[3].

- وقال محمَّدُ بنُ سِيرينَ: (الإلقاءُ إلى التَّهلُكةِ هو القُنوطُ مِن رحمةِ اللهِ تعالى)[4].

- وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ: (مَن ذَهَب يُقنِّطُ النَّاسَ مِن رحمةِ اللهِ، أو يُقنِّطُ نفْسَه؛ فقد أخطأَ)[5].

آثارُ اليأسِ والقُنوطِ ومَضارُّهما[6]:

(١) أخرجه البزار كما في ((كشف الأستار)) (١٠٦).
حسن إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (ص: ١٣٥٢)، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٢٠٥١).

(٢) أخرجه الدارمي (٣٠٥)، وأبو داود في ((الزهد)) (ص: ١١٥).

(٣) ((الزواجر)) للهيتمي (١/ ١٢١).

(٤) ((تفسير البغوي)) (١/ ٢١٧).

(٥) ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٧/ ٢٢٦٨) برقم (١٢٤٠٦).

(٦) ((تفسير البغوي)) (١/ ٢١٧) و(٣/ ٥٧٩)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٣٣٨)، ((تفسير القرطبي)) (٥/ ١٦٠)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ١٣٣)، ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٥/ ٦٧٣).

١- اليأسُ والقُنوطُ مِن صِفاتِ الكافِرينَ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٧٨].

٢- اليأسُ والقُنوطُ ليسا مِن صِفاتِ المؤْمِنينَ.

٣- اليأسُ والقُنوطُ فيهما تكذيبٌ للهِ ولرسولِه.

٤- اليأسُ فيه سوءُ أدبٍ مع اللهِ سُبحانَه وتعالى.

٥- الاستمرارُ في الذُّنوبِ والمعاصي.

٦- سببٌ في الحرمانِ مِن رحمةِ اللهِ ومغفرتِه.

٧- سببٌ لفسادِ القلبِ.

مِن صُوَر اليأسِ والقُنوط:

١- اليأسُ والقُنوطُ مِن مغفرةِ اللهِ للذُّنوبِ.

٢- اليأسُ مِنَ التَّغييرِ للأفضلِ.

٣- اليأسُ والقُنوطُ مِن زوالِ الشَّدائِدِ وتفريجِ الكُروبِ.

٤- اليأسُ مِن نَصرِ الإسلامِ، وارتفاعِ الذُّلِّ والمَهانةِ عنِ المسْلمينَ.

٥- اليأسُ والقُنوطُ مِن توبةِ العُصاةِ، والتَّخذيلُ عنِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ.

أسباب اليأسِ والقُنوط[1]:

١- الجهلُ باللهِ سُبحانَه وتعالى.

(١) ((تفسير الرازي)) (١٧/ ٣٢٢-٣٢٣)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٣٧١)، ((تفسير ابن عادل)) (١١/ ٤٧١)، ((فيض القدير)) للمناوي (٢/ ٢٩٦)، ((الهمة العالية)) لمحمد بن إبراهيم الحمد (١/ ٥٠).

٢- الغُلوُّ في الخوفِ مِنَ اللهِ سُبحانَه وتعالى.

٣- مُصاحَبةُ اليائِسينَ والقانِطينَ والمُقنِّطينَ.

٤- التَّعلُّقُ بالأسبابِ.

٥- التَّشدُّدُ في الدِّينِ، وتركُ الأخذِ بالرُّخَصِ المشروعةِ.

٦- قلَّةُ الصَّبرِ، واستعجالُ النَّتائجِ.

٧- دُنوُّ الهمَّةِ، والاستِسلامُ للواقعِ، وضَعفُ الرَّغبةِ في التَّغيير.

الوسائل المُعِينةُ للتَّخلُّصِ من اليأس والقنوط[1]:

١- الإيمانُ بأسماءِ اللهِ وصِفاتِه.

٢- حُسنُ الظَّنِّ باللهِ، ورجاءُ رحمتِه.

٣- تَعلُّقُ القلبِ باللهِ، والثِّقةُ به.

٤- أن يَكونَ حالُ العبدِ بيْن الخوفِ والرَّجاءِ.

٥- الصَّبرُ عند حدوثِ البلاءِ.

٦- الدُّعاءُ مع الإيقانِ بالإجابةِ.

قصصٌ في اليأس والقُنوط:

- قصَّةُ نبيِّ اللهِ يعقوبَ عليه السَّلامُ عِندَ فقْدِ ابنِه يوسفَ عليهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ درسٌ عظيمٌ في تركِ اليأسِ، وحُسنِ الظَّنِّ باللهِ، والصَّبرِ على البلاءِ، ورجاءِ الفرَجِ مِنَ اللهِ؛ في عدَّةِ مواضعَ؛ منها:

---

(١) ((صفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة)) لعلوي السَّقَّاف (١/ ٣٦)، ((الهمة العالية)) لمحمد الحمد (١/ ٥٠).

- عِندَما جاءَه نَعيُ أَحبِّ أولادِه إليه يوسفَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وهذا أَعظَمُ المصائبِ على قلبِ الأبِ، لم يَفقِدْ صوابَه، وقابَلَ قَدَرَ اللهِ النَّازلَ بالصَّبرِ والاستِعانةِ، والحِلمِ والاستِكانةِ والتَّضرُّعِ إلى اللهِ سُبحانَه في رفْعِه. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

- ولَمَّا عظُمَتِ المصيبةُ بفقدِ ابنِه الثاني ازدادَ صبرُه، وعظُمَ رجاؤُه في الفرَجِ مِنَ اللهِ سُبحانَه، فقال لأبنائِه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

- حين عُوتِبَ في تَذكُّرِ يوسفَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعد طولِ الزَّمانِ، وانقطاعِ الأملِ، وحُصولِ اليأسِ في رُجوعِه، قال بلسانِ المؤْمِنِ الواثقِ في وعدِ اللهِ برفعِ البلاءِ عنِ الصَّابرينَ، وإجابةِ دعوةِ المُضْطَرِّينَ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

- وأخَذ بالأسبابِ في السَّعيِ والبحثِ عن يوسفَ وأخيه، فقال لأبنائِه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

- فكانتِ العاقبةُ لِمَن صبَر وأمَّلَ ورَضيَ ولم يَتسخَّطْ؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ مِن عندِ الحبيبِ مُبشِّرًا باللِّقاءِ القريبِ ﴿أَلْقَاهُ﴾ قميصَ يوسفَ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ فرجعَ البصرُ، وبلغ الأملُ، وزال الكربُ، وحصَل الثَّوابُ لِمَن صبَر ورَضيَ وأنابَ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦].

كلماتٌ وشِعرٌ في اليأس والقُنوط:

- لا تيأسْ ولا تَقنَطْ؛ فإنَّ المؤْمِنَ يُذنِبُ ويَتوبُ، ووعَدَ سُبحانَه بأنَّه يَغفِرُ

لِمَن تابَ.

- ليس دَومًا يُبتلَى العبدُ لِيُعذَّبَ، بل لِيُصطفَى ويُهذَّبَ.
- يَئِس مَن قَبلَك فضاع عُمُرُه، وفَسَد قلبُه، وتَنكَّدَتْ حياتُه؛ فاحذَرْ.
- تفاءَلْ بالخيرِ تَجِدْهُ.
- وكان يُقالُ: لو أَسلَمَ حِمارُ الخطَّابِ لأَسلَمَ عُمرُ، ثمَّ كان الفاروقَ.
- ويَتحوَّلُ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ مِن لِصٍّ قاطعِ طريقٍ إلى إمامٍ في الدِّينِ.
- قال الشاعرُ:

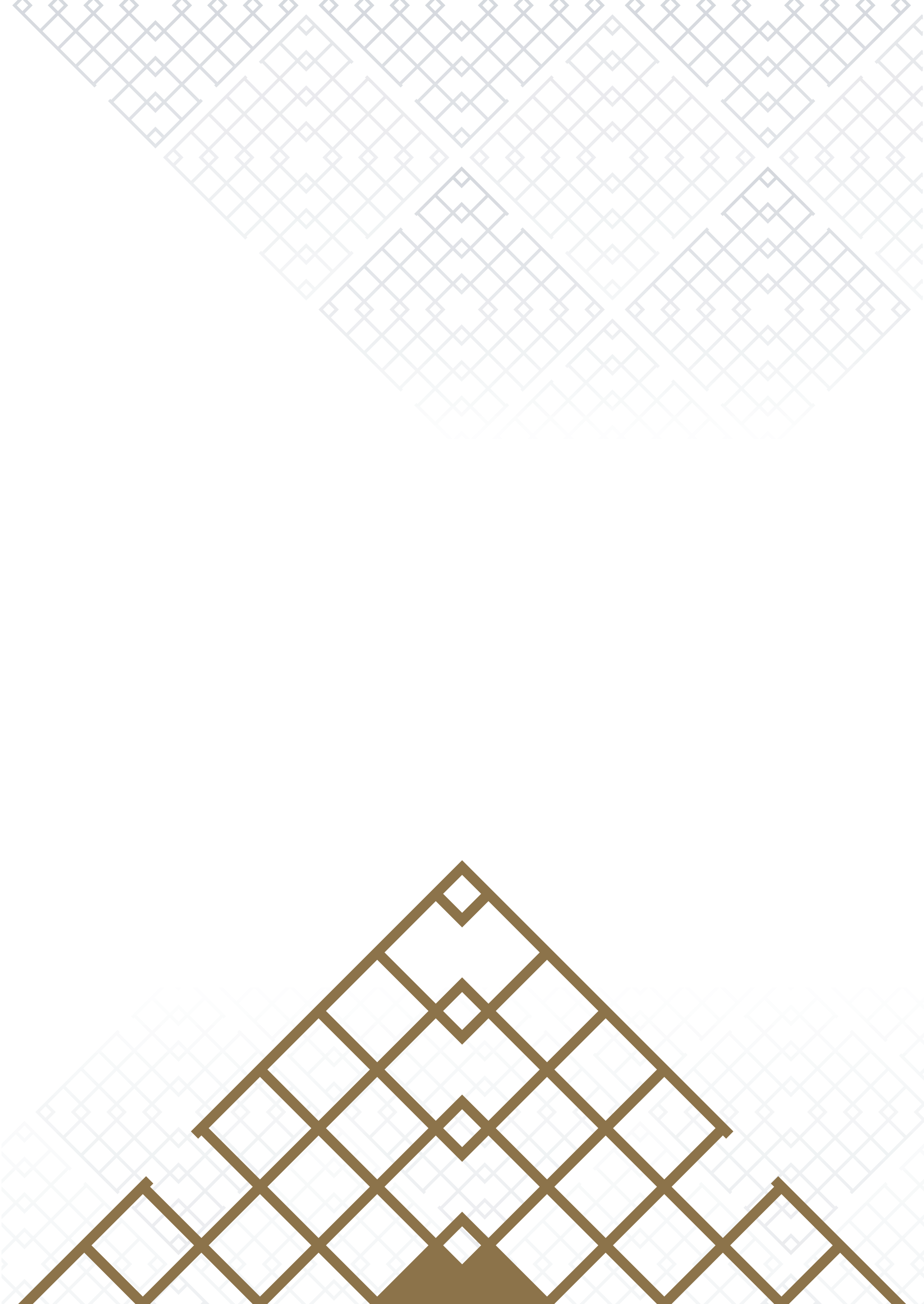
ولَرُبَّ نازِلةٍ يَضيقُ بها الفَتى ... ذَرْعًا وعِندَ اللهِ منها المَخرَجُ
كَمَلَتْ فلمَّا استَحكَمَتْ حَلَقاتُها ... فُرِجَتْ وكان يَظُنُّها لا تُفرَجُ[1]



(١) ((تفسير ابن كثير)) (٨/ ٤٣٢- ٤٣٣).



الفهرس



فهرس الموضوعات

الأخلاقُ المحمودَة









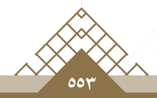




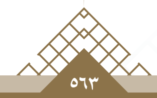




الأخلاقُ المَذْمومةُ











المَكرُ والكَيدُ ٤٩٤

نقْض العَهد ٤٩٨







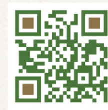
تم الصف والإخراج في
مؤسسة الدرر السنية
nashr@dorar.net
هاتف ٠١٣٨٦٨٠١٢٣
فاكس ٠١٣٨٦٨٢٨٤٨
جوال ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠





تمرُّ الأمَّةُ الإسلاميَّةُ اليومَ بأزمةِ أخلاقٍ لم يَسبقْ لها مَثيلٌ في تاريخِها كلِّه، على مُستوى المجتمعِ والأُسرةِ والفَردِ؛ وما ذاك إلَّا بسببِ بُعدِها عن دِينها وعن كِتابِ ربِّها، ومِن هذا المُنطلَقِ ولِمَا للأخلاقِ مِن أهميَّةٍ في حياةِ المُسلمِ في سُلوكِه وتَعامُلِه: تمَّ إصدارُ مَوسوعةٍ شاملةٍ في الأخلاقِ في سِتَّةِ مُجلَّداتٍ، تمَّ اختِصارُها في مُجلَّدٍ واحدٍ دونَ الإخلالِ بأهمِّ ما في الأصْلِ، وهو هذا الكتابُ الذي بين يَديك.







مؤسسة الدرر السنية | المملكة العربية السعودية
ص. ب (٣٩٣٦٤) الظهران (٣١٩٤٢) | جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠
ت: ٠١٣٨٦٨٠١٢٣ | ف: ٠١٣٨٦٨٢٨٤٨ | nashr@dorar.net

